جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري

(ت 749هـ/ 1349م)

الجزء الثاني عشر

(دراسة وتحقيق)

نعمات عوض محمد الطراونة

رسالة

مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2004م

الجزء الثاني

ومِنْهُ قوله[1]:

إنّي لأعْظَمُ مَا تَلْقُوْنني جَلَدَاً ... إذا تَوَسَّطْتُ هَوْلَ الحَادثِ النَّكِدِ

كَذلِكَ الشَّمْسُ لا تَزْدَادُ قُوَّتُهَا ... إلاَّ إذا حَصَلَتْ في زُبْرَةِ الأسَدِ[2]

ومِنْهُ قَوله[3]:

لا تَغْبطَنَّ وَزِيْرَاً لِلْمِلُوْكِ وإن ... أَنَالَهُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ رُتْبَتِهِ

واعْلَمْ بأنَّ لَهُ يَوْمَاً تَمُوْرُ بِهِ الـ ... أرْضُ الوَقُوْرُ كَمَا مَارَتْ بهَيْبَتِهِ

هَرُوْنُ وهو أخُو مُوْسَى الشَّقِيْقُ لَهُ ... لولا الوزَارَةُ لم يَأخُذْ بِلِحْيَتِهِ[4]

ومِنْهُ قوله مِمَّا كَتَبَ إلى المُسْتَنْجِدِ[5]:

يَا مَاجِدَاً جَلَّ قَدْرَاً أنْ نُهَنِّيْهِ ... لَنَا الهَنَاءُ بِظِلٍّ لَكَ[6] مَمْدُوْد

الدَّهْرُ أنْتَ فَيَوْم[7] العِيْدِ مِنْكَ ومَا ... في العُرْفِ إنّا نُهَنِّي العِيْد بالعِيْدِ[8]

ومِنْهُم: شهاب الدّين النّسائيّ، أبو المؤيّد محمَّد بن أحمد بن عليّ بن عثمان بن المؤيّد الخَزْرَندري[9]، كَتَبَ الإنْشَاءَ للدَّوْلَةِ الخَوَارزْمِيَّة، وكَبَتَ الأعْدَاءَ بالصَّوْلَةِ العَجَمِيَّـةِ، وكَانَ ذَا فَصَاحَةٍ بَلَّغَتْهُ شِغَافَ الأَرَبِ، وسَوَّغَتْهُ نِطَافَ الأدَبِ كَالضَّرْبِ، وفَرَّغَتْهُ لاقْتِطَافِ بَدَائِعَ العَرَبِ، وصَنَّفَ سِيْرَةً سَنِيَّة تُسْمَعُ وقَائِعُ سُيُوْفِهَا المَشْرَفِيَّةِ في الرِّقَابِ، وتُنْصرُ صَنَـائِعُ مَعْرُوْفِهَا وقَدْ مَضَتْ عليهَا الأحْقَابُ؛ وفَـاءً بِعَهْدِهِ لِتِلْكَ الدَّوْلَةِ الّتي والاَهَـا وخَدَمَهَا

---

(1) ورد البيتان في وفيات الأعيان: 245/6.

(2) زبرة الأسد: الشّعر على كاهله، والزُّبْرة: كوكب من المنازل على التّشبيه بزبرة الأسد،...من كواكب الأسد الخَرَاتان، وهما كوكبان نيِّران بينهما قدر سوط، وهما كتفا الأسد، وهما زُبرة الأسد، وهما كاهلا الأسد يترلهما القمر، وهي كلّها ثمانيــة. ((لسان العرب: زبر)، وحياة الحيوان الكبرى: 255/2).

(3) وردت الأبيات في : شذرات الذّهب: 318/4، ووفيات الأعيان: 246/6، بلفظ: "ناله" بدل: "أنالــه"، وهمّتــه" بــدل: "رتبته"، و: "لهيبته" بدل: "بهيبته"، وفي سير أعلام النّبلاء: 337/21: "فوق همّته" بدل: "رتبته".

(4) من الآية: 29-32 من سورة طه:﴿وَاجْعَل لِي وَزِيْرَاً مِنْ أهْلِي.هَارُوْنَ أخِي.اُشْدُدْ بِهِ أزْرِي.وأشْرِكْهُ فِي أمْـــرِي﴾، انظــر: الآية: 35 من سورة الفرقان، والآية: 94 من سورة طه:﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأسِي﴾.

(5) هو أبو المظفّر يوسف بن محمّد بن أحمد بن عبد الله (518-566هـ) أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتفــي، سنة(555هـ)،... انظر: (مفرج الكروب: 193/1، ومرآة الجنان: 285/3، وفوات الوفيات: 358/4، وصبح الأعشــى: 276/3، والأعلام: 251/8).

(6) في وفيات الأعيان: 245/6: "منك".

(7) في وفيات الأعيان: "ويوم".

(8) في وفيات الأعيان: "العيد".

(9) لم أقف له على ترجمة في المصادر الّتي رجعت إليها.

وأَوْلاَهَا، مَا شَرُفَ بِغُرَرِه خَدَمُهَا فَلَمْ يَدَعْ مِمَّا يُبْهِجُ حَرْفَاً، ولا يَدَعُ لِلِّسَانِ الطَّيِّبِ اللَّهْجِ عَرْفاً، بِعِبَارَةٍ صَاغَهَا بِلَطَافَةٍ أَعْجَبُ مِنَ الفَرِيْدِ، وأَعْجَلُ في القُلُوْبِ تَأْثِيْراً مِنْ لَوَاحِظِ الغِيْدِ.

ومِنْ نَثْرِه قَوله مِنْ كِتَابٍ كَتَبَهُ إلى الدِّيْوَانِ العَزِيْزِ مع رَأْسِ طُغرل[1]، وصَلَ بَغْدَادَ في الرَّابِعِ والعِشْرِيْنَ مِنْ رَبِيْعِ الأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعِيْنَ وخمسمائة[2]، افْتَتَحَهُ بِقَوْلِهِ تعَالَى:﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[3]، قَالَ فِيْهِ: "وَرَدَتْ المَرَاسِمُ الشَّرِيْفَةُ بِرَدْعِ ذَلِكَ المَارِقِ[4] الخَائِنِ، والمُنَافِقِ الخَائِنِ، الّذي اسْتَمْرَى مَرْعَى بَغْيِهِ، واسْتَعْذَبَ آجِنَ[5] غَيِّهِ، وأَدْلَجَ في لَيْلِ ضَلاَلَتِهِ، وخَبَطَ في عَشْوَاءِ[6] جَهَالَتِهِ، شَارِباً مِنْ آسِنِ[7] الطغيان نَهْلاً، وعَلاَ غَيْرَ مُرَاقِبٍ في اللهِ ذِمَّةً ولا إِلاًّ[8]، مُسْتَسْهِلاً للخَطَرِ الجَسِيْمِ، مُغْتَرَّاً بِحُلْمِ الحَلِيْمِ، غَيْرُ مُبَالٍ بالسَّلاَخَةِ مِنَ الدِّيْنِ، وخُرُوْجِهِ عن زُمْرَةِ المُسْلِمِيْنَ، نَبَذَ أَمْرَ اللهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ[9]، ولم يَخْشَ أَلِيْمَ عَذَابِهِ، ولا رَاقَبَ وبِيْلَ عِقَابِهِ؛ فَرَاسَلَهُ الخَادِمُ دَاعِيَاً لَهُ إلى الطَّرِيْقِ اللاحِبِ، ومُشِيْراً عليهِ باعتِمَادِ الوَاجِبِ، مُهِيْباً بِهِ إلى طَاعَةِ الإِمَامِ، وعَارِضاً عليهِ بِجَدِيْدِ الإِسْلاَمِ أَوْ الاسْتِعْدَادِ[10] للمَصَافِ، والرُّجُوْعِ إلى حُكْمِ الأَسْيَافِ، فَخَيَّرَهُ[11] بَيْنَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ،

(1) هو طغرلبك بن أرسلان شاه، آخر ملوك السّلجوقيّة بالعراق، طلب السّلطنة من الخليفة، وأن يأتي بغداد ويكون على قاعدة الملوك السّلجوقيّة، فمنعه الخليفة، فأظهر العصيان، فانتدب لحربه علاء الدّين الخوارزميّ وقتله، وكان شابّاً مليحاً موصوفاً بالشّجاعة،...انظر: (الذّيل على الرّوضتين: 6، وشذرات الذّهب: 301/4، والنّجوم الزّاهرة: 134/6، والعبر: 101/3(وفيه طغريل)، وصبح الأعشى: 417/4).

(2) في (ص): "خمس ماية".

(3) من الآية: 40 من سورة النّمل.

(4) المارق: الخارج من شيء من غير مدخله، والمارقة: الّذين مرقوا من الدّين لغلوّهم فيه، وسمّيت الخوارج بالمارقين لأنّهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية، أيّ يجوزونه ويخرقونه كما يخرق السّهم المرمى به ويخرج منه. (لسان العرب: مرق).

(5) الآجن: الماء المتغيّر الطّعم واللّون. (لسان العرب: أجن).

(6) خبط عشواء: هي النّاقة الّتي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئاً. (لسان العرب: خبط).

(7) الآسن: الماء الّذي لا يشربه أحد من نتنه. (لسان العرب: أسن).

(8) من الآية: 8 من سورة التّوبة:﴿كَيْفَ وإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيْكُمْ إِلاًّ ولاَ ذِمَّةً﴾، انظر: الآية: 10 من سورة التّوبة.

(9) من الآية: 101 من سورة البقرة: ﴿نَبَذَ فَرِيْقٌ مِنَ الّذِيْنَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُوْرِهِمْ﴾، انظر: الآية: 187 من سورة آل عمران.

(10) في الأصل: "لاستعداد"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(11) في (ص): "تخيره".

وحَكَّمَهُ في أحَدِ القِسْمَيْنِ، وكِلاهُمَا عِنْدَهُ خُطَّةَ خَسْفٍ، ومَوْرِدَ حَتْفٍ، فَلَمَّا أبى[1] إلاَّ إصْرَاراً على خَطِيْئَتِهِ، وإمْرَاراً لِحَبْلِ مَنِيَّتِهِ:﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[2]، ذَلَفَ إليهِ الخَادِمُ في كَتِيْبَةٍ شَهْبَاء مِنْ جُنُوْدِ الإمَامِ، مُعْتَنِقَةً بالزَّرْدِ المَحْبُوْك، مُحْتَفَّةً بالمَلائِكَةِ، مَحْفُوْفَةً بالمُلُوْكِ، يَتَأَلَّقُ حَدِيْدُهَا، وتَتَدَامَرُ[3] أُسُوْدُهَا، وتَئِنُّ كالجَبَلِ العَظِيْمِ، واللَّيْلِ البَهِيْمِ، ضَارِبَةً رِوَاقَاتِ العَجَاجِ، مُمْتَدَّةَ الأطْنَابِ في الفِجَاجِ، وكَأَنَّ ظِلَّهَا لَيْلٌ، ولهَا ذَمُّ الرِّمَاحِ نُجُومٌ، ودُخَانُ الأسِنَّةِ نَارٌ، والصَّوَارِمُ جَحِيْمٌ، وكَأَنَّ رِمَاحَهَا آجَالٌ إلاَّ أَنَّ المَنَايَا في أوَائِلِهَا، وحَدِيْدُهَا نَارٌ إلاَّ أنَّ المَنَايَا تَجُوْلُ في مَنَاصِلِهَا، ولَمْ تَزَلْ تَرْجِفُ وفَوْقَهَا جَيْشٌ[4] مِنَ النُّسُوْرِ والعِقْبَانِ[5]، وتُذَأبُ وبَيْنَ أَيْدِيْهَا جَيْشٌ مِنَ السِّبَاعِ، والذُّوبان وأَرْتُهَا شَخْصَ المَنُوْنِ، وهو عَرْيَانٌ إلى أنْ وَافَى ذَلِكَ المَخْذُولِ، وقَدْ جَمَعَ للقَاءِ، واسْتَعَدَّ في جَيْشٍ جَمٍّ تَضِيْقُ بِهِم قُذَفُ[6] البَيْدَاءِ، قَدْ اسْتَلْئَمُوا[7] للقِتَالِ، واسْتَلَمُوا كَعْبَةَ الضَّلاَلِ، إلاَّ أَنَّ اللهَ صَبَّ عليهم الخُذْلاَنَ﴿لَمَّا تَرَاءا الجَمْعَانِ﴾[8]، وبَرَزَ الكُفْرُ إلى الإيْمَانِ، فَتَلا الخَادِمُ عليهم﴿قَاتِلُوْهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيْكُمْ ويُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُوْرَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوْبِهِمْ﴾[9]، ولم يَكُنْ إلاَّ كَبُغْيَةِ خَائِفٍ، أو لَمْعَةِ خَاطِفٍ، حتّى انْجَلَتْ جُنْدُ اللهِ عَنْهُم وهُم﴿كَأَعْجَازِ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[10]، وأُصُوْلِ ذَاوِيَةٍ لا يُعْرَفُ لَهُم قَتِيْلٌ مِنْ دَبِيْرٍ[11]، ولا يُفَرَّقُ بَيْنَ مَأمُوْرٍ وأمِيْرٍ، وأَنْفَذَ اللهُ حُكْمَهُ في الطَّاغِيَةِ، وعَجَّلَ بِرُوْحِهِ إلى الهَاوِيَةِ، ومَلَكَ الخَادِمُ بِلاَدَهُمْ، وحَازَ طَرِيْقَهُمْ وتِلاَدَهُمْ ونِسَاءهُمْ وأَوْلاَدَهُمْ، وبَادَرَ بِإنْفَاذِ رَسُوْلٍ مُبَشِّراً،

---

(1) في الأصل: "أتى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) من الآية: 33 من سورة الرّعد، والآية: 23 و36 من سورة الزّمر، والآية: 33 من سورة غافر.

(3) تتدامر: أي تهجم وتدخل بغير إذن، وهو من الدّمار والهلاك لأنّه هجوم بما يكره. (لسان العرب: دمر).

(4) في (ص): "جسر".

(5) لعلّ المعنى مأخوذ من قول أبي تمام، الدّيوان:223/2:

وقد ظُلّلت عِقبان أعلامه ضُحىً   بعقبان طير في الدّماء نواهل

أقامت مع الرّايات حتّى كأنّها   من الجيش إلاّ أنّها لم تُقاتل

(6) في الأصل: "قدف"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، والقُذَف: النّواحي. (لسان العرب: قذف).

(7) استلئموا: لبسوا ما عندهم من عُدّة رُمح وبيضة ومِغْفَر وسيف ونبل. (لسان العرب: لأم).

(8) في الأصل: "تراى"، من الآية: 61 من سورة الشّعراء.

(9) من الآية: 14و15 من سورة التّوبة.

(10) من الآية: 7 من سورة الحاقّة.

(11) دبير: مهزوم. (لسان العرب: دبر).

وأنْفَذَ مَعَهُ رَأْسَهُ وطَبَلَهُ وعَلَمَهُ؛ لِيُعْلَمَ أنْ قَدْ كُسِرْ وظَلَّ دَمهُ، والخَادِمُ يُنْهِي أنَّ وَرَاءه بِـلاَداً شَاسِعَةً، ومُدُنًا وَاسِعَةً، وهو بَعِيْدُ الأَيَّامِ، ولا يُمْكِنُهُ طُوْلَ المُقَامِ. قُلْتُ: وسَلَكَ هَذا النَّسَائيُّ مع سُلْطَانِهِ مَهْماً[1] يَعْزِفُ الجِنُّ[2] في بَيْدَائِهِ، وتَضِيْعُ الرِّيْحُ في أرْجَائِهِ، في يَـــوْمٍ تَتَمَلْمَـلُ أفَاعِيْهِ في رَمْضَائِهِ[3]، ويُسْجَنُ وَحْشَهُ في فَضَائِهِ، ويدُوْنُ[4] بِهِ حصَى[5] الآكَـــام، ويَلْفَـحُ الوُجُوْهَ أشْوَاظُ الضِّرَام، وقَدْ صَرَّ الجُنْدُب[6]، وصَكَّ وَجْهَ الغَدِيْرُ الطُّحْلُـــب، وصَــحَّ أنَّ الصَّدَا قَدْ قَامَ يَبْلُغُ والحِرْبَاءُ[7] تَخْطُبُ، ولا وِرْدَ إلاَّ رَاكِدِ الشَّرَاب، أوْ مَوْرِدٍ كَأَنَّهُ هَجَـــرَ الأَحْبَاب، كَأَنَّمَا صُبَّ على وَجْهِهِ الزَّيْتَ الذَّائِبَ، أو ذُرَّ الكِبْرِيْتَ[8] للشَّارِبِ، ولا يَـــهْنَأُ بَرْدُهُ، ولا يَسُوْغُ وِرْدُهُ، فَقَالَ لَهُ سُلْطَانُهُ: صِفْ مَا نَحْنُ فيهِ، فَقَالَ على البَدِيْهة[9]:

فَرَقَتْ بالعِيْسِ[10] وَجْهَ المَهمَه رَمَتْ مِنْهُ مُشَبَّهاً بِمُشَبَّهِ
والشَّمْسُ قَدْ أذْكَتْ ضِرَامَ نَارَهَا، لَكِنَّهُ في مَوْقِدٍ مِنْ أوْجُهِ
والفَقْرُ[11] خَافَ لا يَبِيْن طَرْفَهُ وَاضِحَهَا للعَيْنِ كَالمُشْتَبَهِ
وجُنْدُبُ الأرْضِ بِهَا مُبْلِغ وخَاطِبُ الحِرْبَاءِ كَالمُبْتَدِهِ[12]
والوِرْدُ لَوْ نَشَرَتَ عُصْفُوْرٌ بِهِ على فَسِيْحِ عُذْرِهِ لَمْ يَرْوِهِ
مُقَتَّرٌ مُقَدَّرٌ مُكَدَّرٌ يُقَصِّرُ عَنْهُ صِفَةَ المُشَبَّهِ

فَاسْتَحْسَنَ أبْيَاته، وأجَازَهُ عليها بَلَدًا بِعَمَلِهِ وسَائِرِهِ، وقَدْ لَمَعَ بَرْقٌ فَابْتَلَق كَأَنَّـــهُ غُـــرَّة في أدْهَمٍ، أو أبْلَق، أو سَلاَسِلٍ مِنْ ذَهَبٍ ومَا لَهَا حَلَق، لا يَنِي غَمَامُهُ يَنْهَمِرُ انْهِمَاراً: ويَلِذُّ أَثَرَ

---

(1) المهمه: الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس. (لسان العرب: مهه).

(2) عزفت الجنّ: صوتت ولعبت. (لسان العرب: عزف)، لعلّ المعنى مأخوذ من قول زهير بن أبي سُلمى، شرح الديوان:194:

تسمعُ، للجنِّ، عازفين بها تضبحُ، من رهبةٍ، ثعالبُها

(3) الرّمضاء: شدّة الحرّ. (لسان العرب: رمض).

(4) يدون: يضعف. (لسان العرب: دون).

(5) في الأصل: "حصا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(6) في الأصل و(ص): "الجندر"، وقد أثبتنا ما هو أولى. وهو من قولهم: "علقت معالقها وصرّ الجندب"، وهو مثل يُضـــرب للشّيء تأخذه فلا تريد أن يُفلتك. (لسان العرب: علق).

(7) الحرباء: ذكر أمّ جُبَيْنٍ، وقيل: هو دُويبة نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشّمس برأسه ويكون معها كيف دارت، يقال: إنّـه إنّما يفعل ذلك ليقي جسده برأسه، ويتلوّن ألواناً بحرّ الشّمس، والجمع الحرابي. (لسان العرب: حرب).

(8) سبق الإشارة إليه. (9) في الأصل و(ص): "البديه".

(10) العيس: الإبل تضرب إلى الصّفرة. (لسان العرب: عيس). (11) لعلّها: " القفر".

(12) المبتده: على البُداهة أو البديهة، وهي أوّل كُلّ شيء وما يفجأ منه. (لسان العرب: بده).

القِطَار[1] قِطَاراً، وهو يَجْلُو الظَّلْمَاءَ بِضُوْءِ جَبِيْنِهِ الشَّرْق، ويَمْتَدُّ مِنْ أَرْجَائِهِ ذَهَـــبُ ثُـــمَّ يَتَحَدَّرُ مِنْ حَافَاتِهِ ورَقٌ، فأمَرَهُ أنْ يَقُوْلَ فيهِ، فَقَالَ:

ابْعَثْ بَرْقاً في الدُّجَى تَأتَلِق　　كَأَنَّهُ فِي جِلْدَتَيْهِ بَلَقُ
يَجْلُو الدُّجَى لَهُ صَبَاحَ شَرْق　　يَرْفَضُّ[2] مِنْهُ وَابلٌ مُغْدَوْدَقُ[3]
كَأَنَّهُ جُوْدُ المَلِيْكِ المُغْدِق　　أو إنَّهُ مِنْ كَفِّهِ مُتَدَفِّقُ[4]
طَوْراً بَدَا[5] حِماً وَطَوْراً عَلَق

ومِنْ شِعْرِهِ قَولُه:

وإنِّي لَفِي قَيْدِ هَذا الزَّمَانِ　　لَكَالدُّرِّ إذ بَاتَ حَشْوَ الصَّدَفِ
وإنِّي على الرُّغْمِ مِنْ حَسَدِي　　لأسْلافِي الصِّيْدِ نِعْمَ الخَلَفِ
فَإنْ كَانَ أنْكَرَ قَدْرِي الزَّمَانُ　　فَذَا، هَذِهِ[6] صَدَرَتْ عن خَرَفِ
فَعَنْ أُمَمٍ تَنْجَلِي غُمَّتِي كَبَدْرِ　　الدُّجَى بَعْدَمَا قَدْ خسفِ
وتَأْتِي المَقَادِيْرُ مُنْقَادَةً　　بِقَوْلِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفِ

ومِنْهُم: ابنُ أبي الحديد، مُوفّق الدِّيْن أبو القاسم بن هبة الله بن محمّد بن محمّـــــد بـــن الحسين بن أبي الحديد المدائنيّ، أبو حامد[7]، كَتَبَ فِي دِيْوَانِ الخِلاَفَةِ، وكَبَتَ مَنْ بَـرَعَ فِي المَقَالِ خِلاَفه، وكَانَ ذَا لَسنٍ وبَرَاعَةٍ، ورَسَنٍ مُمْتَدٍّ فِي اليَرَاعَةِ[8]، وكَانَ مِنْ غُلاَةِ الشِّيْعَةِ[9]، وولاَةِ مَقَالاَتِ الرَّفْضِ الشَّنِيْعَةِ، رَأسٌ في الاعْتِزَالِ، وكَسْرُ جَدَلٍ، يَتَّفِقَا سُمْنَـــاً

---

(1) القطار: المطر، وقِطَاراً: واحدته قَطْرة، وهو ما قَطَرَ من الماء وغيره. (لسان العرب: قطر).

(2) يرفضّ: ارفضّ: سال وتفرّق وتتابع سيلانه وقطرانه. (لسان العرب: رفض).

(3) وابل مغدودق: مطر غزير. (لسان العرب: غدق).

(4) في (ص): "مندفق".

(5) في الأصل: "بدى"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).　　(6) في (ص): "هاذه".

(7) هو أحمد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن حسين أبن أبي الحديد، أبو ىلعالي، موفّق الدّين، ويُدعى القاسم أيضـــاً(590-656هـــ) ولد بالمدائن، وكان أديباً فقيهاً فاضلاً شاعراً مشاركاً في أكثر العلوم، كتب الإنشاء للمستعصم بالله مُدّة،...انظر: (الـوافي: 225/8، وقلائد الجمان: 601/5، والمنهل الصّافي: 253/2، وسير أعلام النّبلاء: 372/23، وفوات الوفيات: 154/1، وبروكلمـــان: 177/5).

(8) اليراعة: الأجمة. (لسان العرب: يرع).

(9) الشّيعة: الاسم الشّامل لمجموعة كبيرة من فرق إسلاميّة مختلفة أشدّ الاحتلاف، ترجع نشأتها جميعاً إلى القول بأنّ عليّاً-رضي الله عنه-هو الخليفة الشّرعيّ بعد وفاة النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-،.. انظر: (صبح الأعشى: 229/13، ودائرة المعـــارف الإسلاميّة: 57/4).

بالهِزَال، على إنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ التَّمَذْهَبَ للشَّافِعِيّ[1]، وكَانَ أصُوْلِيّاً لا يُحْبَسُ لِسَانُهُ بـالعِي، مع إنَّهُ كَانَ بالبَيَانِ يُسْحِرُ، وبالجُمَانِ يَسْخَرُ، وهو الّذي عَابَ على ابن الأثير الجـزريّ في"المثل السّائر"، ووَضَعَ عليهِ "الفلك الدّائر" كَمَا قَدَّمْنَاهُ في تَرْجَمَةِ المَذْكُوْرِ، ومَا قَصَّرَ في المُنَاقَشَةِ ولا عُذْرَ في المُعَاجَلَةِ لَهُ والمُبَاطَشَةِ.

ومِنْ نَثْرِهِ قَولِه: "وبَعْد. فَقَدْ عُرِضَ بالدِّيْوَان العَزِيْزِ كِتَابُكَ أَيُّهَا الزَّعِيْم، وخِطَـابُكَ[2] وأمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ عَلِيْمٌ[3]، وشَرَحْتَ ولاءكَ وذَلِكَ حَبْلُكَ الوَثِيْقُ، وكَذَلِكَ إخْلاَصكَ القَدِيْم، وانْتِمَاءك إلى البَابِ الأشْرَف[4]، وهَذه عَقِيْدَةٌ أخَذْتَهَا[5] عَن سَلَفِكَ﴿وَمَـا يلَقَّاهَـا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيْمٍ﴾[6]، نَعَمْ، ولا يُلَقَّنهَا إلاَّ ذُو فِعْلٍ كَرِيْمٍ مِنْ ذي سَلَفٍ كَرِيْمٍ، وبَـرَزَ الأمْـرُ الأشْرَفُ عن الدِّيْوَانِ العَزِيْزِ يَتَلَقَّى وَارِدَكَ بالكَرَامَةِ الّتي عَذَّبْتَ بِهَا رُتْبَـةَ كُـلِّ نَظِـيْرٍ، وأصْبَحْتَ وعلى رَأسِكَ شَربوش[7] وتَاج، وأنْتَ صَاحِبُ تَخْتٍ وسَرِيْرٍ وسُبحات[8] مِـنْ دِيْوَانِ الوزَارَةِ المُشَرَّفَةِ، مُفَصَّلاً[9] عن فُصُوْلِ كِتَابِكَ، وحَسْبُكَ حَسْبُكَ شَرَفاً[9] يَتَشَـرَّفُ بِهِ الدِّيْوَانُ العَزِيْزُ إذْ كَانَ هَذَا مِنْ خِطَابِكَ.

ومِنْهُ قَوله: "وانْتَهَى أمْرُ الجَزَرِيّ إلى أنَّهُ قُلِعَ قَلْعُ الجَزَرِ[10]، ومَا أغْنَاهُ مَا تَكَهَّنَ أوْ جَزَر،

---

(1) مذهب الشّافعيّ، الشّافعيّ: هو محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع الهاشميّ(150-204هـ)، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه المِلّة، أبو عبد الله القرشيّ ثمّ المطلبيّ الشّافعيّ المكيّ، الغزّيّ المولد، نسيب رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- وابن عمّه،...انظر: (حلية الأولياء: 63/9، وتاريخ بغداد: 56/2، ووفيات العيان: 163/4، والأعلام: 26/6).

(2) سقطت من (ص).

(3) في (ص): "عليهم".

(4) سبق الإشارة إليه.

(5) في (ص): "أخذ بها".

(6) من الآية: 35 من سورة فصلت.

(7) شربوش: قلنسوة طويلة. (كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 99).

(8) التّخت: ويقال له: السّرير، وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب، ولم يزل من رسوم الملوك قديماً وحديثاً، رفعةً لمكان الملك في الجلوس عن غيره حتّى لا يُساويه غيره من جلسائه، وهذه الأسرّة تختلف باختلاف حال الملوك، فتارة تكون من أبنية رخام ونحوه، وتارة تكون من خشب، وتارة من فُرُش محشوّة متراكبة، وقد حُكي إنّه كان لملوك الفرس سرير من ذهب يجلسون عليه، ... (مقدمة ابن خلدون: 260، وصبح الأعشى: 140/2).

(9) سقطت من (ص).

(10) إشارة لقول فتيان الشّاغوريّ، الدّيوان: 203:

متى أرى وزيركم — وما له من وزر
يقلعه الله فذا — أوَانُ قلع الجزر

وهَذَا مُعَجَّلُ كُلِّ مَائِقٍ[1]، ولَهُ مُؤَجَّلُ تَأنِيسِهِ يَوْمَ تَقُوْمُ الخَلائِقُ".

ومِنْ نَثْرِه قَولُه في تَقْلِيْدِ قَاضٍ: "وأَرْفَعُ المَنَاصِبِ وأعْلاَهَا مَنْصِبُ الحُكْمِ العَزِيْزِ الَّـــذي يَخْتَبِئُ الشَّرْعُ في نُدَبِهِ، ويَجْتَنِي السَّمْعُ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيءٍ مِنْ جَنْيِهِ، ويُعْرَفُ بِـــهِ الحَــلاَلُ والحَرَامُ، ويَتَصَرَّفُ في أوَامِرِ ذِي الجَلاَلِ والإكْرَامِ، وإنَّ أَحَقَّ مَنْ أَلْقَى زِمَامَ أحْكَامِهِ إليْـــهِ مِنْ تَفَرُّدٍ بِمَا لَدَيْهِ، وفَازَ بِسَهْمٍ مُعَلَّىً مِنَ العُلُوْمِ، وأخَذَ مِنْ فُنُوْنِهَا بِنَصِيْبٍ مَعْلُـــوْمٍ، دَأَبَ نَفْسَهُ في تَحْصِيْلِ نَفَائِسِهَا، واجْتِلاَءِ عَرَائِسِهَا، فَكَمْ[2] مِنْ أَحَادِيْثٍ نَبَوِيَّةٍ يَعْرِفُ السَّقِيْمَ فيهَا مِنَ الصَّحِيْحِ[3]، والعَدْلِ[4] مِنْ رِجَالِهَا مِنَ الجَرِيْحِ[5]، وعِلْمِ الرِّوَايَةِ على تَشَعُّبِهَا، والأَسَـانِيْدِ وطُرُقِهَا، في حَالَتَيّ تَسَهُّلِهَا وتَصَعُّبِهَا، وكَمْ تَفَاسِيْرِ كَشْفِ حَقَائِقِهَا، ومُشْكِلاَتِ تَـــأوِيْلٍ أظْهَرَ تَحْسِيْنَ إيْضَاحِهِ طَرَائِقَهَا، وكَمْ فُرُوعِ مَسَائِلٍ أَصَّلَهَا، وأُصُولِ فِقْهٍ حَوَاهَا وحَصَّلَهَا.

كُنْتَ أيُّهَا القَاضِي فُلان لَكَ فَخْرٌ بِعِلْمِ عِلْمِهَا لا يُبَاهَى، ووَرَعٍ لا تُمَـــاثَلَ فيـــهِ ولا تُضَاهَى[6]، وإفَادَةٍ تَنَصَّبَ الطَّلَبَةُ لاسْتِفَادَتِهَا، وتَشْرَهُ الأسْمَاعُ لِحُسْنِ إيْرَادِهَا واسْـتِعَادَتِهَا، فَلِذَلِكَ أعْمَدُ عليكَ في القَضَاءِ بِمَدِيْنَةِ كَذَا، وأَلْقِ مِنْ عُلُومِكَ مَا تُلاَقِـــي مَرَاحِلَـــهُ ذَوو[7] الطَّلَبةِ للاسْتِفَادَةِ. واعْلَمْ أَنَّكَ حَصَلْتَ على السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ فاعْمَلْ على الأُخْرَوِيَّةِ؛ فَإنَّـــهَا أعْلَى السَّعَادَةِ، واجْرِ على عَادَتِكَ: التَّحَرُّزِ في الإحْكَامِ، وامْضِ على سُنَنِكَ[8] في الاحْتِيَـــاطِ في كُلِّ نَقْضٍ وإبْرَامٍ، وارْعَ يَرَاعَكَ كُلَّمَا يَفْتَقِرُ أنْ يُرْعَى، وكُلَّمَا يَجِبُ أنْ يُمْعِنَ فيهِ النَّظَرَ عَقْلاً وشَرْعًا، ثُمَّ والعُدُوْلَ فَلْتَعْتَبِرَ أحْوَالَهُم وأَلْزِمْهُمْ بِكُلِّ مَا[9] هُوَ أَجْمَعُ وأحْـــوَى لَهُم؛

---

(1) المائق: الهالك حُمْقاً وغباوة. (لسان العرب: موق).

(2) في الأصل و(ص): "فلم"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(3) الصحيح: هو الحديث المسند الّذي يتّصل إسناده بنقل العدل الضّابط عن العدل الضّابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذّاً ولا معلـــلا. (الباعث الحثيث: 19).

(4) العدل: أو التّعديل: وهو وصف الرّاوي بالعدالة، والعدالة عند المحدثين لا تقتصر على الدّين والأمانة والتّقوى، بل يُضاف إلى ذلك الضّبط والإتقان ، والعدالة تتفاوت في درجاتها ومراتبها، فقد يعلو شأنها في الرّاوي حتّى يكون أوثق النّاس، وقـــد تـــزول عنـــه بالكليّة. (التّمهيد في علوم الحديث: 149).

(5) الجريح:الجرح هنا يُستخدم للدّلالة على عيوب ومطاعن في دين المرء أو أمانته أو في حفظه وضبطه وإتقانه. وقد تعظـــم هـــذه العيوب وتزداد حتّى يحكم على صاحبها بإسقاط عدالته وردّ روايته. (التّمهيد في علوم الحديث: 149).

(6) في (ص): "يُضاهي".

(7) في الأصل: "ذووا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في (ص): "عادتك".

(9) في الأصل: "بكلما"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

فبهم تُؤخَذُ الحُقُوق، وتُقَامُ الحُدُودُ، وهُم أُمَنَاءُ اللهِ في أرْضِهِ، حَيْثُ هُم على خَلْقِهِ شُهُوْدٌ، ومِنْ وَصَايَا العِلْمِ في تَحْقِيْقِ مَسَائِلَ الخِلاَفِ لَكَ عِنَاية فَهي[1] عَادَةٌ لا تُقْطَعُ، وعِدَّةٌ لا تُسْتَدْفَع، وهي للمُكْمِلِ إلاّ ذَوَاتِ المُبْرِزِ بجَمِيْلِ الصِّفَات، بذِكْرِه تُتَدَاوَلُ نَصَائِحُهَا، وتَتَّضِحُ لَدَيْكَ مَصَالِحُهَا، فَخُذْهَا نُصْبَ عَيْنِكَ، وتِجَاهَ أمْرِكَ، وأدِمْ إحْضَارَهَا في قَضَايَاكَ، ومُرُوْرِهَا على فِكْرِكَ، ومِنْ شِعْرِهِ قَوله:

بالله ضَعْ قَدَمَيْكَ فَوْقَ مَحَاجِري ... فَلَقَدْ قَنَعْتُ مِنَ الوِصَالِ بذَاكَا
وأطِلْ مُعَاتَبَتِي فَإنَّ مَسَامِعِي ... تَهْوَى حَدِيْثَكَ مِثْلَ مَا أَهْوَاكَا[2]
لا عَانَقَتْكَ مِنَ البَرِيَّةِ كُلُّهَا ... إلاَّ يَدَي اليُمْنَى وبَنْدَ قِبَاكَا[3]
كَلاَّ ولا رَشَفَتْ رُضَابَكَ بَعْدَمَا ... قَدْ ذُقْتُهُ إلاَّ الّتي تَهْوَاكَا

ومِنْهُ في مَلِيْحٍ جُعِلَ عَارِضَ الجَيْشِ، وخُلِعَ عليهِ خِلْعَةً خَضْرَاء:

وَأَهْيَف كَالقَضِيْبِ قَدّاً ... في خُضْرِ أثْوَابِهِ يَمِيْدُ
قَبَّلْتُهُ باعْتِبَارِ مَعْنَىً ... لأنَّهُ عَارِضٌ جَدِيْدُ[4]

واتَّفَقَ لَهُ سُرَى لَيْلَةٍ بَرْقُهَا قَدْ سَرَى مُوْهِنَاً كَوَجِيْبِ الفُؤاد، ومُوْهِمَاً بأنَّ طَرْفَهُ لم يَكْتَحِلْ بِرُقَاد، كَأنَّهُ فَرَسٌ مُعَارٌ أشْقَرُ، أو نَارٌ يُشَبُّ ضَرَمَهُ، ومَا خَفِي مِنْهُ أكْثَر، والرَّبَابُ[5] دُوْنَ السَّحَابِ كَخَلِيْعٍ مِنَ الفِتْيَانِ يَسْحَبُ مِئْزَراً، وأُمّ رؤومٍ[6] على الأَرْضِ تَدْهَنُ لِمَمَ الثَّرَى، فَقَالَ:

أسْرَى وَوَمْضُ البَرْقِ يُخْفِقُ قَلْبُهُ ... ويُذْكِي لَهُ في اللَّيْلِ قَدْحَ زِنَادِ[7]

---

(1) في الأصل و(ص): "فها"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) ورد البيتان في : منازل الأحباب ومذاهب الألباب: 36، بلفظ: "محادثتي" بدل: "معاتبتي".

(3) في (ص): "بند باكا".

(4) ورد البيتان في: مسالك الأبصار: 104/16، ورواية البيت الأوّل فيه:

لمّا بدا مايس التّثنّي ... في خضر أثوابه يميد

ووردا في الوافي: 226/8، وفوات الوفيات: 154/1، والمنهل الصّافي: 253/2، وفيه:

لمّا بدا رائق التّثنّي ... وهو بأثوابه يميد

(5) الرَّباب: سحاب أبيض، وقيل: هو السّحاب واحدته ربابة، وقيل: هو السّحاب المُتعلّق الّذي تراه كأنّه دون السّحاب. (لسان العرب: ربب).

(6) في الأصل و(ص): "رؤم"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) الزّناد: جمع زَنْد وزنده، وهما خشبتان يُستقدح بهما، فالسُّفلى زَنْدَة، والأعلى زَنْد، والزَّنْد العود الأعلى الّذي يُقْتَدح به النّار. (لسان العرب: زند).

وتُوْهِمْني أنْ لَيسَ تُكْحَلُ عَيْنُهُ   بِرُقَاد، بَلَى، قَدْ كُحِّلَتْ بِرُقَاد
ودُوْنَ الغَوَادي للرَّبَابِ حُلاَحِلٌ[1]   تَزُوْرُ وِهَاداً[2] مِنْ على نِجَاد[3]
تَزُوْرُ بِمُبْتَلٍّ[4] الحَيَا هَامِدَ الثَّرَى   وتَرْشِفُ ثَغْرَ النَّوْرِ[5] رِيْقَ غَوَاد

ثُمَّ لَمَّا أَبْهَمَ عليهِ الأمْرُ وأشْكَلَ، و لم يُنِخْ رَاحِلَتَهُ فَتُعْقِلْهَا وتَتَوَكَّلْ[6]، وقَدْ سَرَى في لَيْلٍ يُخْفِي ظَلاَمُهُ قَصْدَ السَّبِيْلِ، ويَمْلأُ هَوْلُهُ صَدْرَ الدَّلِيْلِ، ويَفْتَرِسُ غَوْلُهُ خُلْبَ الغَرِيْرِ، فَكَيْفَ الدَّلِيْلُ تَمَلْمَل وتَضَجَّر، وقَالَ و لم يَتَصبَّرْ[7]:

مَا لِي وللَّيْلِ[8] وظَلْمَائِهِ   ومَهْمَهٍ فِيْهِ يَحَارُ الدَّلِيْلُ
كَأنَّني في لُجَّةٍ غَارِقٌ   يَا قَوْمُ قُوْلُوا لِي كَيْفَ السَّبِيْلُ؟

ومِنْ شِعْرِهِ أيْضَاً مِمَّا أنْشَدَنِيْهِ شَيْخُنَا أَبُو الثَّناء الحَلَبِي[9]، قَولُه:

أفْدِي الّذي زَارَني والخَوْفُ يُقْلِقُهُ   يَمْشِي ويَكْمِنُ في العَطَفَاتِ والطُّرُقِ
قَبَّلْتُ أطْرَافَ كَفَّيْهِ على ثِقَةٍ   بالأَمْنِ مِنْهُ وخَدَّيْهِ على فَرَقِ
فَكَانَ في أُخْرَيَاتِ السُّكْرِ مُضْطَرِباً   إذا أرَادَ انْتِظَامَ اللَّفْظِ لَمْ يَطِقِ
للهِ مَا أحْسَنَ الصَّهْبَاءِ مُنْعِمَةً   عَلَيَّ إذْ عَلَمَتْهُ طِيْبَةَ الخُلُقِ
أهْدَتْ إليهِ سُرُوْراً نِلْتُ مُعْظَمَهُ   كَالفِعْلِ يَنْصِبُ مَفْعُوْلَيْنِ في نَسَقِ

وقَوله:

أعْدَى البَيَاضُ إلى مُجَاوِرِه   مَا ذَاكَ إلاَّ أنَّهُ مَرَضُ
هَلاَّ تَيَسَّرَ للسَّوَادِ كَذَا   وكِلاَهُمَا في حُكْمِنَا عَرَضُ

وقوله:

---

(1) الحلاحل: السّيّد في عشيرته الشّجاع الرّكين في مجلسه. (لسان العرب: حلل).
(2) الوهاد: جمع وَهْدَة، وهي المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنّه حفرة. (لسان العرب: وهد).
(3) نجاد: جمع نجد، والنّجد من الأرض: قفافها وصلابتها، وما غلظ منها وأشرف وارتفع واستوى. (لسان العرب: نجد).
(4) في (ص): "بمثل الحيا هامداً لثرى"، والحيا: الخصب، وقيل: المطر. (لسان العرب: حيا).
(5) النّور: الزّهر، وقيل: النّور الأبيض، والزّهر: الأصفر. (لسان العرب: نور).
(6) عن أنس بن مالك يقول: قال رجل: يا رسول الله: أعْقِلُهَا وأتوكّل، أو أطلِقُهَا وأتوكّلُ؟ قال: اعقلها وتوكّل. قال عمرو بن عليّ، قال يحيى: وهذا عندي حديث منكر. (سنن التّرمذيّ: 576/4).
(7) في(ص): "و لم يتبصّر".
(8) في (ص): "وليل".
(9) سوف ترد ترجمته.

يَا مَنْ تَدَلَّسَ[1] بالخِضَابِ مَشِيْبُهُ ... إنَّ المُدَلَّسَ لا يَزَالُ مُرِيْبًا
هَبْ يَاسَمِيْنَ الشَّعْرِ عَادَ بَنَفْسَجًا ... أيَعُوْدُ عُرْجَوْنُ القِوَامِ قَضِيْبًا

وقوله على الجَادَّةِ في تَفْضِيْلِ السَّيْفِ على القَلَمِ:

ومَا تُدْرِكُ الأقْلامُ شَأوَ مُهَنَّدٍ ... يُضِيءُ إذا مَا قَامَ بَيْنَ الكَوَاكِبِ
وأنَّى لَهَا وهي الّتي في طُرُوْسِهَا ... تَخِرُّ على الأذْقَانِ سُود الذَّوَائِبِ[2]
وكَمْ بَيْنَ مَنْ يَبْكِي إذا مَا انْتَدَبْتَهُ ... لأمْرٍ، وبَيْنَ الضَّاحِكِ المُتَلاعِبِ

وقوله في عَكْسِهِ على طَرِيْقَةِ ابن الرُّومِيّ[3] في المُغَايَرَة:

ومَا تُطْرَقُ الأقْلامُ في الطِّرْسِ ذِلَّةً ... ولَكِنَّهَا حَيَّاتُ رَمْلٍ قَوَاتِلُ
ومِنْ أيْنَ يَلْقَى السَّيْفُ بَعْضَ فِعَالِهَا ... وآثَارُهَا مِنْ غَيْرِ جُرْحٍ عَوَامِلُ
إذا كَانَ بَيْنَ المَرْءِ والسَّيفِ حَائِلٌ ... فَلَيْسَ عَنِ الأقْلاَمِ والمَرْءِ حَائِلُ

وقوله مِمَّا كَتَبَ بِهِ إلى بَعْضِ أصْحَابِهِ وقَدْ قُصِدَ:

يَدٌ تَسِيْلُ المَعَانِي بَيْنَ أسْطُرِهَا ... مَا عُوِّدَتْ غَيْرَ مَسِّ الطِّرْسِ والكَأسِ
تَجْرِي دِمَاءُ الأعَادِي وهي سَالِمَةٌ ... أنَّى جَرَى دَمُهَا مِنْ مِبْضَعِ الآسِي
سَهَّلْتَ يَا وَارِثَ العَلْيَا المَقَامَ لَهُ ... أُمَمٌ كَأنَّ قَاصِدهَا مِنْ أشْجَعِ النَّاسِ
كَأنَّمَا شَقَّ مِنْهَا رَأسُ مِبْضَعِهِ ... بَحْرًا مِنَ الجُوْدِ أوْ طَوْدًا مِنَ البَأسِ

وإذْ ذَكَرْنَاهُ فَكُنْيَتُهُ على ذِكْرِ أخِيْهِ القَاسِمِ أبو المَعَالِي عزّ الدِّيْن أبي حامد عبد الحميد[4]، وكَانَ نَابِغَةً في الاعْتِزَالِ، ومَعْقِلاً للاخْتِزَالِ" دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأنَامِلُ"[5]، وتَزْوَرُّ مُقَلُ السُّيُوفِ العَوَامِلِ.

---

(1) في (ص): "يدلس".

(2) من الآية: 107 من سورة الإسراء:﴿إنَّ الّذِيْنَ أُوْتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ للأذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

(3) لعلّ المقصود بها أبياتِهِ، الدّيوان: 59/6:

إنْ يخدم القلم السّيف الّذي خضعت ... له الرّقاب ودانت خوفه الأممُ
فالموت، والموت لا شيء يغالبه ... ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للأقلام مُذ بُريت ... أنّ السّيوف لها مُذْ أُرهفت خَدَمُ

(4) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد(586-656 هـ)، أبو حامد، عزّ الدّين، عالم بالأدب من أعيان المعتزلة، له شعر جيّد واطّلاع واسع على التّاريخ،ولد بالمدائن وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدّواوين السّلطانيّة، وبرع في الإنشاء، ...انظر: (فوات الوفيات: 259/2، والبداية والنّهاية: 213/13، والأعلام: 289/3).

(5) عجز بيت لبيد، الدّيوان: 256: "وكُلُّ أُناس سوف تدخل بينهم".

وقَفْتُ مِنْ نَثْرِه على قَوْلِهِ:" ولِي بَيَانٌ في وَصْفِ مَجْدِهِ لا يَكِلّ، ولِسَانٌ في ذِكْرِ مَنَاقِبِـهِ لا يَذِلّ، وسَهْمِي لا يُخْطِئ غَرَضَهُ، وفِعْلِي لا يُؤدِّي إلاَّ مُفْتَرَضِه، إلاَّ أنَّنِـي لـو واصَلْـتُ الإمْدَادَ[1]، وزَاحَمْتُ الأطْوَاد، وأَرْسَلْتُ السُّحْبَ، وراسَلْتُ الشُّهْبَ؛ لَمَا وَفَّيْـتُ حَقَّـهُ المُتَعَيِّن، ولا قُلْتُ إلاَّ الحَقَّ البَيِّنَ". ومِنْ شِعْرِه، قوله:

يَصَحَّنِي حُبُّهُ ويُنْكِسني　　فَكَمْ أصِحُّ مِنَ البَلْوَى وأنْتَكِسُ[2]

وقوله:

يَا هَاجِرِي لَمَّا رَأى شَغَفِي بِهِ　　مَا كَانَ حَقَّ مُتَيَّمٍ أنْ يَهْجُرَا
إنَّ الّذي خَلَقَ الغَرَامَ هو الّذي　　خَلَقَ السُّلُوَّ فلا يَغُرَّكَ مَا تَرَى[3]

وقوله:

أبْدَتْ مِنَ الشِّعْرِ في تَشْبِيْهِ وَجْنَتِهَا　　لَمَّا أحَاطَ بهَا سَطْرٌ مِنَ الشِّعْرِ
كَالظِّلِّ في النُّورِ أوْ كَالشَّمْسِ عَارِضَهَا　　خَطٌّ مِنَ الغَيْمِ أوْ كَالمَحْوِ في القَمَرِ[4]

وقوله فِيْمَا أنْشَدْنِيْهِ أبو الحسن الكنديّ[5]:

قَدْ بَدَا مَا يَسُرُّ فِيْمَا تَقُوْلُ　　إنَّمَا أنْتَ عَاشِقٌ لا عَذُوْلُ
رَابَنِي مِنْكَ في مَلامِكَ نَكْبَةٌ　　لِصَبْرِي بِبَعْضِهِ تَقْلِيْلُ
وحَدِيْثٌ مُلَجْلَجٌ فِيْهِ للقَلبِ　　على السِّرِّ آيَةٌ ودَلِيْلُ
يَا رَعَى اللهُ شَادِنًا أمْسَتْ　　الأضْدَادُ فيهِ للحِيْنِ وهي سُلُوْلُ
قُسِّمَ البَدْرُ بَيْنَنا فَلَهُ النُّوْرُ　　وعِنْدِي مُحَاقُهُ والذُّبُوْلُ
إنَّمَا أنْتَ مُهْجَتِي وإلْحَادِي　　بَدَلاً عن حَشَاشَتِـي مُسْتَحِيْلُ

ومِنْهَا:

---

(1) في(ص): "الامتداد".

(2) ورد البيت في: قلائد الجمان: 605/5، وروايته:

يصحّني حبُّه طوراً ويمرضني　　فكم أبلُّ من البلوى وأنتكسُ

(3) البيتان وردا في: قلائد الجمان: 608/5.

(4) البيتان وردا في: قلائد الجمان: 608/5، بلفظ: "بيت من الشّعر في تشبيه وجنته" بدل: "أبدت من الشّعر"، ووردا في: الـوافي: 226/8، وفوات الوفيات: 154/1.

(5) هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري (520-613هـ) من ذي رعين، أبو اليمن، تاج الدّين الكندي، أديب من الكتّـاب الشّعراء العلماء، ولد ونشأ ببغداد، وسافر إلى حلب سنة 563هـ، وسكن دمشق، وقصده النّاس يقرؤون عليه،...انظـر: (في وفيات الأعيان: 339/2، والجواهر المضية: 216/2، والحياة العقليّة في عصر الحروب الصّليبيّة: 201، والأعلام: 57/3).

ثَرْوَتِي فَوْقَ هِمَّتِي، ومَرَامِي فَوْقَ طَوْقِي، وسَاعِدِي مَغْلُوْلُ

وقَدْ رَوَاهَا شَيْخُنَا أبو الثَّنَاءِ الحَلَبيّ لأخِيهِ المُوَفّق، وكِلاَهُمَا ثَبْتٌ، ولَعَلَّ الكِنْدِيّ أدْرَى بِطُرُق الرِّوَايَةِ.

ومِنْهُم: ابن بصاقة[1]، فَخْرُ القُضَاةُ، أبو الفَتْحِ، نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن الحسين بن يحيى الغفاريّ الكنانيّ. كَتَبَ للنَّاصِرِ داود[2] بن عيسى، وَوَزَرَ، وجَلَسَ معه في صُدْرِ الإيْوَان[3] والطَّرْد[4]، ونَشَأ وتَأدَّبَ بالشَّامِ، وأوْمَضَتْ لَهُ بَارِقَةٌ كَانَتْ تُشَام، ثُمَّ صَرَفَ عن وِزَارَةِ النَّاصِرِ عَنَانَهُ، ونَفَضَ مِنْهَا بَنَانَهُ لأمُوْرٍ نَقَمَهَا، وشُرُوْرٍ خَافَ نَقمِهَا، وكَانَ يَحْذَرُ سُوْءَ خَلاَئِقِ مَالِكِهِ، وتَوَعُّرِ طَرَائِقِ مَسَالِكِهِ، فَطَالَمَا أظْلَمَ جَوُّهُ، واغْتَمَّ دوّهُ، فَتَسَلَّلَ مِنْهُ بِمُخَيَّلَةٍ دَنَتْ في السَّرَّاءِ، ودَلَّتْ على الضَّرَّاءِ، فَخَافَ مُشَاوَرَةَ ذَلِكَ الأرْقَم، وتَرَكَ مُسَاقَاةَ الشَّهْدِ بِهِ خَوْفَاً مِنَ العَلْقَمِ، وكَانَ طَوْدَ حِجَى[5] وحِجَاج، وطَوْقَ جِيْدٍ وحِجَاجَ زِيْنَةٍ إلى فَصَاحَةٍ شَبَّ على إرْضَاعِهَا، وسَمَاحَةٍ تَوَلَّى حِفْظَ مَضَاعِهَا، وبَلاَغَةٍ كَانَتْ حِلْيَةً لِنظَامِهِ، وحِلَّةً لإجْلاَلِهِ في الصُّدُوْرِ وإعْظَامِهِ، وَوَزَرَ جَدِّي[6] -رحمه الله- بَعْدَهُ ثُمَّ عَافَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ فَفَارَقَهَا في لَيْلَةٍ قَمْرَا مُسْوَدَّة لأمُوْرٍ مَا هَذَا مِيْقَاتُ شَرْحِهَا، ولا مَرْقَاةُ[7] صَرْحِهَا، فَأمَّا ما لابن بصاقة:

فَمِنْ نَثْرِهِ قوله: "وأمَّا الأبْيَاتُ الجِيْمِيَّةُ الجَمَّةُ المَعَانِي، المُحْكَمَةُ المَبَانِي، المُعَوَّذَةُ بِالسَّبْعِ

---

(1) هو نصر الله بن هبة الله بن أبي محمّد بن عبد الباقي الغفاريّ، أبو الفتح(577-650هـ) كاتب مترسّل من الشّعراء، ولد بقوص، وقرأ الأدب بمصر والشّام، وولي كتابة الإنشاء في الدّيار المصريّة، كان خصيصاً بالمعظّم عيسى، ثمّ بابنه النّاصر، وتوفي بدمشق. (البداية والنّهاية: 196/13 بلفظ: "ابن صاقعة، والسّلوك: 385/1، وقلائد الجمان: 97/9، وفي مفرج الكروب: 19/5: "فخر القضاة نصر الله بن بزاقة"، وذيل مرآة الزّمان: 174/1، والجواهر المضية: 554/3، وحسن المحاضرة: 567/1، وفي سير أعلام النّبلاء: 284/23: "ابن قصافة"، والنّجوم الزّاهرة: 238/7، وشذرات الذّهب: 252/5، وفوات الوفيات: 187/4، وفي الكشكول: 353: "فخر القضاة نصر الله بن قضافة"، والأعلام: 31/8).

(2) في الأصل: "دواد"، وهو داود بن الملك المعظّم عيسى بن محمّد بن أيّوب(603-656هـ)، الملك النّاصر صلاح الدّين، صاحب الكرك، وأحد الشّعراء الأدباء، ولد ونشأ في دمشق وملكها بعد أبيه (سنة 626هـ) وأخذها منه عمّه الأشرف فتحوّل إلى الكرك فملكها إحدى عشرة سنة. (النّجوم الزّاهرة: 34/7و61، وشذرات الذّهب: 275/5، وفوات الوفيات: 419/1، والأعلام: 334/2).

(3) الإيوان: والإوان: الصُّفّة العظيمة، وهو شبه أزجٍ غير مسدود الوجه، وهو أعجميّ، ومنه إيوان كسرى... (لسان العرب: أون).

(4) الطّرد: الصّيد.

(5) الحجا: العقل والفطنة. (لسان العرب: حجا).

(6) سبق التّرجمة له.

(7) في (ص): "مرقات".

المَثاني[1]؛ فإنَّهَا واللهِ حَسَنَةُ النِّظَامِ، بَعِيْدَةُ المَرَامِ، مُقَدَّمَةٌ على شِعْرِ مَنْ تَقَدَّمَهَا في الجَاهِلِيَّةِ وعَاصَرَهَا في الإسْلامِ، قَدْ أخذَتْ بمَجَامِعِ القُلُوْبِ في الإبْدَاعِ، واسْتَوْلَتْ على المَحَاسِنِ فَهْيَ نُزْهَةُ الأَبْصَارِ والأَسْمَاعِ، ولَعِبَتْ لَعِبَ الشُّمُوْلِ إلاَّ أنَّ تِلْكَ خَرْقَاءُ[2]، وهَذِهِ صَنَاعٌ، فَإذا[3] اعْتَبَرْتَ أَلْفَاظَهَا كَانَتْ دُرّاً مَنْظُوْمَاً، وإذا[4] اخْتُبِرَتْ مَعَانِيْهَا كَانَتْ رَحِيْقَاً مَخْتُوْمَاً[5]، جَلَّتْ بِعُلُوِّهَا عن المَعَانِي المَطْرُوْقَةِ، والمَعَانِي المَسْرُوْقَةِ[6]، ودَلَّتْ بِغُلُوِّهَا[7] على إنَّهَا مِنْ نَظْمِ المُلُوْكِ لا السُّوقَةِ، فلو وَجَدَهَا ابنُ المعتزِّ لأجْرَى زَوْرَقَهُ الفِضَّةَ في نَهْرِهَا، وألْقَى حُمُوْلَتَهُ العَنْبَرَ في نَحْرِهَا[8]، وألْقَى تَشْبِيْهَاتِهِ[9] بأسْرِهَا في أَسْرِهَا، ولو لَقِيَهَا ابنُ حمدان[10] لاغْتَمَّ[11] فَرَمَى قَوْسَ الغَمَامِ، وانْبَرَى زَيّ[12] السِّهَامِ، وتَغَطَّى مِنْ أذْيَالِ الغَلائِلِ المُصَبَّغَةِ بِذَيْلِ الظَّلاَمِ[13]، ولو سَمِعَهَا امْرؤ[14] القيس لَعَلِمَ أنَّ فِكْرَتَهُ قَاصِرَةٌ، وكَرَّتَهُ

---

(1) هي سورة الفاتحة، لأنّها سبع آيات، قيل لها مثان لأنّها يثنى بها في كلّ ركعة من ركعات الصّلاة وتعاد في كلّ ركعة، وقيل: السّور الطّوال من البقرة إلى التّوبة، على أن تحسب التّوبة والأنفال سورة واحدة، ولهذا لم يُفصل بينهما في المصحف بالبسملة، وقيل: ما كان دون المئين كأنّ المئين جعلت مبادي والّتي تليها مثاني، وقيل: هي القرآن كلّه،... (لسان العرب: ثنى، سبع).

(2) من قول أبي تمام، الدّيوان بشرح الصّولي: 183/1:

خرقاء يلعب بالعقول حَبَابُها   كتلعُّب الأفعال بالأسماء

(3) من هنا بدأت الرّسالة في ذيل مرآة الزّمان: 177/1.

(4) في ذيل مرآة الزّمان: "وإن".

(5) من الآية: 25 من سورة المطففين:﴿يُسقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُوْمٍ﴾.

(6) في الأصل: "المغاني المطروقة"، وفي ذيل مرآة الزّمان: 177/1: "جلت بعلوّها عن المعاني المطروقة، والألفاظ المسروقة".

(7) في ذيل مرآة الزّمان: "بعلوّها"، لعلّه الصّواب.

(8) في ذيل مرآة الزّمان: "بحرها"، وهو حلّ لبيت ابن المعتز، الدّيوان: 351/2، وروايته:

انظر إليه كزورقٍ من فضّة   قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

(9) في (ص): "تشبيهاتها".

(10) هو سيف الدّولة الحمدانيّ(303هـ أو301-356)، هو أمير حلب أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان، كان أديباً شاعراً محبّاً لجيّد الشّعر، وأخباره كثيرة مع الشّعراء خصوصاً مع المتنبّي. يقال: إنّه غزا الرّوم أربعين غزوة له وعليه. انظر: (وفيات الأعيان: 401/3، والأعلاق الخطيرة: 300/1/3، والأعلام: 304/4).

(11) في ذيل مرآة الزّمان: "لاعتمّ في موس الغمام".

(12) في ذيل مرآة الزّمان: "بري".

(13) إشارة لقول سيف الدّولة الحمدانيّ في وصف قوس قزح:

يطرزها قوس السّحاب بأصفر   على أحمر في أخضر تحت مُبْيَض

كأذيال خود أقبلت في غلائلٍ   مصبّغةٍ، والبعضُ أقصر من بعضِ

انظر: نهاية الأرب: 94/1، ووفيات الأعيان: 402/3، وفي أبو فراس الحمداني وشعره: 19: بلفظ: الغمام" بدل: "السّحاب" وفي شرح مقامات الشّريشي: 196/3، رواية البيت الأوّل:

خَاسِرَةٌ، وأيْقَنَ أنْ وحُوْشَهُ غَيْر مَكْسُوْرَةٌ، وعُقْبَانَهُ[1] غَيْر كَاسِرَةٌ، فَأيْنَ الجَزَعِ[2] الّـــذي لم يُثْقَبْ[3] مِنْ الدُّرِّ الّذي قَدْ يُنْظَمُ[4] ويُهذّب؟! وأيْنَ ذَلِكَ الحَشَفُ البَالِي مِنْ هَذَا الشَّــــرَفِ العَالِي[5]؟! فاللهُ يَكْفِي الخَاطِرَ الّذي سَمَحَ بِهَا عَيْنُ الكَمَالِ الشَّحِيْحَة[6]، وتُشْفِي[7] القُلُوْبَ العَلِيْلَة بِأدْوِيَةِ هَذِهِ الأنْفَاسِ الصَّحِيْحَةِ، وأمَّ الأبْيَاتُ فَهْي هَذه[8]:

يَا لَيْلَةً قَطَّعْتُ عُمْرَ ظَلامِهَا ... بِمُدَامَةٍ صَفْرَاء ذَات تَأجُّجِ
بالسَّاحِلِ البَاقِي رَوَائِحَ نَشْرِه ... عن رَوْضِهِ المُتَضَوِّعِ المُتَأرِّجِ
وألْثُمُ زَاه قَدٌّ هَدَا يَتَأوَّه ... مِنْ بَعْدِ طُوْلِ تَقَلّقٍ وتَمَوِّجِ
طَوْراً يُدَغْدِغُهُ الشَّمَالُ وتَارَةً ... بكَرَى، مَنُوْطَة تَبَات الخَزْرَجِ[9]
والبَدْرُ قَدْ ألْقَى سَنَا[10] أنْوَارِه ... في لُجَّةِ المُتَجَعِّدِ المُتَدَبَّجِ
فَكَأنَّهُ إذْ قَدَّ صَفْحَةَ مَتْنِهِ ... بِشُعَاعِهِ المُتَوَقِّـــدِ المُتَوَهِّجِ

= يطرزها قوس السّماء بأصفر ... على أخضر في أحمر تحت مبيّض

وقد نسب البيتان في: (مسالك الأبصار: 465/14): لعليّ بن جبلة المعروف بالعكوّك (ولم أقف عليها في شعره)، وروايتها:

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً ... على الجوّ دكنًا والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السّحاب بأحمرٍ ... على أخضر في أصفر فوق مُبْيَضّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ ... مصبّغةٍ والبعضُ أقصر من بعض

ونسبت هذه الأبيات لابن الرّومي، الدّيوان: 62/4، ونسبت لسيف الدّولة في غرائب التّنبيهات: 21و47: بلفظ: "قوس الغمام" بـدل: "قوس السّحاب"، و" وسط" بدل: "فوق"، ورواية البيت الأوّل في المستطرف: 246/2:

يطرزها قوس السّماء بأصفر ... على أحمر في أخضر تحت مبيض

(14) في (ص): "امرى".

(1) في ذيل مرآة الزّمان: 177/1: "وعقابه".

(2) الجزع: ضرب من الخرز، وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الّذي فيه بياض وسواد تشبّه به الأعين. (لسان العرب: جزع).

(3) حلّ لبيت امرئ القيس، الدّيوان: 402/1:

كأنّ عيون الوحش، حول خبائنا ... وأرحلنا، الجزع الّذي لم يثقب

(4) في ذيل مرآة الزّمان: "تنظم".

(5) من قول امرئ القيس، الدّيوان: 359/1:

كأنّ قلوب الطّير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

(6) سقطت من (ص).

(7) في ذيل مرآة الزّمان: "ويشفي".

(8) في (ص): "هاذه".

(9) لم يستقم الوزن العروضي في هذا البيت والبيت السّابق. والخزرج: من نعت الرّيح، ...الخزرج: ريح الجنوب، وقيـل: هـي الرّيح الباردة. (لسان العرب: خزرج).

(10) في الأصل: "سنى"، وقد أثبتنا ما ورد في(ص).

نَهْرٌ يَكُوْنُ مِنْ نَضَارٍ[1] مَائِعٍ يَجْرِي على أرْضٍ مِنْ الفَيْرُوزَجِ[2]

قَالَهَا المَلِكُ النَّاصِرُ داود، وبَعَثَ بِهَا إليهِ يَعْرِضُهَا عليهِ، وهي أبْيَاتٌ يَحِقُّ لَهَا أنْ تُوْصَفَ بِجَوْدَتِهَا، وشَرَفِ قَائِلِهَا، وإنْ لَمْ تَحلِ الذُّرْوَةَ ولا أوْشَكَتْ.

ثُمَّ نَعُوْدُ إلى تَتِمَّةِ مَا نَذكُرُهُ، فَمِنْ قوله: "يُقَبِّلُ الأرْضَ، ويُنْهِي إنَّهُ فَارَقَ مَالِكَ رِقِّهِ مِرَاراً، ومَا وَجَدَ لِفِرَاقِهِ مِنَ الأَلَمِ مَا وَجَدَهُ هَذِهِ المَرَّةَ، وبَعُدَ عن حَالِبِ رِزْقِهِ فَانْضَرَّ ولا مِثْل هَذِهِ المَضَرَّةِ، حتّى لَقَدْ تَوَهَّمَ أنَّهَا فُرْقَةُ الأبَدِ، ودَاخَلَهُ مِنَ الأسَفِ مَا لَمْ يَبْقَ معهُ صَبْرٌ ولا جَلَدُ، وكُلَّمَا شَرَعَ في الصَّبْرِ أبَى الذِّكْرُ أنْ يُحْدِثَ لَهُ صَبْراً، وكُلَّمَا سَهُلَ عليهِ الأمْرُ لم يَزِدْه تَسْهِيْلُهُ إلاَّ عُسْراً، واللهُ تَعَالَى يُسَهِّلُ مِنَ اللِّقَاءِ كُلَّ صَعْبٍ عَسِيْرٍ، ويَجْمَعُ شَمْلَ المَمْلُوْكِ بِمَالِكِهِ﴿وهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إذَا يَشَاءُ قَدِيْرٌ﴾[3]".

ومِنْهُ قوله: "المَمْلُوْكُ يُشَافِهُ[4] أرْضَ مَالِكِهِ بِقُبُوْلِ خُضُوْعِهِ، ويَبُلُّ تُرَابَهَا بِوَابِلِ دُمُوْعِهِ، ويَسْتَقِلُّ فَيْضَهَا ولو إنَّهُ مِنْ سَيْلِ نَجِيْعِهِ[5]، لَمَا نَالَهُ مِنَ الحَادثِ المُؤْلِمِ المُلِمِّ، والخَطْبِ المُظْلِمِ المُدْلَهِمِّ؛ بِانْتِقَالِ الوَلَدِ العَزِيْزِ، المَلِكِ العَزِيْزِ، فَلَقَدْ وَرَدَ المَمْلُوْكُ مِنَ الكِتَابِ الوَارِدِ بِنَعْيِهِ مَشْرَعَاً كَدِرُ المَوَارِدِ، عَسِرُ المَصْدَرِ، وحَضَرَ مِنْهُ مَجْمَعَاً كَثِيْرَ البَوَادِي والحَوَاضِرِ، فَيَا لَهُ نَاعِيَاً أصَمَّ الأسْمَاعَ وأصْمَاهَا، وأقْذَى العُيُوْنَ بَلْ أعْمَاهَا، وجَرَحَ القُلُوْبَ فَأدْمَاهَا، ومَا أهْمَلَ[6] سُحْبَ الجُفُوْنِ؛ لَكِنْ أهْمَلَهَا وأهْمَاهَا[7]، وتَبَّاً لَهُ مِنْ نَقِيْصٍ نَغَّصَ الدُّنْيَا على أرْبَابِهَا، وإنْ كَانَتْ مَعْشُوْقَةً مَحْبُوْبَةً، وكَرِهَ الحَيَاةَ عِنْدَ أصْحَابِهَا مع أنَّهَا شَهِيَّةٌ مَطْلُوْبَةٌ، وكَانَ الأوْلَى بِالمَمْلُوْكِ أنْ يَصْرِفَ عن ذِكْرِ هَذه الحَادثَةِ صَفْحَاً، ولا يَنْكَأُ بِتَجْدِيْدِه بِالقَرْحِ قَرْحَاً، ولا يَقْصُدُ لِبَابِ الجَزَعِ بَعْدَ انْغِلاَقِهِ فَتْحَاً، ولا يُطْلِعُ التَّعْزِيَةَ لَيْلاً وقَدْ طَلَعَتِ التَّسْلِيَةُ صُبْحَاً".

---

(1) النّضار: اسم الذّهب والفضّة، وقد غلب على الذّهب. (لسان العرب: نضر).

(2) الفيروزج: ضرب من الأصباغ. (لسان العرب: فرزج).

(3) من الآية: 29 من سورة الشّورى.

(4) يشافه: يُكلّم مشافهة، والمشافهة: المخاطبة من فيك إلى فيه. (لسان العرب: شفه).

(5) النّجيع: الدّم، وقيل: هو دم الجوف خاصّة. (لسان العرب: نجع).

(6) أهمل: أفاض وأسال. (لسان العرب: همل).

(7) أهماها: صبّت دمعها. (لسان العرب: همي).

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي وُرُوْد المِثَال الكَرِيْمِ، فوَقَفَ مِنْهُ على اللَّفْظِ البَلِيْغِ، والمَعْنَى البَدِيْعِ، وعُلِمَ عِنْدَ تَدَبُّرِهِ إنَّهُ ﴿فوقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَلِيْم﴾[1]، ﴿وَإنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُوْ الفَضْلِ العَظِيْمِ﴾[2]". وتَصَوَّرَ أنَّ كَاتِبَهُ قَدْ جَاوَرَ البَحْرَ فَأتْحَفَهُ بِجَوَاهِرِهِ، بَلْ جَاوَرَ المَلِكَ فَأسْعَفَهُ بِعَسَاكِرِهِ، وصَدَقَ بِصُوْرَةِ كَوْن[3] ألْفَاظه جَوَاهِرَ، وكِتَابه كَتَائِبَ، وعَجِبْتُ لِخُرُوْجِ الدُّرِّ مِنَ العَذْبِ، حتّى تَذَكَّرْتُ أنَّ عَادَةَ البَحْرِ العَجَائِبُ[4]، وأمَّا مَا أمَرَ بِهِ مِنَ النِّيَابَةِ عَنْهُ في خِدْمَةِ مَوْلانَا الوَزِيْرِ فَقَدْ نَابَ عَنْهَا لَكِنْ مَنَابَ تُرَابِ التَّيَمُّمِ عَنِ المَاءِ الطَّهُوْرِ[5]، وأنْهَى مُشَافَهَاتِهِ وأدَّى مِنْ جُمَلِهَا في السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ مَا لا يَفْصِلُ في عِدَّةٍ مِنَ الشُّهُوْرِ، وأمَّا أحْوَالُ المَمْلُوْكِ فَإنَّهُ مِنْ صَدَقَاتِ الدِّيْوَانِ مَا يَعْدمُ سِوَى النَّظَرِ إلى طَلْعَةِ مَوْلانَا الَّتِي هي عَدِيْمَةُ النَّظِيْرِ، ولا تَشْتَهِي غَيْرَ الفَوْزِ بِخِدْمَتِهِ و﴿ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ الكَبِيْرُ﴾[6]، وكُلُّ هَذَا يَرْفَعُ مَحَلَّ مَوْلانَا بِمَحَلِّي ولأجْلِهِ لا لأجْلِي:

أضُمُّ قَضِيْبَ البَانِ مِنْ أجْلِ قَدِّهَا ... وألْثُمُ ثَغْرَ الكَأسِ أحْسَبُهُ فَاهَا

إلاّ أنَّ المَمْلُوكَ قَدْ أطَالَ الإقَامَةَ في دَارِ المُقَامَةِ، ونَالَ مِنَ الكَرَامَةِ حتَّى يَكَادُ يَسْأم[7] الكَرَامَةَ، ولَهُ أُسْوَةٌ بالقَائِلِ[8] وقَدْ طَالَتْ حَيَاتُهُ: "سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاة"[9]، وإذا أغْرَقَتِ المِيَاهُ وإنْ كَانَتْ عَذْبَة شَكَيْتُ المِيَاه".

ومِنْهُ قَولِه: "ويُنْهِي وُرُوْدَ المِثَالِ الكَرِيْمِ بالنَّبَأ العَظِيْمِ[10]، الّذي أصْمَى القُلُوْبَ، وأصَمَّ المَسَامِعَ، وأوْقَفَ الخَوَاطِرَ، وأجْرَى المَدَامِعَ، وضَيَّقَ على النُّفُوْسِ مَجْرَى الصَّبْرِ

---

(1) من الآية: 76 من سورة يوسف.

(2) من الآية: 29 من سورة الحديد.

(3) في (ص): "كورة".

(4) من قوله، (سوف يرد ذكر البيت في أشعاره): ولم أنل من نداه ريّ ... فالبحر من شأنه العجائب

(5) من الآية: 43 من سورة النّساء: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيْدَاً طَيِّبَاً﴾، انظر: الآية: 6 من سورة المائدة.

(6) من الآية: 11 من سورة البروج.

(7) في (ص): "يستم".

(8) هو زهير بن أبي سُلمى، ربيعة بن رياح المزّي(-13 ق هـ)، من مضر: حكيم الشّعراء في الجاهليّة. (الأغاني: 443/10، ومعاهد التّنصيص: 327/1، وشرح شواهد المغني: 130/1، والشّعر والشّعراء: 69؛ وهو فيه: زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن قرط، ومقدمة ديوانه).

(9) من قول زهير، الدّيوان: 49:

سئمت تكاليف الحياة، ومن يَعِشْ ... ثمانين حولاً، لا أبا لك، يسأمِ

(10) من الآية: 2 من سورة النّبأ:﴿عَمَّ يَتَسَاءلُوْنَ. عَنِ النَّبَأ العَظِيْمِ﴾.

الوَاسِعِ، وقَرَعَتِ الآمَالُ فيهِ إلى الكَذِبِ، فَمَا أجْدَى جَزَعُ الجَازِعِ مِنْ نَعْيِ الإمَامِ الطَّـــاهِرِ التَّقِيِّ العَلَمُ[1]، الزَّاهِرُ الزَّكِيِّ، خَلِيْفَةُ اللهِ المُسْتَنصِرِ باللهِ[2]-بَوَّأَهُ اللهُ جنَانَ عَدْنِهِ، وأسْـــكَنَهُ غُرُفَاتِ[3] أمْنِهِ، وانْتِقَالُهُ عن الغُمَّةِ الضَّيِّقَةِ إلى الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ، ومَصِيْرُهُ مِنْ الدَّارِ المُفرِّقَةِ إلى الدَّارِ الجَامِعَةِ، فَأظْلَمَ بِهَا الأُفُقُ لِكُسُوْفِ شَمْسِ الضِّيَاءِ، ودَجَى لَيْلُ الجَوِّ لِخُسُوْفِ قَمَـــرِ العَلْيَاءِ، وضَحِيَتْ وجُوْهُ المَكَارِمِ لِتَقَلُّصِ تِلْكَ الأفْيَاءِ، وكَادَتْ تَنْفَطِرُ لِفَقْدِهِ ﴿السَّـــمَاءِ ذَاتِ البُرُوْجِ﴾[4]، بِقَضَاءِ نَحْبِهَا، وبَكَتْهُ بِدُمُوْعِ قَطْرِهَا مِنْ جُفُوْنِ سُحْبِهَا حَتَّى خَدَّتْ[5] خُـدُوْدَ المُرُوْجِ، وشَقَّتِ الأرْضُ جُيُوْبَ[6] تُرْبِهَا، فَألْبَسَهَ حِدَاداً مِنْ بَيَاضِ الثُّلُوْجِ، فَيَا لَهُ خَطْباً عَـمَّ الوُجُوْدَ بَأسْرِهِ بِأسرِهِ، وحضَّ جَنَاحَ الإيْمَانِ بحَضِّهِ بَلْ بِكَسْرِهِ، وعَرَّفَ كُـــلَّ عَـارِفٍ بِفَضَاعَةِ نُكْرِهِ، وقَضَى لِكُلِّ قَلْبٍ بِتَجَمُّعِ هَمِّهِ وتَقَسُّمِ فِكْرِهِ، وأعَادَ الإسْلاَمَ غَرِيْباً كَمَا بَدَأَ أوَّلَ عُمْرِهِ[7]، لَكِنْ أقْرَنَ بِهِ الخَبَرَ الَّذي سَرَّ السَّرَائِرَ، وجَلَى الدَّيَاجِرَ[8]، وثَبَّتَ القُلُوْبَ بَعْـدَ أنْ بَلَغَتِ الحَنَاجِرَ[9]، بولاَيَةِ مَوْلاَنَا الإمَامِ المَحْتُومِ الطَّاعَةِ، خَلِيْفَةُ اللهِ في أرْضِهِ، والقَائِمُ بِسُنَّةِ الإيْمَانِ وفَرْضِهِ، أمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ المُسْتَعْصِمِ باللهِ[10]، ابنُ خَلِيْفَتِهِ، وَوَلِيِّهِ وابنُ عَمِّ رَسُوْلِهِ

---

(1) من قول الفرزدق في مدح زين العابدين، الدّيوان: 178/2:

هذا ابن خير عباد الله كلّهم   هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهر العلم

(2) هو المنصور(أبو جعفر) بن محمّد الظّاهر بأمر الله بن أحمد النّاصر لديـــن الله(588-640هـــ) الخليفـة العبّاسـيّ السّـادس والثّلاثون،...انظر: (تاريخ ابن خلدون: 536/3 وفيه وفاته سنة(641)، وتاريخ أبي الفداء: 275/2، والأعلام: 304/7).

(3) الغُرُفات: جمع غرفة، وهي العِليّة. والغرفة السّماء السّابعة، قال لبيد، الدّيوان: 271:

سوّى فأغلق دون غرفة عرشه   سبعاً طباقاً، فوق فرع المنقل

(لسان العرب: غرف).

(4) من الآية: 1 من سورة البروج.

(5) خدَّت: الخَدّ: جعلك أخدوداً في الأرض، والأخدود: شقّان في الأرض غامضان مستطيلان. (لسان العرب: خدد).

(6) جيب الأرض: مَدْخَلها، (لسان العرب: جيب).قال ذو الرّمّة، الدّيوان: 510/1:

طواها إلى حيزومها، وانطوت لها   جيوب الفيافي، حَزْنُها ورِمَالُها

(7) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء"(صحيح مسلم: 176/2).

(8) الدّياجر: الظّلمة. (لسان العرب: دجر).

(9) من الآية: 10 من سورة الأحزاب:﴿وإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلُوْبُ الحَنَاجرَ﴾.

(10) هو أبو أحمد عبد الله بن منصور بن محمّد بن أحمد(609-656هـــ) بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بـــالله، قتلـه هولاكو في العشرين من المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة، وبقتله انقرضت الخلافة العبّاسيّة من بغداد،... (تاريخ ابن خلـدون: 536/3، والنّجوم الزّاهرة: 63/7، وسير أعلام النّبلاء: 174/23، وفوات الوفيـــات: 230/2، وصبــح الأعشــى: 276/3، والأعلام: 140/4).

وَنَبِيِّهِ، فَأَجْلَتْ بَرَائِقَ الحَادثِ الجَلَلِ، وقَضَتْ بانْقِبَاضِ الوَجَلِ وانْبِسَاطِ الأَجَلِ، وحَصَلَ العَطْفُ والتَّوْكِيْدُ بِهَذَا النَّعْتِ وهَذَا البَدَلِ، فَالحَمْدُ للهِ الّذي تَدَارَكَ بالخَبَرِ كَسْرَ الإسْلاَمِ وحَسَمَ بالبُرْءِ مَوَادَّ الآلاَمِ، وأَزَالَ باليَقِيْنِ عَوَارِضَ الأَوْهَامِ، وعَاجَلَ بالرَّتْقِ[1] فَتْقَ الأيَّامِ، فَيَا لَهَا دَعْوَةً أَجَابَ دَاعِيْهَا كُلُّ مُبْصِرٍ وسَامِعٍ، وأَمَّنَ عَلَيها كُلُّ سَاجِدٍ ورَاكِعٍ، وتُلِيَتْ آيَاتُهَا في كُلِّ مِصْرٍ جَامِعٍ، وتَلَقَّى العَبْدُ هَذِهِ النِّعْمَةَ بالشُّكْرِ الّذي اسْتَغْرَقَ غَايَةَ جُهْدِهِ، ونِهَايَةَ وُسْعِهِ، وأَكْثَرَ الحَمْدَ للهِ على مَا أَوْلَى مِنْ جَزِيْلِ مَنِّهِ، وجَمِيْلِ صُنْعِهِ، وسَارَعَ إلى تَلَقِّي المِثَالِ الكَرِيْمِ باتِّبَاعِهِ وامْتِثَالِهِ، وأَخَذَ البَيْعَةَ على نَفْسِهِ وشِيْعَتِهِ ورَعِيَّتِهِ، وأُعْلِنَ بالدُّعَاءِ لإمَامِهِ على مَنَابِرِ بِلاَدِهِ الّتي هي مِنْ إنْعَامِهِ، ولولا إنَّهُ في مُقَابَلَةِ عَدُوِّ الدِّيْنِ لَمَا قَنَعَ في تَأْدِيَةِ فَرْضِ العَيْنِ بِسُنَّةِ النِّيَابَةِ، وكَانَ يَسْعَى إلى البَابِ الكَرِيْمِ بِعَزِيْمَةٍ وَارِيَةٍ غَيْرِ وَانِيَةٍ، ويُشْفِعُ هِجْرَتَهُ الأُوْلَى إلى الحَرَمِ الشَّرِيْفِ بِهِجْرَةٍ ثَانِيَةٍ".

ومِنْهُ قَوله في تَوْقِيْعٍ[2] لِقَاضِي القضاةِ[3] محيي الدّين أبي الفَضْلِ يحيى بن الزّكي العثماني[4]: "ونَحَا سِيْرَةَ أجْدَادِهِ فَمَا عَدَلَ عَنْهَا ولا حَادَ، وفُضِّلَ بالفَضَائِلِ فَمَا عُدَّ غَيْرُهُ في أَنْجُمِ الغَفِيْرِ إلاّ كَانَ مَعْدُوْداً في الإفْرَادِ والآحَادِ، فَإذَا تَوَلَّى أَمْراً بَلَغَ فِيْهِ أَقْصَى الأَمَلِ

(1) الرّتق: إلحام الفتق وإصلاحه. (لسان العرب: رتق).

(2) التّوقيع: اسم لما يكتب في حواشي القصص كخطّ الخليفة أو الوزير في الزّمن المتقدّم، وخطّ كاتب السّر، ثمّ غلب حتّى صار علماً على نوع خاصّ ممّا يكتب في الولايات وغيرها، وعنوانها "توقيع شريف لفلان بكذا" وقد كانت تكتب لعامّة أرباب الوظائف جليلها وحقيرها، إلاّ أنّها خُصّت بعد ذلك بالمتعممين من أرباب الوظائف الدّينيّة والدّيوانيّة دون غيرهم. (صبح الأعشى: 145/1، و113/11).

(3) قاضي القضاة: وجدت وظيفة قاضي القضاة في أيّام الحكم الفاطميّ، وفي عهد العزيز ثاني الخلفاء الفاطميين في مصر، وكان مقرّه في القاهرة. وكان قبل الفاطميين تابعاً لبغداد، وكان تعيينه في أيّام الفاطميين من الإسماعيليّة. وفي عهد الوزير أحمد بن الأفضل عين لكل مذهب قاضي قضاة، فكان قاضي قضاة شافعي وآخر مالكي وثالث إسماعيليّ ورابع من الإماميّة؛ ولمّا تولّى صلاح الدّين الأيوبيّ الوزارة للعاضد، آخر خلفاء الفاطميّة، اكتفى بقاضي قضاة واحد من الشّافعيّة، وظلّ ذلك إلى عصر المماليك، وفي عصر السّلطان بيبرس عُين أربعة قاضي قضاة: للشّافعيّة وللحنفيّة وللمالكيّة وللحنبليّة، وكلّ منهم مستقلّ عن الآخر، وكان قاضي القضاة في عهد الفاطميين يعينه الخليفة، وفي عهد الأيوبيين كان تعيينه من قبل السّلطان، وكذلك في عهد المماليك، وكان قاضي القضاة ينظر في قضايا متنوّعة بدون تفرقة أيّ كان هناك نظام توحيد القضاء، فينظر القضايا الجنائيّة والمدنيّة والشّرعيّة: (صبح الأعشى: 36/4و41، وخطط المقريزي: 340/3).

(4) هو محمّد بن عليّ بن محمّد(550-598 هـ) المعروف بابن زكي الدّين الدّمشقيّ: فقيه خطيب أديب، حسن الإنشاء، يتّصل نسبه بعثمان بن عفّان، كانت له عند صلاح الدّين منزلة رفيعة، ولمّا ملك السّلطان حلب فوّض إليه الحكم والقضاء فيها سنة(579هـ) ثمّ ولي قضاء دمشق سنة(588هـ)،... انظر: (طبقات السّبكي: 157/6، والبداية والنّهاية: 36/13، والنّجوم الزّاهرة: 181/6، وشذرات الذّهب: 337/4، ووفيات الأعيان: 229/4، والأعلام: 280/6).

والإرَادَة، وإذا بَاشَرَ مُهمَّاً استَقْصَى العَرْضَ فَلَمْ يَبْقَ مَوْضِعَاً للزِّيَادَة، فَرَأَيْنَا أنْ نُنَوِّلَهُ مِـــــنْ رُتَبِ السَّعَادَةِ مَا رَأَيْنَاه لَهُ أَهْلاً، وأنْ نُؤتِيَهِ مِنَّا فَضْلاً، وأنْ نُنَصِّبَهُ بَيْنَ أهْلِ بَلَدِهِ حَاكِمَـــاً، ونُنْضِيْه[1] لِحَسْمِ مَوَادّ المُخَاصَمَات صَارِمَاً[2]، ونُحَمِّلَهُ مِنْ أَعْبَاءِ المَنَاصِبِ مَا يَكُوْنُ بِحُقُوْقِهِ قَائِمَاً، ويُرْتَضَى مِنْهُ لِتَدْبِيْرِ عَوَالِي المَرَاتِبِ طِبَّاً خَبِيْرَاً، وإمَامَاً عَالِمَاً".

ومِنْهُ قوله في خُطْبَةِ صَدَاقٍ لِمُرَاجَعَة: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزْوَاجنَا وذُرِّيَاتِنَا[3] قُرَّةَ أَعْيُـــنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إمَامَاً﴾[4]، الحَمْدُ للهِ جَامِعَ الشَّمْلِ بَعْدَ الشَّتَات، وَوَاصِلَ الحَبْـــلَ بَعْـــدَ البَتَات[5]، ومُحْيي الأَرْضَ بَعْدَ المَمَات[6]، ومُنْزِلَ المَاءِ الثُّجَاجِ مِنَ المُعْصِرَات؛ لإخْرَاجِ الحَبِّ والنَّبَات[7]، والعَالِمَ بِمَا كَانَ ومَا يَكُوْن[8]، ومَا مَضَى ومَا هُوَ آت، وأشْهَدُ أنَّ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً تُضَاعِفُ الحَسَنَات، وتَمْحُو السَّيِّئَات، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدَاً عَبْـدُهُ ورَسُوْلُهُ، المَبْعُوْثُ بالآيَاتِ البَيِّنَات- صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ الأَبْرَارَ وأزْوَاجِهِ الطَّـــاهِرَاتِ صَلاَةً بَاقِيَةً بَعْدَ نَفَادِ الأزْمِنَةِ، وفَنَاءِ الأوْقَات. وبَعْد.

فَالنِّكَاحُ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، ونَدَبَ إليهَا، ورَغَّبَ رَسُوْلُهُ-صَلَّى اللهُ عليـــهِ وسلَّم-فِيْهَا، وحَضَّ عَلَيْهَا. فَقَالَ تَعَالى فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ المُنَزَّلِ على أفْضَلِ أنْبِيَائِهِ ورُسُــــلِهِ الَّذي: لو اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلَى أنْ يَأْتُوْا بمِثْلِهِ لا يَأْتُوْنَ بمِثْله[9]،﴿وأَنْكِحُوا الأيَـامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإمَائِكُمْ[10] إنْ يَكُوْنُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[11]،

---

(1) ننضيه: نضا السّيف نضواً وانتضاه: سلّه من غمده. (لسان العرب: نضا).

(2) صارماً: سيفاً قاطعاً لا ينثني. (لسان العرب: صرم).

(3) سقطت من (ص).

(4) من الآية: 74 من سورة الفرقان.

(5) البتات: القطع المستأصل، قال الشّاعر:

فَبَتَّ حبال الوصل بيني وبينها　　　أزَبُّ ظُهُورِ السَّاعِدَيْنِ، عَذَوَّرُ

(لسان العرب: بتت).

(6) من الآية: 65 من سورة النّحل:﴿والله أنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، انظر: الآية: 164 من ســـورة البقـــرة، و63 من سورة العنكبوت، و24 من سورة الرّوم، و50 من سورة الرّوم، و9 من سورة فاطر، و5 من سورة الجاثية، و17 مـــن سورة الحديد.

(7) من الآية: 14و15 من سورة النّبأ:﴿وأنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجَاً. لِنُخرِجَ بِهِ حَبَّاً ونَبَاتَاً﴾.

(8) من الآية: 73 من سورة الأنعام:﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾.

(9) من الآية: 88 من سورة الإسراء:﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ﴾.

(10) سقطت من (ص).

(11) من الآية: 32 من سورة النّور.

وقَالَ رَسُوْلُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ-وهُوَ المَخْصُوْصُ بالشَّفَاعَةِ والكَرَامَـةِ: "تَنَـاكَحُوا تَنَاسَلُوا أُبَاهِي بِكُم الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ"[1]، وقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالى للزَّوْجَيْنِ أنْ يَتَوَاصَـلاَ وأنْ يَتَقَاطَعَا، وأنْ يَتَبَايَنَا[2] وأنْ يَتخَالَعَا[3]، ورَخَّصَ لَهُمَا في المُرَاجَعَةِ بقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿فَلاَ جُنَـاحَ عَلَيْهِمَا أنْ يَتَرَاجَعَا﴾[4]، وكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللهِ السَّابِقَ عِلْمِهِ وَقَدْرِه المَارِق سَهمِهِ، مَا ذُكِـرَ في هَذَا الكِتَابِ المَقْرُوْن بالبَرَكَةِ رُقْمه، المَعْجُوْن بالسَّعَادَة خَتْمِهِ كَذَا وكَذَا".

ومِنْهُ قَوله، وهو حلُّ[5] بَيْتِ المُتَنَبِّي، وهو:

إنَّ القَتِيْلَ مُضَرَّجَاً بِدُمُوْعِهِ   مِثْلُ القَتِيْلِ مُضَرَّجَاً بِدِمَائِهِ[6]

قَتِيْلُ الجُفُوْنِ الفَوَاتِرِ في سَبِيْلِ حُبِّهِ، كَقَتِيْلِ السُّيُوْفِ البَوَاتِرِ في سَبِيْلِ رَبِّهِ، إلاَّ أنَّ هَذا يَغْسِـلُ بِدُمُوْعِهِ، وهَذَا يُزَمِّلُ بِنَجِيْعِهِ[7]، وهَذَا في حَالِ حَيَاتِهِ مَيْتٌ[8] يُرْمَقُ، وهَذَا في حَالِ مَمَاتِـهِ حَيٌّ يُرْزَقُ[9]"[10].

ومِنْهُ قَوله في حالِ أبْيَاتِ ابن الرُّومي[11]:

وحَدِيْثُهَا السِّحْرُ الحَلاَلُ لَوْ أنَّهُ[12]   لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ[13] وإنْ هي أوْجَزَتْ   وَدَّ المُحَدَّث أنَّها لَمْ تُوْجِزِ
شَرَكُ العقُوْلِ[14] وفِتْنَةٌ[15] مَا مِثْلهَا   للمُطْمَئِنِّ وعَقلَةَ المُسْتَوفِزِ[16]

---

(1) رواية الحديث في كشف الخفاء: 318/1: "انكحوا أمهات الأولاد فإنّي أباهي بهم يوم القيامة".

(2) التّباين: هو الطّلاق المكمل للثّلاث والطّلاق قبل الدّخول، والطّلاق على مال؛ والطّلاق البائن إمّا أن يكون باتناً بينونة صغـرى، أو بينونة كبرى، ولكلّ أحكام تخصّه،... (فقه السُّنّة: 301).

(3) المخالعة: هو فراق الرّجل وزوجته ببدل يحصل له،... (فقه السُّنّة: 319).

(4) من الآية: 230 من سورة البقرة.

(5) في (ص): "وهو حديث المتنبّي".

(6) الدّيوان: 6/1.

(7) يزمّل بنجيعه: يُلفّ ويُدفن بدمه والمقصود هنا الشّهيد الّذي لا يغسل.

(8) سقطت من(ص)، وفي ذيل مرآة الزّمان: 178/1: "حتّى".

(9) في(ص): "وهذا في حال حياته"، وفي ذيل مرآة الزّمان: 178/1: "وهذا في مماته حتّى يرزق"، وهو إشارة لقولـه تعـالى:﴿ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ أمْوَاتَاً بَلْ أحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُوْنَ﴾، الآية: 169 من سورة آل عمران.

(10) ورد النّص في: (حسن التّوسّل: 327، ومنازل الأحباب ومذاهب الألباب: 29، وقلائد الجمان: 107/9)

(11) الدّيوان: 247/3، وقد نسبت هذه الأبيات للبحتريّ، ديوان البحتري(الملحق: 2587).

(12) في الدّيوان: "لو أنّهَا".

(13) في الأصل: "يملك"، وفي الدّيوان: "تُملَل".

(14) في الدّيوان: "شرك النّفوس".

(15) في بهجة المجالس: 9/3: "ونمزة".

(16) المستوفز: الّذي قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن، وقد تهيّأ للأفز والوثوب والمُضيّ. (لسان العرب: وفز).

وَلاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ شُغِفَ بِفَاتِرَة[1] الجُفُوْن، فَاتِكَةِ العُيُوْن، عَلِيْلٌ لَحْظُهَا، صَحِيْحٌ لَفْظُـهَا، بَعْدَ السِّقَامِ الشِّفَاءُ مِنْ قُرْبِهَا، وتُوْقِعُ الأنَامَ في شَرَكٍ[2] مِنْ هُدْبِهَا، وإنْ انْثَنَتْ[3] طَعَنَتْ مِـنْ نَاضِرِ غُصْنٍ رَطِيْبٍ بعَامِلٍ[4] ذَابِلٍ، وإنْ رَمَقَتْ رَشَقَتْ عن قَوْسِ حَاجِبٍ[5] بِنَبْلٍ نَابلٍ، وإنْ نَطَقَتْ فَاستَمِعْ لِمَا﴿أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾[6]، فهو السِّحرُ الحَلاَلُ مع قَتْلِـــهِ النُّفُـوْسَ عَمْدًا، والعَذْبُ الزُّلاَلُ إلاَّ أنَّهُ يَزِيْدُ المُرْتَشِفَ لَهُ وَقْدًا، والعَاقِلُ للعُقُوْلِ، فَـــلاَ تَجِــدُ مِــنْ وُقُوْعِهَا في عِقَالِهِ بُدًّا، ويُؤمِّنُ على طَوِيْلِهِ المُلْكَ، وكُلُّ طَوِيْلٍ سِوَاهُ مَمْلُوْكٌ، ويَوَدُّ سَـــامِعُ قَلِيْلِهِ[7] لو أنَّهُ بالكَثْرَةِ مُتَّصِفٌ، وبالزِّيَادةِ مَشْمُوْلٌ، يُلْهِي المُشْتَغِلَ عن قَضَاءِ أشْغَالِهِ، ويَعُـوْقُ عن مُضِيّ اسْتِعْجَالِهِ، يُنَزِّهُ النَّوَاظِرَ في رِيَاضِ حُسْنِهَا النَّاظِرَة، وتَغْرَقُ الخَوَاطِــرُ في بِحَــارِ ذَهَبِهَا الزَّاخِرَة، تُقَيِّدُ الألْبَابَ، ولو أساءت، وعَهْدُنَا الإنْسَان بالإحْسَانِ يَتَقَيَّد[8]، ويَصِيْـــدُ القُلُوْبَ طَوْعًا وكَرْهًا[9]، فَأَعْجَبُوا مِنْ غَزَالَةٍ تَتَصَيَّد.

ومِنْ شِعْرِهِ قوله:

يَقُوْلُ لِي مَادِحُوْهُ لَمَّا ... فَازوا وَمَا فُزْتُ بالرَّغَائِب
مَالَكَ فِيْنَا بغَيْرِ عَيْنٍ ... قُلْتُ: لأنّي بغَيْرِ حَاجِب[10]
فَإنْ تَعَجَّبْتُمْ لِكَوْنِي وَرِدْتُ ... بَحْرًا عَذْبَ المَشَارِب
ولَمْ أَنَلْ مِنْ نَدَاهُ رِيّ ... فَالبَحْرُ مِنْ شَأنِهِ العَجَائِب

ومِنْهُ قوله:

غِبْت عن القُدْس فَأوْحَشْتَهُ ... لَمَّا[11] غَدَا باسْمِكَ مأنُوْسَا

---

(1) في الأصل: "بغاترة"، وقد أثبتنا ما هو أولى، والفتور: ضعف الجفون وانكسار الطّرْف. (لسان العرب: فتر).

(2) الشَّرك: حبائل الصّائد، وكذلك ما يُنصب للطّير. (لسان العرب: شرك).

(3) في الأصل: "انبتت"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(4) العامِل: عامل الرّمح وعاملته: ما يلي السِّنان. (لسان العرب: عمل).

(5) المقصود به حاجب بن زرارة، وقد سبق الإشارة إليه.

(6) من الآية: 102 من سورة البقرة.

(7) سقطت من (ص).

(8) لعلّ المعنى مأخوذ من قول أبي الفتح البستي، الدّيوان: 187:

أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبَهُم ... فطَالَمَا استعبد الإنسانَ إحسانُ

(9) من الآية: 83 من سورة آل عمران:﴿ولَهُ أَسْلَم مَنْ في السَّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا﴾، انظر: الآية: 15 من سورة الرّعد.

(10) البيتان وردا في فوات الوفيات: 190/4، بلفظ: "فقال" بدل: "يقول"، و"لمَ أنت فينا" بدل: "ما لك".

(11) في ذيل مرآة الزّمان: 178/1: "وقد غدا".

وَكَيْفَ لا يَلْحَقُهُ وَحْشَةٌ وأنْتَ رُوْحُ القُدْسِ يَا عِيْسَى[1]

ومِنْهُ قوله في الصَّوْمِ:

وَمَا خَاتَم طُوْلَ النَّهَارِ لِبَاسُهُ وعِنْدَ دُخُوْلِ اللَّيْلِ يُنْضَى ويُخْلَعُ
وَأعْجَبُ شَيءٍ أنْ يُسَمُّوْهُ خَاتِمَاً ومَا دَخَلَتْ فيهِ مَدَى الدَّهْرِ إصْبَعُ

ومِنْهُ قوله في قصب السُّكَّرِ:

جُعِلْتُ فِدَاكَ هَلْ لَكَ في حَبِيْبٍ مُجِيبٌ في الوِصَالِ بلاَ مُحَالِ
نَقِيُّ الثَّغْرِ، مَعْسُوْلُ الثَّنَايَا لَهُ رِيْقٌ أَلَذُّ مِنَ الزُّلاَلِ
لَهُ قَدُّ القَضِيْبِ إذا تَثَنَّى وهَزَّتْ عِطْفَهُ رِيْحُ الشَّمَالِ
يُقَامُ عليهِ حَدُّ القَطْعِ ظُلْمَاً ولَمْ يَسْرِقْ، ولَمْ يُتَّهَمْ بِمَالِ
ويُعْصَرُ كَعْبَهُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَيُبْدِي الشُّكْرَ مِنْ كَرَمِ الخِلاَلِ

ومِنْهُ قوله في السَّيفِ:

وأبْيَضَ وَضَّاحِ الجَبِيْنِ صَحِبْتُهُ فَأحْسَنَ حَتَّى مَا أقُوْمُ بِشُكْرِهِ
شَدَدْتُ يَدِي مِنْهُ على قَائِمٍ بِمَا أُكَلِّفُهُ يَلْقَى الأعَادِي بِصَدْرِهِ
إذا نَابَنِي خَطْبٌ شَدِيْدٌ[2] نَدَبْتَهُ فَيَهْتَزُّ مِنْهُ مُسْتَقِلٌّ بِأمْرِهِ
وصَبُوْرٌ[3] على الشَّكْوَى فَلو دُسْتَ خَدَّهُ
على حِدَّةٍ[4] فيهِ وثِقْتُ بِصَبْرِهِ

ومِنْهُ قوله في الرُّمْحِ:

عَصِيٌّ ثَقِيْلٌ إنْ أُطِيْلَ عِنَانُهُ مُطِيْعٌ خَفِيْفُ الكَلِّ حِيْنَ يُقَصَّرُ
تَرَى مِنْهُ أمِيَّاً[5] إلى الخَطِّ يَنْتَمِي ومُغْزَى بِغَزْوِ الرُّوْمِ وهو مُزَنَّرُ
عَجِبْتُ لَهُ مِنْ صَامِتٍ وهو أجْوَفٌ ومِنْ مُسْتَطِيْلِ الشَّكْلِ وهو مُدَوَّرُ
وَمِنْ طَاعِنٍ في السِّنِّ لَيْسَ بِمُنْحَنٍ[6] ومِنْ أرْعَنٍ مُذْ عَاشَ وهو مُوَقَّرُ[7]

---

(1) البيتان وردا في: قلائد الجمان: 106/9، بلفظ: "وكيف لا توحش أرجاءه" بدل: "وكيف لا يلحقه وحشة"، و" عيسا" بدل: "عيسى"، وفي: ذيل مرآة الزّمان: 178/1: "فكيف لا تلحقه وحشة".

(2) في فوات الوفيات: 188/4: "جليل".

(3) في (ص)، وفوات الوفيات: "صبور".

(4) في فوات الوفيات: "على رِقّةٍ".

(5) في ذيل مرآة الزّمان: 179/1: "ترى منه دميًا".

(6) في ذيل مرآة الزّمان: بمنحني".

(7) وردت الأبيات في: مطالع البدور: 163/2، وخزانة السّلاح: 198و199.

ومِنْهُ قوله في الإبْرَة:

وَمَسْمُومَة بالضِّدِّ مِنْ أخَوَاتِهَا إذا زَالَ عَنْهَا سُمُّهَا لَيْس يَنْفعُ
إذا لَدَغَتْ لَمْ يَدْخُلْ القَلْبَ إبْرَةٌ لِخَوْف، وإنْ كَانَتْ تَمضُّ وتُوْجِعُ
تَرَى خَلْفَهَا مَهْمَا تَمَشَّتْ ذوابَةً تَجرُّ وإنَّ الرَّأسَ مِنْهَا لأقْرَعُ
تَحَلَّتْ بضِيْقِ العَيْنِ وهي سَخِيَّةٌ لَهَا خِلَعٌ بَيْنَ الأنَامِ تُوَزَّعُ
وإنَّ أجَلَّ النَّاسِ قَدْراً وقُدْرَةً لَتَلْبَسُ مَا تَنْضُوهُ عَنْهَا وتَخْلَعُ

ومِنْهُ قوله في صَاغرة الإرَاقَةِ:

يَا سَيِّدَاً لَمْ تَزَلْ أوَامِرَهُ فَرْضَاً على العَبْدِ فهو مُمْتَثِلُ
هَلْ لَكَ عِنْدَ المَسَاءِ في أمَةٍ بيْضَاءَ حَمْرَاءَ مَا بهَا خَجَلُ
إنْ تُدْنهَا تَأت وهي صَاغِرَةً أوْ تُفضِهَا لا يُغَظِّنُهَا[1] المَلَلُ
تَنْكحُهَا كُلَّمَا أرَدْتَ ولا يُضْجرُهَا مِنْكَ ذَلِكَ العَمَلُ
تَحْبَلُ في لَيْلِهَا فإنْ تُركَتْ إلى غَدٍ زَالَ ذَلِكَ الحَبَلُ
وهي إذا فَتَّشْتَ فَلا دُبُر يُولَجُ فيهِ لَهَا ولا قُبُلُ

ومِنْه قوله:

وعَلَقٍ تَعَلَّقْتُهُ بَعْدَ مَا غَدَا وهو مِنْ سَقَطَات المَتَاعِ
فَغَرَّقَني مِنْهُ نَوْءُ البُطَيْنِ[2] ورَوَّاهُ[3] مِنِّي نَوْءُ الذِّرَاعِ[4][5]

---

(1) في (ص): "لا يغيظها".

(2) البطين: نجم من نجوم السّماء من منازل القمر بين الشّرطين والثّريّا، جاء مصغّراً عن العرب، وهو ثلاثة كواكب صغار مستوية في التّثليث كأنّها أثافي، وهو بطن الحمل، وصُغِّر لأنّ الحَمل نجومٌ كثيرة على صورة الحَمَل، والشّرطان قَرْناه، والبُطين بطنه، والثُّريّا أليتُه، والعرب تزعم أن البطين لا نوء له إلاّ الرّيح. ((لسان العرب: بطن)، وصبح الأعشى: 174/2، وحياة الحيوان الكبرى: 254/2).

(3) في (ص): "ونواه".

(4) الذّراع: نجم من نجوم الجوزاء على شكل الذّراع، قال غيلان الرّبعيّ:

غيَّرهَا بَعْدِي مَرُّ الأنْوَاءِ: نوءِ الذِّرَاعِ أو ذِرَاعِ الجوزاءِ

وقيل: الذّراع ذراع الأسد، وهما كوكبان نيّران يترلهما القمر(لسان العرب: ذرع)، وفي: (صبح الأعشى: 175/2): هي كوكبان: أحدهما نيّر والآخر مظلم، بينهما قدر سوط في رأي العين، وفيما بينهما كواكب صغار تسمّيها العرب الأظفار، وسمّيت هذه المترلة بالذّراع لأنّها عندهم ذراع الأسد، وللأسد ذراعان، مقبوضة وفيهما يترل القمر وهي جنوبيّة، وسمّيت مقبوضة لأنّ الأخرى أرفع منها في السّماء، ولهذا سُمِّيت مبسوطة، وهي مثلها في الصّورة. انظر: (حياة الحيوان الكبرى: 255/2).

(5) ورد البيتان في: (فوات الوفيات: 190/4)، ورواية البيت الأوّل:

وعلقٍ نفيس تعلّقته فزار على خلوةٍ وارتياع

ومِنْهُ قوله في المَحَفَّةِ(1):

وَحَامِلَةٍ مَحْمُوْلَةٍ غَيْرَ إنَّهَا ... إذا حَمَلَتْ أَلْقَتْ سَرِيْعاً جَنِيْنَهَا

مُنَعَّمَةً لَمْ تَرْضَ خِدْمَةَ نَفْسِهَا ... فَغِلْمَانُهَا مِنْ حَوْلِهَا يَخْدِمُوْنَهَا

لَهَا جَسَدٌ مَا بَيْنَ رُوْحَيْنِ يَغْتَدِي ... ولَوْلاَهُمَا(2) كَانَ التَّرَهُّبُ دِيْنَهَا

فَقَدْ(3) شُبِّهَتْ بالعَرْشِ في أنَّ تَحْتَهَا ... ثَمَانِيَةً مِنْ فَوْقِهَا يَحْمِلُوْنَهَا(4)

ومِنْهُ قوله في الإبْرَةِ:

وَعَارِيَةٍ لا تَشْتَكِي البَرْدَ في الشِّتَا ... على إنَّهَا مَنْهُوْكَةُ الجِسْمِ بالبَرْدِ

إذا زَالَ عَنْهَا سُمُّهَا زَالَ نَفْعُهَا ... وكَانَ دَوَاءُ السُّمِّ في ذَاكَ بالضِّدِّ(5)

ومِنْهُ قوله في المِيل(6):

ومُعْتَدِلٍ في شَكْلِهِ وقِوَامِهِ ... ولَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وإنْ كَانَ كَالغُصْنِ

يُسَنُّ وإنْ لَمْ يُرْهِفْ السَّنُّ حَدَّهُ ... على إنَّهُ كَالسَّيْفِ سُلَّ مِنَ الجَفْنِ

ومِنْهُ قوله في المشط(7):

يَعَضُّ بأَسْنَان ولَيْس لَهُ فَمٌ ... ويَثْغرُ أحْيَانَاً ولَيْس بِذِي ثَغْرِ

رَأَى الزُّهْدَ رَأْيَاً فَاغْتَدَى مُتَجَلِّلاً ... على جِسْمِهِ العَارِي بِمَسْحٍ مِنَ الشَّعْرِ

ومِنْهُم: ولده وهو محمّد بن نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيباني، أبو عبد الله(8)، فِطْرَةُ ذَكَاء، غُذِّي بِلِبَانِهَا، وَغَدَا في وَرَقِ الشَّبَابِ نَهْر بمِتْرَارٍ(9) قُضْبَـان بانِهَا، طَلَبَ العَلْيَاءَ والشَّبِيْبَةُ مَمْدُوْدَةُ الطِّرَاف، والحَبِيْبَةُ غَضَّةُ الأطْرَافِ، وكَانَ دَأْبُهُ في أدَبٍ

---

(1) المحفّة: مركب من مراكب النّساء. (لسان العرب: حفف).

(2) في فوات الوفيات: 187/4: "فلولاهما".

(3) في فوات الوفيات: "وقد".

(4) من الآية: 17 من سورة الحاقة:﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

(5) البيتان وردا في: قلائد الجمان: 101/9، بلفظ: "وحال ذوات السّمّ" بدل: "وكان دواء السّمّ ".

(6) لعلّ المقصود به: الميل الّذي يُكتحل به. (لسان العرب: ميل).

(7) البيتان وردا في: قلائد الجمان: 102/9.

(8) هو محمّد بن نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الشّيبانيّ الموصليّ، شرف الدّين ابن الأثير(585-622هـ) ولد بالموصل، وصنّف كتباً رأى ابن خلكان "مجموعاً" ألّفه للملك الأشرف بن الملك العادل بن أيّوب، ذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه، ورأى الغزوليّ كتاباً آخر له اسمه" نزهة الأبصار في نعت الفواكه والثّمار"، ونقل فصلاً منه. (مطالع البدور: 127/1، ووفيات الأعيان: 397/5، والأعلام: 125/7).

(9) امترار: قطع أو جذب. (لسان العرب: متر).

يُونِّسُهُ، لِطَرَب يُنْسيْه، بِفِكْرٍ يُنْدِيْه، لِبكْرٍ يُهْدِيْه، فَأهْدَاهَا خفِرات، وأبْدَاهَا مُسْفِرات مِن غُرَرٍ وِسَامٍ، ودُرَرٍ[1] لا تُسَام، نَثَرَهَا نَثْرَ الجُمَان، ونَظَمَهَا قَلائِدَ في جِيْدِ الزَّمَان، فَقَدَحَتِ الأنْوارَ، وفَتَحَتْ بَيْنَ رِجْسِ المَجَرَّة أعْيُنَ النُّوَّار، فطَابَتْ بِهَا الأيَّامُ بُكَر وأصَائِل، وطَالَتْ بِسُحْبِهَا الأيَّامُ غُدُر وخَمَائِل، وكَانَ مُخَالِفاً لِمَذْهَب أبيهِ في التِّيْهِ الّذي مُقِتَ لأجْلِهِ، ووَقَّتَ مِيْقَات الحُبِّ لِنَجْلِهِ، ذَكَرَهُ أبو العبّاس ابن العطّار، وقَالَ: ولد بالموصل في رمضان سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائة[2]، وتُوفي يوم الاثنين[في][3] جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة. ولَهُ كِتَاب: "غُرَّة الصَّباح في أَوْصَاف الاصطباح"، وكِتَاب: "الأنْوَار في نعت الفواكه والثّمار"، ولَهُ نَثْرٌ رَائِقٌ، ونَظْمٌ فَائِقٌ.

ومِنْ نَثْرِه قَوله: "وبَيْنَ المَشُوْق وبَيْنَ الحَمَامِ مُنَاسَبَة في شَجْوِ تَعْبِيْرِه، لا في شَجْوِ ضَمِيْرِه، فهو يُعْلِنُ نَحِيْبَهُ تَأَلُّمَاً، وهي تُعْلِنُ بعِتَابِهَا تَرَنُّمَاً، وفَرْقٌ بَيْنَ الأشْجَان المُلْهِبَةِ الأضَالِعَ، والألْحَانِ المُطْرِبَةِ للمَسَامِعِ، وقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أنَّهَا تَذْكُرُ عَهْدَاً وتُجَدِّدُ وَجْدَاً، وهَذا شَأنُ مَنْ كَانَتْ عُهُوْدُه مَنْسِيَّةَ[4] الأيَّام، ومَنْ لم يَكُنْ لَهُ مِنْ وَجْدِه حَمَامَة لم يَهْتَجْ لِتَغْرِيْدِ الحَمَامِ، ولَسْتُ بِرَاضٍ أنْ أرْعَى للإخْوَان عَهْدَاً يَفْتَقِرُ إلى تِذْكَار، وأُضْمِرَ لَهُم وَجْدَاً يَحْتَاجُ إلى تَجْدِيْدِ آثَار، وأشْوَاقِي إليهم على النَّوَى بَيْنَ الأشْوَاق الّتي تَذْهَبُ بجلْدِ الجَلَدِ، وتُورِي زَنَادَ الصَّبَابَةِ تَحْتَ الحَشَا الصَّلْدِ، وإذا صَافَحَتْ بَرْدَ المَوَارِد؛ وَجَدَتْ حَرَّ الغَلِيْلِ في ذَلِكَ البَرْدِ، وإنْ زَادَ غَيْرُهَا بحَدِيْثِ سَعْدٍ، وكَذَلِكَ هي في ارْتِيَاحِهَا إليهِ والْتِيَاحِهَا عليهِ".

ومِنْهُ قَوله يَصِفُ سَحَابَةً: "خَفقَتْ بِهَا بُنُوْدُ الرُّعُوْد، واطَّرَدَتْ فيهَا خُيُوْلُ السُّيُوْل، فَالسَّحَابُ بِهَا بَيْنَ سَائِرٍ ونَازِلٍ، ووَاضِعٍ وحَامِلٍ".

ومِنْهُ قَوله: "ولَقَدْ وَافَيْتُهَا في زَمَنْ المشمشِ الّذي لَهُ المَثَلُ السَّائِرُ، والذِّكْرُ الدَّائِرُ؛ فَرَأيْتُ مَنْظَرَاً بَهِيَّاً[5]، ومَخْبَرَاً شَهِيَّاً، ذَا لَوْن ذَهَبِيّ، وشَكْلٍ كَوْكَبِيّ، وعَرْفٍ مَنْدَلِيّ[6]، وطَعْمٍ عَسَلِيّ، فهو يَتَمَزَّقُ لِلَطَافَةِ جِلْدِهِ، ويَزْهَى بِلِذَّة طَعْمِهِ وعِظَمِ قَدِّه".

(1) في الأصل و(ص): "ذرر"، وقد أثبتنا ما هو أولى.
(2) في (ص): "خمس ماية".
(3) زيادة وردت في (ص)، لعلّها سقطت من الأصل.
(4) في الأصل و(ص): "منسبيّة"، وقد أثبتنا ما هو أولى.
(5) في الأصل: "بها"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).
(6) في الأصل و(ص): "مندكي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

ومِنْهُ قَوله: "وَصَلَ الوَرْدُ على يَدِ مُشْبِهِهِ عَرْفًا، ومُخجلِهِ وَصْفًا، ومَا أقُوْلُ إلاَّ أنّي جُـرْتُ في التَّشْبِيْهِ، فَعُدْتُ على خَاطِرِي بالتَّنْبِيْهِ، وقُلْتُ: أيْنَ الوَرْدُ الّذي تَنَالُهُ الأيْدِي بِتَنَاوِلِـهَا، وتُبَدِّلُهُ بِتَدَاوِلِهَا، مِنْ وَرْدٍ لا يُجْنَى إلاَّ بالعُيُوْنِ، ولا يُنَال إلاَّ بالظُّنُوْنِ".

ومِنْهُ قَوله: "كَأنَّمَا خُلِقَتْ أغْصَانُهَا مَنَابِراً لِخُطَبَاءِ الغَرَامِ، وصُوِّرَتْ أوْرَاقُهَا مَحَاجِراً لِدُمُوْعِ الغَمَامِ، وخُرِطَتْ أزْهَارُهَا مَجَامِراً[1] لِلْمَنْدَلِ الرَّطْبِ[2]، وقُدِّرَ أقْحُوَانُهَا فَماً لِمُؤَشَّرِ الثَّغْرِ، لِلْعَذْبِ والطِّيْبِ[3] مَا بَيْنَ مُتَطَلِّعٍ مِنْ وَكْنِهِ، وقَائِمٍ على غُصْنِهِ مِنْ كُلِّ مُفَوَّفٍ[4] الطَّيلَسَانِ[5]، ذا طَوْقٍ يَزْهَى بِهِ على طَوْقِ العِقْبَانِ، يَتَرَنَّمُ خِلاَلَ أوْرَاقِ الغُصُوْنِ، فَيَنْتَقِي شَأنَ المُتَيَّمِ بَيْنَ الشُّؤونِ، يَصِلْنَ بِنَوْحِي نَوْحَهنَّ، وإنَّمَا بَكَيْتُ بِشَجْوِي لا بِشَجْوِ الحَمَائِمِ".

ومِنْهُ قوله في البَنَفْسَجِ والوَرْدِ: "أنَا حَبِيْبٌ للنُّفُوْسِ، وتَـاجُ الـرُّؤوسِ[6]، وللعِطْرِ المَوْضُوْعِ في الجُيُوْبِ، واللَّوْنِ الّذي يُشْبِهُ عَذَارَ المَحْبُوْبِ، ولئن ذُمِمْتُ بأنَّ لِبَاسِي لِبَـاسُ السَّوَادِ، فَإنَّ هَذَا مِنْ شِيَمِ أهْلِ الوِدَادِ، فَأقْبَلَ الوَرْدُ في عَسْكَرِهِ وجُنُوْدِهِ، خَافِقَـةً للشَّـبَهِ عَذَبَاتُهُ وبُنُوْدُهُ، مُحْمَرَّ الوَجَنَاتِ مِنَ الغَضَبِ، مُنْكِراً على البَنَفْسَجِ مَا[7] جَنَاهُ مِـنْ سُـوْءِ الأدَبِ، فَخَالَ في مَيْدَانِ المُفَاخَرَةِ وصَالَ، وهيَّفَ بالبَنَفْسَجِ[8]، وقَالَ:

أعَلَيَّ يَفْتَخِرُ البَنَفْسَجُ جَاهِلاً ... وإلَيَّ يُعْزِي كُلَّ فَضْلٍ يَنْهَرُ

وأنَا المُحَبَّبُ في القُلُوْبِ زَمَانُهُ ... وبِمَقْدَمِي أهْلُ المَسَرَّةِ يَفْخَرُ[9]

كَيْفَ أطَعْتَ هَوَى نَفْسِكَ الأمَّارَةِ[10] حَتَّى افْتَخَرْتَ بِحَضْرَةِ الإمَارَةِ، ألَسْتَ صَاحِبَ

---

(1) في (ص): "مجامر"، والمجامر: جمع مِجْمَر ومَجْمَر، فبالكسر هو الّذي يوضع فيه النّار والبّخور، وبالضّم الّذي يتبخّر به وأُعِدَّ لـه الجمر. (لسان العرب: جمر).

(2) المندل والمندليّ: عود الطّيب الّذي يتبخّر به من غير أن يُخصّ ببلد.وقيل: المندل: العود الرّطب وهو المندليّ. (لسان العرب: ندل).

(3) في (ص): "الطلب".

(4) مفوّف: يقال: ثوب مفوّف، إذا كان فيه بياض. (كتاب الألفاظ لابن السّكّيت: 497).

(5) الطّيلسان: كساء مدوّر أخضر لا أسفل له، لحمته أو سُداه من صوف، يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ، وهو مـن لبـاس العجم. (كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 113).

(6) في الأصل: "الروس".

(7) من هنا سقطت من (ص).

(8) إلى هنا انتهى السّقط من (ص).

(9) ورد البيتان في شرح مقامات السّيوطي: 459/1.

(10) من الآية: 53 من سورة يوسف: ﴿إنَّ النَّفسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوْءِ﴾.

الاسْم المُعْجمِ، وللرِّدَاء الَّذي لَيْسَ يُعْلَم، بَيْنَا تَرَى نَاضِر إذْ تَرَى الطَّرْفَ عَنْـــكَ نَافِـــرَاً، هَلَكَ مِنَ الفَخْرِ، إلاَّ أنْ تَشَبَّهَ بالعَذَارِ إذا نُقِلْ، وللكِبْرِيْتِ إذا اشْتَعَلْ، و لم تَحْظَ مِنْ هَذَيْـــنِ الوَصْفَيْنِ إلاَّ بالصِّيْتِ المَذْمَوْمِ؛ لأنَّ هَذَا إحْرَاق النَّار، وهَذَا تَسْوِيْد الخَدِّ المَلْثُــوْمِ علــى أنَّ بَعْضَ البُلَغَاءِ قَدْ أنْكَرَ تَشْبِيْهكَ بالعَذَارِ، ونَزَعَ عَنْكَ خِلْعَةَ هَذَا الثَّوْب المُعَار، فَقَالَ:

وَمُهَفْهَفٍ لَمَّا بَدَا في خَدِّهِ ... شِبْه البَنَفْسَج وانْطَفَى تَوْرِيْدُهُ

غُمَّ البَنَفسَج حَيْنَ شوَّه خَلْقه ... وغَدَا على مُبَيَّضِهِ تَسْوِيْدُهُ

لَكِنْ أنَا مِنْ نَقَبِ الأيَّامِ، ومُنْتَظِر الأعْوَامِ، وأيَّامِي أيَّام الأفْــــرَاح، ومَـــرَاوحَ الأرْوَاح، لا يُشَرَّفُ الرَّبِيْعُ إلاَّ بِوُرُوْدِي، ولا تُشَبَّهُ خُدُوْدُ الغِيْدِ إلاَّ بخُدُوْدِي".

ومِنْهُ قَوله: "وبَيْنَمَا الغَمَامَةُ تُطْلِقُ لِسَانَهَا، وتَذْكُرُ إحْسَانَهَا؛ إذْ عَارَضَتْهَا الشَّــــمْسُ فَخرَجَتْ مِنْ أثْوَابِهَا، وقَالَتْ هذه مِنَّةٌ على الأرضِ أنَا أوْلَى بِهَا، وأنَا مُعْجِـــزَةُ الخَيَــار، وعَرُوْسُ الفَلَكِ الدَّوَّار، ومُرَبِيَةِ الأزْهَارِ والثِّمَار، ومُصْلِحَةُ مَا أفْسَدَهُ تَابعُ الأقْطَار، علــى إنَّ للمَطَرِ نَدَاً لا يُنْسَى، وطَبَابَةُ[1] جَرَاجِ[2] الرِّقِّ يُوَشِّى، فَإنَّهُ مُخْرِجُ الأرْض مِــنْ مَوْتِــهَا إلى نُشُوْرِهَا[3]، ومُوْقِدُ فيها مَصَابِيْحَ نُوْرِهَا، يَزِفُّ إلى عَرَائِس الرِّيَاضِ وَافي مُهُوْرِهَا، ويُظْهِرُ مَا في بُطُوْنِ الأرْضِ مِنَ الكُنُوْزِ إلى ظُهُوْرِهَا، قَامَ يَنْسجُ أبْرَادَهَا، ورَدَّ أرْوَاحَهَا إلى أجْسَـادِهَا، فهي لِمَقْدَمِهِ تَهِيْجُ وتَهْتَزُّ وتُنْبتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ[4]"، وأمَّا نَظْمُهُ، فلم أقِفْ لَهُ مِنْهُ علــى قَصِيْدَةٍ مُطَوَّلَةٍ؛ فَأذْكُرُهَا مُتِمَّاً ولا مُخْتَاراً إلاَّ بَائِيَّةً مَخْتَصَرَةً سَتَأتِي، ومِنْ مُقَطَّعَاتِهِ، قوله:

لَمَعَ البَرْقُ فَهَاجَتْ لَوْعَةٌ ... لِفُؤاد بالتَّجَنِّي مُتْعَبِ

فَتَخَالُ الجَوَّ مِنْ لَمْعَتِهِ ... حَبَشِيَّاً في رِدَاءِ مُذَهَّبِ

وهَذَا مَعْنَى مَطْرُوْقٌ تَشْبِيْه[5] اللَّيْلَ بالحبشيّ، ولَكِنَّ حَسَنَتْهُ هَذِهِ التَّتِمَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، ولا

---

(1) الطِّبَابة: الجلدة الّتِي تُجعل على طرفي الجِلْدِ في القِربة والسِّقاء،...أو الجِلْدَة الّتِي تُغطّى بها الخُرز، وهي معترضة مثنيّة كالإصبع على موضع الخَرْز. (لسان العرب: طبب).

(2) جراج: الجرج: وعاء من أوعية النّساء،...والجُرْجَةُ: خريطة من أدمٍ كالخرج، وهي واسعة من الأسفل ضيِّقة الرّأس يُجعل فيـــها الزّاد. (لسان العرب: جرج).

(3) من الآية: 11 من سورة الزّخرف:﴿والَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾.

(4) من الآية: 5 من سورة الحجّ:﴿فَإذَا أنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ وأنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، انظر: الآيــة: 39 مــن ســورة فصلت.

(5) في الأصل: "يشبه"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، لأنّ به يستقيم المعنى.

شَيء أحْسَن مِنْ رِدَائِهِ المُذَهَّبِ هُنَا، وإنْ نَظَرَ قَوْلَ المَعَرِّي[1]: "حســـــب اللَّيْـــلَ زُنْجيَّـــاً جَرِيْحَاً"، ولَهُ:

في رَوْضَةٍ سَلَّتْ بهَا أنْهَارُهَا ... مِنْ كُلِّ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ

قَدْ صِيْغَ فيهَا فِضَّةً بِيَدٍ للضُّحى[2] ... وأَتَى الأصِيْلُ فَصَاغَهُ مِنْ عَسْجَدِ

ولَهُ:

ولَمْ يَطْلَعْ البَدْرُ السَّمَاء لأَنَّهُ ... رَأى بَيْنَنَا بَدْراً لَهُ يَخْجَلُ البَدْرُ

تَغَنَّى وأسْبَابُ السُّرُوْرِ تَمُدُّهُ ... وفي لَفْظِهِ دُرٌّ، وألْحَاظُهُ سِحْرُ

ولَهُ:

أمَا تَرَى اللَّيْمُوْنَ يَبـــ ... ـــدُو في خِلاَلِ الوَرَقِ

بظَاهِرٍ مِنْ ذَهَبٍ ... وبَاطِـــنٍ مِنْ وَرَقِ

تَحُوْطُهُ غَلاَئِلٌ ... مِنْ أخْضَـــرٍ اسْتَبْرَقِ

إذا دَنَا اللَّيْلُ لَنَا ... جَلاَ ظَـــلاَمَ الغَسَقِ

ولَهُ في المشمش:

والمشمش الغَضُّ الجَنَى ... بَدَا بَيْنَ الغُصُوْنِ كَأنْجُمِ الشَّجَرِ[3]

وإنْ رُمْتُ أنْ أجْنِيْهِ يُشْغِلُني ... طِيْبُ المَشَمِّ ورَوْنَقُ النَّظَرِ

سُبْحَانَ خَالِقه وجَاعِله ... نَزَهَ العُيُوْن وعَسْجَدَ الثَّمَرِ

وهَذِهِ الكَلِمَةُ حَسَنَةٌ لولا كَاف التَّشْبِيْهِ في أنْجُمٍ؛ فَإنَّهَا قَذَىً في عَيْنِ هَذِهِ العَرُوْسِ. ودُعَامَة مُلْحَقَة في هَذَا البَيْتِ، وأمَّا قَوله: "وعسجد الثمر، فَمُطْرِبٌ، وكَذَلِكَ[4] كَلِمَةُ العِمَاد بَـتْرَا، وهي قَوله: "كَأَنَّمَا خُرْطَ مِنَ الصَّنْدَلِ[5] أو خُلِطَ بالمَنْدَلِ[6].

(1) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّيّ التنوخيّ(أبو العلاء)، الشّاعر المعروف،...انظر: (لسان الميزان: 218، وأنباه الـرّواه: 81/1، وشرح المقامات للشّريشي: 400/4).

(2) في (ص): "الضحى".

(3) في الأصل: "السحر"، وقد أثبتنا ما ورد في(ص).

(4) مكرر في الأصل.

(5) الصّندل: خشب أحمر ومنه الأصفر، وقيل: شجر طيّب الرّيح، ويُؤتى به من سفالة الهند وهو على سبعة أضرب: المقاصيريّ الأبيض منه طيّب الرّيح، والجوزيّ، والكاوس أو السّاوس، وآخر يضرب لونه إلى الحُمرة، وصندل جعد الشّعرة، وأحمـــر اللّون. ((لسان العرب: صندل)، وصبح الأعشى: 137).

(6) المندل: هو أرفع أنواع العود وأفضلها وأجودها وأبقاها على النّار وأعبقها بالثّياب. (صبح الأعشى: 134/2).

عُدْنَا إلى ابن الضِّياء الجَزَرِيّ، ولَهُ:

وكُمثرَى خَبَوْتُ بِهِ النَّدَامَى   يُزيِّلُ تَقَطُّبَ الوَجْهِ العَبُوسِ
كَأكْوَابٍ صِغَارٍ مِنْ زُجَاجٍ   وقَدْ مُلِئَتْ بِصُفْرَةِ خَنْدَرِيْسِ[1]

ولَهُ:

قَدْ أسْفَرَ الصُّبْحُ لَنَا عَنْ نقَابْ   ورقَتِ الكَأس ورَاقَ الشَّرَابِ
فَقَمَرٌ بنَا يَشْرَبُ مِنْ قَهْوَةٍ[2]   يَلْمَعُ للشُّرْبِ كَلَمْعِ السَّرَابِ
مِنْ قَبْلِ أنْ تَلْقُطَ شَمْسُ الضُّحى   مِنْ أعْيُنِ النَّرجس دُرَرَ السَّحَابِ
أمَا تَرَى الخَمْرَ وإيْمَاضَهَا   كَالسَّيْفِ والكَأسِ لَهَا كَالقِرَابِ
فَهَزَّهَا في كَأسِهَا هِزَّةً   تَحِنُّ بِهَا أثْمَارُ شَرْخِ الشَّبَابِ

ولَهُ:

ورَوْضَةٍ طَلْقَةٍ حَيَاء   غَنَاء، مُخْضَرَّةٍ جَنَابَا
يَنْجَابُ عن نَوْرِهَا كَمَام   يَنْحَطُّ عن وَجْهِهِ نِقَابَا
بَاتَ بِهَا مَبْسَمُ الأقَاحِي   يَرْشِفُ مِنْ ظِلِّهَا رِضَابَا

ولَهُ:

السُّحْبُ تَبْكِي، والثَّرَى ضَاحِكٌ   بُكَاء صَبٍّ مَلَّ مِنْ جَفْوَتِهِ
والزَّهْرُ قَدْ فَتَّحَ أزْرَارَهُ   كَأنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَتِهِ

ولَهُ:

هَبَّ النَّسِيْمُ على الغُصُوْنِ فَخِلْتُهَا   مِثْلَ الأحِبَّةِ سَاعَةَ التَّوْدِيْعِ
وبَكَيْتُ مِنْ وَجْدِي وفَرْطَ صَبَابَتِي   حتّى سَقَيْتُ أُصُوْلَهَا بِدُمُوْعِي

ولَهُ:

والشَّمْسُ خَلْفَ الغَيْمِ   كَالحَسْنَا خَلْفَ المِعْجَرِ[3]
تَبْكِي إذا مَا احْتَجَبَتْ   مِنْ شِدَّةِ التَّحَسُّرِ
لَهَا النُّعَامَى نَفَسٌ   والدَّمْعُ مَاء المَطَرِ

---

(1) الخندريس: الخمر القديمة. (لسان العرب: خندرس).

(2) القهوة: الخمر، سمّيت بذلك لأنّها تُقْهِي شاربها عن الطّعام أي تذهب بشهوته. (لسان العرب: قها).

(3) المعجر: ثوب تلفّه المرأة على استدارة رأسها ثمّ تَجَلْبَبُ فوقه بجلبابها، والجمع المعاجر. (لسان العرب: عجر).

ولَهُ:

أمَا تَرَى نَرْجساً قَائِماً وهُوَ لَنَا في لَيْلِنَا حَارِسَا
قَدْ فَتَّحَ الأحْدَاقَ مُسْتَيْقِظاً فَظَلَّ يَخْشَى أنْ يُرَى نَاعِسَا
حتَّى إذا قَبَّلْتُ مَنْ أشْتَهِي تَرَاهُ مِنْ فِطْنَتِهِ نَاكِسَا

ولَهُ:

والمَاءُ بَيْنَ الرِّيَاضِ تَحْسَبُهُ قَدْ جَرَّدَ البِيْضَ، وهُوَ يَحْمِيْهَا
وكُلَّمَا غَنَّتِ الطُّيُوْرُ بِهَا تَرَاقَصَ الزَّهْرُ في نَوَاحِيْهَا

ولَهُ:

للرَّوْضِ عِنْدَ الصَّبَاحِ طِيبٌ نَمَتْ إلَيْنَا بِهِ الجَنُوْبُ
واسْتَمْتَعَ الطَّرْفُ مِنْ كَرَاهُ فَمَلَّتِ المَضْجَعَ الجُنُوْبُ
والطَّيْرُ فَوْقَ الغُصُوْنِ يَدْعُو[1] طَابَ لَكُمْ وقْتُكُمْ فَطِيْبُوا
والكَأسُ في كَفِّ ذي قِوَامٍ يَخْجَلُ مِنْ لِيْنِهِ القَضِيْبُ
لَوْلاَ لِبَاسٌ يَقِيْهِ طَرْفِي لَكَادَ مِنْ لَحظِهِ يَذُوْبُ
مَا سَعِدَ الوَالِدَان فيهِ إلاَّ لِتَشْقَى[له][2] القُلُوبُ
رَاحٌ إذا الرَّاحُ أبْرَزَتْهَا صَبَا إلى شُرْبِهَا اللَّبِيْبُ[3]
لَهَا إذا المَاءُ جَالَ فيهَا في قَعْرِ كَاسَاتِهَا وُثُوْبُ
إذا سَرَتْ في عُرُوْقِ شَخْصٍ هَانَتْ على قَلْبِهِ الخُطُوْبُ
وقَائِلٌ: تُبْ، فَقُلْتُ: كَلاَّ هَيْهَات عن شُرْبِهَا أتُوْبُ
إذا اسْتَقَامَ الأنَامُ طُرّاً قَالَ لي: لِمَنْ تُغْفَرُ الذُّنُوْبُ

ولَهُ:

فَهْيَ شَمْسٌ، لَكِنْ بِغَيْرِ مَغِيْبِ وَلَهِيْبٌ لَكِنْ بِغَيْرِ انْطِفَاءِ[4]

---

(1) في الأصل و(ص): "يدعوا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) زيادة وردت في (ص)، مكانها فراغ في الأصل.

(3) في الأصل: "البيب"، وقد أثبتنا ما ورد في(ص).

(4) لم أقف على أيٍّ من شعره في الصادر الّتي رجعت إليها.

ومِنْهُم: **ابن قرناص محيي الدِّين**[1]، وهُوَ مِنْ أهْلِ حَماة، ووَقَفْتُ لَهُ علـى بَدِيْعِ رَقَمِ بِغَرَائِبِ النُّوَّار، حماه بَيَانَاً كَالجَوْهِرِ المَعْدُوْد، وإحْسَانَاً كُلَّ سَمْعٍ بِهِ مَعْقُوْد، كَأَنَّهُ شَخْصُ الحَبِيْبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ، أو طَيْفُ الخَيَالِ وأدْنَى في قُرْبِهِ، وسَمِعْتُ لَهُ كَلِمَاً كُلَّمَا قَرَأْتُهَا اسْتَجَدْتُهَا، وفِقَرَاً[2] لِقِرَى المَسَامِعِ مَهْمَا قُدِّمَتْ لَكَ اسْتَزَدْهَا.

فَمِنْ نَثْرِهِ قَولُه: "وسَارَ في فُرْسَانٍ كَالأُسُوْدِ إلاَّ أنَّ بَرَاثِنَهَا[3] السِّلاَحُ، وجُنُوْدٍ كَالطُّيُوْرِ إلاَّ أنَّهَا تَسْبِقُ الرِّيَاحَ، حتَّى أتَى فُلاَنَةً، ورتَّبَ عليهَا نُوَبَ اليَزَكِ[4] للمُخَايَلَةِ لا لِلْمُخَاتَلَةِ، وانْتَظَرَ أنْ يَخْرُجَ إليهِ صَاحِبُهَا مُتَضَرِّعَاً أوْ يَقْصُدَ إليهِ مُتَخَضِّعَاً؛ لأَنَّهُ إنَّمَا قَصَدَهُ غَضَبَاً للهِ لِمَا انْتَهَكَهُ مِنْ مَحَارِمِهِ، وإقَامَةً لِمَا رَأى مِنَ العَدْلِ الَّذي شَرَعَ في هَدْمِ مَعَالِمِهِ، وشَفَقَةً على خَلْقِ اللهِ الَّذين بَسَطَ عليهم[5]-مُنْذُ وَلِيَهُم[6]-أيْدِي مَظَالِمِه، فَلَمَّا أبَى إلاَّ الطُّغْيَانَ والتَّمَادِي في مَهَالِكَ العِصْيَان، واغْتَرَّ بأصْحَابِهِ الَّذينَ هُمْ مَعَهُ بأجْسَامِهِم وعَليهِ بقُلُوْبِهِم، وَوَثِقَ برَعَايَا الَّذينَ كَانُوْا أُوْقَعُوا معه بذُنُوْبِهِم، فَلَصَقَ الجَيْشُ المَنْصُوْرُ بالسُّوْرِ المَقْهُوْر، فَدَنَا وتَدَلَّى[7]، ورأى الخَصْمَ عَيْنَ القَصْمِ[8]، فَعَبَسَ وتَوَلَّى[9]، فَكَشَفَتِ السُّتُوْرَ، وهَتَكَتْ حِجَابَهُ، وتَبَرَّجَ كُلُّ بُرْجٍ، فَحَسَرَ الزَّرَاقُوْنَ[10] لِثَامَهُ، وأمَاطَتِ النَّقَابُوْنَ نِقَابَهُ، وطَلَعَتْ على الأسْوَارِ المُنِيْفَةِ مِنَ الأعْلاَمِ الشَّرِيْفَةِ كُلُّ رَايَةٍ:﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ﴾[11]، وأيَّدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا على عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِيْنَ[12]".

---

(1) لم أقف له على ترجمة كاملة في المصادر الّتي رجعت إليها، ولكن وردت بعض الإشارات العابرة في كتاب: عصر سلاطين المماليك: 196/6 عندما أثنى صلاح الدّين الصّفدي على جماعة من الشّعراء منهم محيي الدّين بن قرناص الحمويّ، وورد له في نفس المصدر: 408/8و462 بعض الأبيات الشّعريّة، وورد له بيتان من الشّعر في: أنوار الرّبيع: 268/1، كما وردت له مجموعة من الأبيات في خزانة الأدب لابن حجّة الحمويّ.

(2) في (ص): "وفقرى".

(3) البراثن: جمع برثن، وهو مخلب الأسد، وقيل: هو للسّبع كالإصبع للإنسان. (لسان العرب: برثن).

(4) اليزك: والجمع أيزاك ومعناها الطّلائع. (التّعريف بمصطلحات الصّبح: 364).

(5) سقطت "بسط عليهم" من (ص).

(6) في الأصل: "مندولهم"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(7) في الأصل: "فدنى"، من الآية: 8 من سورة النّجم:﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

(8) القصم: الكسر البائن. (لسان العرب: قصم).

(9) من الآية: 1 من سورة عبس:﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.

(10) في الأصل: "للزراقون"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(11) من الآية: 69 من سورة البقرة.

(12) من الآية: 14 من سورة الصّفّ: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِيْنَ﴾.

ومِنْهُ قَوله: فَلَمْ تَرَ إلاَّ شَجَرَةً قَائِمَةً على أُصُوْلِهَا[1]، وكُرُوْماً خَاوِيَةَ العُرُوْشِ[2]، وسَقِيْطَ بَلَحِ المَبْثُوْثِ، وجِبَالاً ﴿كَالعِهْنِ المَنْفُوْشِ﴾[3]".

ومِنْ شِعْرِهِ قَوله:

خُذْهُ إلَيْكَ أدْهَمَاً مُحَجَّلاً   مَنْ يَعْلُ يَوْمَاً مَتْنَهُ فَقَدْ نَجَا
يُرِيْكَ مِنْ تَحْجِيْلِهِ ولَوْنِهِ   طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أذْيَالِ الدُّجَى

ومِنْهُ قَوله:

مَنْ لِقَلْبِي مِنْ جَوْرِ ظَبْيٍ هَوَاهُ   لِي شُغْلٌ عَنْ حَاجِرٍ والعَقِيْقِ[4]
خَصْرُهُ[5] تَحْتَ أحْمَرِ البَنْدِ يَحْكِي   خِنْصِرَاً فيهِ خَاتَمٌ مِنْ عَقِيْقِ

ومِنْهُ قَوله:

جَرَحَ الفُؤادَ غَدَاةَ جَاءَ مُجَرَّحَاً   ظَبْيٌ مِنَ الأتْرَاكِ مَعْسُوْلُ اللَّمَى
أيْلامُ عَاشِقه لِفَرْطِ بُكَائِهِ   وعليهِ أعْيُنُ دِرْعِهِ تَبْكِي دَمَا

ومِنْهُ قَوله[6]:

وَكَانَ مَسْطُوْلاً غَرِيْرَاً قَدْ غَدَا   يَرْعَى الحَشِيْشَةَ مِنْ جآذِرَ جَاسِمِ[7]

---

(1) من الآية: 5 من سورة الحشر:﴿مَا قَطَعْتُم مِنْ لِيْنَةٍ أوْ تَرَكْتُمُوْهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُوْلِهَا﴾.

(2) من الآية: 259 من سورة البقرة: ﴿أوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوْشِهَا﴾، انظر: الآية: 43 من سورة الكهف، والآية: 45 من سورة الحجّ.

(3) الآية: 5 من سورة القارعة.

(4) في مطالع البدور: 251/1: "وعقيق"، وفي خزانة الحمويّ: 393/1: "عن حاجر والقويق".

(5) في مطالع البدور: "خصر".

(6) نسب البيتان في: نهاية الأرب: 50/2، والوساطة: 31و32، والمستطرف: 370/1 لأحمد بن الرّقاع، وروايتهما:

وكأنّما دون النّساء أعارها   عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النّعاس تلاعبت   في جفنه سنة وليس بنائم

وروايتهما في الوساطة:

وكأنّها بين النّساء أعارها   عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أيقظه النّعاس فرنّقت   في عينه سنة وليس بنائم

ورواية البيت الأوّل في: نهاية الأرب، وديوان المعاني: 234 :

وكأنّها بين النّساء أعارها   عينيه أحور من جآذر جاسم

وفي: الحماسة البصريّة: 84/2: "فكأنّها بين النّساء".

(7) الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة، وقيل: البقرة الوحشيّة. (لسان العرب: جذر)، وجاسم: اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، على يمين الطّريق الأعظم إلى طبريّة، انتقل إليها جاسم بن إرم بن سام بن نوح، عليه السّلام، أيّام تبلبلت الألسن ببابل، فسمّيت به. (معجم البلدان: 94/2).

وَسِنَان أقصده النُّعَاس فَرَنَّقَتْ   في عَيْنِهِ سِنَةٌ ولَيْسَ بِنَائِمِ

ومِنْهُ قَوله:

إلى اللهِ أشْكُو دَاحِساً[1] قَدْ أَضَرَّ بِي   بِوَخْزٍ حَكَى وَخْزَ الرِّمَاحِ المَدَاعِسِ[2]

وَإِنِّي لَفِي حَرْبٍ إذا بَاتَ ضَارِبَاً   عَلَيَّ ومَنْ يَقْوَى عَلَى حَرْبِ دَاحِسِ[3]

ومِنْهُم: ابن العجميّ، كمال الدّين أحمد بن عبد العزيز الحلبيّ أبو العبّاس[4]، كَتَبَ الدّرْجَ[5] في أيّامِ النّاصر بن العزيز[6]، فَرَقَمَ دِيْبَاجَهَا بالتَّطْرِيْزِ، وفَضَّلَ فَزادَهَا وأزْوَاجَهَا بالتَّبْرِيْزِ، وكَانَ صَدْرُ رِئَاسَة، وبَدْرُ عِرْفَان، وسِيَاسةٌ لاَقَتِ العَلْيَاء بمَعَاطِفِهِ، وَرَاقَتِ الفَضَائِل في كُؤوْسِ[7] مَعَارِفِهِ، مِنْ قَوْمٍ وَهَبَتْهُمُ الثُّرَيَّا سِيَادَتَهَا، وحَبَتْهُمْ جَارَةُ الشَّمْسِ سَعَادَتَهَا، فَثَنَتِ الجَوْزَاءُ إليهِ عَنَانَهَا، وأنْقَدَتْهُ النُّجُوْمُ أعْيَانَهَا، فَجَعَلَتْهُ الدُّوَلُ حِلْيَةً للبَّتِهَا[8]، وشِيَةً لأَيَّامِهَا، وقَدْ نَفَضَتْ عليها اللَّيَالِي صَبْغَ لِمَّتِهَا، وقَدِمَ دِمَشْقَ في أوَائِلِ دَوْلَةِ الظّاهِر بيبرس[9]، وكَتَبَ بِهَا، ثُمَّ طُلِبَ إلى مِصْرَ، واسْتَكْتَبَ واسْتَعْتَبَ لِحَظِّهِ النَّاقِصِ فَأُعْتِبَ،

---

(1) الدّحس: التّدسيس للأمور تستنبطها وتطلبها أخفى ما تقدر عليه. (لسان العرب: دحس).

(2) المداعس من الرّماح: الغليظ الشّديد الّذي لا ينثني، والمداعس: الصُّمّ من الرّماح. (لسان العرب: دعس).

(3) حرب داحس: من حروب قيس، بين عبس وذبيان ابني بغيض بن وريث بن غطفان، وداحس: اسم فرس لقيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ، وذلك أنّ قيساً هذا وحذيفة بن بدر الذّبيانيّ ثمّ الفزاريّ تراهنا على خَطَر عشرين بعيراً، وجعلا الغاية مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، والمجرى من ذات الأصاد، فأجرى قيس داحساً والغبراء(وهي لحمل بن بدر) وأجرى حذيفة الخطّار والحنفاء فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً على الطّريق فردّوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة.((لسان العرب: دحس)، ونهاية الأرب: 356/15، المعارف: 334).

(4) هو أحمد بن عبد العزيز بن محمّد، أبو يوسف، كمال الدّين ابن العجميّ(620-666هـ) من أعيان الكُتّاب، كتب للملك النّاصر صلاح الدّين يوسف، كان فاضلاً شاعراً، ولد في حلب ومات بظاهر صور، ودفن في دمشق. (النّجوم الزّاهرة: 224/7، وفوات الوفيات: 68/7، وذيل مرآة الزّمان: 388/2، والأعلام: 152/1).

(5) المراد بالدّرج في العرف العامّ: الورق المستطيل المركّب من عدّة أوصال، وكُتّاب الدُّرج هم الّذين يكتبون ما يوقع به كاتب السّرّ أو كُتّاب الدّست أو إشارة النّائب أو الوزير أو رسالة الدوادار ونحو ذلك ممّا يجري مجراه، وسُمُّو كُتّاب الدّرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دُرُوج الورق،... (صبح الأعشى: 173/1).

(6) هو يوسف الثّاني، صلاح الدّين، أبو المظفر(627-659هـ)، ثالث وآخر ملوك الأيوبيين في(حلب) قتل في موقعة هولاكو بتبريز،...انظر: (شذرات الذّهب: 299/5، ووفيات الأعيان: 10/4، والنّجوم الزّاهرة: 203/7، والأعلام: 249/8).

(7) في الأصل: "كوس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) اللّبّة: وسط الصّدر والمنحر، والجمع: لَبّاتٌ ولِبَابٌ،...والنّبب كاللّبّة: هو موضع القلادة من الصّدر من كُلّ شيء، والجمع الألباب. (لسان العرب: لبب).

(9) هو بيبرس العلائي البندقداريّ الصّالحيّ، ركن الدّين، الملك الظّاهر، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، توفي سنة (676هـ)،... انظر: (تاريخ ابن الورديّ: 281/2، والنّجوم الزّاهرة: 94/7، وفوات الوفيات: 235/1، وتاريخ أبي الفدا: 327/2، وعقد الجمان: 261/1و174/2، والأعلام: 79/2).

ولَهُ الآنَ يُقْتَنَى بَقِيَّةَ العِبَقِ في المَسَامِ، والشُّهْبِ في آخِرِ الظَّلاَمِ.

ومِنْ نَثْرِهِ قَولِه: "ولم يَكُنْ إلاَّ كَلَمْحِ البَارِقِ الخَاطِفِ، أو شُرْبِ الطَّائِرِ الخَائِفِ؛ حتَّى عَلَوْنَا جدَارَهَا، وسَوَّرْنَا أسْوَارَهَا، وهَذه قيسارية[1] كَانَ ريد فرنس[2] قَدْ أحْكَمَ عِمْرَانَهَا، فَألْحَقَ بالسَّمَاءِ أرْضَهَا، وأبْرَمَ أسْبَابَ تَحْصِيْنِهَا إبْرَاماً مَنَعَهُ نَقْضَهَا، وجَعَلْنَاهَا إمَامَ مَا نَقْصُدَهُ مِنَ الثُّغُوْرِ السَّاحِلِيَّةِ؛ لِتَعْلَمَ[3] الفِرَنْجَ المَخْذُوْلِيْنَ إنْ قَصْدَنَا بحصُوْنَهُم أمَامَ مَا نَقْصِدهُ مِنَ الثُّغُوْرِ السَّاحِلِيَّةِ شَامِلٌ، وعَزْمُنَا إليهم مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَاصِلٌ، وإنَّنَا لا بُدَّ أنْ نُغْرِقَ بِبَحْرِ عَسَاكِرِنَا مَا بأيْدِيهِمْ مِنَ السَّاحِلِ؛ لِتَتَفَرَّقَ عَزَائِمَهُمْ فَلاَ تَنْصَبُّ إلى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وتَذْهَلُ خَوَاطِرُهُمْ فَتَتَوَهَّمُ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنَ الجُيُوْشِ إليها قَاصِدَةً".

ومِنْهُ قَولِه: "وكُنَّا لَمَّا شَمَخَتْ بأنْفِهَا إبَاءً، ورَفَعَتْ رَأسَهَا مَنَعَةً واسْتِعْصَاءً، وكِلاَنَا باسْتِلاَنَةِ جَانبِهَا، ورِيَاضَةِ مَصَاعِبِهَا، كُلُّ طَوِيْلُ البَاعِ[4]، رَحْبُ الذِّرَاعِ، مُضْطَلِعٌ بِأمْرِ الحَصْرِ أيِّ اطِّلاَعٍ، فَقَذَفَهَا بِشُهْبِ نجُوْمِهِ، وواصَلَهَا بتَوَالِي رُجُوْمِهِ[5]، حتَّى عَرَفَ مِنْهَا مَوْقِعَهُ، واسْتَبَانَ مِنْ أبْرَاجِها مَوْضِعَهُ، وألاَنَ مِنْ شَامِخِهَا جَامِحَهُ ومُمْتَنعَهُ، فلم يَزَلْ يُقَبِّلُ ثَغْرَهَا حتَّى أثْغَرَ، وتَصَادَمَ رُكْنُهَا[6] حتَّى خَرَّ، وجَاءَ مَا لاصِقَهُ على الأكْثَرِ، وفي ضِمْنِ مُحَاذَاتِهَا بالمَجَانيْقِ تَحَلَّلْنَا حَوْلَهَا الأرْضَ طُرُقاً وأسْرَاباً، وصَيَّرْنَاهَا إلى الخَنَادق أنْفَاقاً وأبْوَاباً، وصَبَر جُنُوْدُ اللهِ حتّى وصَلُوا بالحِجَارَةِ إلى جدَارِهَا، فَجَاذَبُوا أذْيَالَ بنَائِهَا الشَّامِخِ، وحَلُّوْا عَقْدَ أسَاسِهَا الرَّاسِخِ، فَتَعَلَّقُوْا بأبْرَاجِهِمْ تَعَلُّقَ فَرَارٍ لا لانْتِصَارٍ، ولاذُوْا بمَعَاقِلِهِم لِيَاذَ رُعْبٍ لا تَوَهُّمَ اقْتِدَارٍ، وأذْعَنُوا بِلِسَانِ الاسْتِعْطَافِ، فَأجَبْنَاهُم على أنْ يَبْقُوا تَحْتَ أيْدِيْنَا

---

(1) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشّام تُعدّ من أعمال فلسطين، بينها وبين طبريّة ثلاثة أيّام، وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن،...وقيساريّة أيضاً مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الرّوم، وهي كرسي مُلك بني سلجوق ملوك الرّوم أولاد قليج أرسلان،... (معجم البلدان: 478/4، والرّوض المعطار: 486).

(2) ريد فرنس أو ريد افرنس أي ملك أفرنس: هو بولش الإفرنجيّ المعروف بالفرنسيس، أجلّ ملوك الإفرنج وأعظمهم قدراً وأكثرهم عساكر وأموالاً وبلاداً، قصد الدّيار المصريّة واستولى على طرف منها، وملك دمياط سنة(647هـ) ثمّ أسر وبقي في أيدي المسلمين مدّة ثمّ أطلق سراحه بعد تسليم دمياط إلى المسلمين، وكان مهلكه سنة(661هـ)،... (خطط المقريزي: 600/1، السّلوك: 319/2، وفوات الوفيات: 231/1).

(3) في (ص): "ليعلم".

(4) طويل الباع: كناية عن السّعة في المكارم. (لسان العرب: بوع).

(5) الرّجوم: النّجوم الّتي يُرْمَى بها. قال تعالى: ﴿وجَعَلْنَاهَا رُجُوْماً للشَّيَاطِيْنَ﴾، أي جعلناها مرامي لهم . (لسان العرب: رجم).

(6) في الأصل: "ركبها"، وقد أثبتنا ما ورد في(ص).

أسَارَى، وأغْمَدْنَا عَنْهُم السُّيُوفَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ في قَتْلِهِ السَّيْفُ العَذْلُ[1]، وأتَاهُ المَوْتُ قَبْلَ تَحْقِيْقِ الأمَانِ على عَجَلٍ، وقَدْ فَتَحَ اللهُ على المُسْلِمِيْنَ حِصْنَاً كَانَ عليهِمْ وبَالاً، وحَلَّ عَنْهُم مِنْ مَعْقَلِهِ عِقَالاً، وخَفَّفَ عن أعْنَاقِ مَجَادِبِهِ مِنْ سُوْءِ جِيْرَتِهِ أعْبَاءً ثِقَالاً، ثُمَّ أمَرْنَا بِهَدْمِهَا حتّى عَادَ مَا كَانَ يُرَى مِنْهَا شَاهِقَاً لِلعَيَانِ لا يَكَادُ يُدْرَكُ بِاللَّمْسِ، وأصْبَحَتْ ﴿خَاوِيَةً عَلَى عُرُوْشِهَا﴾[2]،﴿كَأنْ لَمْ تَغْنَ بِالأمْسِ﴾[3]".

ومِنْهُ قَولُه: "فَنَصَبْنَا عليهَا مِنَ المَجَانِيْقِ كُلَّ صَائِبِ سَهْمه، ثَاقِبِ نَجْمه[4]، مُحْرِقٍ لِشَيَاطِيْنِ الكُفْرِ رَجْمه[5]، يَهِدُّ ويَهْدِمُ، ويُرْدِي ويَرْدِمُ، ويُوْهِي ويُوْهِنُ، ويُسِرُّ بأرْدَائِهِ ويُعْلِنُ، لم تُنْصَبْ عَوَامِلَهُ[6] على سُوْرٍ مُتَّصِلٍ إلاَّ هَدَمَتْهُ، ولا مُدَّتْ أسْبَابَهُ على مَبْنِيٍّ رُفِعَ واسْتَغْلَقَ بَابُهُ إلاَّ كَسَرَتْهُ، ولم يَزَلْ يَرْمِي غَادِيَتِهَا بِالقَارِعَةِ[7]، ويُصْمِي أسْمَاعَهَا بأحْجَارِهِ الطَّائِرَةِ الوَاقِعَةِ، وأقْبَلْنَا بالمُجَاهِدِيْنَ إليها، فَأحَاطُوا بِهَا إحَاطَةَ الخَاتِمِ بِخِنْصِرِهِ، والسِّوَارِ بِمِعْصَمِهِ، وأمْطَرْنَا عليها بِسُحُبِ القِسِيِّ[8] وَبْلاً غَرَّقَهُمْ بِدَافِقِ أسْهُمِهِ، فَتَجَلَّدَ أعْدَاءُ اللهِ وجَالَدُوْا وتَعَاقَدُوْا على المَوْتِ وتَعَاهَدُوا، وأرْسَلُوا مِنْ خُرُوْجِهِم[9] سِهَامَ لا يَرُدُّهَا رَادٌّ عَنِ الأجْسَامِ، ولا يَكْسِرُ عَيْنَهَا مَا تَضُمُّ الأعْضَاءُ مِنْ تَظَاهُرِ الآلامِ، وإذا شُوْهِدَتْ رَاعَتِ[10] النَّاظِرَ فَلَمْ يَدْرِ أعَمَدٌ هي أمْ سِهَامٌ، وشَفَعُوْهَا بِضَمِّ أحْجَارٍ صُمَّتْ لَهَا أسْمَاعُ الدَّرَقِ[11]،

---

(1) ورد في المثل: "سبق السّيف العذل"، يضرب لما قد فات، وأصل ذلك أنّ الحرث بن ظالم ضرب رجُلاً فقتله، فأُخبر بعُذْرِه، فقال: سبق السّيف العذل. (لسان العرب: عذل)، وورد في: (فصل المقال: 69): أنّ أوّل من قاله حريم بن نوفل الهمذانيّ، وقصّته طويلة، وممّا نظم فيه:

إنّما أحذر أنْ تُبلى بِمَنْ عُذْرُهُ: قد سبق السّيف العذل

(2) من الآية: 259 من سورة المائدة، والآية: 43 من سورة الكهف، والآية: 45 من سورة الحجّ.

(3) من الآية: 24 من سورة يونس.

(4) النّجم الثّاقب: النّجم المضيء، وقيل النّجم الثّاقب زُحل: والثّاقب أيضاً: الّذي ارتفع على النّجوم. (لسان العرب: ثقب).وفي التّنزيل العزيز: ﴿والسَّمَاء والطَّارق. ومَا أدراكَ مَا الطَّارق. النّجم الثّاقِب﴾، الآية: 3 من سورة الطّارق.

(5) الرّجم: ما رُجم به، والجمع رجوم، والرّجم والرّجوم: النّجوم الّتي يُرمى بها. (لسان العرب: رجم)، وفي التّنزيل:﴿وجَعَلْنَاهَا رُجُوْمَاً للشّيَاطِيْن﴾، الآية: 5 من سورة الملك.

(6) العوامل: جمع عامل، وعامل الرّمح وعاملته: صدره دون السّنان، وقيل: عامل الرُّمح ما يلي السّنان. (لسان العرب: عمل).

(7) القارعة: النّازلة الشّديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة. (لسان العرب: قرع).

(8) القسي: جمع قوس، والقوس معروفة، عجميّة وعربيّة. (لسان العرب: قوس).

(9) الخروج: جمع خُرْج، والخُرْج: من الأوعية، معروف عربيّ، وهو هذا الوعاء، وهو جُوالقٌ ذو أونين. (لسان العرب: خرج).

(10) راعت: أخافت وأفزعت. (لسان العرب: روع).

(11) الدّرق: ضرب من التّرسة، الواحدة دَرَقَة، تُتّخذ مِنْ الجلود ليس فيها خشب ولا عَقَب. (لسان العرب: درق).

وكُسِرَتْ بهَا رُؤوسُ[1] البِيْضِ، وفُقِسَتْ أعْيُنُ الخَلْقِ، وصَبَرَ أوْلِيَاءُ اللهِ ولم يَزَالُوْا حتّى أَلْحَقُوا النَّقَابِيْنَ بِجِدَارِهَا، وبَوَّأوهُمْ[2] المَقَاعِدَ تَحْتَ أسْوَارِهَا، ولم يَكُنْ بأسْرَعِ أنْ شَقَّتِ[3] النَّقَابُوْن نقَابَ[4] أسْوَارِهَا، وأضْرَمُوا نَاراً طَافَ بأهْلِ السَّعِيْرِ سَعِيْرُهَا، ونَطَقَتْ عَمَّا أكَنَّهُ ضَمِيْرُهَا، فَانْحَلَّ مِنْ عُقُوْدِ بنَائِهَا مَا كَانَ مُتَّسِقُ[5] النِّظَامِ، ونَبَذَ مِنْ شَمْلِ برُوْجِهَا مَا كَانَ حَسَنُ الالْتِئَامِ، وكَانَتْ لا تَلْوِي جِيْدَهَا صِغَرَاً، فَألْصَقَ خَدَّهَا وهي رَاغِمَةٌ بالرُّغَامِ[6]".

ومِنْهُم[7] **ابن الأثير الحلبيّ**، تَاجُ الدِّيْنِ أبو جعفر أحمد بن سعيد[8]، رَأسُ المَعَالِي وتَاجُهَا، ولِقَاحُ المَعَانِي ونِتَاجُهَا، كَانَ مَعْدَنَ الجَلالَةِ، ومَوْطِنَ الرِّقَّةِ والجَزَالَةِ، ولم يَزَلْ بَدْرَ الفَضَائِلِ وكَمَالِهَا، وصَدْرُ المَحَافِلِ وجَمَالِهَا، ونَفْسُ المَآثِرِ وعُنْصُرِهَا[9]، وخَاتِمِ المَفَاخِرِ وخِنْصِرِهَا، صَحِبَ الأيَّامَ مُسَالِمَاً، وقَاسَمَ اللَّيَالِي على النُّجُوْمِ الزُّهْرِ مُسَاهِمَاً، وأكْسَفَ[10] البَلاغَةَ فَقَلَّدَتْهُ تَقْلِيْدَ[11] العُمُوْمِ، وقَدَّمَتْهُ تَقْدِيْمَ الإمَامِ على المَأمُوْمِ، وخَدَمَ الدُّوَلَ فَأوْلَتْهُ إنْعَامَاً وخَوَّلَتْهُ[12] مَوَاهِبَ، طَالَمَا أخْدَمَتْهُ للزَّمَانِ عَامَاً[13]، وكَانَ نَدَاهُ مَوَارِدَ مُلْكِهَا، ونُهَاهُ[14]

---

(1) في الأصل: "روس"، وفي (ص): "رؤس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) في الأصل: "وبواواهم"، وفي(ص): "وبوّؤهم"، وقد أثبتنا ما هو أولى، وهو من الآية: 121 من سورة آل عمران:﴿وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤمِنِيْنَ مَقَاعِدَ للقِتَالِ واللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ﴾.

(3) في الأصل: "سقت".

(4) في الأصل: "نقابا".

(5) في (ص): "منشق".

(6) الرُّغام: الثرى، وقيل: الرّغام رمل مختلط بتراب. (لسان العرب: رغم).

(7) سقطت من الأصل و(ص)، ومكانها فراغ.

(8) هو أحمد بن سعيد بن محمّد، الصّاحب تاج الدّين بن شرف الدّين بن شمس الدّين بن الأثير الحلبيّ(-691هـ)، كان بارعاً، فاضلاً، معظّماً في الدّول، باشر الإنشاء بدمشق ثمّ بمصر للملك الظّاهر بيبرس، ثمّ للملك المنصور قلاوون، وكان له نظم ونثر، وعلى كلامه رونق وطلاوة. انظر: (الوافي: 392/6، والسّلوك: 781/1، وتاريخ ابن الفرات: 147/8، وأعلام النّبلاء: 475/4، والمنهل الصّافي: 300/1، والنّجوم الزّاهرة:34/8).

(9) العنصر: الأصل. (لسان العرب: عنصر).

(10) أكسف: غلب وتفوّق. (لسان العرب: كسف).

(11) التّقليد: ورد في: (صبح الأعشى: 101/11): "قلّدته أمر كذا إذا وليته إيّاه، وهو مأخوذ من القلادة في العنق، يقال: قلّدت المرأة فتقلّدت، ومنه التّقليد في الدّين أيضاً".

(12) خوّل: أعطى أو ملّك. (لسان العرب: خول).

(13) سقطت من (ص).

(14) النُّهى: العقل. (لسان العرب: نهي).

عطَارِدَ[1] فَلْكِهَا، فأرَتْهُ وجُوْهَاً وسَامَاً، وأرْضَتْهُ مِصْرَاً وَشَامَاً، فَأهْدَى مِنْ فَرَائِدِهِ ما[2] ابـن العزيز[3]، فَاسْتُخْدِمَ في دِيْوَانِ الإنشَاءِ، واسْتُكْتِبَ، واسْتَعْتَبَ لَهُ الحَظّ لو تَعَتَّب، ثُمَّ نُقِـلَ إلى البَابِ الظَّاهِرِي[4]، فَكَانَ هُنَاكَ أحد المُتَحَدِّثِيْنَ الأعْيَان، والمُتَحَدِّيْنَ بِسِحْرِ البَيَان، وَوَلِيَ في الأيَّامِ الأشْرَفِيَّةِ[5] كِتَابَةَ السِّرِّ[6]، بالحَضْرَةِ[7] السُّلْطَانيَّة، فلم يُتِمَّ الشَّهْرَ حتّى مَاتَ ودُفِنَ بغَزَّة[8]. فَأغْمَدَت المَنَايَا مِنْهُ غُصْنَاً، ووهَبَتْ مِنْهُ إلى جَانِبِ البَحْرِ المِلْحِ بَحْرَاً عَذْبَاً، وكَـانَ هِلالاً للشَّهْرِ ورَوْضَاً يُلْقطُ مِنْ أفْنَانِهِ الزَّهْرُ.

قَالَ شَيْخُنَا أبو الثَّنَاء[9]: "كَانَ يُبْطِئ ولا يُخْطِئ"، وقَال: "كَانَ اعْتِبَارهُ بالألْفَـاظ أكْبَرَ مِنَ المَعَاني"، قُلْتُ: ويَدُلُّ على هَذَا مَا يُرَى[10]، وقَدْ وَقَفْنَا على كَثِيْرٍ مِنْـهُ، وأكْـثَر مُتَّزِن لو تَجَسَّدَ لاختُزِنْ، كَأنَّهُ في تَسَاوِيْهِ سَجْعُ الحَمَامَةِ، أو وَقْع الغَمَامَةِ[11].

---

(1) عطارد: معناه النّافذ في الأمور، ولذلك سُمّي الكاتب، وهو الفلك الثّاني بعد فلك القمر ودَوْرُ قُرْصه سبعمائة وعشرون ميـلاً، وهو جزء من اثنين وعشرين جزءاً من الأرض، وبُعْدُ ما بينه وبين الأرض مائتا ألف وخمسة آلاف وثمانمائة ميل. (صبح الأعشى: 166/2).

(2) هكذا وردت في الأصل و(ص).

(3) هو النّاصر بن العزيز، سوف ترد ترجمته.

(4) الباب: وهو مقام السّلطان وتصدر عنه المراسيم والمكاتبات أو هيئة ديوان السّلطان. (التعريـف بمصطلحـات الصّبـح: 13)، والظّاهري: لعلّ المقصود به: السّلطان الأعظم ركن الدّين أبو الفتح، بيبرس الصّالحيّ النّجميّ، أحد مماليك الملك الصّالح نجم الدّين أيّوب، تولّى المملكة بعد قتل الملك المظفّر سيف الدّين قطز بن عبد الله المعزّي في سنة 658هـ، فكان صاحب البلاد المصريّـة والشّاميّة والحلبيّة وغيرها، توفي سنة(676هـ)،... انظر: (تاريخ أبي الفدا: 327/2، وتاريخ ابن الورديّ: 281/2، والأعـلام: 79/2).

(5) أيّام الملك الأشرف صلاح الدّين ابن السّلطان الملك المنصور(666-693هـ) من ملوك مصر ولي بعد وفاة أبيه سنة(689هـ) واستفتح بالجهاد، فقصد البلاد الشّاميّة، وقاتل الإفرنج، فاستردّ منهم عكّا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الرّوم وبيسان وجميـع السّاحل، قتله بعض المماليك غيلة. انظر: (فوات الوفيات: 406/1، والنّجوم الزّاهرة: 3/8، وشذرات الذّهب: 422/5، والبداية والنّهاية: 354/13، والأعلام: 321/2).

(6) كتابة السّرّ: هي مقام السّلطان وتصدر عنها المراسيم والمكاتبات أو هيئة ديوان السّلطان، وفيها كتّاب الدّست وكتّاب الـدّرج، وهم الّذين يكتبون الولايات والمكاتبات ونحوها ممّا يكتب عن الأبواب الشّريفة. (التّعريف بمصطلحات الصّبح: 13).

(7) سبق الإشارة إليها.

(8) غزّة: مدينة في أقصى الشّام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ، وهي من نواحي فلسطين. (معجم البلـدان: 229/4).

(9) هو الشّهاب محمود الحلبيّ، سوف ترد ترجمته.

(10) في (ص): "ترى".

(11) سجع الحمامة: العرب تجعل صوت الحمام مرّة سجعاً، ومرّة غناء، وأخرى نوح، وتضرب به المثل في الإطراب والشّـجي، ومن ألفاظ الصّاحب: "كلامٌ كصوب الغمام، وسَجْعٌ كسجع الحمام. (فصل المقال: 467).

وحُكِي إنَّهُ لَمَّا أَنَاخَ هولاكو[1] على شَاطِئ الفُرَات، وفَرَشَ خَوْفُهُ[2] الخُـــدُوْدَ لِمَوَاطِـئ العَبَرَات[3]، وقُطِّعَتْ مِنْ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الأَوَاصِرَ، وأصْبَحَتْ ومَا لَهَا قُوَّةٌ ولا نَاصِرَ[4]، كَـــانَ النَّاصِرُ بن العزيز[5] قَدْ جَهَّزَ وَلَدَهُ إلى أردو[6] هولاكو بطُرَفٍ بَعَثَهَا، وكِتَـــابٌ حَـــلَّ في سُطُوْرِهِ عُقَدَ السِّحْرِ ونَفَثَهَا، كَتَبَهُ لَهُ هَذَا الكَاتِبُ[7] المَذْكُوْر، واسْتَشْـــهَدَ فيـــهِ بـــالبَيْتِ المَشْهُوْر:

يَجُوْدُ بالنَّفْسِ إنْ ظَنَّ[8] البَخِيْلُ بِهَا ... والجُوْدُ بالنَّفْسِ أقْصَى غَايَةِ الجُوْدِ[9]

فَلَمَّا عَرَضَهُ على المَلِكِ[10] النّاصر، قَالَ لَهُ[10]: هَذَا كِتَابٌ[11] لا يُلامُ دُوْنَهُ القَاصِرُ، وكَـــانَ الأنْسَبَ في هَذَا المَكَانِ لو اسْتَشْهَدْتَ فيهِ بِقَوْلِ ابن حَمْدَان[12]:

فَدَى نَفْسَهُ بابْنِ عَليهِ كَنَفْسِهِ ... وفي الشِّدَّةِ الصَّمَّاءِ تُفْنَى[13] الذَّخَائِرُ

---

(1) هو هولاكو بن تولي قان بن جنكز خان، ملك التّتار ومقدمهم، كان أعظم طاغية، مـــات ســـنة(664هـــ وقيـــل: ســـنة 663هـــ)...انظر: (البداية والنّهاية:248/13، وفوات الوفيات: 240/4، والنّجوم الزّاهرة: 220/7، والحوادث الجامعـة: 353، وتاريخ أبي الفدا: 332/2، وصبح الأعشى: 418/4).

(2) في (ص): "خرقة".

(3) المعنى قريب من قول شرف الدّين الأنصاريّ في الملك المنصور:

فَرَشْتَ حَمَاهُ لوَطء نعلك خدّها ... فوطئت عين الشّمس من مفروشها

(التّيارات الأدبيّة: 236).

(4) من الآية: 10 من سورة الطّارق:﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾.

(5) هو يوسف(النّاصر) بن محمّد(العزيز) ابن الظّاهر غازي ابن النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، آخر ملوك بني أيّوب، ولـــد بقلعة حلب، وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة 634هـــ ، وعمره نحو سبعين سنة،...كان جواداً حليماً إلى حدّ الضّعـــف. انظر: (أعلام النّبلاء: 307/2، والنّجوم الزّاهرة: 203/7، ومرآة الجنان: 151/4، والقلائد الجوهريّة: 88، وشذرات الذّهـــب: 299/5، وفوات الوفيات: 361/4).

(6) أُردو: المعسكر، الجيش ومعداته. (دائرة المعارف الإسلاميّة: 594/1، وقاموس الفارسيّة لعبد المنعم محمّد حسنين: 63).

(7) في (ص): "الكتاب".

(8) في الوافي: 395/6: "ضنّ الجواد"، وفي ديوان المعاني: 104، وغرر الخصائص الواضحة: 31، ومعاهد التّنصيـــص: 56/3: "إن ضنّ الجواد بها"، وفي الوساطة: 227، وديوان المتنبّي: 39/3، ونقد النّثر: 82، وجمهرة الأمثال: 95/1: "إذ ضنّ البخيل بهـــا"، وفي شروح سقط الزّند: 1451/4: "يجود بالنّفس إذ ضنّ الجواد بها"، وفي المحاسن والمساوئ: 245: "يجود بـــالنّفس إذ ضـــنّ البخيل بها"، وفي المخلاة: 571: "يجود بالنّفس إذا ضنّ الجواد بها".

(9) البيت لمسلم بن الوليد، الدّيوان: 164، وروايته:

تجودُ بالنّفس إذ أنت الضّنين بها ... والجود بالنّفس أقصى غاية الجود

(10) سقطت من الوافي:395/6.

(11) في الوافي: "قال: هذا حسن، ولو قلت ها هنا ما قاله ابن حمدان".

(12) هو أبو فراس الحمداني، وقد سبق التّرجمة له.

(13) في الدّيوان: 90: "تُقْنَى".

وقَدْ يُقْطَعُ العُضْو النَّفِيْسَ لِغَيْرِهِ   ويُدَّخَرُ[1] للأمْرِ[2] الكَبِيْر الكَبَائِرُ

فَأقَرَّ لَهُ بالصَّوَابِ[3]، وعلى نَفْسِهِ بِالخَطَأ، وبَدَّلَ الاسْتِشْهَاد بِمَا قَالَ، ثُمَّ مَا أنْفَدَ ذَلِكَ الكِتَاب مِنْ عَثْرَةٍ ولا أقَالَ[4].

ومِنْ نَثْرِهِ قَوله: "كِتَابُنَا هَذَا، والمِرْقَبُ[5] في قَبْضَةِ مَلكِنَا، ورُبُوْعُهُ قَدْ عَادَتْ أطْلالاً، والأسْيَافُ الّتِي كَانَتْ في أيْدِي أهْلِهَا قَدْ جَعَلْنَاهَا في أعْنَاقِهِم أغْلالاً[6]، وقَدْ عَلِمَ المَجْلِس مَا كَانُوا يُحَدِّثُوْنَ بِهِ نُفُوْسَهُم، ويُشْعِبُوْنَ بِهِ رُؤوسَهُم[7]، واسْتَفَزَّهُم مَنْ يُحَسِّن لهم في الطَّمَعِ أُمُوْرَاً، ويَعِدَهُم الأبَاطِيْلَ[8]،﴿ومَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوْرَاً﴾[9]، وكَانَ المَانِعُ أوَّلاً[10] مَا كَانَ مِنْ اضْطِرَابِ الأمُوْرِ، والتِقَاءِ الجُيُوْشِ، واخْتِلاَفِ الآرَاءِ، وتَغَيّرِ النِّيَّاتِ، إلى أنْ أمْكَنَ اللهُ -عَزَّ وَجَلّ- مِنْ كُلِّ مِنَّا، ومِنَّا فَرَّ، وظَفَرْنَا مِنَ الأعْدَاءِ بِكُلِّ كَافِرٍ، ولِكُلِّ مَنْ هُوَ للنِّعْمَةِ كَافِرٍ[11]، ونَحْنُ مع ذَلِكَ نُحِيْطُ بِمَا يَمْكُرُوْنَهُ عِلْمَاً[12]، ونُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إثْمَاً[13]، فَلَمَّا تَلَمَّحْنَا مَخَايِلَ النَّصْرِ؛ سِرْنَا إليها سُرَى الخَيَالِ الطَّارِقِ[14]، وأسْرَعْنَا نَحْوَهُم كَمَا تُسْرِعُ لَمْحَةُ البَارِقِ، ولم نَزَلْ نُوْقِدُ لَهُمُ البَوَاتِرَ، ونُدِيْرُ عليهم الدَّوَائِرَ، ونُشَتِّتُ لآرَائِهِم شَمْلاً، ونَقْطَعُ مِنْ مَكَائِدِهِمْ حَبْلاً، ونَفضُّ لِعَزَائِمِهِم جَمْعَاً، وتَكُوْنُ جُنُوْدُنَا وَاقِفَةً

---

(1) في الدّيوان: 90: "وتُدْفَع".   (2) في الوافي: 395/6: "وتُدحر بالأمر".

(3) في الوافي: "فأقَرَّ له بالإحسان"، وإلى هنا انتهى النّص في الوافي.

(4) ورد في(لسان العرب: قيل): " أقال الله فلاناً عثرته بمعنى: الصّفح عنه"، وفي الحديث الشّريف: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم"، وأقال الله عثرتك وأقالكها. (مسند الإمام أحمد بن حنبل: 544/9، وكشف الخفاء: 161/1، ومجمع الأمثال: 123/2، وفصل المقال: 45).

(5) المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشّام، وعلى مدينة بُلنياس، وفي سنة(454هـ) عمّر المسلمون الحصن المعروف بالمرقب بساحل جبلة، وهو حصن يحدّث عنه كلُّ من رآه أنّه لم يُرَ مثله. (معجم البلدان: 108/5).

(6) من الآية: 8 من سورة يس: ﴿إنّا جَعَلْنَا في أعْنَاقِهِمْ أغْلالاً فَهِيَ إلى الأذْقَانِ فَهُم مُقْمَحُوْنَ﴾، وورد في الرّوضتين: 208/1، قول العماد:
وجعلت في أعناقهم أغلالهم   وسحبتهم هوناً على الأذقان

(7) في الأصل و(ص): "روسهم"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في (ص): "الأباطل".

(9) من الآية: 120 من سورة النّساء.

(10) في (ص): "أول".

(11) من الآية: 72 من سورة النّحل: ﴿أفَبِالبَاطِلِ يُؤمِنُوْنَ وبِنِعْمَةِ اللهِ هُم يَكْفُرُوْنَ﴾.

(12) من الآية: 12 من سورة الطّلاق:﴿وإنّ اللهَ قَدْ أحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمَاً﴾.

(13) من الآية: 178 من سورة آل عمران:﴿إنّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إثْمَاً ولَهُمْ عَذَابٌ مُهِيْنٌ﴾.

(14) ورد في (مجمع الأمثال: 355/1): "أسرى من الخيال" و"أسرع من البرق".

بازائهم فَيُخَيَّلُ إليهمْ مِنْ خَوْفِهِم أَنَّهَا تَسْعَى[1]، إلى أنْ أدْرَكْنَا فيهم الثَّأرَ، وأطْفَيْنَا بِهِم النَّارَ، وضَرَبْنَا عَلَيْهِم الذِّلَّةِ[2]، وجَمَعْنَاهُم جَمْعَ القِلَّةِ، وأصْبَحَ مَا كَانَ يَحْمِيهِم يَتحَامَاهُم، وقُلْنَا يَا سُيُوف دُونَكِ وإيَّاهم، وكَانَتْ هَذه القَلْعَةُ مَكَانُهَا في جِوَارِ النَّجْمِ، وفناءِ اليَمِّ، تَقْدِمُهَا الجِبَالُ، ويَعْصِمُهَا البَحْرُ، وتَحْجُبُهَا الأوْدِيَةُ، ويُحَصِّنُهَا الوَعَرُ، وتَحِفُّ بهَا سِيُوْفٌ لا تكِلٌ، وآمَالٌ لا تَمِلُّ، وآجَالٌ يَحْفَظُونَهُم ولا يُضَيِّعُونَهُم، وقَوْمٌ يَعْصُونَ اللهَ ويُطِيْعُونَهُم، وسَطَّرْنَاهَا وبِلادُهُمْ مَهْدُوْمَةٌ، وجُمُوْعُهُمْ مَهْزُوْمَةٌ[3]، ويَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيْهِم[4]، والخُذْلانُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُنَادِيْهِم".

ومِنْهُ قَوله: "وبَعْد. فإنَّ الرُّتَبَ شَرَفُهَا بِمُتَوَلِّيْهَا، ومُتَوَقِّلهَا يَزِيْدُ، والعُقْدُ مَا امْتَازَ على السُّلُوْكِ إلاَّ بوَاسِطَةٍ حَسْبهَا نِظَامَ كُلِّ فَرِيْدٍ، والمَمْلَكَةُ جَمَالُهَا وَزِيْرُهَا، وقِوَامُهَا مُشِيْرُهَا، وأُمُوْرُهَا تَكُوْنُ ضِيَاعاً، وحَزْمُهَا يَكُوْنُ مُضَاعاً؛ مَا لَمْ تَوَازرَاها[5] ذُو أزْرٍ شَدِيْدٍ، ورَأي سَعِيْدٍ، وقَلَم يُقَلِّمُ ظَفرَ المَلَمِّ، ويَقُوْمُ[6] بِعِبءِ المُهِمِّ، ويَجْري بالأرْزَاقِ ويَدَّخِرُهَا، ويَقْتَنِي الأمْوَالَ العَظِيْمَةَ لِمَنْ يَسْتَصْغِرُهَا، ولَوْلاَهُ لَمَا افْتَخَرَتِ الدُّوَلُ، ولَكَانَتْ مُضْطَرِبَةً؛ لَوْلاَ ابْتِنَاؤهَا على الأقْلاَمِ والأسَلِ[7]، وكَانَ أوْلَى مَنْ عَوَّلَ على تَدْبيْرِه، واهْتَدَى في الأمُوْرِ بِنُوْرِهِ أهْلُ العِلْمِ؛ فَإنَّهُم المَذْكُوْرُوْنَ لِمَنْ مَلَكَ، والمُسْتَفْتُوْنَ في الأرْوَاحِ والأمْوَالِ؛ لِيَحْيَا[8] مَنْ حَي عن بَيِّنَةٍ، ويَهْلَكُ مَنْ هَلَكَ[9]، ويَسْتَرْشِدُ بِهِم إذا ضَلَّتِ الآرَاءُ، وأظَلَّتِ الأهْوَاءُ، وطَلَّتِ الأنْوَاءُ، وتَحَكَّمَتِ الأدْوَاءُ، وتَقَسَّمَتِ الأضْوَاءُ، وكَانَ فُلاَنٌ هو المَعْنِيّ بِهَذَا[10]

---

(1) من الآية: 66 من سورة طه:﴿فإذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إليهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنَّهَا تَسْعَى﴾.

(2) من الآية: 61 من سورة البقرة:﴿وضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةُ وبَاءوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾، انظر: الآية: 112 من سورة آل عمران.

(3) من الآية: 45 من سورة القمر:﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّوْنَ الدُّبُرَ﴾.

(4) من الآية: 10 من سورة الفتح:﴿إنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيْهِم﴾.

(5) في (ص): "يوازرها".

(6) في الأصل: "وتقوم"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) من قول المتنبي، الدّيوان: 34/3:

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل والطّعن عند مُحبيّهنّ كالقُبَلِ

والأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق، وإنّما سمّي القنا أسلاً تشبيهاً بطوله واستوائه. (لسان العرب: أسل).

(8) في (ص): "ليحي".

(9) من الآية: 42 من سورة الأنفال:﴿لِيَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

(10) في الأصل: "بهذه"، وفي(ص): "بهاذا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

المَدْحِ، والجَدِيْرُ بأنْ تُجْلَى عليهِ هَذِهِ المِلَحُ، وتَجمَّلَ بإلْقَاءِ دُرُوْسِهِ صَــــدْرُ كُــلِّ إيْــوَان، وبِتَصْرِيْفِهِ مَكَانَ كُلِّ دِيْوَان، وتَحَاسَدَتْ الوِزَارَةُ والأحْكَامُ عليهِ، إلى أنْ نَالَتِ الوِزَارَةُ مِنْـهُ بَخْتَهَا مُنْشِدَةً: "هو الجَدُّ حتَّى تَفْضِلُ العَيْن أخْتُهَا"[1]".

ومِنْهُ قَوله: "يُقبِّلُ اليَدَ -لا زَالَتْ أقْلامُهَا مُحْسِنَةً في سَفَارَتِهَا، وكُتُبُهَا لا تَسْـلُكُ إلاَّ بخَفَارَتِهَا[2]، والخِدْمَةُ إذا لم يَكُنْ معها ذِمَامٌ[3] لا يُؤْمَنُ عليها شَنُّ غَارَتِها[4]- ويُنْـهِي وُرُوْدَ مُشَرَّفَتِهِ الّتي أبْهَجَتْهُ بمَا أسْمَعَتْهُ، وأدَّتِ الأمَانَةَ فِيْمَا اسْتَوْدَعَتْهُ، وحَمَلَتْ إليـــهِ الرِّيَــاضَ زَوَاهِرَ، وأغْنَتْهُ بمَا أهْدَى إليهِ ذَلِكَ البَحْرُ مِنَ الجَوَاهِرِ[5]، وقَبَّلَ الرِّسَالَةَ والرَّسُوْلَ، وقَبِــلَ الحَامِلَ والمَحْمُوْلَ، وأعَادَ الجَوَابَ وهو مِنْ خَوْفِ التَّقْيِيْدِ على وَجَلٍ، وكَتَبَهُ والقَلَمُ مِـــنْ حَيَاءِ المُمَاثَلَةِ لا يَكَادُ يَرْفَعُ رَأسَهُ مِنَ الخَجَلِ، فَيُعْرِضُهُ مَوْلانَا على فِكْرِهِ النَّقَّادِ، ويَتَصَفَّحُـهُ بنَظَرِهِ الّذي زِمَامُ الفَضْلِ بهِ مُنْقَادٌ، ويُسْبِلُ عليهِ سِتْرَ مَعْرُوْفِهِ الذَّكِي[6]، ويُعِيْرُهُ نَفْحَةَ أنْفَاسِهِ الّتي يَكَادُ يَفُوْحُ المِسْكُ مِنْ عَرْفِهَا الشَّذِي، واللهُ يَشْكُرُ لَهُ الإحْسَانَ الّذي لا يَبْلُغُ الوَصْــفُ مَدَاهُ، ويَحْرُسُ عليهِ مِنَ الفَضْلِ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ، ويَفْدِيْهِ بِكُلِّ مُقَصِّرٍ عن شَأوِهِ[7] فَلاَ أحَــدٌ إذاً إلاَّ فَدَاهُ[8]".

ومِنْهُ قَوله: "يُقبِّلُ اليَدَ الشَّرِيْفَةَ المحيويّة المحْبُوبَة[9] إلى كُلِّ قُبْلَةٍ، المُحْتَوِيَة على الكَـــرَمِ الّذي هو للكُرَمَاءِ[10] قِبْلَة، لا زَالَتْ مَخْصُوْصَةً بِفَضَائِلِ[11] الإعْجَازِ، والبَلاَغَةَ الّتي كُــلُّ

---

(1) صدر بيت المتنبّي، الدّيوان: 286/1:

" وحتّى يصير اليوم لليوم سيّدا".

(2) الخفارة: الاستجارة، والخفير: المجير. (لسان العرب: خفر).

(3) الذّمام: العهد والأمان والحُرمة والحقّ والضّمان. (لسان العرب: ذمم).

(4) شنّ الغارة: صبّها وبثّها وفرّقها في كلّ وجه. (لسان العرب: شنن).

(5) لعلّ المعنى مأخوذ من قول المتنبّي، الدّيوان: 13/1:

كالبحر يقذف للقريب جواهراً   جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

(6) في الأصل: "الذي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) الشّأو: الغاية والأمد. (لسان العرب: شأي).

(8) من قول المتنبّي، الدّيوان: 385/2:

فَدىً لكَ مَنْ يُقصِّرُ عن مَدَاكَا   فلا مَلِكٌ إذن إلاّ فَدَاكَا

(9) في تاريخ ابن الفرات: 148/8: "المحبوبة المحتوية".

(10) في الوافي: 392/6، وتاريخ ابن الفرات: "للكرام".

(11) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "بفضيلة".

حَقِيقَةٍ عِنْدَهَا[1] مَجاز، والإحْسَانُ[لا إحْسَان][2] الّذي يُظَنُّ الإطْنَـــاب في وَصْفِـــهِ مِـــنَ الإيْجَازِ[3]، ويُنْهِي وُرُوْد مُشَرَّفَتِهِ الّتِي أخَذَت[4] البَلاَغَةُ فيهَا زُخْرُفَهَا، وأشْبَهَتِ الرِّيَـــاضُ[5] [الأنف][6] مِنْهَا أحْرُفَهَا، وأبَانَتْ[7] عن مُعْجزَاتِ البَرَاعَةِ، ومَثَّلَتْ[8] لَهُ السِّـــحْرَ[9] كَيْـــفَ يُنْفَثُ في عُقَدِ[10] تِلْكَ اليَرَاعَةِ، وأبَانَتْ مَجَارِي[11] فَضْلَهُ على مِثْلِ الجَمْرِ، وأفْرَدَتْهُ[12] بالرُّتْبَةِ الّتِي لا يَدَّعِيْهَا[13] زَيْدٌ ولا عَمْرو، وعَلَّمَتْهُ كَيْفَ يَكُوْنُ الإنْشَاء، وأعْلَمَتْهُ[14]:﴿إنَّ الفَضْـــلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاء﴾[15].

فَوَقَفَ[16] المَمْلُوْكُ عليهَا وقُوْفَ مَنْ أفْحَمَهُ[17] الحَصْرُ[18]، وتَطَاوَلَ لِمُبَارَاتِهِ[19] فيـــهَا، وكَمْ[20] يَطُوْلُ مَنْ في بَاعِهِ قِصَرٌ، واسْتَقْدَمَ القَلَمَ[21] في[22] جَوَابِهَا فَأحْجَمَ[23]، واسْـــتَنْطَقَ لِسَانَهُ لِيُعْرِبَ عن وَصْفِهَا[24] فَأعْجَمَ[25]، وقَالَ لِحُسْنِهَا الّذي اسْتَـــرَقَ القُلُوْبَ

---

(1) في الوافي: 392/6، وتاريخ ابن الفرات: 148/8: "لديها".

(2) زيادة وردت في الوافي، وفي تاريخ ابن الفرات: "في الإحسان".

(3) في الوافي، وتاريخ ابن الفرات: "يظنّ الإطناب والإسهاب في شكره وذكره من الإيجاز".

(4) في تاريخ ابن الفرات: "أمدت".

(5) في الوافي: "الرّوضة"، وفي تاريخ ابن الفرات: "الرّوض".

(6) زيادة وردت في الوافي، وتاريخ ابن الفرات.

(7) في تاريخ ابن الفرات: "أنابت".

(8) في تاريخ ابن الفرات: "ونبّأت كيف ينفث السّحر في تلك البراعة".

(9) سقطت من الوافي: 393/6.

(10) سقطت من الوافي.

(11) من هنا سقط من الوافي، وفي تاريخ ابن الفرات: "وأبانت مجاري كلّ فضل على الجمر".

(12) إلى هنا انتهى السّقط من الوافي.

(13) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "لا يصل إليها زيد ولا عمرو".

(14) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(15) في تاريخ ابن الفرات: "وإنّ الفضل"، من الآية: 73 من سورة آل عمران.

(16) في الوافي: "ووقف".

(17) في تاريخ ابن الفرات: "أفهمه".

(18) الحصر: ضرب من العيّ، ومعناه: عدم القدرة على الكلام. (لسان العرب: حصر).

(19) في (ص): "لمبراته".

(20) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "ولم يطل من بباعه قصر".

(21) في الوافي: "قلمه"، وفي تاريخ ابن الفرات: "قلمه لجوابها".

(22) سقطت من الوافي.

(23) أحجم: كفّ أو نكص هيبةً. (لسان العرب: حجم).

(24) في (ص): "وصفه".

(25) أعجم: لم يقدر على الكلام. (لسان العرب: عجم).

قَدْ[1] "مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ"[2]، وبَلَغَ الغَايَةَ في [عُذْرٍ][3] نَفْسِهِ الّتي[4] قَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهَا "ومُبْلِغُ[5] نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ"[6]، ومِنْ أَيْنَ لأَحَدٍ [مثل][7] تِلْكَ البَدِيْهَةِ المُتَسَرِّعَةِ، والرَّوِيَّةِ الّتي هي عن كُلِّ مَا[8] تَنْتَمِي وتَنْتَحِلُ مُتَوَرِّعَةً[9]، والمَعَانِي الّتي قَطَفَ نُوَّارَهَا أبْكَاراً[10]، والغَرَائِبِ الّتي بَحْرُهَا لا يَهْدِي الدُّرَّ إلاّ كِبَاراً[11]، والخَاطِرِ[12] الّذي[13] يُسْتَجْدَى الفُضَلاءُ[14] مِنْ سَمَاحَتِهِ، واللِّسَانِ الّذي يَخْرَسُ البُلَغَاءُ[15] عِنْدَ فَصَاحَتِهِ، والقَلَمِ الّذي هو مُفْتَاحُ الأَقَالِيْمِ، والطَّرِيْقِ الّذي كُلٌّ[16] فيهِ ضَلَّ ولو أنَّهُ عبد الحميد[17]

---

(1) سقطت من الوافي: 393/6، وتاريخ ابن الفرات: 148/8.

(2) المثل لأنس بن الحجير، لمّا ظفر عليّ-رضي الله عنه- بأهل البصرة، أُتي بعائشة-رضي الله عنها- فقالت: "ملكت فأسجح" فجهزها إلى الحجاز مع سبعين امرأة. وقالها أيضاً ابن الأكوع في غزوة ذي قَرَد: "ملكت فأسجح"، ويُقال: "إذا سألت فأسجح"، أيّ سهّل ألفاظك وارفق. انظر: (لسان العرب: سجح)، ومجمع الأمثال: 283/2، وجمهرة الأمثال: 460/1و248/2، والمستقصى: 348/2).

(3) زيادة وردت في الوافي، وتاريخ ابن الفرات.

(4) من هنا سقط من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(5) إلى هنا انتهى السّقط من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(6) في تاريخ ابن الفرات: "مثل ينجح"، وهو عجز بيت عروة بن الورد، الدّيوان: 52، وروايته:

فمن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتراً ... من المال يطرح نفسه كلّ مطرحِ
ليبلغ عُذراً أو ينال رغيبةً ... ومُبلغُ نفسٍ عذرها مثلُ منجحِ

في: (ديوان الحماسة للتبريزي):178: "ومن يك" بدل: "فمن يك"، و"يصيب رغيبة" بدل: "ينال رغيبة"، وفي: (المحاسن والمساوئ: 286): "ليبلغ عذراً أو ينال غنيمة"، انظر أيضاً: (ثمار القلوب: 103، ولباب الآداب: 126، والكشكول: 88، وصبح الأعشى: 326/2و327). وفي المثل: "طالب عذر كمنجح"، انظر: (مجمع الأمثال: 433/1).

(7) زيادة وردت في: الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(8) في الأصل، وتاريخ ابن الفرات: "كلما"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، والوافي.

(9) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "عن كلّ ما يتجنّب متورّعة".

(10) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "والمعاني الّتي تولد منها أبكار".

(11) في الوافي: "أو الغرائب الّتي لا يقبل الدّرّ من بحرها إلاّ كباراً" وفي تاريخ ابن الفرات: "والغرائب الّتي لا يقبل الدّرّ من بحرها إلاّ كبارا"، والمعنى مأخوذ من قول المتنبّي، الدّيوان: 96/2:

ومن كنت بحراً له يا ... عليّ لم يقبل الدّرّ إلاّ كبارا

(12) في الوافي: "أو الخاطر"، وفي تاريخ ابن الفرات: "الحاضر".

(13) في الأصل: "الّتي"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(14) في الأصل: "الفضلا"، وفي الوافي: "الفضلة"، وقد أثبتنا ما ورد في تاريخ ابن الفرات.

(15) في الوافي: "الفصحاء"، وفي تاريخ ابن الفرات: "تخرس الفصحاء".

(16) في الوافي: "دُلّ".

(17) هو عبد الحميد الكاتب وقد سبق التّرجمة له.

[أو ابن العميد][1] أو عبد الرّحيم[2]، والكِتَابة[3] الّتي تُشْرِقُ بأَنْوارِ[4] المَعَاني فكَأَنَّها اللَّيْلَةُ[5] المُقْمِرَةُ، واليَدُ الّتي إنْ لم تَكُنْ الأَقْلامُ فيهَا[6] مُورِقَة، فإنّها مُثْمِرَةٌ، ومَوْلانَا [حَرَسَ اللهُ مَجْدَهُ قَدْ][7] أُوتِي[8] مُلْكَ البَيانِ، واجْتَمَعَ لَهُ طَاعَةُ القَلَمِ واللِّسَانِ، وخَطَبَتِ[9] الأَقْلامُ بِحَمْدِهِ على مَنَابِرَ الأَنَامِلِ[10]، [وقَدْ][11] أخِذَتْ لَهُ البَيْعَةَ بِالتَّقَدُّمِ على كُلِّ فَاضِلٍ ولو كَانَ الفَاضِل[12]، وأَصْبَحَ مَحَلُّهُ [فيها][13] الأسْنَى، وأَسْمَاؤُهُ فيها الحُسْنَى[14]، وجَاءَ مِنَ المَحَاسِنِ بِكُلِّ مَا تُزْهَى بِهِ الدُّوَلُ[15]، وأصْبَحَتْ طَرِيْقَتُهُ في هَذا[16] الفَنِّ كَأَنَّهَا مِلَّة[17] الإسْلامِ في المِلَلِ، وعَرَفَ الإشَارَةَ[18] إلى حَلَب "ومَا[19] صَنَعَتْ بِهَا[20] الأَيَّامُ"[21]، ومَا

(1) زيادة وردت في الوافي: 393/6، وتاريخ ابن الفرات: 148/8، وابن العميد سبق التّرجمة له.

(2) هو القاضي الفاضل وقد سبق التّعريف به.

(3) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "والألفاظ".

(4) في تاريخ ابن الفرات: "تشرفت بها أنوار".

(5) في الوافي: "ليلة".

(6) في الوافي، وتاريخ ابن الفرات: 149/8: "بها".

(7) زيادة وردت في الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(8) في تاريخ ابن الفرات: "أولى".

(9) في الوافي: "فخطب"، وفي تاريخ ابن الفرات: "فخطبت"، وهو من قول المتنبّي، الدّيوان: 167/2:

وإذا سكتَّ فإنّ أبلغ خاطبٍ   قلمٌ لك اتّخذَ الأصابع منبرا

(10) في الوافي: "الأعلام".

(11) زيادة وردت في الوافي وتاريخ ابن الفرات، في الأصل: "وأخذت"، وأثبت ما يستقيم به المعنى.

(12) القاضي الفاضل، وقد سبق الإشارة إليه.

(13) زيادة وردت في الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(14) من الآية: 180 من سورة الأعراف:﴿ولله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوْهُ بِهَا﴾، انظر: الآية: 110 من سورة الإسراء.

(15) في تاريخ ابن الفرات: "بكلما مرى به الدّول".

(16) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات، وفيهما: "وأصبحت طريقته في الفنون كلمة الإسلام في الملل".

(17) في تاريخ ابن الفرات: "كملّة".

(18) في الوافي، وتاريخ ابن الفرات: "بالإشارة في حلب".

(19) في الوافي: "ما".

(20) في الوافي: "فيه"، وفي تاريخ ابن الفرات: "فيها".

(21) من قول أبي نواس، الدّيوان: 510:

يا دارُ ما فعلت بك الأيّام   ضامتك، والأيّام ليس تضام

ورواية البيت في(المثل السّائر: 240/2):   يا دارُ، ما فعلت بك الأيّام   لم تُبْقِ فيك بشاشةً تُستَام

وقد أخذ المعنى ابن الشّروي: (التّيارات الأدبيّة: 349):

وتَمَشَّ في تلك الرّسوم ونادها   "لم يبق فيك بشاشة تستام"

فانشد هناك وقل بقلب والهٍ   "يا دار ما صنعت بك الأيّام"

أشْجَى[1] مِنْ رَبْعِهَا الّذي "لم يَبْقَ فيهِ[2] بشَاشَة تستَام[3]"، ووقُوف مَوْلاَنَا عَلى[4] أطْلاَلِهَا، ومُلاَحَظَتَهُ[5] الآثَارَ الّتِي أعْرَضَتْ السَّعَادةُ عنها بَعْدَ إقْبَالِهَا، وتَفَجُّعَهُ في دمَنِهَا[6]، وتَوَجُّعَهُ لِتِلْكَ المَحَاسِنِ الّتِي أخذَتْهَا[7] الأيَّامُ[8] مِنْ مَأمَنِهَا، وإنَّهُ وجدَهَا وقَدْ خلَتْ [من][9] عِرَاصِهَا[10]، وزُمَّتْ[11] للنَّوَى قِلاَصِهَا[12]، وغِرْبَانُهَا في رُسُوْمِهَا نَاعِبَة، وأيْدِي البَلاءُ[13] والبَلَى[14] بها لاعِبَة:

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيْبُنَا وَلاَ نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الأسَى كَيْفَ نَسْألُ[15]

فَشَكَرَ[16] اللهُ مَوْقِفَهُ[17] في تِلْكَ الدِّمَنِ، ورِقَّتَهُ الّتِي قَابَلَ بِهَا جَفْوَةَ الزَّمَنِ، ورَأى [لَهُ][18] هَذَا العَهْدَ الّذي تَمَسَّكَتَ مِنْهُ[19] الآنَ بَحَسَبٍ، ورَعَى لَهُ حَقَّ الدَّمْعِ[20] الّذي جَرَى فَقَضَى في الرَّبْعِ[21] مَا وَجَبَ.

---

(1) في الوافي: 393/6، وتاريخ ابن الفرات: 149: " وما أشجاه".

(2) في الوافي: "تبق".

(3) في الوافي: "بشام"، وفي تاريخ ابن الفرات: "تشتام".

(4) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "في".

(5) في تاريخ ابن الفرات: "ملاحظة".

(6) الدِّمن: آثار الدّيار. (لسان العرب: دمن).

(7) في الوافي، وتاريخ ابن الفرات: "أخذت".

(8) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(9) زيادة وردت في الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(10) العِراص: جمع عرصة، والعَرصة: كلّ بقعة بين الدّور واسعة ليس فيها بناء. (لسان العرب: عرص).

(11) في تاريخ ابن الفرات: "ورمت".

(12) القلاص: جمع قلوص، والقلوص: الفتيّة من الإبل، وقيل: هي الثّنيّة، وقيل: هي كلّ أُنثى من الإبل حين تُركب وإن كانت بنت لبون أو حقّة إلى أن تصير بكرة أو تَبْزُل. (لسان العرب: قلص).

(13) في الوافي: 394/6، وتاريخ ابن الفرات: "الرزايا".

(14) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(15) ورد البيت بلا عزو في الوافي: 394/6، وورد البيت في: مسالك الأبصار: 391/14 ، وديوان المتنبّي: 14/3:منسوباً للبحتري، وفي ديوان المتنبّي: بلفظ: "البُكا" بدل: "الأسى"، ولم أقف عليه في ديوان البحتري ولا في الشّعر المنسوب إليه في الملحق الوارد في نهاية ديوانه، وورد البيت في: مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: 105، بلفظ: "الجوى" بدل: "الأسى".

(16) في الوافي: "فنشكر".

(17) في الوافي: "بوقفه على تلك الدِّمن".

(18) زيادة وردت في تاريخ ابن الفرات.

(19) في الوافي: "الآن منه"، وفي تاريخ ابن الفرات: "الّذي تمسكت الأزمنة منه بحسب".

(20) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(21) في الوافي: "للرّبع".

ومَنْ[1] لِلْمَمْلُوْكِ بوَقْفَةٍ فِي رُسُوْمِهَا[2]، واسْتِرْوَاحَةٍ[3] بنَسيْمِهَا، وسُقْيَاهَا بدَمْعِهِ، وتَجْدِيْـــد العَهْدِ بمَغْنَاهَا الّذي كَانَ يَرَاه بقَلْبِهِ[4] فَأصْبَحَ وهو[5] يَرَاه بسَمْعِهِ، ولَقَـــدْ عَلِـــمَ[6] اللهُ أنَّ الأَحْلَامَ مَا مَثّلَتْهَا لِعَيْنِه[7] إلاَّ فَأرِقَتْ[8]، ولا ذَكَرَتْهَا النَّفْـــسُ إلاَّ تمَزَّقَـــتْ، ولا تَخَيَّلَتْـــها فِكْرَةٌ[9] فَاسْتَقَرَّتْ[10] على حَالٍ مِنَ القَلَقِ، ولا جَرَّدَتْهَا[11] الأمَانِي لِخَيَالِـــهِ إلاَّ وَرَاحَـــتْ مَطَايَا[12] الدَّمْعُ في السَّبَقِ:

ولا قُلْتُ إيْهٍ بَعْدَهَا لِمُسَامِرٍ   مِنَ النَّاسِ إلاَّ قَالَ قَلْبِي آهَا[13]

على أنَّهُ قَدْ أصْبَحَ مِنْ ظِلِّ مَوْلاَنَا في وَطَنٍ، وأنْسَاهُ أُنْسُهُ مَنْ خَفَّ[14] ومَنْ قَطَنْ، وشَـــرُفَ بخِدْمَتِهِ الّتي تُعْلِي لِمَنْ أخْدَمَهَا[15] مَنَاراً،واسْتَفَاءَ[16] مِنَ الأيَّامِ الّتي[17] أخَذَتْ مِنْهُ درْهَمَـــاً فَأخَذَ عِوَضَهُ[18] دِيْنَاراً،"وأصْبَـــحَ لي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بهَا شُغْلُ"[19]،[وأمَّا الأشْوَاقُ][20]

(1) في الوافي: 394/6: "وشاق المملوك توقفه في رسومها"، وفي تاريخ ابن الفرات: 149/8: "وساق المملوك بوقفة".

(2) الرّسوم: جمع رسم، والرّسم: الأثر، وقيل: بقيّة الأثر. (لسان العرب: رسم). في الوافي: "توقّفه".

(3) الاسترواح: التّشمّم. (لسان العرب: روح).

(4) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "بطرفه".

(5) سقطت من الوافي وتاريخ ابن الفرات.

(6) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "يعلم".

(7) في الوافي: "العين".

(8) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "تأرقت"، وأرقت: سهرت، والأرق: ذهاب النّوم باللّيل. (لسان العرب: أرق).

(9) في الوافي، وتاريخ ابن الفرات: "فكرته".

(10) في الوافي: "إلاّ استقرّت".

(11) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "ولا تمثّلتها أمانيه إلاّ وأمست مطايا دمعه في السّبق".

(12) المطايا: جمع مطيّة، والمطيّة من الدّواب الّتي تمطو(تمدّ) في سيرها. (لسان العرب: مطا).

(13) البيت ليحيى بن يوسف بن يحيى الصّرصري، انظر: (مسالك الأبصار: 130/6، وفي مطالع البدور: 295/2، والمستطرف: 224/1: "فما قلت إيها" بدل: "ولا قلت إيه"، وروايته في الوافي: 394/6:

ما قلت بعدة المتسامريـــ   ـــن النّاس إلاّ قال دمعي آها

وفي تاريخ ابن الفرات: 149/8: "فما" بدل: "ولا"، و "دمعي" بدل: "قلبي".

(14) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "ظعن".

(15) في تاريخ ابن الفرات: "خدمها".

(16) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "واستعار".

(17) في تاريخ ابن الفرات: "الّذي".

(18) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "وأعاضه عنه ديناراً".

(19) في الوافي: "سُفِل، به شُغل"، وفي تاريخ ابن الفرات: "به" بدل: "بها"، وهو عجز بيت المتنبّي، الدّيوان: 181/3:

"جرى حبُّها مَجْرَى دَمي في مفاصلي"

(20) زيادة وردت في الوافي.

فاسأل[1] فُؤادي عنِّي [يُخبرُكَ مَا كَانَ مِنِّي][2]
فَمَا[3] ذَكَرْتُ حَبِيْبًا إلاَّ كُنْتَ الّذي أعْنِي
وإنْ نَظَرَتْ عَيْنِي سِوَاكَ تَلَثَّمَتْ حَيَاءً بأرْدَانِ الدِّمَا مع الدَّمْعِ

ولَوْ أنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ[4] طَرْفِي، ولو[5] وَصَفْتُ مَا عَسَى أنْ أصِفَهُ[6] مِـــنَ الشَّـــوْقِ لَكَانَ[7] الأمْرُ فَوْقَ وَصْفِي:

وإنِّي في دَارِي[8] وأهْلِي كَأنَّنِي لِبُعْدَكَ لا دَارٌ لَدَيَّ ولاَ أهْلُ

وعَرَفَ المَمْلُوْكُ الإشَارَةَ إلى هَذِهِ السَّفْرَةِ ومَتَاعِبِهَا[9]، والطُّرقِ ومَصَاعِبِهَا، والثُّلُوْجِ الّــتِي[10] شَابَتْ مِنْهَا مَفَارِقُ الجِبَالِ، والمَفَاوِزَ الّتِي يَتَهَيَّبُ السُّرَى فِيْهَا[11] طَيْفُ الخَيَالِ، والمَرْجُوّ مِــنَ اللهِ تَعَالَى أنْ تَكُوْنَ العُقْبَى[مِنْهَا][12] مَأمُوْنَةً، والسَّلاَمَةُ فيها مَضْمُوْنَة، وكَــأنَّ[13] مَوْلاَنَــا بالدِّيَارِ وقَدْ دَنَتْ، والرَّاحَةِ[14] وقَدْ أذِنَتْ، والتَّهَانِي وقَدْ أشْرَقَتْ[15] بوفُوْدِهَا[16] تِلْــكَ[17] الرِّحَاب، والرِّيَاضُ وقَدْ أبْدَتْ مِنْ مُلَحِهَا[18] مَا يُكَفِّرُ بِهِ[19] ذَنْبُ السَّحَابِ، والأنْسُ وقَدْ

---

(1) في الأصل: "فسئل"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) زيادة وردت في الوافي: 394/6، وروايتهما فيه:

فَسَلْ فؤادك عنّي يخبرك ما كان منّي
فما ذكرت حبيباً إلاّ وذاك أعني

وفي تاريخ ابن الفرات: بلفظ: "إلاّ وإيّاك أعني" بدل: "إلاّ كنت الّذي أعني".

(3) في (ص): "وما".

(4) في الوافي: "غمضة طرفي"، وفي تاريخ ابن الفرات: 149/8: "غمضت طرفي".

(5) سقطت مت الوافي وتاريخ ابن الفرات، وفيهما: "ووصفت".

(6) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "أصف".

(7) في تاريخ ابن الفرات: "كان".

(8) في (ص): "دار"، وفي تاريخ ابن الفرات: "وإنّني في داري".

(9) في تاريخ ابن الفرات: "ومضاعتها".

(10) في الأصل: "الّذي"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي وتاريخ ابن الفرات، وبه يستقيم المعنى.

(11) في الوافي: "تهيّب المسرى بها". وفي تاريخ ابن الفرات: "بها" بدل: "فيها".

(12) زيادة وردت في الوافي: 395/6، وتاريخ ابن الفرات: 150/8.

(13) في تاريخ ابن الفرات: "وكان".

(14) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "وبالرّاحة وقد أنّت".

(15) في الوافي: "شرقت"، وفي تاريخ ابن الفرات: "شرفت".

(16) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "بورودها".

(17) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "هاتيك".

(18) في الوافي وتاريخ ابن الفرات: "من محاسن حسناها". (19) سقطت من تاريخ ابن الفرات.

أمْسَى وهو مُجْتَمِعُ القِوَى، والرِّحْلَةُ "وقَدْ أَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى[1]".

ومِنْهُ قَوله في كِتَاب كَتَبَهُ عن المَلِكِ المَنْصُوْر[2] إلى ابنهِ المَلِكِ الأشْرَف[3] بِفَتْحِ المرقب[4]: "-أعَزَّ اللهُ نُصْرَةَ الجَنَابَ[5] العَالي[6] الوالدي[7] الملكي[8] الأشرفي[9] الصّلاحي عضد[10] أمير المؤمنين[11]، ولا زَالَتْ جُيُوشهُ تَفْتَحُ مِنَ المَمَالِكِ حُصُوْنَهَا، وتَبْتَذِلُ مَصُوْنَهَا، وتَسْتَنْشِرُ مِنَ السَّعَادَةِ غُصُوْنَهَا، وتُطْوَى لَهُمُ الأرْضُ، ولا يَبْعُد عليهم مَرْمَى يُعْمِلُوْنَ إليهِ العَزَائِمَ ويُنْضُوْنَهَا، ويَقصُّوْنَ أجْنحَتْهَا بالشُّكْرِ ويُقْصُوْنَهَا، "تُهْدِي إليهِ كُلّ سَاعَةٍ خَبَرَ جُنُوْده ومَا مَلَكَتْ"[12]، وخُيُوْلِهِ ومَا سَلَكَتْ، وسُيُوْفِهِ ومَا فَتَكَتْ، ومَهَابَتِهِ ومَا أخَذَتْ، ومَوَاهِبِهِ ومَا تَرَكَتْ، وتُبْدِي لِعِلْمِهِ الكَرِيْم أنَّ الهِمَمَ بِهَا تُنَالُ المَمَالِكَ، وتُرتَقى

---

(1) من قول الشّاعر: فألقت عصاها واستقرّت بها النّوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

نسب هذا البيت في(لسان العرب: عصا): لعبد ربّه السّلمي، ويقال لسُليم بن ثمامة الحنفيّ، وورد في: (مجمع الأمثال: 101/2، وجمهرة خطب العرب: 359/3، والدّر الفريد: مج137/4، ووفيات الأعيان: 234/1و475و154/3، وغرر الخصائص الواضحة: 199، والكشكول: 430،ونسب في: المؤتلف والمختلف: 127 و128، وتمام المتون: 366 لمعقر بن حمار البارقي: وفيه: "وألقت عصاها واستقرّ بها النّوى"، ونسب في بهجة المجالس: 228/1إلى الأحمر بن سالم المزني).

(2) هو السّلطان الملك المنصور سيف الدّين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون التّركيّ الصّالحيّ النّجميّ(689هـ) كان من أكبر الأمراء زمن الظّاهر، وتملّك في رجب سنة(678هـ) وكسر التّتار على حمص وغزا الفرنج غير مرّة، وفتح طرابلس وما جاورها وفتح حصن المرقب. (النّجوم الزّاهرة: 383/7، وشذرات الذّهب: 409/5، وتاريخ أبي الفدا: 358/2).

(3) هو الملك الأشرف صلاح الدّين ابن السّلطان الملك المنصور (666-693هـ) من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة(689هـ) واستفتح الملك بالجهاد، فقصد البلاد الشّاميّة وقاتل الإفرنج، فاستردّ منهم عكّة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الرّوم وبيسان وجميع السّاحل، قتله بعض المماليك غيلة. (فوات الوفيات: 406/1، والنّجوم الزّاهرة: 3/8، والسّلوك: 756/1، وشذرات الذّهب: 422/5، والبداية والنّهاية: 354/13، والأعلام: 321/2).

(4) انظر حول فتح حصن المرقب: (تاريخ أبي الفدا: 355/2).

(5) الجناب: لقب من الألقاب الإسلاميّة الدّيوانيّة، ويأتي في الدّرجة الثّانية بعد المقرّ... (صبح الأعشى: 67/9).

(6) العالي: من الألقاب الّتي يشترك فيها أرباب السّيوف والأقلام،... (صبح الأعشى: 20/6).

(7) الوالدي: من ألقاب الأحداث من الرّؤساء، وهو نسبة إلى الولد، كأنّه جعله ولداً له، وربّما وقع على الولد حقيقة،... (صبح الأعشى: 35/6).

(8) الملكي: من ألقاب الملك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم،... (صبح الأعشى: 30/6).

(9) الأشرفي: من ألقاب المقام والمقرّ في مصطلح كُتّاب الزّمان،...وهو من الشّرف بمعنى العلوّ. (صبح الأعشى: 6/6).

(10) العضد: من ألقاب أرباب السّيوف، واستعمل في المعين والمساعد. (صبح الأعشى: 21/6).

(11) أمير المؤمنين: وهو لقب عامّ للخلفاء. وأوّل من لُقّب بع منهم عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه- في أثناء خلافته، وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصّدّيق-رضي الله عنه- بخليفة رسول الله، ثمّ دعَوا عمر بعده لابتداء خلافته بخليفة خليفة رسول الله،... (صبح الأعشى: 445/5و446).

(12) من قول المتنبّي، الدّيوان: 73/2:

تُهدي له كُلُّ ساعةٍ خبراً ... عن جحفلٍ تحت سيفه بائدْ

المَسَالِكَ، وقَـلَّ مَا ظَفِرَ بالمُرَادِ وَادِع، وكُلُّ أنْفٍ لا يَأنَفُ المَسَاه فَهْوَ أحَـقُّ الأعْضَـاءِ بالمَجَاذِع، ولم تَزَلْ تَمْثُلُ في أفْكَارِنَا الصُّوْرَةَ الّتي أقْدَمَ عليها أهْلُ حِصْنِ المَرْقِبِ في مَبْـدَأ الأمْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ النِّيَّاتِ، وضَعْفِ البَيِّنَاتِ، وغُرُوْرِ الأيْمَـانِ الكَاذِبَـةِ، واسْـتِمَالاَتِ الخَيَالاَتِ الجَاذِبَةِ، ويَأْخُذُ في أمْرِهِم الظَّاهِرِ بالرُّخْصَةِ دُوْنَ العَزِيْمَةِ، ويَعْمَلُ على مَا لو تَمَثَّل لَهُمْ صُوْرَةً لَجَرُّوا مِنْهُ ذَيْلَ الهَزِيْمَة، ونُسَيِّرُ مَا نُسَدِّدُهُ إلى نُحُوْرِهِم مِنْ سَهْمٍ، ونُرِيْهم إنَّـا نَدْفَعُ في صُدُوْرِ الحَقِيْقَةِ بالوَهْمِ، ونَعْرِضُ عن مُنَاقَشَتْهِم في الحِسَابِ ﴿وتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1]، ومَتَى لم يُؤاخَذْ المُسِيء بِفِعْلِهِ، ويُعْرَفْ مِقْدَارَ جَهْلِـهِ؛ اسْتَدَام طَمعُهُ، واسْتَقَام طَلْعُهُ، وحَرَّكَتْهُ دَوَاعِي الشَّرَهِ والشِّرَه، وتَخَيَّلَ السَّلاَمَةَ في كُلِّ مَرَّة، فَلَمْ نَزَلْ نَتَرَبَّصُ بِهِمْ رَيْبَ المَنُوْنِ[2]، ونَتْرُكْ مِنْهُم مَا كَانَ[3] في جَنْبِ مَا يَكُـوْن، إلى أنْ آنَ إمْكَانُ الفُرْصَةِ، وجَمَعْنَا لَهُمْ بَيْنَ الشَّرْقَةِ والغُصَّةِ[4]، فَأنْفَذْنَا إليهم المَرْمَى، وأعْدَدْنَا مَسْعَانَا في طَاعَةِ اللهِ غُنْمَا، إذْ كَانَتْ مَسَاعِي المُلُوْكِ غُرْمَاً[5]، ووَصَلْنَا[6] السَّيْرَ بالسُّرَى، وطَرَقْنَـاهُم كَمَا يَطْرُقُ[الطَّيْفُ][7] الكَرَى، وأوْطَأنَاهُمُ حَوَافِرَ الخَيْلِ، وجِئْنَاهُمْ مَجيءَ السَّيْلِ، وظَلَّلْنَـا عَلَيْهِمْ ظُلَلَ الغَمِّ[8]، وغَشِيَهُمْ مِنَّا مَا غَشِيَ فرعون وجُنُوْدَهُ مِنَ اليَمِّ[9]، مع كَوْنِ مَكَانِهِمْ قَدْ جَمَعَ لَهُمْ مَنَعَةَ البَرِّ والبَحْرِ، وحَلَّ مِنْهُم بَيْنَ السَّحَرِ[10] والنَحرِ[11]، "تَصُدُّ الرِّيَاحُ الهُوْجَ عنهُ مَخَافَةً"[12] "ويَرْجِعُ الطَّرْفُ حَسِيْـرَاً"[13]، لِبُعْدِ المَسَافَـةِ، فَلَمْ يَكُنْ بأسْرَعِ مِنْ أنْ فَاجَأنَاهُ، وحَلَلْنَـا بِعَرْصَتِهِ وَهَاجَمْنَاه، وأحَاطَتْ بِهِ رِجَالُ الحَرْبِ، وشَافَهَتْـهُ بِخطَاب

---

(1) من الآية: 88 من سورة النّمل. (2) من الآية: 30 من سورة الطّور:﴿أمْ يَقُوْلُوْنَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُوْنِ﴾.

(3) في تذكير النّبيه: 96/1: "ونترك ما كان منهم في جنب ما يكون".

(4) الشّرقة: الغصص بالطّعام، والشّرق: الشّجا والغُصّة، والشّرق بالماء والرّيق ونحوهما، يقال: شرق فلان بريقه، وكذلك غـصّ بريقه. والغُصّة: الشّجا، وخصّ بعضهم به الماء، يقال: غصصت بالماء أغصُّ غصصاً إذا شرقت به أو وقف في حلقك فلم تكد تُسيغهُ. (لسان العرب: شرق، غصص).

(5) سقط من تذكرة النّبيه: 96/1و97. (6) في تذكرة النّبيه: "فوصلنا".

(7) زيادة وردت في تذكرة النّبيه، لعلّها سقطت من الأصل. (8) من الآية: 160 من سورة الأعراف:﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِم الغَمَامَ﴾.

(9) من الآية: 78 من سورة طه:﴿فَأتْبَعَهُم فِرْعَوْنُ بِجُنُوْدِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾. إلى هنا انتهى النّص في تذكرة النّبيه.

(10) السّحر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن، وقيل: الرّئة، وقيل: الكبد، وقيل: القلب. (لسان العرب: سحر).

(11) النّحر: الصّدر. (لسان العرب: نحر).

(12) صدر بيت المتنبّي، الدّيوان: 67/1، وعجزه:

" وتَفْزَعُ منها الطّيرُ أنْ تلقط الحبّا".

(13) من الآية: 4 من سورة الملك:﴿ثُمَّ ارْجِعَ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهوَ حَسِيْرٌ﴾.

الخُطَبِ، وعَسْكَرُنَا بحَمْدِ اللهِ قَدْ مَلأَ الفِجَاجَ، واستَعْذَبَ الآجَاجَ[1]، وقَاسَمَهُم الرِّمَــاحَ، فَأَعْطَاهُمُ الأَسِنَّةَ وأبْقَى الرِّجَاجَ[2]، تَتَعَرَّضُ أبْطَالَهُ المَنَايَا، وإنْ كَانَتْ عَرَضَاً، ويَقُولُ كُــلٌّ مِنْهُم﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[3]، فَلَمْ يَزَلْ القِتَالُ يَنُوبُهُمْ، وسِهَامُ المَوْتِ تُصِيبُــهُم، وسَحَابُهَا يَصُوبُهُم[4]، والمَجَانيْقُ تُذَلِّلُ سَوْرَتَهُم[5]، وتُسْكِنُ فَوْرَتَهُمْ، وتَرْمِيهُمْ بنُجُوْمِــهَا، وتَصِمْهُم برُجُوْمِهَا[6]، وتَقْذِفُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُــوْراً[7]، وتُعِيْــدُ مِنْــهُم ﴿مَذْمُوْمَــاً مَدْحُوْراً﴾[8]، وتُشِيْرُ إليهم أصَابعُهَا بالتَّسْلِيْمِ لا بالسِّلْمِ، وتَنْتَابُهُمْ، فَمَا تَذَرُ مِنْ شيءٍ أَتَــتْ عليهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيْمِ[9]، إلى أنْ فَتَحْنَاهَا وللهِ الحَمْدُ عِنْوَةً، وحَلَلْنَا مَكَائِدَهُمْ فيها عُقْــدَةً عُقْدَةً، ونَقَضْنَاهَا عُرْوَةً عُرْوَةً، وسَطَّرْنَا هَذِهِ البُشْرَى وأعْلامُ النَّصْرِ قَدْ خَفَقَــــتْ عليــها بُنُوْدُهَا، وذَلَّتْ لها عُلُوْجُ[10] الكَفَرَةِ وكُنُوْدُهَا[11]، والسَّيْفُ مِنْ دِمَائِهِم يَقْطُرُ، والصَّلِيْــــبُ حَزْنَانٌ يَنْظُرُ، والأَذَانُ مَكَانَ النَّاقُوْسِ، والقُرَّاءُ مَوْضِعَ القسُوْسِ، والكَنِيْسَــةُ قَــدْ عَــادَتْ مِحْرَابَاً، والجَنَّةُ قَدْ فُتِّحَتْ للمُجَاهِدِيْنَ فَكَانَتْ أبْوَابَاً[12]، وكُنَّا نَوَدُّ أنْ يَكُوْنَ الوَلَدُ مَعَنَــا في هَذِهِ المَشَاهِدِ، وأنْ يَنْظُرَهَا بعَيْنِ المُشَاهِدِ، وإنَّا لَنَرْجُو أنْ لا يَكُوْنَ مِمَّنْ يَسْتَلِيْنُ المَرْقَدَ، وإنْ لم تُحْضِرْهُ هَذِهِ الغَزْوَةَ فتَتَأهَّبْ للأخْرَى، فكَأَنَّ قَدْ...[13]".

ومِنْهُ قَوله مِنْ كِتَابٍ كَتَبَهُ إلى صَاحِبِ اليَمَنِ[14] بِفُتُوْحِ طَرَابُلُس[15]: "هَذِهِ الخِدْمَــةُ

---

(1) الآجاج: شديد الملوحة والمرارة. (لسان العرب: أجج).

(2) الرّجاج: الضّعفاء من النّاس والإبل. (لسان العرب: رجج).

(3) من الآية: 84 من سورة طه.

(4) يصوبهم: يمطرهم. (لسان العرب: صوب).

(5) سورتهم: ما حسن وطال من البناء، أو حدّتهم. (لسان العرب: سور).

(6) من الآية: 5 من سورة الملك:﴿وجَعَلْنَاهَا رُجُوْمَاً للشَّيَاطِيْنَ﴾.

(7) من الآية: 8 من سورة الصّافات:﴿لا يَسْمَعُوْنَ إلى المَلأ الأعْلَى ويُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانب﴾.

(8) من الآية: 18 من سورة الإسراء.

(9) من الآية: 42 من سورة الذّاريات:﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيْمِ﴾.

(10) العلوج: جمع علج، والعِلْج: الرّجل من الكفّار العجم، والعلج: الكافر، ويقال: للرّجل القويّ الضّخم من الكفّار. (لســان العرب: علج).

(11) الكنود: لعلّ المقصود به اللّقب الّذي يُطلق على قادة العساكر الألمان، انظر: (تاريخ الحروب الصّليبيّة: ق1/ج44/2).

(12) من الآية: 73 من سورة النّبأ: ﴿حتّى إذَا جَاءوْهَا وفُتِّحَتْ أبْوَابُهَا وقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُم طِبْتُم فَادْخُلُوْهَا خَـالِدِيْنَ﴾. انظر: الآية: 71 من سورة الزّمر.

(13) لعلّ هناك سقط من الأصل، لم أقف على تتمّته في المصادر الّتي رجعت إليها.

(14) هو يوسف بن المنصور نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول، أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعاً وأربعين سنة، وعمّر ثمانين =

بِمَا تَسَنَّى مِنْ فُتُوحِ طَرَابُلُس الشَّامِ، وانْتِقَالُهَا بَعْدَ الكُفْرِ إلى الإسْلَامِ، وهو فَتْحٌ طَالَ عَـهْدُ الإسْلَامِ بِمِثْلِهِ، وقَدْحٌ فَتَّ فِي عَضُدِ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ، لَمْ[1] يَحُلْ أَمْرُهُ فِي خَلَدٍ ولا فِكْـرٍ، ولا رَقَتْ إليهِ هِمَّةُ عَوَانٍ[2] مِنَ النَّوَائِبِ، ولا بِكْرٌ مَرَّتْ عليهَا الأَيَّامُ واللَّيَالِي، وعَجزَ عنها "مَـنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَوَالِي"[3]، ولَمْ[4] تَزَلْ المُلُوْكُ تَتَحَامَاهَا، وإذا خَطَرَتْهَا الظُّنُـوْنُ فِي بَـالٍ تَخْشَى أنْ تَحِلَّ حِمَاهَا، ولَمَّا أَفْضَى اللهُ إلَيْنَا أَمْرَ المُلْكِ، وأَنْجَى بِنَا مِنَ الهَلَكِ؛ عَاهَدْنَا على أنْ نَغْزُوْا أَعْدَاءَهُ بَرًّا وبَحْرًا، ونُوْسِعَ مَنْ كَفَرَ بِهِ قَتْلاً وأَسْرًا، ونُوْرِدَ المُشْرِكِيْنَ مَوَارِدَ الحَرْبِ المُفْضِيَةِ بِهِم إلى الهَرَبِ، ونُجْلِيْهُمْ عن البِلَادِ جَلَاءَ طَوَائِفَ المُشْرِكِيْنَ عن جَزِيْرَةِ العَـرَبِ، فَجِئنَاهُم وزَلْزَلْنَا أَقْدَامَهُم، وأَزَلْنَا إِقْدَامَهُم، وبَرَزْنَا لِشِقَائِهِم بِشِقَاقِهِم، وسَدَدْنَا عَلَيْهِم أَنْفَاقَ نِفَاقِهِم، وقَصَدْنَاهُم فِي وَقْتٍ تَجَمَّعَتْ فيه أَشْتَاتُ الشِّتَاءِ، وطُرُقٌ خَفِيَّةُ المَـدَارِجِ، أَبِيَّـةُ المَعَارِجِ، صَيْفُهَا شِتَاءٌ، وصَبَاحُهَا مَسَاءٌ، شَائِبَةُ المَفَارِقِ بالثُّلُوْجِ، مُنْهَلَّةُ المَدَامِعِ مِنْ عُيُـوْنِ الجِبَالِ على خُدُوْدِ المُرُوْجِ، مُزَرَّرةُ[5] الجُيُوْبِ على أَكْمَامِ الغُيُوْمِ الَّتِي مَا للابِسِهَا مِنْ فُرُوْجٍ، ولَمْ تَزَلْ أَقْرَانُ الزَّحْفِ فِي غُدْرَانِ الرَّغَفِ[6]، تَرْمِيْهُمْ بالفَوَارِسِ، وتَأْتِيْهِم مِنَ البَأْسِ بِمَـا تَرْعَدُ مِنْهُ الفَرَائِصُ[7]، "وتَقْلِبُ لهم ظَهْرَ المِجَنِّ"[8]، وتَطْرُقُ أَفْئِدَتَهُم مِنَ الحَرْبِ بِكُلِّ فَـنٍّ، وتُقَرِّبُ الأَسْوَاءَ مِنْ الأَسْوَارِ، وتَمْـزِجُ لهم الأَدْوَاءَ فِي الأَدْوَارِ، إلى أنْ وَهَـى سَلْكُـهَا،

= سنة، فتوفي في سنة(694 هـ). انظر: النّجوم الزّاهرة: 71/8، وشذرات الذّهب: 427/5، والأعلام: 56/5).

(15) طرابلس: ويقال: أطرابلس، ويقال أنّ أشبا روس قيصر أوّل من بناها، وتسمّى أيضاً مدينة إياس، عليها سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة،... (معجم البلدان: 24/4، والرّوض المعطار: 389).

(1) سقطت من (ص).

(2) العوان: ورد في(لسان العرب: عون): "حرب عوان: قوتل فيها مرّة كأنّهم جعلوا الأولى بكراً، ...والمرأة العوان وهي الثّيب،...ونخلة عوان: طويلة".

(3) من قول امرئ القيس، الدّيوان: 299/1:

ألاَ أنعم صباحاً أيّها الطّلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العُصُر الخالي

(4) في (ص): "لم تزل"، سقطت الواو.

(5) في الأصل و(ص): "مزرة"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(6) ورد في(لسان العرب: رغف): "رغف الطّين والعجين يرغفه رغفاً كتّله بيديه.

(7) الفرائص: الفريصة: لحمة عند نُغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع. (لسان العرب: فرص)، وفي المثل: "جاء ترعد فرائصه". (مجمع الأمثال: 177/1).

(8) يضرب هذا المثل لمن كان لصاحبه على مودّة أو رعاية ثمّ حال عن ذلك. انظر: (مجمع الأمثال: 101/2، والمستقصى: 198/2، وجمهرة الأمثال: 12/2).

طَرِيْقِ[1] الهَزِيْمَةِ،[قَدْ بَلَغَ أملَهُ مِنَ الرُّتْبَةِ، وقَنَعَ مِنْ مُلْكِهِ-كَمَا يُقَالُ-بالسِّكَّةِ[2] والخُطْبَةِ][3]، أمْوَالٌ تُنْهَبُ، ومَمَالِكُ تَذْهَبُ [لا يُبَالُوْنَ بِمَا سَلَبُوا، وهُم كَمَا قِيْلَ:

أنْ قَاتَلُوا قُتِلُوا، أو طَارَدُوا طُرِدُوا   أو حَارَبُوا حُرِبُوا، أو غَالَبُوا غُلِبُوا][3]

ونُفُوسٌ[4] قَدْ تَجَاوَزَتْ حَدَّ إسْرَافِهَا، وبلادٌ تَأتِيْهَا الأعْدَاءُ فَتُنْقِصُهَا مِنْ أطْرَافِـهَا[5]، إلى أنْ أوْجَدَ اللهُ مَنْ أوْجَدَهُ لِنُصْرَةِ[6] دِيْنِهِ، وإذْلاَلِ الشِّرْكِ وَشَيَاطِيْنِهِ[7]، فَأحْيَا فَرِيْضَةَ الجِهَادِ بَعْـدَ مَوْتِهَا[8]، وَرَدَّ ضَالَّةَ المُلْكِ بَعْدَ فَوْتِهَا، ونَرْجُو[9] بِقُدْرَةِ اللهِ أنْ نُجْلِيَ دِيَارَهُم مِنْ نَاسِـهِمْ، ونُطَهِّرَ الأرْضَ مِنْ أدْنَاسِهِمْ، ونُجَدِّدَ للأُمَّةِ قُوَّةَ سُلْطَانِهَا، ونُعِيْدَ كَلِمَةَ الإيْمَانِ إلى أوْطَانِهَا، واللهُ-تَعَالَى- ثَبَّتَ في صَحَائِفِهِ أجْرَ السُّرُوْرِ بِهَذِهِ المُتَجَدِّدَاتِ الَّتِي يَعْظُمُ بِهَا أجْرُ الحَـامِدِ الشَّاكِرِ، ويَجْعَلُ لَهُ أوْفَى نَصِيْبٍ مَنْ يُؤَمِّنِ الغَزَوَاتِ الَّتِي أنْجَدَ فيها بِهِمَمِـهِ، والإنْجَـادُ بالهِمَمِ مِثْلِ الإنْجَادِ بالعَسَاكِرِ،

ومِنْ شِعْرِهِ يُدَاعِبُ ابن القَصْرِي[10] الكَاتِب، وكَانَ رَدِيءِ الخَطِّ:

لِلْمَجدِ خَطٌّ حَكَى في القُبْحِ صُوْرَتَهُ   نَاهِيْكَ مِنْ خَطَأ[11] بَادٍ ومِنْ خَطَلِ
لَمْ يَلْقَهُ أحَدٌ إلاَّ ويُنْشِدُهُ   "رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كَفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ"[12]

وقوله: "أُنبئتُ أنَّ كِتَابَاً بَعَثْتَهُ مَعْ رَسُوْلِي مَلأتَهُ مِنْكَ طِيْبَاً، فَضَاعَ قَبْلَ الوصُوْلِ".

---

(1) في النّجوم الزّاهرة: 323/7، وعصر سلاطين المماليك: 146/5: "طُرق".

(2) السّكّة: هي الحديدة الّتي تطبع عليها الدّراهم، ولذلك سمّيت الدّراهم المضروبة سكّة. (التّعريف بمصطلحات الصّبح: 182)، لعلّ المقصود هنا هو كتابة اسمه على الدّراهم المضروبة.

(3) زيادة وردت في النّجوم الزّاهرة وعصر سلاطين المماليك.

(4) من هنا سقط من النّجوم الزّاهرة، وعصر سلاطين المماليك.

(5) من الآية: 41 من سورة الرّعد:﴿أوَلَمْ يَرَوا أنّا نَأتِي الأرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أطْرَافِهَا﴾، وإلى هنا انتهى السّقط من النّجـوم الزّاهـرة وعصر سلاطين المماليك.

(6) في النّجوم الزّاهرة، وعصر سلاطين المماليك: "إلى أنْ أوجد الله من نصر دينه وأذلّ الكفر وشياطينه".

(7) إلى هنا انتهى النّص في النّجوم الزّاهرة: 323/7، وعصر سلاطين المماليك: 146/5.

(8) من الآية: 164 من سورة البقرة:﴿وَمَا أنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

(9) في الأصل: "نرجوا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(10) لم أقف له على ترجمة في المصادر الّتي رجعت إليها.

(11) في (ص): "خطاء".

(12) تضمين لقول عمارة:

رميت يا دهر كفّ المجد بالشّلل   وجيده بعد حُسن الحلي بالعطل

انظر: (الرّوضتين: 223/1، والغيث المسجم: 306/2، وثمرات الأوراق: 27، وصبح الأعشى: 603/3).

... [1] شِهَابُ الدِّيْن أبو محمّد بن كمال الدّين أبي العبّاس، أحمد بن عبد العزيز بن العجمي[2]، المُتَقَدّمُ ذِكْرُ أبيهِ، قَائِلُ كَلِمٍ حِسَانٍ، وقَائِدُ كَرَمٍ وإحْسَانٍ، سَلِيْلُ صُدُوْرٍ كِرَامٍ، وَرَسِيْلُ سُحْبٍ مُغْدِقَةٍ، وبُدُور تَمَامٍ مِنْ بَيْتٍ فِي حلب الشَّهْبَاءِ، رُفِعَ على صَهَوَاتِهَا، ولُزَّتْ بِهِ الخَضْرَاءُ وسَائِرُ أخواهَا، أعَادَ الصُّبْحَ العِشَاءِ، وكَتَبَ الإنْشَاءَ، وصَرَفَ أوَامِرَ الوزَارَةِ، وقَاسَمَ الوَزِيْرَ حَسَنَاتِهِ لا أَوْزَارَهُ، وكَلامُهُ عَذْبُ المَسَاغِ، للقُلُوْبِ بِهِ شُغْلٌ وفَرَاغ، كَأنَّمَا نَشَرَ بِهِ حُلاً أو صَاغَ، وكَانَ بَرِيْئاً مِنْ ظُلْمَةِ التَّعْقِيْدِ، كَأنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاحِكَ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيْعِ الجَدِيْدِ.

ومِنْ نَثْرِهِ قوله فِي تَوْقِيْعٍ كَتَبَهُ لِقَاضٍ اسمهُ يُوسف: "لأنَّهُ المُسْتَوْجَبُ بِهجْرَتِهِ إلينا تَحْقِيْقُ مَا نَوَاهُ[3]، وإنَّهُ يوسف الفضل الّذي لَمَّا قَدِمَ مصرَ قِيْلَ لِشِيَمِنَا الشَّرِيْفَةِ:﴿أكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[4]، وأرَتْهُ أحْلامُهُ مِنَ الأمَانِي مَا جَعَلْنَاهُ صِدْقاً، وأنْجَزَ اللهُ-تَعَالَى[5]-لَهُ مِنْهَا مَا قَالَ مَعَهُ:﴿هَذَا تَأوِيْلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبْل قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾[6]، فَلْيَعْتَصِمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ بِأقْوَى حَبْلٍ[7]، ويَقِفْ عِنْدَ مَرَاضِيْهِ لِيَجْتَبِيْهِ، وتَمَّ نِعْمَتَهُ عليهِ كَمَا أتَمَّهَا على أبَوَيْهِ مِنْ قَبْلُ[8]، ولْيَتَمَسَّكْ مِنْ أسْبَابِ التَّقْوَى بِمَا يَكُوْنُ لَهُ جُنَّةٌ، ويَحْرِصُ على أنْ يَكُوْنَ الرَّجُلَ الّذي عَرَفَ الحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وكَانَ المَخْصُوْصَ مِنَ القُضَاةِ الثّلاثَةِ بالجَنَّةِ[9]، ويَجْعَل دَاءَ

---

(1) فراغ في الأصل.

(2) لم أقف له على ترجمة في المصادر الّتي رجعت إليها.

(3) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". (صحيح البخاريّ: 17/1و18).

(4) من الآية: 21 من سورة يوسف.

(5) سقطت من (ص).

(6) من الآية: 100 من سورة يوسف.

(7) من الآية: 103 من سورة آل عمران:﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعَاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾.

(8) من الآية: 6 من سورة يوسف:﴿ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أتَمَّهَا عَلَى أبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾.

(9) من قول النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-: "القضاة ثلاثة: واحد في الجنّة، واثنان في النّار، فأمّا الّذي في الجنّة، فرجل عرف الحقّ فقضى به، ورجل عرف الحقّ فجار في الحكم فهو في النّار، ورجل قضى للنّاس على جهل فهو في النّار". (سنن أبي داود: 297/3، وكشف الخفاء: 97/2)، وقد نظم بعضهم في ذلك: (أعيان العصر: 527/2و528):

إنّ القضاة ثلاثةٌ بصعيدنا ... قد حقّقوا ما جاء في الأخبار
قاضٍ بإسنا قد نوى جنّةً ... والقاضيان كلاهما في النّار
هذا بحسن صفاته وفعاله ... وهما بما اكتسبا من الأوزار

الهَــوَى عَنْهُ مَحْسُوْمَاً، ولَحْظُهُ ولَفْظُهُ بَيْنَ الخُصُوْمِ مَقْسُوْمَاً، ولا يَألُو مَــا يَجِــبُ مِــنَ الاجْتِهَاد إذَا اشْتَبَه عليهِ الأمْرَان، ويَعْلَمُ إنَّهُ إنْ اجْتَهَدَ وأخْطَأَ فَلَهُ أجْرٌ، وإنْ أصَــابَ فَلَــهُ أجْرَانِ[1]، وصَوْبُ الصَّوَابِ وَاضِحٌ لِمَنْ اسْتَشَفَّ بنُوْرِ اللهِ بُرْهَانَهُ، ولْيَتَوكَّلْ علــى اللهِ في قَصْدِهِ ويَثِقْ؛ فَإنَّ اللهَ سَيَهْدِي قَلَبَهُ، ويُثَبِّتْ لِسَانَهُ، ولْيَجْعَلْ الاعْتِصَامَ بِحَبْلِ اللهِ-تَعَــالَى[2]- في كُلِّ مَا تُرَاوِدُ عليهِ النُّفُوْسِ مِنْ دَوَاعِي الهَوَى مُعَاذاً، ويَتَبَصَّرْ مِنْ بُرْهَانِ رَبِّهِ مَا يَتْلُــو[3] عليهِ عِنْدَ كُلِّ دَاعِيَةٍ:﴿يُوْسُفُ أعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[4]".

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي أنَّهُ وَرَدَتْ عليهِ مُشَرَّفَةٌ شَرِيْفَةٌ، وتُحْفَةٌ ثَمَنُهَا على الأعْنَاقِ ثَقِيْلَــةٌ، وبِمَوَاقِعِهَا مِنَ القُلُوْبِ خَفِيْفَةٌ، فَقَبَّلَهَا المَمْلُوْكُ ولَثَمَهَا، ونَثَرَ عليهَا دُرَرَ قُبَلِهِ ونَظَمَهَا، ونَقَــلَ مَعْنَاهَا إلى قَلْبِهِ فَشَفَّ، ونَقَدَ ذَهَبَهَا الخَالِصَ وأعَادَهُ مِنَ الصَّرْفِ، وانْتَهَى إلى مَا تَضَمَّنَهُ مِــنْ صَدَقَاتِ مَوْلَىً مَلَكَ رِقَّهُ، وأتَاهُ مِنَ الفَضْلِ فَوْقَ مَا اسْتَحَقَّهُ، وأنْزَلَ لَهُ الكَوَاكِبَ فَتَنَاوَلَهَا[5] بِلاَ مَشَقَّةٍ، وآوَى إلى حِمَى حَرَمِهِ، وتَغَطَّى عن عَيْنِ الخَطْبِ بِسُتُوْرِ نعَمِــهِ، ورأى فيــهِ الأزَاهِرَ وشَمَّ شَذَاهَا، والجَوَاهِرَ وضَمَّ إلى العُقُوْدِ حُلاَهَا، وشَكَرَ هَذه المِنَنِ ومَنْ والاَهَــا، وسَبَّحَ لِمَنْ وَهَبَ مَنْ يُحِبُّهُ هَذه البَدَائِعَ وآتَاهَا، وعَمِلَ بِمَا أمَرَهُ بِهِ مَوْلاَهُ في أمْــرِ تِلْــكَ الوَرَقَةِ وسَدَّدَ سَهْمَهَا إلى الغَرَضِ وفَوَّقَهُ، وتَحَجَّبَ لَهَا فَأخْلَى الطَّرِيْقَ وطَرَقَهُ، وعَرَضَــهَا في مَجْلِسِ الوَزَارَةِ الشَّرِيْفَةِ، ونَشَرَ اسْتَبْرَقَهُ[6]، وبَرَزَ المَرْسُوْمُ بالكَشْفِ، ويَرْجُو[7] أنْ يَتَكَمَّــلَ بالتَّوْقِيْعِ، ويَكْمُلَ بالتَّأصِيْلِ والتَّفْرِيْعِ، ثُمَّ يُجَهِّزُهُ المَمْلُوْكُ إلى خِدْمَتِهِ الكَرِيْمَةِ كَمَا أمَرَ، ومَــا أخَّرَ الجَوَابَ هَذه المُدَّة إلاَّ لِيُجَهِّزَهُ مَعَهُ فَتَعَذَّرَ ومَا قَدِر".

ومِنْهُ قَوله: "أوْلَى[8] مَنْ عَاوَدَتْهُ عَوَائِدُ فَضْلِنَا بِمَحَابِّهَا، وتَلَقَّتْــهُ صُــدُوْرُ عَوَارِفِنَــا بِرِحَابِهَا، ونَقَلَتْ مَكَارِمُنَا أطْمَاعَهُ مِنْ لاَمِعِ سَرَابِهَا إلى نَافِعِ شَرَابِهَا، مَنْ هَاجَــرَ وِلاَيَةً إلى

---

(1) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثمّ أخطــأ فلــه أجر". (صحيح البخاريّ: 78/24).

(2) من الآية: 103 من سورة آل عمران:﴿وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعَاً وَلاَ تَفَرَّقُوْا﴾.

(3) في (ص): "يتلوا".

(4) من الآية: 29 من سورة يوسف.

(5) في (ص): "فتنوالها".

(6) الاستبرق: الدّيباج الغليظ، فارسيّ مُعرب. (لسان العرب: برق).

(7) في (ص): "ويرجوا".

(8) في (ص): "أوى من".

حَرَمِ دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ، وكَانَ مِنْ أَنْصَارِهَا، وبَادَرَ في هَيْجَاءِ أَعْدَائِهَا، فَأَغْرَقَهُمْ وأَحْرَقَهُم بتَيَّارِهَا وبِنَارِهَا، وتَشَوَّقَتِ المَسَامِعُ إلى مَا تَشْتَهِيْهِ، فَكَانَ ذِكْرُهُ الجَمِيْلُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ مَسَارِّهَا، والقَارِعِ ذُرْوَةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، القَارِعِ مَرْوَةَ[1] هَذِهِ الصَّفَاة[2]، المَجْلِسُ الفُلاَنيُّ لأَنَّهُ جَامِعُ مَحَاسِنِهَا بمُفْرَدِه، والحَامِي لِسَرْجِهَا ببَطْشِ يَدِهِ، ورَامِي عَرْضِهَا بصَفَاة[3] مَقْصَدِهِ، حَمَى الأَطْرَافَ وحَاطَهَا، ورَفَعَ بهمَّةٍ فَعَلَّقَ بالثُّرَيَّا مَنَاطَهَا[4]، وكَانَ وَاحِدُ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ بأسَاً، لا يَكِلُّ شَبَاهُ[5]، وعَزْمَاً لا يُوَفِّرُ كَاهِلَ الرِّيْحِ يَقْتَادُ جَنَائِبَهُ[6] ويَرْكَبُ صِبَاهُ، وفَضْلاً جَامِلاً جَامِعَاً فَاقَ فيهِ كُلَّ شَبِيْهٍ إلاَّ أَبَاهُ".

ومِنْهُ قَولُه: "ولاَ زَالَ بَابُهُ الكَرِيْمِ للآمَالِ مَلاَذَاً، وجَنَابُهُ المَحْرُوْسِ مِنْ حَوَادِثِ الأَيَّامِ مُعَاذَاً، وثَوَابُهُ وعِقَابُهُ لِوَلِيِّهِ وعَدُوِّهِ هَذَا لِهَذَا، وهَذَا لِهَذَا، ويُنْهِي أَنَّ مَوْلاَنَا وللهِ الحَمْدُ قَدْ جَبَلَهُ اللهُ على فِعْلِ الخَيْرِ، وجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ، وحَبَّبَ إليهِ الإحْسَانَ، ومَكَّنَهُ مِنْ فِعْلِهِ، خُصُوْصَاً مَنْ يَنْتَمِي إلى خِدْمَتِهِ الشَّرِيْفَةِ، ويَلْجَأُ إلى ظِلِّهِ، ومَمْلُوكه فُلاَنٌ مِمَّنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ مِنَ الأَرِقَّاءِ، ويَرْتَمِي إلى مُوَالاَتِهِ الّتِي هي دَرَجَاتُ السَّعَادَةِ والارْتِقَاءِ، ومَا تَهَجَّمَ المَمْلُوكُ بهَذِهِ الخِدْمَةِ إلاَّ لَمَا كَانَ عِنْدَ نَفْسِهِ المَثَابَة، ولا ثَقُلَ على خَاطِرِهِ الشَّرِيْفِ إلاَّ لِوقُوْعِ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمَ مَوْلاَنَا بمَوْقِعِ الإصَابَةِ، وقَدْ جَعَلَ المَمْلُوْكُ السُّؤَالَ مُفْتَتَحَ عُبُوْدِيَتِهِ لِمَوْلاَنَا ومُوَالاَتِهِ بحَسَنَةٍ قَدْ أَهْدَاهَا إلى صَحَائِفِ حَسَنَاتِهِ".

ومِنْهُمْ: أحمد بن أبي الفتح بن محمود الشّيبانيّ، كمال الدّين أبو العبّاس[7]، بَحْرٌ يَقْذِفُ الدُّرَّ، وأُفقٌ يُطْلِعُ النُّجُوْمَ الغُرَّ، وكَانَ للدُّنْيَا جَمَالاً، وللدِّيْنِ كَمَالاً، جَعَلَ للبَيَانِ سِحْرَاً[8]،

---

(1) المروة: المرو: حجارة بيض برّاقة تكون فيها النّار وتقدح منها النّار واحدتها مروة. (لسان العرب: مرا).

(2) سقطت العبارة من (ص)، والصّفاة: صخرة ملساء. (لسان العرب: صفا).

(3) في (ص): "بصفات".

(4) المناط: ورد في: (لسان العرب: نوط): "النّوط: ما عُلّق، سمّي بالمصدر، قال سيبويه، قالوا: هو منّي مناط الثّريّا أي في البُعد".

(5) شباه: شبا كلّ شيء: حدُّ طَرفه. (لسان العرب: شبا).

(6) الجنائب: جمع جنيبة، والجنيبة: العليقة، وهي النّاقة يُعطيها الرّجُلُ القوم يمتارون عليها له، زاد المحكم: ويُعْطِيهم دراهم ليميروه عليها. (لسان العرب: جنب).

(7) هو كمال الدّين أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان المعروف بابن العطّار (626-702هـ)، أحد كُتّاب الدّرج بدمشق، كان كثير التّلاوة، محبّاً لسماع الحديث، وسَمِعَ وحَدّث، وكان صدراً كبيراً فاضلاً وله نظم ونثر، وأقام يكتب الدّرج أربعين سنة،... (أعيان العصر: 385/1، والوافي: 167/8، وعقد الجمان: 290/4، والنّجوم الزّاهرة: 203/8، وتذكرة النّبيه: 256/1، والمنهل الصّافي: 210/2، والبداية والنّهاية: 29/14).

(8) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّ من البيان لسحراً، أو إنّ بعض البيان لسحر". (صحيح البخاريّ: 43/21).

وللطِّيب شِحْراً[1]، وقدَّمَتْهُ الدَّوْلَةُ على الرُّؤسَاء، وعَظَّمَتْهُ على الخُلَطَاءِ والجُلَسَاء، وكَانَتِ المُلُوكُ تُنْزِلُهُ مَنْزِلَةَ لِسَانِهَا ويَمِينِهَا، وتُحِلُّهُ مَحَلَّةَ تُرْجُمَانِهَا وأمِيْنِهَا، وظَلَّتْ تَصْرِفُ بِهِ البَأسَ والنَّدَى، وتَتَصرَّفُ في الأوْلِيَاءِ والعِدَى، آونَةً يُجِيبُ بِسَيْبِهِ[2] سُؤالاً، ويَجُوْدُ بِسَيْبِهِ نَوَالاً، وآونَةً تُحَزُّ بِقُضُبِهِ[3] الغَلاَصِمَ[4]، وتَجْرِ بِكُتُبِهِ لِجَذِّ الأيْدِي والمَعَاصِمَ، وطَالَمَا فُتِحَتْ بِهِ المَعَاقِلُ[5] الأشِبَةُ[6]، وسَاقَتْ سَرْجُهَا السَّوَامُ[7] في رِيَاضِ النُّجُوْمِ المُعْشِبَةِ، ثُمَّ قُفِلَتِ المَمَالِكُ بِأقَالِيْدِهِ، وقُفِلَتْ المَسَالِكُ بِتَقَالِيْدِهِ، واصْطَفَتْهُ الرِّئَاسَةُ لِقُرْبِهَا، وأصْفَتْ لَهُ السِّيَاسَةُ مَوَارِدَ شُرْبِهَا، وكَتَبَ السِّرَّ أكْثَرَ عُمْرِهِ، وصُرِّفَ دِيْوَانُ الإنْشَاءِ مُدَّةً بِأمْرِهِ، وكَانَ بِدِمَشْقَ عَيْناً لأعْيَانِهَا، وزَيْناً وحِلْيَةً لِبَيَانِهَا، رَاقِياً للإيْوَانِ، ورَأساً للدِّيْوَانِ.

وكَانَ عَمِّي[8] ثُمَّ أبِي[9]، لا يَعْتَمِدُ كُلٌّ مِنْهُمَا إلاَّ على أمَانَتِهِ، ولا يُرَنِّحُ فِكْرُهُ إلاَّ بإيْضَاحِهِ وإبَانَتِهِ، وخَطُّهُ أبْهَجُ مِنَ الرَّوْضِ الأرِيْضِ، وأزْيَنُ مِنَ النَّقْشِ المُخْضَرِّ على مَعَاصِمِ الغَوَانِي البِيْضِ، ولَهُ مِنْ كَثْرَةِ الاطِّلاَعِ مَا حَقَّقَ لَهُ المَآرِبَ، وصَدَقَ أنَّهُ "الشَّمْسَ ضُوءهَا يَغْشَى المَشَارِقَ والمَغَارِبَ"[10]، ولم يَكُنْ أكْثَرَ مِنْهُ اتِّضَاعَاً في ارتِفَاعٍ، وتَنَازُلاً وهُو في اليَفَاعِ[11]، لا يَجِدُ في نَفْسِهِ حَرَجَاً لأحَدٍ[12]، ولا مَضَضاً مِمَّنْ أنْكَرَ حَقَّهُ وجَحَدَ، لا

---

(1) المقصود به العنبر الشّحري الّذي يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشّحر من أرض اليمن،...انظر: (نهاية الأرب: 16/12، وصبح الأعشى: 255/3و 15/5).

(2) السَّيب: العطاء، والعُرف، والنّافلة.، وفي حديث الاستسقاء: "واجعله سيباً نافعاً" أي عطاءً، ويجوز أن يريد مطراً سائباً جارياً. (لسان العرب: سيب).

(3) القُضب: جمع قضيب، والقضيب: السّيف اللّطيف الدّقيق. (لسان العرب: قضب).

(4) الغلاصم: جمع غلصمة، والغلصمة: رأس الحُلقوم بشواربه وحَرْقَدَته، وهو الموضع النّاتئ في الحلق. (لسان العرب: غلصم).

(5) المعاقل: الحصون، واحدها مَعْقِلٌ. (لسان العرب: عقل). (6) الأشبة: المرتفعة. (لسان العرب:شبب).

(7) السَّوام، والسَّائمة: الإبل الرّاعية. (لسان العرب: سوم).

(8) هو عبد الوهاب بن فضل الله العمري (623-717هـ): كاتب مترسّل، مصريّ، خدم الملك النّاصر والملك الأشرف، وسيف تنكز، ونقله الملك النّاصر إلى كتابة السّر في دمشق، فتوفي بها. (فوات الوفيات: 42/2، والدّرر الكامنة: 42/3، والنّجوم الزّاهرة: 240/9، والأعلام: 185/4).

(9) هو يحيى بن المجلي بن دعجان (645-738 هـ) القاضي الكبير الرّئيس محيي الدّين أبو المعالي القرشي العدويّ العُمريّ، كاتب السّرّ السّلطاني بالشّام أولاً، وبمصر أخيراً،... انظر: (البداية والنّهاية: 194/14؛ والدّرر الكامنة: 199/5، والنّجوم الزّاهرة: 316/9، وأعيان العصر: 571/5).

(10) من قول المتنبّي، الدّيوان: 130/1:

كالشّمس في كبد السّماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

(11) اليفاع: المشرف من الأرض والجبل. (لسان العرب: يفع).

(12) من الآية: 65 من سورة النّساء:﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِم حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾.

يَضُرُّهُ أيُّ مَكَان حَـلَّهُ، ولا يَضُرُّهُ لِبْسُ عَبَاءة أمْ حُـلَّةٍ، وكَانَ يَتَعَـرَّفُ إلى الله عَسَـاهُ ولَعَلَّهُ، ويَتَعَرَّضُ لِقَضَاءِ حَوَائِجَ النَّاسِ لله لا لِعِلَّةٍ، هَذَا بلاَ تَكَلُّفٍ يَشُقُّ عليـــهِ في عَرْضِـهِ مَطْلُوب، أو يَشُقُّ بِهِ لِغَرَضِهِ أرْدِيَةً أو جُيُوبَ، مع مُلازَمَتِهِ تِلاَوَةً يُؤْنِسُ بهَا جَانبَ الجَـامِعِ المَعْمُوْرِ، ومِرْآةٌ تُشْرِقُ بهَا وَجْه النَّهارِ، ويُعْمِرُ قَلْبَ الدَّيْجُوْر[1]، وعَمَلٍ زَاكٍ صَحِبَ بِـهِ الأحْيَاءَ وَجَاوَرَ سُكَّانَ القُبُوْرِ.

ومِنْ نَثْرِهِ قَوله: "طَالَمَا حَلَّ الرُّتَبَ العَالِيَةَ بجَلِيْلِ مِقْدَارِه، وحَلَّى المَنَاصِبَ العَالِيَةَ بحُلَـى أنْوَارِهِ، ومَا شَبَّ على مَعَاطِفَ مَنَاقِبِهِ ذَوَائِبَ فَخَارِه، وهَامَتِ الأفْكَارُ في أوْدِيَةِ مَحَـامِدِه، ومَا بَلَغَتْ وَصْفَ مَحَلِّهِ ومِقْدَارِهِ، وافْتَخَرَ قَلَمُ الفُتْيَا براحَتِهِ، فَتَبَاعَدَ السَّيْفُ عن قُرْبِهِ خَوْفَـاً مِنْ مَهَابَتِهِ، وسَدَّدَ إلى الحَقِّ سِهَامَ أحْكَامِهِ، فَأصَابَتِ الأغْرَاضَ، وعَالَجَ الأفْـــهَامَ بإفْـهَامِ كَلامِهِ، فَشَفَى صَحِيْحُهُ الأمْرَاضَ، وكَانَ فُلاَنٌ ثَمَرَةَ هَذِهِ الدَّوْحَةُ[2] النَّضِرَةُ، ونَشْرُ هَـــذِهِ الرَّوْضَةَ الخَضْرَة، فَرَسَمَ بالأمْرِ العَالِي أنْ يُفَوِّضَ إليهِ تَدْرِيْسَ المَدْرَسَةِ الأمِيْنِيَّةِ[3] بدِمَشْـقَ، فَلْيَكْتُبْ بهَا دُرُوسَ فَضْلِهِ الّتي لا تُدْرِسُ الأيَّامُ آثَارَهَا، وتَغْرُسُ في قُلُوْبِ طَلَبَتِـــهَا حُـبَّ فَوَائِدِهِ لِتَجْتَنِي سَاعَةَ غَرْسِهَا ثِمَارَهَا، لِتُصْبِحَ هَذِهِ المَدْرَسَةُ كَنِيْفَاً[4] مُلِئ عِلْمَاً، وقَلِيْبَاً حُشِي فَهْمَاً، وفَلَكَاً تَبَدَّى شَمْسَاً ويُخْفِي نَجْمَاً، وكِتَابَةً تُخْرِجُ مِنْ طَلَبَتِهَا في كُلِّ حِيْنٍ سَهْمَاً.

قُلْتُ: هَذَا مِنْ تَوْقِيْعٍ كَتَبَهُ في الأيَّامِ الكَامِلِيَّةِ حِيْنَ خَرَجَ سُنْقُرُ الأشْقَرُ[5] على المَلِـكِ المَنْصُوْرِ[6] لِقَاضِي القُضَاة شمس الدّين ابن خلّكان[6] وَقَدْ أُخِذَتِ الأمينيّة لَهُ مِنْ نَجْمِ الدّيْـنِ ابن سَنّي الدّولةِ[7].

---

(1) الدّيجور: الظُّلمة. (لسان العرب: دجر).

(2) في (ص): "الدّحوة".

(3) المدرسة الأمينيّة: بناها أمين كمشتكين المتوفى سنة (541ه)، وتقع قبلي الجامع الأمويّ،...انظر: (الأعلاق الخطيرة: 120، وتاريخ مدينة دمشق: 74/2، والدّارس في تاريخ المدارس: 132/1).

(4) الكنيف: التُّرس لستره، والكنيف: حظيرة من خشب أو شجر تُتّخذ للإبل لتقيها الرّيح والبرد. (لسان العرب: كنف).

(5) هو الملك الكامل شمس الدّين سنقر الصّالحيّ (-692هـ)، كان من أعيان البحريّة، حبسه الملك النّاصر بحلب، وقيل كان حبسه بجعبر، فلمّا استولى هولاكو على البلاد أخرجه وأنعم عليه وأخذه معه فبقي عند التّتار مكرّماً،... (الوافي: 490/15، والعبر: 338/3، وإعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك في دمشق: 34، والنّجوم الزّاهرة: 37/8).

(6) سبق التّعريف بهما.

(7) هو نجم الدّين أبو بكر محمّد ابن قاضي القضاة صدر الدّين أبي العبّاس أحمد ابن قاضي القضاة شمس الدّين أبي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن، الملقّب بسني الدّولة الشّافعي، ولد سنة (616 هـ)، ناب عن والده في القضاء بدمشق، ثمّ وليه عقب كسرة التتـار في عين جالوت، ثمّ أسكن مصر وصودر، ثمّ ولي دمشق عقب زوال دولة سنقر الأشقر. (القلائـد الجوهريّة: ق191/1، والدّارس: 142/1، والذّيل على الرّوضتين: 166).

عُدْنَا إلى ابن العَطَّارِ، ومِنْ إنْشَائِهِ رِسَالَتِهِ الّتِي سَمَّاهَا رَصْف[1] الفَرِيْدِ في وَصْفِ البَرِيْدِ[2]:
" أمَّا بَعْد حَمْدِ اللهِ البرِّ، المُسَيِّرِ في البَحْرِ والبَرِّ، والصَّلاَة على مَنْ عَلاَ[3] البُرَاقَ، واخترَقَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ[4]، وعلى آلِهِ وصَحِبِهِ الّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بالإيْمَان، وعلى التَّابعِيْنَ لَهُمْ بإحْسَان.

فإنَّهُ لَمَّا كَانَتِ النُّفُوسُ مُوْلَعَةً بحُبِّ العَاجلِ[5]، مُتَطَلِّعَةً إلى الاطِّلاَعِ على المُسْتَقْبَلِ مِنَ الأُمُوْرِ والآجلِ، لَمْ تَزَلْ أنْفُسُ الخُلَفَاءِ والمُلُوْكِ، وأنْفُسُ الأكَابرِ مِنَ الأُمَرَاءِ والعُظَمَاء بِهِ كَلِفَةً صَبَّةً، وإلى اسْتِعْلاَمِ أحْوَالِ مِمَالِكِهَا وعَسَاكِرِهَا ورَعَايَاهَا مُنْصَبَّةً، وعُلِمَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ خُلُقِ الأنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجْمَعِيْنَ، فَبُرُدُهُمْ في الآفَاقِ ضَارِبَةٌ، وطَلاَئِعُهُمْ تَارَةً بالمَشَارِقِ طَالِعَةً، وآونَةً في المَغَارِبِ غَارِبَةً، كَرَّةً في بِحَارِ السَّرَابِ تَعُوْمُ، وأُخْرَى بالآفَاقِ كَأنَّهَا نُجُوْم:

تَرُوْحُ فَتَغْدُو[6] في الصَّبَاحِ طَرِيْدَةً ... وتَغْدُو[6] فَتَبْدُو في الظَّلاَمِ خَيَالاَ[7]

تَسْتَطْلِعُ لَهُم خَبَراً وتَطْوِي، وتَنْشُرُ بِسَاطَ الأرْضِ وِرْداً وصَدْراً، وتُعَوِّضُ أسْمَاعَهُمْ بِمَا تَنْقُلُهُ إليهِم أثَراً عَمَّا فَاتَ أعْيُنَهُمْ مُشَاهَدَةً ونَظَراً:

فَلَهُم وإنْ غَدَتِ البِلاَدُ بَعِيْدَةً ... طَرْفٌ بأطْرَافِ البِلاَدِ مُوَكَّلُ[8]

مِنْ كُلِّ فَتَىً قَدْ هَجَرَ الكَرَى، وأشْبَهَ البَدْرَ فَلاَ يَمِلُّ مِنْ طُوْلِ السُّرَى:

وخَلَّفَ الرِّيْحَ حَسْرَى وهي جَاهِدَةٌ ... ومَرَّ يَخْتَطِفُ الأبْصَارَ والنَّظَرَا[9]

---

(1) في (ص): "وصف".

(2) سبق أن نشر سمير الدّروبي نصّ الرّسالة في مجلّة "المنارة" الصّادرة عن جامعة آل البيت، المجلّد الرّابع، ع3، محرّم 1420هـ/أيّار 1999م، ص 13-67(الملحق)، كما نشرت في دراسة خاصّة بعنوان: "رسالة رصف الفريد في وصف البريد" دراسة وتحقيق.

(3) في (ص): "على".

(4) من الآية: 15 من سورة نوح:﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، وفسّره الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: 516 بقوله: "بعضها فوق بعض".

(5) من قول جرير، الدّيوان: 737/2:

إنّي لآمل منك خيراً عاجلاً ... والنّفس مولعة بحبّ العاجل

وورد في (المستطرف: 46/1) في أمثال العرب: "النّفس مولعة بحبّ العاجل".

(6) في (ص): "فتغدوا".

(7) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها.

(8) البيت للبحتري، الدّيوان: 1756/3، ورواية صدر البيت: "وله، وإن غدت البلاد عريضة".

(9) البيت لأبي العتاهية، الدّيوان: 220، والبيت ثاني بيتين قالهما في وصف فرس الرّشيد المسمّى بالمُشمّر، وقبله:

جاء المشمّر والأفراس يقدمها ... هوناً على رِسْلِه منها وما انبهرا

قَدْ أعَدَّ للسَّفرِ في لَيْلِهِ ونَهارِهِ مِنَ الخَيْلِ كُلَّ أشْقر صَبَاحٍ، وأشْهَبَ مَسَاءٍ، وأصْفَرَ أصِيْـــلٍ، وأدْهَمَ لَيْلٍ:

وَألْجَمَ الصُّبْحَ بالثُّرَيَّا وَأسْرَجَ البَرْقَ بالهِلاَلِ[1]

وسَابَقَ الظِّلاَلَ، فَهْيَ تَزْوَرُّ عنهُ ذَاتَ اليَمِيْنِ وذَاتَ الشِّمَالِ[2]، فَلاَ تَزَالُ مِنْ وَرَائِهِ مَشْـــرِقَاً قَبْلَ الزَّوَالِ، ومَغْرِبَاً بَعْدَ الزَّوَالِ "مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ اللهِ يَذْرَعُهُ"[3]، مُتَوَقِّعٌ أنَّ كُلَّ بَلَدٍ يَقْطَعُهُ:

وَكَأنَّمَا اتَّخَذَ البُرُوْقَ أعِنَّةً وَكَأنَّمَا اتَّخذَ الرِّيَاحَ جَنَاحَا[4]

فَمِمَّا أنْبَأ الكِتَابُ العَزِيْزُ مِنْ تَطَلُّعِ المُرْسَلِيْنَ والأنْبِيَاءِ إلى سُرْعَةِ الاطِّلاَعِ مِنَ الأمُوْرِ والأنْبَـاءِ مَا وَرَدَ في قِصَّةِ سُلَيْمَانَ-عليه السَّلام-مِنْ طَلَبِهِ سُرْعَةَ إتْيَانِ عَرْشِ بلقيس، وَوُصُوْلِهِ قَبْـــلَ ارْتِدَادِ طَرْفِهِ إليهِ[5]، وقَدْ نُقِلَ عن نوح-عليه السَّلام- اسْتِبْطَاؤهُ الغُـــرَابَ وإرْدَافُــهُ لَــهُ بالحَمَامِ[6]. هَذَا، وقَدْ ضُرِبَ المَثَلُ بِبُكُوْرِ الغُرَابِ[7]، وخُرُوْجِهِ في الظَّلاَمِ.

---

(1) من قول أبي الصَّلت يصف فرساً أشهب، (نهاية الأرب: 62/10):

وأشهب كالشّهاب أضحى يجول في مُذْهَب الجلال
قال حسودي وقد رآه يُجنبُ خلفي إلى القتال
من ألجم الصّبح بالثّريّا وأسرج البرق بالهلال

(2) من الآية: 17 من سورة الكهف:﴿وتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِيْنِ وإذَا غَرَبَـــتْ تَقْرِضُـــهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

(3) عجز بيت لابن زريق البغداديّ، وصدره: "كأنّما هو في حلٍّ ومُرتحل"

انظر: (الغيث المسجم: 171/1، والكشكول: 119/1، وأنوار الرّبيع: 179/4).

(4) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها.

(5) يشير إلى الآيات القرآنيّة الكريمة: 38، 39، 40 من سورة النّمل:﴿قَالَ يَا أيُّهَا المَلأُ أيُّكُمْ يَأتِيْنِي بِعَرْشِهَا قَبْـــلَ أنْ يَـأتُوْنِي مُسْلِمِيْنَ. قَالَ عِفْرِيْتٌ مِنَ الجِنِّ أنَا آتِيْكَ بِهِ قَبْلَ أنْ تَقُوْمَ مِنْ مَقَامِكَ وَإنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أمِيْنٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أنَا آتِيْكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾، وقد نظم ابن الفارض ذلك بقوله، الدّيوان: 59:

وسارت ومتن الرّيح تحت بساطه سليمان بالجيشين فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطّرف أُحضر من سبأ له عرشُ بلقيس بغير مشقّة

(6) ذكر الجاحظ، (الحيوان: 321/2): "أنّ نوحاً-صلّى الله عليه وسلّم- حين بقي في اللّجّة أيّاماً بعث الغراب، فوقــع علـى جيفة ولم يرجع، ثمّ بعث الحمامة لتنظر هل ترى في الأرض موضعاً يكون للسّفينة مرفأ، واستجعلت على نوح الطّوق الّذي في عنقها، فرشاها بذلك-أيّ فجعل ذلك جعلاً لها- وفي جميع ذلك يقول أميّـــة بـــن أبي الصّلـــت، (ثمـــار القلـــوب: 464و465):

وأُرسلت الحمامة بعد سبعٍ تدلُّ على المهالك ولا تَهابُ

(7) ذكره الثّعالبيّ في: (التّمثيل والمحاضرة: 369، وفي ثمار القلوب: 462)، وقال: "بكور الغراب: المثل سائر بذلك معـــروف، قال بعض العلماء: تعلّموا من الغراب بكوره وحَذره وإخفاءه للسّفاد، وقيل لبُزر جُمهر: بِمَ أدركت ما أدركـــت؟ قـــال: ببكور الغراب،...قال الشّاعر:

لبسوا الدُّجى لبس الغراب لريشه وغدوا لحاجتهم بُكور غراب

ولولا اعْتِقَادُ موسى الكَلِيْمُ -عليه السَّلام- إِنَّهُ للبَـــارِي -جَـلَّ جَلاَلُـــهُ- أَرْضَـــى لَمَـــا قَالَ:﴿وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[1]، وفي سَيْرِهِ بأَهْلِهِ ومَسْرَاهُ﴿نَـــادَاهُ رَبُّـــهُ بِـــالوَادِي المُقَدَّسِ﴾[2]، إِنِّي أَنَا اللهُ[3].

ومَا انْعَقَدَ على رَهْنِ السِّبَاقِ الإجْمَاعُ[4]، إلاَّ لِمَا فيهِ مِنْ فَضِيْلَةِ الإسْرَاعِ، ولم يَكُـنْ الشَّيْطَانُ الرَّجِيْمُ بمَطْرُوْدٍ، لو جَرَى على سَجِيَّتِهِ في العَجَلَةِ، وبَادَرَ في السُّجُوْدِ[5] لا سِـيَّمَا وقَدْ "خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ"[6] ومَا يَعْلُو المُدْرِكُ المُسْرِعُ مِنْ أنْوَارِ الجَذَلِ، ومَـــا يَغْشَـــى المُبْطِي مِنْ فُتُوْرِ الخَجَلِ.

ومِنْ كَمَالِ فَضِيْلَتَيِّ الحَجِّ والعمْرَةِ مَا هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ مِنَ الرَّمَلِ[7]، وشَـتَّانَ مَا بَيْنَ المُبْطِيَةِ[8] والسَّرِيْعَةِ، ويَا بُعْد مَا بَيْنَ السَّاقَةِ[9] والطَّلِيْعَةِ:

وَرُبَّمَا فَاتَ قَوْمَاً جُلُّ أَمْرِهُمْ ... مِنَ التَّأَنِّي وكَانَ الحَزْمُ لو عَجِلُوا[10]

(1) من الآية: 84 من سورة طه.

(2) من الآية: 16 من سورة النّازعات.

(3) من الآيتين: 11و12 من سورة طه:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُوْدِيَ يَا مُوْسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوَى﴾.

(4) انعقد الإجماع على السّباق بنوعيه: الّذي بلا عوض، والّذي بعوض، وهو الّذي يسمّى رهان السّبّاق أو رهان الخيـــل. (المغـــني: 404/13-406).

(5) يشير إلى الآيات 11و12و13 من سورة الأعراف:﴿ولَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا للمَلاَئِكَةِ اسْـجدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إِبْلِيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِيْنَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْـــهَا فَمَا يَكُوْنُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَ﴾.

(6) من الآية: 37 من سورة الأنبياء:﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيْكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُوْنِ﴾، ورد في (مسالك الأبصـــار: 247/6) قول لعبد العزيز بن سرايا الحليّ، جاء فيه:

أيقنت أن لست إنساناً لبطئك ذا ... لقوله خُلق الإنسان من عَجَل

وأورد الصّفدي: 171/2 بيتاً لشرف الدّين شيخ الشّيوخ بحماة، جاء فيه:

عاتبتُ إنسان عيني في تسرّعه ... فقال لي: خُلق الإنسان من عجل

انظر: (خزانة الحموي: 458/2، ومعاهد التّنصيص: 142/4، والكشكول: 366)، وقول أبي تمام، الدّيوان:232/2:

وبيّن الله هذا من بريّتهِ ... في قوله: "خُلق الإنسان من عجل"

(7) الرّمل: الهرولة، ورَمَلَ في الطّواف: هرول. انظر: (المغرب في ترتيب المعرب: 348/1، و(لسان العرب: رمل).

(8) في (ص): "المبطئة".

(9) السّاقة: جمع سائق وهم الّذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه؛ ومنه ساقة الحجّ. (لسان العرب: سوق).

(10) البيت للقطامي، لم أقف عليه في الدّيوان الموجود بين أيدينا، وإنّما وقفت عليه في: (لباب الآداب: 162، بلفظ: "وربّما فـــات بعض القوم أمرهم" وورد بلا عزو في: تحرير التّحبير: 319، وأنوار الرّبيع: 351/3، والتّحفة البهيّة: 98، وشرح مقامات السّـيوطي: 253/1، وغرر الخصائص الواضحة: 349).

وكَثِيْراً مَا قِيْلَ فِي القَوْمِ:وعَدَاكَ ذَمٌّ وتَخطَّاكَ لَوْمٌ[1]، وتَحَـرَّكْ تَعِـشْ، وسِـرْ فِي البِـلاَدِ تَنْتَعِشْ[2]، وقَالَ اللهُ-سبحانه[3] وتعالى- لِخَلْقِهِ:﴿فَامْشُوْا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوْا مِنْ رِزْقِـهِ﴾[4]، هَذَا، وأشْرَفُ الدَّرَارِي الكَوَاكِبُ السَّوَارِي[5]، ومَا الجَوَارِي[6] فِي البَحْرِ كَالسَّوَارِي، وَهَـلْ أجِنَ[7] إلاَّ المَاءُ الوَاقِفُ[8]؟! وَهَلْ طَابَ إلاَّ المَاءُ الجَارِي[9]؟!:

وإنَّ لُزُوْمَ عَقْرِ البَيْتِ مَوْتٌ وإنَّ السَّيْرَ فِي الأرْضِ النّشُوْرُ[10]

والقُعُوْدُ مع العِيَالِ قَبِيْحٌ[11]، ومِنْ يُمْنِ النَّجَاحِ سُرْعَةُ التَّسْرِيْحِ:

---

(1) لم أقف على العبارة في كتب الأمثال الّتي رجعت إليها، وقد أشار محقق رسالة رصف الفريد في وصف البريد: 53، بقوله: "يبدو أنّها من العبارات السّائرة على ألسنة العامّة في عصر الشّيبانيّ والّتي ما زال قريب منها جارياً على الألسنة، من مثل قولهم: "عدّاك العيب".

(2) لعلّ الشّيبانيّ متأثر ببيت البستي، الدّيوان: 263:

أنت عش سالماً فإنّـ ك إن عشت أنتعش!

(3) سقطت من (ص).

(4) من الآية: 15 من سورة الملك.

(5) في (ص): "الذراري"، والكوكب الدّرّيّ: الثّاقب المضيء، ودرّيّ نسبة إلى الدّرّ في صفائه وحسنه وبياضه، والكوكب الدّرّيّ: أي الشّديد الإنارة. وقال الفراء: الكوكب الدُّرّيّ عند العرب هو العظيم المقدار، وقيل: هو أحد الكواكب الخمسة السّيارة. (لسان العرب: درر)، وفي: سرور النّفس: 144: ذكر التّيفاشي الكواكب الخمسة السّيّارة: الخمسة المتحيرة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزّهرة، وعطارد،...وهذه الخمسة لها سير ورجوع واستقامة، ولذلك سمّيت المتحيّرة مع النّيرين الشّمس والقمر، ويسمّون ما عدا هذه الدّراري السّبعة بالكواكب الثّابتة"، والسّواري: من السُّرى وهو سير اللّيل عامّته، وقيل: السُّرى سير اللّيل كلّه. انظر: ((لسان العرب: سرا)، وصبح الأعشى: 2/165-168).

(6) الجواري: جمع جارية، وهي السّفينة تجري في البحر، قال تعالى: ﴿ومن آياته الجوارِ في البحر كالأعلام﴾، انظر: (مفردات ألفاظ القرآن: 194).

(7) الآجن: الماء المتغيّر الطّعم واللّون. (لسان العرب: أجن).

(8) المعنى مستفاد من قول كثرة بنت أمّ سلمة، وقد أورده ابن أيدمر، الدّر الفريد: 2/235:

ألم ترَ أنّ الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا

ويقرب منه بيت ابن الرّومي الّذي أورده ابن أيدمر، الدّر الفريد: 2/235:

ألم تر أنّ الماء يخبث طعمه إذا جمّ آتيه وسُدّ طريقه

انظر: (ديوان ابن الرّومي: 4/1648، والمختار من شعر ابن دانيال: 152).

(9) ورد في: (محاضرات الأدباء: 4/611): قول لبشر بن الحارث: "سيحوا فإنّ الماء إذا ساح طاب، وإذا وقف تغيّر"، والمعنى قريب من قول ابن قلاقس، الدّيوان: 441:

والماء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استقرّا

(10) البيت ليزيد بن المهلّب، انظر: (محاضرات الأدباء: 4/612، بلفظ: "قعر" بدل: "عقر").

(11) من قول النّمر بن تولب العُكلي:

خاطر بنفسك كي تنال رغيبةً إنّ القعود مع العيال قبيح

إنّ المخاطر مالكٌ أو هالكٌ والجدُّ يُجدي مرّةً فيريحُ

والمَهْدُ أسْكَنُ للصَّبـــــي بحَيْثُ جَاءَ بِهِ ومَرّا[1]

وبفَضِيْلَةِ[2] السَّيْرِ في البِلاَدِ والانْتِقَالِ بَلَغَ البَدْرُ دَرَجَةَ الكَمَالِ، وأمِنَتِ الشَّمْسُ[3] المُنيْرَةُ مِنَ المَلاَلِ[4]:

والصَّقْرُ لَيْسَ بِصَائِدٍ في وَكْنِهِ[5] والسَّيْفُ لَيْسَ بِضَارِبٍ في جَفْنِهِ[6]

ولولا ضَرَبُ أُخْوَةِ يُوْسُفَ في الأرْضِ لَمَا نَجَا أبُوْهُم مِنْ حُزْنِهِ[7]، وقَدْ جَعَلَ اللهُ رِحْلَتَيِ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ للإيْلاَفِ[8]، ورُكْنَيِّ الحَجِّ والعُمْرَةِ للسَّعْيِ والطَّوَافِ[9]، وفي اسْتِخْلاَفِ[10] مَنْ لا يَسْتَطِيْعُ التَّحَيّزَ للضَّرُوْرَةِ خِلاَف:

والمَرْءُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعاً إقَامَتُهُ غَيْمٌ حَمَى الشَّمْسَ لَمْ يُمْطِرْ ولَمْ يَسرِ[11]

- انظر: (شعر النّمر بن تولب: 49، ولباب الآداب: 133، وغرر الخصائص الواضحة: 317، بلفظ: "كي تصيب" بــــدل: "كــي تنال"، و "الجلوس" بدل: "القعود"، وفي بهجة المجالس: 202/1، بلفظ: "كي تصيب" بدل: "كي تنال" و "إنّ الجلوس مع النّساء" بدل" إنّ الجلوس مع العيال"، وفي الصّناعتين: 177، بلفظ: "كي تصيب" بدل: "كي تنال" و "إنّ الجلوس" بدل "إنّ القعود"؛ وورد البيــت الأوّل في : الوساطة: 202، والمستطرف: 49/2، بلفظ: "غنيمة" بدل: "رغيبة").

(1) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها، وإنّما وجدت قريباً من معناه ما أورده العماد في الخريدة(قسم الشّام: 7/1):

لعلّ هدوءاً في التّقلقل كامنٌ لأجل سكون الطّفل حُرك مهده
سكونٌ بهزّ اليعملات اكتسبته كما سكّن الأطفال هزّ مهودها

(2) في (ص): "وتفضيله".

(3) من قول أبي تمام، الدّيوان: 431/1:

فإنّي رأيت الشّمس زيدت محبّةً إلى النّاس إذ ليست عليهم بسرمد

أو بيت أورده البيهقي، المحاسن والمساوئ: 306:

ولو أنّ هذي الشّمس دام طلوعها أو البدر لم يحبب ولا حُبّت الشّمس

(4) الملال: هو أن تملّ شيئاً وتعرض عنه. (لسان العرب: ملل).

(5) عجز بيت لأبي فراس الحمدانيّ، الدّيوان: 73، وروايته:

والمرء ليس ببالغ في أرضه كالصّقر ليس بصائد في وكره

والوكن: مأوى الطّائر في غير عشّ. (لسان العرب: وكن).

(6) جفن السّيف: غمده. (لسان العرب: جفن).

(7) انظر قصّة سيّدنا يوسف، سورة يوسف، وقصص الأنبياء: 306/1-360.

(8) في (ص): "رحلة"، والإيلاف: كتاب أمان يؤمّن قريشاً بغير حلف، وهاشم بن عبد مناف هو أوّل من أخذ لقريش الإيلاف مــن قيصر وملوك اليمن والقبائل العربيّة مؤمّناً بذلك حركة قوافلهم التّجاريّة. انظر: (الأوائل: 21، وإيلاف قريش: 19-32).

(9) فيما يتعلّق بالسّعي وأنّه ركن عند الشّافعيّة، انظر: (المجموع: 63/8) وفيما يتعلّق بحكم الطّواف وأنّه ركن بالإجمـــاع، انظــر: (المجموع: 220/8).

(10) في (ص): "استحلاف".

(11) في (ص): "ما لم يفد نفعاً... لم تمطر...". والبيت للمعرّي، شروح سقط الزّند: 164/1، وقد شرحه التّبريزيّ بقوله: " إنّ المرء إذا كان مقيماً في موضع، وإقامته فيه لا تفيد نفعاً فهي ضارّة، كالغيم يمنع الشّمس أن تضيء ولا مطر فيه".

وسِعَةُ الخَطْوَةِ دَلِيْلُ الإقْبَالِ، وسَبِيْلٌ إلى بُلُوْغِ الآمَالِ، ولا رَيْبَ "أنّ العِزَّ في النُّقَلِ"[1]، "وفي بلادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ"[2]:

لو كَانَ في شَرَفِ المَأوَى بُلُوْغُ مُنَىً   لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمَاً دارَةَ الحَمَلِ[3]

والحَرَكَةُ وَلُوْدٌ، والسُّكُوْنُ عاقِرٌ، وقَدْ وَرَدَ أنّ اللهَ رَحِيْمٌ بالمُسَافِرِ[4]، وإنَّهُ للخِضْرِ -عليه السَّلام- خَلِيْفَةٌ[5]، ونَاهِيْكَ شَرَفَاً بهَذِهِ الرُّتْبَةِ المُنِيْفَةِ، ولا إنَافَةَ على رُتْبَةِ الخِلافَةِ، و"السَّيْفُ إنْ قَرَّ في الغِمْدِ صَدَى"[6]، واللَّيْثُ لولا الوثُوْب رَدِي:

ولو يَسْتَوِي بالقِيَامِ القُعُوْدُ   لَمَا ذَكَرَ اللهُ فَضْلَ الجِهَادِ[7]

ولَوْلاَ انْتِقَالُ الدُّررِ عن البُحُوْرِ لَمَا عُوضَتْ مِنْ الحُوْرِ بالنُّحُوْرِ[8]، وكَثِيْرَاً مَا وَرَدَ في الكِتَابِ العَزِيْزِ النَّهْيُ عن التَّبَاطِي والحَثُّ على الإسْرَاعِ[9]:

---

(1) من قول الطّغرائي، الدّيوان: 306:

إنّ العُلى حدّثتني وهي صادقة   في ما تُحدّثُ أنّ العزّ في النّقل

(2) عجز بيت المتنبّي، الدّيوان: 212/3، وصدر البيت:

" في سعة الخالقين مضطرب".

(3) البيت للطّغرائي، الدّيوان: 306، وفي الدّيوان: "لو أنّ"، في الأصل: "المثوى"، وقد أثبتنا ما ورد في الدّيوان و(ص)، ورسالة رصف الفريد، وهو تحريف، ورسمت في (ص): "مناً" بدل: "منى"، وفي المخلاة: 521: "لو أنّ في شرف المأوى".

(4) ورد في كشف الخفاء: 158/2: "لو يعلم النّاس ما للمسافر لأصبحوا وهم على ظهر سفر، إنّ الله بالمسافر لرحيم"، انظر حول قوله: "الحركة ولود..." ،(المستطرف: 49/2، والمحاسن والمساوئ: 285).

(5) انظر بخصوص الخضر: قصص الأنبياء: 140/2-235، وورد في: التّمثيل والمحاضرة: 21: "يقال: فلان خليفة الخضر إذا كان يديم السّفر ويكثر المسير"، وممّا نظم في ذلك قول أبي تمام في نفسه، الدّيوان: 25/3:

خليفة الخضر من يأوي إلى وطنٍ   في بلدة فظهورُ العيس أوطاني

وفي: فصل المقال: 143: "من يربع" بدل: "من يأوي".

(6) ورد القول في: مجمع البلاغة: 636/2، وفيه: "صدّا"، كما ورد في: محاضرات الأدباء: 612/4، وفيه: "السّيف إن قرّ في الغمود صدا".

(7) ورد البيت في: بهجة المجالس: 336/1، بلفظ: "بالنّهوض" بدل: "بالقيام"، والبيت من جملة أبيات قال ابن عبد البرّ عند إيرادها: "قال بعض المتأخرين من المغاربة، وتنسب إلى المتنبّي، ولا تصحّ له".

(8) من بيت أنشده الفنجديهي كما يقول الشّريشي، شرح مقامات الحريري: 4/4، وروايته:

لولا التّغرب ما ارتقى   درُّ البحور إلى النّحور

وورد في الغيث المسجم: 87/2، بلفظ: "لولا التّنقل ما ارتقى..." ، وفي نصرة الثّائر: 114، والكشكول: 412: "لولا التّغرب..."، ولعلّ الكلام محلول من بيت ابن قلاقس، الدّيوان: 441:

وبنقله الدُّرر النّفيـ   سة بُدّلت بالبحر نحراً

(9) من ذلك قوله تعالى في الآية: 133 من سورة آل عمران:﴿وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم...﴾، انظر: الآية: 61 من سورة المؤمنون، والآية: 21 من سورة الحديد، والآية: 10و11 من سورة الواقعة.

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الإِيَابِ إلاَّ لِمَوْقُوْفٍ على تَرَحِ الوَدَاعِ[1]
إنَّ فيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ وانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُوْمٍ[2]

وهَذَا، وكَمْ بَيْنَ رُتْبَةِ الاتِّبَاعِ[3]، ورُتْبَةِ الاخْتِرَاعِ[4] والابْتِدَاعِ[5]، وبَيْنَ خُمُوْدِ الرَّوِيَّةِ[6]، وتَوَقُّدِ الابْتِدَاءِ، وكَلاَلَةِ الرُّقَادِ، وحِدَّةِ الانْتِبَاهِ، وشَتَّانَ مَا بَيْنَ عَقْلَةِ[7] المَشِيْبِ، ونَشْطَةِ الشَّبَابِ، وحَسْبُكَ بأَنَّكَ﴿تَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[8].

وقَدْ عُلِمَتْ فَائِدَةُ الإِسْرَاعِ بِمَنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ، ومَنْ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ﴾[9]، وبِحَرَكَةِ النَّبْضِ يُسْتَدَلُّ على حَالِ القَلْبِ، ولولا إدَامَةُ التَّرْوِيْحِ عليهِ لَغُمَّ مِنَ الكَرْبِ[10]، ولا يُقَاسُ مَوْقِفُ المَأمُوْمِ بِمَقَامِ الإمَامِ[11]، وإذا كَانَتِ الشَّجَاعَةُ في الإقْدَامِ، كَذَلِكَ

---

(1) البيت لأبي تمام، الدّيوان: 21/2، بلفظ: "الأوبات" بدل: "الإياب"، ولعلّه أخذ المعنى من قول أورده الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء: 614/4 ونصّه: "لولا فرحة الأوبة لعذّبت بالسّفر".

(2) ورد البيت بلا عزو في: بهجة المجالس: 249/1، ونسب في معجم الأدباء: 389/3: للباجي، ونسب في نهاية الأرب: 243/2: لأبي حفص الشّطرنجي، وقبله:

من يكن يكره الفراق، فإنّي أشتهيه لموضع التّسليم!

(3) قال ابن منظور، (لسان العرب: تبع): "تبع الشّيء تبعاً وتباعاً في الأفعال، وتبعت الشّيء تبوعاً: سرت في إثره، واتّبعه وأتبعه وتتبّعه: قفاه وتطلّبه متّبعاً له". والاتباع من مصطلحات البلاغيين، وهو عندهم كما عرّفه ابن أبي الإصبع، تحرير التّحبير: 475، وقد سمّاه حسن الاتباع: "هو أن يأتي المتكلّم إلى معنى اخترعه غيره فيُحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقّه بوجه من وجوه الزّيادات الّتي وجب للمتأخّر استحقاق معنى المتقدّم إمّا باختصار لفظه أو قصر وزنه،...انظر: (معجم النّقد العربي القديم: 84/1).

(4) الاختراع: يقال: اخترع الشّيء: ارتجله، وقيل: اخترعه: اشتقّه، ويقال: أنشأه وابتدعه. (لسان العرب: خرع)، والمخترع من الشّعر ما لم يُسبق إليه صاحبه، ولا عمل أحد من الشّعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه". (العمدة: 448/1).

(5) الابتداع: بدع الشّيء يبدعه بدعاً وابتدعه، أنشأه وبدأه. (لسان العرب: بدع). والابتداع عند ابن الأثير، جوهر الكنز: 159: "أن يبتدع الشّاعر معنى لم يسبق إليه ولم يُتبع فيه".

(6) الرّويّة: الرّويّة في الأمر: أن تنظر ولا تعجل، والرّويّة: التّفكر في الأمر. (لسان العرب: روى).

(7) عقلة: يقال: عقل الدّواء بطنه يعقله ويعقّله عَقلاً: أمسكه، ومرض فلان فاعتُقل لسانه إذا لم يقدر على الكلام. (لسان العرب: عقل).

(8) من الآية: 88 من سورة النّمل.

(9) من الآية: 40 من سورة النّمل.

(10) من قول الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-: "روّحوا القلوب ساعة فساعة". (النّوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة: 156، وفي كشف الخفاء: 435/1: "روّحوا القلوب ساعة ساعة".

(11) أورد مسلم في صحيحه: 464/1-466 عدّة أحاديث تتعلّق بالإمامة تحت باب: "من أحقّ بالإمامة؟"، ومنها قوله-صلّى الله عليه وسلّم-: "يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسّنّة، فإن كانوا في السّنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلماً،..." لعلّ الشّيباني يستشفّ قوله من هذا الحديث أو غيره من الأحاديث المتعلّقة بالإمامة. انظر: رصف الفريد في وصف البريد: 59).

السَّلَامَةُ في الانْهِزَامِ[1].

وقَدْ جَعَل اللهُ -سُبحانه وتَعَالى- الأفْلَاكَ[2] دَائِمَـــةَ الحَرَكَــات، وأرْسَــلَ الرِّيَــاحَ مُنْشرَاتٍ[3]، وللسَّحَابِ مُسَيِّرَاتٍ، وبأرْزَاقِ العِبَادِ جَارِيَاتٍ، وأقْسَمَ -ســبحانه وتَعَــالى- بالعَادِيَات[4] وبالمُرْسَلَات[5].

وللإسْرَاعِ سَخَّرَ لِمُحِبِّ الخَيْرِ[6] -عليه السَّلَام- الرِّيْحَ والطَّيْرَ هَذه غُدُوّهَــا شَــهْرٌ وَرَاوَحُهَا شَهْرٌ[7]، وهَذِهِ تَسْتَطْلِعُ لَهُ أنْبَاءَ المُلُوْكِ فَتَسْتَنْزِلُهم على حُكْـمِ الـذُّلِّ والقَــهْرِ، ولِذَلِكَ[8] دَرَّجَتِ المُلُوْكُ الحَمَامَ، ورتَّبَتِ البَرِيْدَ[9]، فَبَلَغَتْ بهمَا في الوَقْتِ القَرِيْبِ مَا تُرِيْـد مِنْ غَايَةِ المَرَامِ البَعِيْدِ، وقَرَّبَتْ لَهُم مُسْتَبْعَدَاتِ المَطَالِبِ، وأطْلَعَتْهُم بِسُرْعَةِ الإعْـلَامِ على

---

(1) لعلّ الشّيباني تأثّر بقول الحصين بن الحُمام المرّي:

تأخّرت استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدّما

انظر: (الدّر الفريد: 100/3، أو قول القائل: "الفرار في وقته ظفر"، التّمثيل والمحاضرة: 153).

(2) الأفلاك: جمع فلك وهو مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفُلك، قال تعالى:﴿وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ﴾، انظر: (مفـردات ألفاظ القرآن: 645).

(3) منشرات: من النّشر، ونشر الثّوب والصّحيفة والسّحاب والنّعمة والحديث: بسطها، قال تعالى:﴿والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، الملائكة الّتي تنشر الرّياح أو الرّياح الّتي تنشر السّحاب. (مفردات ألفاظ القرآن: 805).

(4) من قوله تعالى: ﴿والعاديات ضبحا﴾[سورة العاديات: الآية الأولى]، والعاديات: الخيل. انظر: (معاني القرآن: 284/3).

(5) من قوله تعالى:﴿والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾[سورة المرسلات: الآية الأولى]، والمرسلات: يقال: هي الملائكة. انظر: (معـــاني القـــرآن: 221/3).

(6) محبّ الخير: هو سيّدنا سليمان بن داود، وفي التّنزيل: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أوَّابٌ. إِذْ عُـــرِضَ عَلَيْــهِ بِالعَشِــيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ﴾. الآيات: 30-32 من سورة ص، وفسّــر الفرّاء، معاني القرآن: 405/2: "إنّي أحببت حُبّ الخير" بقوله: "آثرت حُبّ الخيل والخير في كلام العرب: الخيل".

(7) من الآية: 12 من سورة سبأ:﴿ولسليمان الرّيح غُدُوّها شهر ورواحها شهر﴾، انظر قصّة سيّدنا سليمان في: (قصص الأنبيـــاء: 303/2). وفي بطائق الحمام يقول أبو محمّد أحمد بن علوي بن أبي عقبال القيرواني:

خُضر تفوتُ الرّيح في طيرانها يا بُعْدَ بين غُدوّها ورواحها

تأتي بأخبار الغُدوّ عشيّة لمسير شهرٍ تحت ريش جناحها

وكأنّما الرّوح الأمين بوحيه نفث الهداية منه في أرواحها

وقال غيره:

يا حبّذا الطّائر الميمون يطرُقنا في الأمر بالطّائر الميمون تنبيها

فاقت على الهدهد المذكور إذ حملت كتب الملوك وصانتها أعاليها

انظر: (حسن المحاضرة: 314، و341).

(8) في (ص): "وكذلك".

(9) اهتمّ الخلفاء والسّلاطين بالبريد، انظر: (رسائل الجاحظ: 266/2، 269، والمسالك والممالك: 131، وتاريخ الطّــبري: 67/8، وتاريخ الخلفاء: 437، وسياست نامه أو سير الملوك: 100-107، والدّواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب: 39-42و72-73، وصبح الأعشى: 413/14 وما بعدها).

نِهَايَاتِ العَوَاقِبِ[1]، فَبَلَغَتْ هَذِهِ بِسُرْعَةِ إِيْصَالِ البَطَائِقِ[2]، مَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِـــنَ البَشَـــرِ بِطَائِقِ، وارْتَفَعَتْ مُحَلِّقَةً في الهَوَاءِ، وحَلَّقَتْ "مُسَخَّرَةً في جَوِّ السَّمَاءِ"[3]، ومَـــا خَفَقَـــتْ بِأَجْنِحَتِهَا إلاَّ وَقَدْ وَافَتْ بِالبُشْرَى مُخَلَّقَةً[4]، ومَا خَفَقَتْ ومَا خَضَّبَتْ كَفَّهَا وتَطَوَّقَتْ[5] إلاَّ لِلسُّرُورِ وصَفَّقَتْ، ومَا حَفِظَتِ العُهُوْدَ مِنَ الأَسْرَارِ، ومَا رَدَّهَا الحَنِيْنُ إلى الأَوْكَارِ، ومَـــا قَطَعَتْ مَسَافَةَ أَيَّامٍ في سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ ومَا...ومَا...ومَا...ولا عَرَّجَتْ طَائِرَةً نَحْوَ السَّـــمَاءِ إلاَّ ذَكَرَتْ عُهُوْداً بِالحِمَى[6].

إلاَّ أنَّ بَطَائِقَهَا رُبَّمَا نُقِلَتْ[7] مِنْ جَنَاحٍ إلى جَنَاحٍ، وحَصَلَ بِنَقْلِهَا أَعْظَمُ خَطَرٍ وأَوْفَـــرُ جُنَاحٍ، وكُشِفَ خِدْرُهَا، وأُذِيْعَ سِرُّهَا، فَغَدَتْ مُذَاعَةَ السَّرَائِرِ، وكَانَتْ مَحْجُوْبَةً عن مُقْلَـــةِ كُلِّ نَاظِرٍ.

---

(1) لعلّ المعنى مأخوذ من قول التّهامي، الدّيوان: 87:

يُريك في بدآت الرّأي أحسن ما ... تأتي به بعد أحوال عواقبه

(2) البطائق: هي المكاتبات الّتي يحملها الحمام الرّسائلي، وعادة ما تكون مصنوعة من صنف رقيق من الورق الشّـــامي، وهـــو المعروف بورق الطّير. (صبح الأعشى: 183/6و184، و124/14) وفي: كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربـــة: 24: "معناهـــا اللّوح والورقة والرّسالة ومنها حمام البطاقة لأنّها كانت تُعلّق برجله فيحملها من مكان إلى آخر".

(3) من الآية: 79 من سورة النّحل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ﴾.

(4) مخلّقة: من الخلوق والخلاق وهو ضرب من الطّيب، وقيل: الزّعفران. (لسان العرب: خلق)، وقد وصف القاضي الفـــاضل تخليقها بقوله:

وقد ألف التّخليق ريش جناحها ... فجاءت إلينا في رداء العرائس

انظر: (مطالع البدور: 263/2).

(5) من قول: فتح الدّين بن عبد الظّاهر:

نَسَبَ النّاسُ للحمامة حُزناً ... وأراها في الحزن ليست هنـــالك!

خضّبت كفّها وطوّقت الجيـــ ... ـــدَ وغنّت، وما الحزين كذلك!

انظر: (نهاية الأرب: 265/2، وفي مطالع البدور: 71/1 نُسب البيتان لمحيي الدّين بن عبد الظّاهر).

وفي ذلك أيضاً يقول عبد الله بن سنان الخفاجي:

ولو صدقت فيما تقول من الأسى ... لما لبست طوقاً ولا خضّبت كفّا

انظر: (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك: 214و215) وانظر عن تطوّق الحمائم وخضابها: (ثمار القلوب: 465-466).

(6) من عينيّة ابن سينا المشهورة الّتي أوردها الصّفدي، الوافي بالوفيات: 408/2:

تبكي وقد نسيت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمي ولمّا تُقلع

(7) وصف المقريزي، الخطط: 211/2 نقل بطائق الحمام بقوله: "وكانت مراكز الحمام: كلّ مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد، فلا يتعدّى الحمام ذلك المركز، وينقل عند نزوله المركز ما على جناحه إلى طائر آخر حتّى يسقط بقلعـــة الجبـــل، فيحضره البرّاج ويقرأ كاتب السرّ البطاقة. انظر: (صبح الأعشى: 153/1و154).

وذَاكَ[1] حَافِظٌ[2] لِمَا استُوْدِعَ -مِنَ الأَمَانَةِ- المَوَدَّات، أمِينٌ على مَا حُمِّلَ مِنَ النَّفَقَات والمُشَافَهَاتِ إلى الأجَانبِ وأهْلِ المَوَدَّاتِ، حَرِيْصٌ على إيْصَالِ كُتُبِهَا، صَائِنٌ لَهَا في جُرُبِهَا[3] صِيَانَةَ الصَّوَارِمِ في قُرُبِهَا[4]، والعيُوْنِ بِهَدَبِهَا، يُوصِلُهَا بِطَيِّهَا مَخْتُوْمَةً بِخَاتَمِ رَبِّهَا[5]، فهو السَّهْمُ الخَارِجُ عن كَبِدِ القَوْسِ[6]، لا يَزِيْغُ عن الغَرَضِ.

وتِلْكَ رُبَّمَا جَرَحَهَا الجَوَارِحُ، وعَرَضَ لَهَا بالبَنَادقِ[7] مَنِ اعْتَرَضَ، وصَدَّهَا عن بُلُوْغِ المَرَامِ غُمُوْمُ الغَمَامِ، وعُمُوْمُ الظَّلَامِ، وقَطَعَ طَرِيْقَهَا، وحَتَّمَ تَعْوِيْقَهَا، وقَضَى وحُكِمَ عليهَا بالتَّأخِيْرِ؛ لأنَّهَا[8] فيهِمَا لا تَطِيْرُ[9].

وذَاكَ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ والصَّحْوِ والغَيْمِ يَسْرِي ويَسِيْرُ، ولِذَلِكَ لا تُسَرَّحُ الحَمَامُ في المَهَامِ إلاَّ ويُرْسَلُ تَحْتَهَا البَرِيْدُ[10] مُؤَرَّخٌ بتَارِيْخِهَا، فهو لَهَا وعَلَيْهَا﴿سَائِقٌ وشَهِيْدٌ﴾[11].

وهي وإنْ شَهِدَ لَهَا المُتَرَنِّمُ المُتَنَدِّمُ[12] بِالفَضْلِ والتَّقَدُّمِ، والفَضْلُ للمُتَقَدِّمِ[13]، فَرُبَّمَا

---

(1) في (ص): "وذلك".

(2) المقصود بالحافظ هنا البريدي الّذي يحمل البريد.

(3) جُرُب: جمع جراب، وهو وعاء من إهاب الشّاء لا يُوعى فيه إلاّ يابس. (لسان العرب: جرب)، ولعلّ الجُرُب هنا أوعية حمل البريد آنذاك.

(4) القُرُب: جمع قراب، وهو غمد السّيف والسّكين. (لسان العرب: قرب).

(5) الخاتم: وهو ما يجعل في الإصبع من الحليّ، وهو مأخوذ من الختم، وهو الطّبع، وسمّي بذلك لأنّه يختم بنقشه على الكتب الصّادرة عن الملوك. (صبح الأعشى: 139/2).

(6) في (ص): "كبلس"، وهو تحريف، انظر حول كبد القوس: (مسند أحمد بن حنبل: 176/1، 17/6).

(7) سبق الإشارة إليه.

(8) سقطت من (ص).

(9) ورد في: (صبح الأعشى: 154/1) إشارات إلى المخاطر الّتي يمكن أن تعترض طريق الحمام عند تسريحه حاملاً للرّسائل منها: "جرت العادة أن تكتب بطاقتان وتورّخان بساعة كتابتهما من النّهار، ويعلّق كلّ منهما في جناح طائر من الحمام الرّسائلي ويُرسلان، ولا يكتفي بواحدٍ لاحتمال أن يعرض له عارض يمنعه من الوصول إلى مقصده"، وذكر العبّاسي، آثار الأول: 184: أنّ بعضاً من العوارض الّتي تعترض الحمام أثناء حمله للبطائق: "لولا ما يخاف من العوارض عليها من سقوط البطاقة أو بللها، أو اقتناص الطّائر أو الكاسر من الجارح له،...".

(10) أورد القلقشندي، صبح الأعشى: 254/7 في نُسَخ البطائق: "الله الهادي. سُرّح الطّائر الميمون ورفيقه هداهما الله في السّاعة الفلانيّة، من اليوم الفلاني، من الشّهر الفلاني من سنة كذا وكذا إلى المجلس الكريم أو السّامي، الأمير فلان والي فلانة، أو نحو ذلك، يُعْلِمه أنّ الأمر كذا وكذا. ومرسومنا له أن يتقدّم بكذا وكذا. فليعلم ذلك ويعتمده، والله الموفّق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى، حسبنا الله ونعم الوكيل".

(11) من الآية: 21 من سورة ق:﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

(12) في الأصل: "المنتدم".

(13) حل لبيت نُصيب، شعر نصيب: 130، وروايته:

ولَكِنْ بكت قبلي فهيّج لي البُكا بُكاها فقلت: الفضل للمتندّم

ويروى: "الفضل للمتقدّم"، انظر: (الحيوان: 206/3، ونسب البيت في الحماسة البصريّة: 142/2، وشرح ديوان الحماسة =

تَقدَّمَهَا البَرِيْدُ وسَبَقَ، وكَثِيْراً مَا تَوَافَيَا "فَكَأَنَّمَا كَانَا على مِيْعَادٍ"[1]، فَجَاءَا مَعَاً في طَلَقٍ[2] كَفَرَسَي رِهَانٍ[3]، وشَرِيْكَي عِنَانٍ، وافْتَنَّ فيهِ النَّاظِرُوْنَ وهو يَحْضِرُ، فَأَصْبَحَ يُومئ إليهِ بِهَا "وَعَيْنٌ تَنْظُرُ"[4].

هَذَا، وكَمْ شَابَتْ لِقَعْقَعَةِ لِجَامِهِ النَّواصِي[5]، وزُيِّنَتْ لِمَقْدَمِهِ البِلاَدُ والصَّيَاصِي، وسَوَّى وجفْنُ البَرْقِ خَوْفَاً وطَمَعَاً يُغَامِزُ ويَخْتَلِجُ، فَلِذَلِكَ تَارَةً تَرِدُ بِمَا النُّفُوْسُ بِهِ تَبْتَهِجُ، وتَارَةً بِمَا الصُّدُوْرُ بِهِ تَنْحَرِجُ، وتُشَاهِدُ بِمَا" يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ومَا في الأَرْضِ يَلِجُ"[6]، وسَرَى وعُيُوْنُ القَطْرِ دَامِعَةٌ، وسُيُوْفُ البَرْقِ لاَمِعَةٌ، وسُيُوْلُ العيُوْنِ للطِّرْفِ[7] قَاطِعَةٌ، ونِبَالُ الوَبْلِ في أَكْبَادِ الأَرْضِ صَادِعَةٌ، ووافَى المَنَازِلَ والخُيُوْلُ بِهَا طَالِعَةٌ، وبَعْدَ أنْ أَصْبَحَتْ طَائِرَةً أَمْسَتْ تَحْتَهُ وَاقِعَةً.

وكَمْ حَالَ دُوْنَهُ مَرَامه مِنْ أَوْجَالٍ[8] أَوْحَالٍ، وعَلَقٍ[9] لَثَقٌ[10] ووَهَقٌ[11] زَلِقٌ، يَمْنَعهُ

- للتبريزي: مج142/3/2، وكتاب تجارب الأمم: 6/3، وسرور النّفس: 92، وأنباه الرّواه: 146/3، لعدي بن الرّقاع العامليّ، وورد البيت بلا عزو في تاريخ الطّبري: 320/5، كما ورد منسوباً في شذرات الذّهب: 151/3 للحريري).

(1) عجز بيت للأسود بن يعفر، وروايته:

جرت الرّياح على مكان ديارهم   فكأنّما كانوا على ميعاد

انظر: (حماسة البحتري: 83، والشّعر والشّعراء: 262/1، والأغاني: 17/13، والتّمثيل والمحاضرة: 53، وشرح مقامات الحريري للشّريشي: 394/3).

(2) الطّلق: الشّوط الواحد في جري الخيل. (لسان العرب: طلق).

(3) من قول شاعر أورده العماد في خريدة القصر(قسم الشّام): 162/3:

وتجاريا طلق الرّهان وبرّزا   سبقاً وجاءا في الرّهان سواء

وهو مثل يضرب في الاثنين يستبقان إلى غاية فيقال لهما: "كفرسي رهان"، انظر: (ثمار القلوب: 360، وجمهرة الأمثال: 358/2و369)، وقد أحسن أبو تمّام في الجمع بينهما وبين ما يذكر معهما من أشكالهما، حيث قال: (الدّيوان: 217/3):

وكانا جميعاً شريكي عنانٍ   رضيعي لبانٍ خليلي صفاء

انظر: (مسالك الأبصار: 168/15، وثمار القلوب: 68).

(4) من عجز بيت للتّهامي، الدّيوان: 243: "مخصوصة قلب وعين تنظر".

(5) لعلّه من قول عبيد الله بن زياد: "نعم الشّيء الإمارة لولا قعقعة البُرُد، والتّشزُّنُ للخطب". انظر: (الحيوان: 134/1-135).

(6) من الآية: 4 من سورة الحديد:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا...﴾.

(7) الطّرف: من الخيل: الكريم العتيق، وقيل: هو الطّويل القوائم والعنق. (لسان العرب: طرف).

(8) أوجال: جمع وجل: وهو الخوف والفزع. (لسان العرب: وجل).

(9) العلق: النّشوب في الشّيء ويكون في جبل أو أرض أو ما أشبهها. (لسان العرب: علق).

(10) اللّثق: اللزج من الطّين ونحوه. (لسان العرب: (لسان العرب: لثق)، وفي رسالة رصف الفريد: 64: "لبق".

(11) الوهق: الحبل المغار يُرمى فيه أُنشوطة فتُؤخذ في الدّابة والإنسان، والمواهقة في السّير: المواظبة ومدّ الأعناق.(لسان العرب: وهق).

فِي سَوْقِهِ مِنْ استِرْسَالٍ بأوْثَقِ شَبْحَةٍ[1] وشِكَالٍ[2]، وعَامَ فِي إمْلاقٍ إلى الذَّقْنِ لا إلى الوَسَطِ، وتَقَطَّرَ[3] فَوَافَى "ويَدُهُ مَغْلُولَةٌ إلى عُنُقِهِ وكَانَتْ مَبْسُوطَةً كُلَّ البَسْطِ"[4]، أو بَاتَ بَعْـــدَ أنْ كَانَ رَاكِبًا نَازِلاً، وبَعْدَ أنْ كَانَ مَحْمُولاً لِسَرْجِهِ وجِرَابِهِ على كَتِفِهِ حَامِلاً، وسَرَى وطَرْفُهُ بالسَّمَاءِ مُوْكَلٌ[5]، ونَزَلَ بِمَنْزِلٍ لَيْسَ لَهُ بِمَنْزِلٍ، ولَيْسَ بِهِ مَا يُشْرَبُ ولا مَا يُؤْكَلُ[6]:

بِمَهْمَةٍ[7] فيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ ... ولَيْلُهُ بِجَوِّهِ مُطَرَّحُ[8]

يَدْأبُ فيهِ القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا[9] ... ثُمَّ يَظَلُّونَ كَمَا لَمْ يَبْرَحُوا

كَأنَّمَا أمْسُوا بِحَيْثُ أصْبَحُوا

يُمْسِي زَمِيْلاً للظَّلامِ وتَارَةً ... رِدْفًا على كَفَلِ الصَّبَاحِ الأشْهَبِ[10]

---

(1) شبحة: من الشّبح وهو مَدُّك الشّيء بين أوتاد، والمضروب يُشبّح إذا مُدّ للجلد. (لسان العرب: شبح)، والشّبحة عند المولّديـــن: "سلسلة في طرفها الواحد عروة تُزرّ في يد الفرس، وفي طرفها الآخر رزّة تدقّ في الأرض. انظر: (محيط المحيط: 459، وتكملـــة المعاجم العربيّة: 232/6).

(2) الشّكال: العِقال، وشكل الدّابّة: شدّ قوائمها بحبل. (لسان العرب: شكل).

(3) تقطّر: رمى بنفسه من علو، أو تقطّر به فرسه: ألقاه على أحد قطريه أي شقّيه. (لسان العرب: قطر).

(4) من الآية: 29 من سورة الإسراء، وقوله تعالى:﴿ولاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنقكَ﴾ مجاز يعبّر به عن البخيل الّذي لا يُخرج شـــيئاً من ماله، فضرب له مثل الغلّ الّذي يمنع من التّصرّف بالمال، وقوله تعالى:﴿ولاَ تَبْسطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾ ضرب بسط اليـــد مثـــلاً لذهاب المال. انظر: (الجامع لأحكام القرآن: 250/10)، وأشار محقق الرّسالة: (رصف الفريد: 64) بقوله: "والمراد أنّ الـــبريديّ هنا عاد صفر اليدين من المال بعد ذهاب ماله أثناء سفره لِمَا اعترض طريقه من الأخطار أو الكوارث الطّبيعيّة".

(5) من قول البحتري، الدّيوان: 1756/3:

وله، وإنْ غَدَت البلادُ عريضةً ... طرفٌ بأطراف البلاد مُوكّلُ

(6) القائل: هو مسعود أخو ذي الرّمة، والشّعر سوى عجز البيت الأوّل أورده: مؤلّف مجهول، مجموعة المعـــاني: 321، وفي ديـــوان المعاني: 128/2، وبهجة المجالس: 224/1، وفي مصادر التّخريج: "ومهمة" بدل: "بمهمه"، ورواية البيت في: بهجة المجالس:

ومهمهٍ فيها السّراب يسبحُ ... يدأب فيه القوم حين يصبحُ

كأنّما ثووا بحيث أصبحوا ... اللّيل أخفى والنّهار أفضحُ

(7) مهمه: مفازة، بريّة، قفر، وجمعها مهامه. (لسان العرب: مهه).

(8) مَطْرح: بعيدٍ ناء. (لسان العرب: طرح).

(9) يطلحوا: من الطّلح وهو الإعياء والسّقوط من السّفر. (لسان العرب: طلح)، وفي ديوان المعاني، ومجموعة المعاني: "كأن لم" بـدل: "كما لو".

(10) البيت من شعر البحتريّ، الدّيوان: 79/1، وفيه: "أمسي زميلاً للظّلام، وأغتدي"، وفي النّسختين المعتمدتين في تحقيق النّص: "يمشي" بدل: "يمسي" وأثبتنا ما هو أولى.

والرّدف: هو الّذي يركب خلف الرّاكب. (لسان العرب: ردف).

والكفل: العجز، وقيل: ردف العجز. (لسان العرب: كفل).

ويَغْدُو كَالخَيَالِ[1] يَمْشِي إلى الوَرَاءِ، ويَغْدُو فَلا يُسْأَلُ عن السُّلَيْك[2] ولا عن الشَّنْفَرى[3] أو "جَاءتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّامِ تَلِقْ"[4] بَعْدَ أنْ كَانَ يَطْوِي الأَرْضَ بِسوقِهِ ويَخْتَرِقُ، وقَدْ فَـلاَ الفَلاَ[5]، وقِيْلَ لَهُ: "هَكَذَا هَكَذَا وإلاّ فَلاَ"[6]:

يَوْمًا "بحُزْوَى" ويَوْمًا "بالعَقِيْق" ويَوْ   مًا "بالعُذَيْب" ويَوْماً "قَصْرَ تَيْمَاءَ"[7]

وتَارَةً يَنْتَحِي "نَجْدًا" وآونَةً   "شِعْبَ الغُوَيْرِ" وأخْرَى "بالخُلَيْصَاءِ"

---

(1) في الأصل: "ويعدو كالحبال يمشي إلى وراء، ويغدو فلا..." وفي (ص): "ويعدو كالجبال يمشي إلى وراء، ويغدو فلا"، لعلّه تصحيف، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(2) هو السّليك بن السُّلكة(ت نحو 17 ق.هـ/605م)، عرف بنسبته إلى أمّه السُّلكة الّتي كانت أَمَةً سوداء، وهو أحد الشّعراء الصّعاليك، وكان "أدلّ النّاس بالأرض وأعلمهم بمسالكها"، وهو أحد أشهر العدّائين عند العرب، وهم: السُّليك، والشّنفرى، وتأبّط شرّاً، وعمرو بن براق، ونفيل بن براقة. انظر: (الأغاني: 464/20، والشّعر والشّعراء: 372/1، وثمار القلوب: 134، والمؤتلف والمختلف: 202).

(3) الشّنفرى: عمرو بن مالك الأزديّ (ت70 ق.هـ/525م)، شاعر جاهلي، من فتاك العرب وعدّائيهم، وهو صاحب اللاميّة المعروفة: "لاميّة العرب". انظر: (الأغاني: 118/21، وبروكلمان: 105/1، والأعلام: 85/5). وفي (ص): "إلى الشّنفرى".

(4) من رجز الشّماخ بن ضرار الذبياني، الدّيوان: 453. العنس: الصّخرة، والعنس: النّاقة القويّة، شبّهت بالصّخرة لصلابتها. (لسان العرب: عنس).وتلق: من الولق وهو العدو السّريع. (لسان العرب: ولق). وفي (ص): "عيس" بدل: "عنس" وهو تحريف.

(5) الفلا: القفر من الأرض لأنّها فُليت عن كلّ خير أي فطمت وعزلت، وقيل: هي الّتي لا ماء فيها، وقيل: هي الصّحراء الواسعة. فلا: المراد أنّه قطع الصّحراء وخبرها وتأمّلها. (لسان العرب: فلا).

(6) من قول المتنبّي، الدّيوان: 134/3:

ذي المعالي فليعلون من تعالي   هكذا هكذا وإلاّ فلالا

وقول آخر: هكذا هكذا وإلاّ فلالا   طُرُق الجدّ غير طرق المزاح

انظر: (الغيث المسجم: 12/1).

(7) البيتان لعبد الله بن أحمد بن الحارث، شاعر من بني عبّاد. انظر: (معجم البلدان: 386/2) وروايتهما:

يومٌ بحُزوى، ويوم بالعقيق ويو   م بالعُذيب ويوم بالخُليصاء

وتارة تنتحي نجداً وآونة   شِعب العقيق، وطوراً قصر تيماء

ورد البيت الأوّل في: (شعر الهمذاني في مقاماته: 216، وشرح مقامات بديع الزّمان: 58)، وروايته:

سوماً بحزوى، ويوماً بالعقيق وبال   عذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

وفي: معاهد التّنصيص: 114/4 ينسب البيتان لأبي محمّد الخازن، ورواية عجز البيت الثّاني: "شعب الغوير، ويوماً قصر تيماء". وفي أنوار الرّبيع: 107/4: "شعب العقيق وطوراً قصر تيماء". وحزوى: موضع بنجد في ديار تميم. (معجم البلدان: 255/2)، والعقيق: كلّ مسيل ماء شقّه السّيل في الأرض وسّعه، فأنهره تسمّيه العرب عقيقاً، وفي الجزيرة العربيّة أربعة أعقّة، أحدها قريب من مدينة الرّسول-عليه السّلام-. (معجم البلدان: 138/4). والعُذيب: تصغير العذب، وهو الماء الطّيب، وهو اسم لأكثر من موضع في الجزيرة العربيّة والعراق ومصر. (معجم البلدان: 92/4).والغوير: تصغير الغور، وهو اسم ماء في باذية السّماوة بين العراق والشّام، أو ماء بين العقبة والقاع في طريق مكّة. (معجم البلدان: 220/4)، والخليصاء: تصغير الخلصاء، وهو اسم موقع لم يحدّده ياقوت. (معجم البلدان: 386/2)، وفي (لسان العرب: خلص): ماءٌ بالبادية، وقيل موضع فيه عين ماء، قال الشّاعر:

أشبهن من بَقَر الخلصاء أعينها   وهُنَّ أحسنُ من صِيرانها صِوَرًا

وقيل: موضع بالدّهناء معروف.

فَكَمْ قَطَعَ أَرْضًا، وركِبَ ظَهْرًا، ووَجَدَ رِفْقًا، ولم يَكُنْ "كَالْمُنْبَت لا أَرْضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أبْقَى"(1)، وقَلَّمَا جُهِّزَ إلاَّ في مَصْلَحَةٍ مِنْ(2) مَصَالِح الْمُسْلِمِيْنَ العَامَّةِ الشَّامِلَةِ للأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنَ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ "مَا آبَ مِنْ سَفَرٍ إلاَّ إلى سَفَرٍ"(3) ومَا سُفِّرَ في مَهَمٍّ إلى بَلَدٍ فَقِيْلَ إنَّهُ سَفَرٌ، ولَكِنَّهُ ظَفَرٌ:

كَأنَّ ضِغْنًا على كُلِّ جَانبٍ　　مِنَ الأرْضِ أو شَوْقًا إلى كُلِّ جَانبِ(4)

وَرَدَ مُبَشِّرًا، ولِلْمَسَارِّ في الوُجُوْدِ مُسَيِّرًا، فَأَزَالَ العَنَا، وأنَالَ الْمُنَى، وأفَادَ الغِنَى، وانْثَالَتْ عليهِ الجَوَائِزُ والتَّشَارِيْفُ(5) مِنْ هَهُنَا ومِنْ هَهُنَا(6).

مَا ذَرَّت الشَّمْسُ إلاَّ جَاءَ يَقْدُمُهَا　　وفي الْمَغَارِبِ مِنْهُ قَبْلَهَا أثَرُ(7)

وكَادَ لِشِدَّةِ إحْضَارِه، يَسْبِقُ أُذُنِيّ جَوَادِه في مِضْمَارِه، فَتَرَاهُ لِسُرْعَةِ سَيْرِه لا يَرْتَدُّ طَرْفُهُ عَنْ أمَدٍ(8) حَتَّى يَتَعَدَّاهُ إلى غَيْرِه، فَهُوَ أبَدًا يَسْبِقُ طَرْفَهُ إلى مَا يَرْمِقُ، ومَا يَسْتَوْلِي طَرْفُهُ على أمَدٍ إلاَّ ويَتَجَاوَزُهُ ويَسْبِقُ، فَيَكَادُ يَأْخُذُ مَغْرِبًا مِنْ مَشْرِقٍ، فَيَبْلُغ غَايَةَ الأقْطَارِ، ويَخْتَرِقُ مِنَ الآفَاقِ حُجُبَ الأسْتَارِ، حَتَّى يُقَالَ: إنَّهُ مَا سَارَ، ولَكِنَّهُ طَارَ، وفي الأرْضِ طَارَ:

---

(1) ورد في: كشف الخفاء: 217/1: "إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنّ المُنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" انظر أيضاً: (الكامل للمبرد: 317/1). والمُنبت: المنقطع عن أصحابه في السّفر، والظّهر: الدّابة، وهو مثل يُضرب لمن يبالغ في طلب الشّيء ويُفرط حتّى ربّما يفوّته على نفسه. (مجمع الأمثال: 10/1).

(2) سقط من (ص): "مصلحة من".

(3) من بيت عليّ بن زريق الغداديّ، وروايته:

ما آب من سفر إلاّ وأزعجه　　رأي إلى سفر بالرّغم يزمعُه

انظر: الغيث المسجم: 171/1، وفي الكشكول: 104: "رأي إلى سفر بالبين يجمعه".

(4) البيت لأبي تمام، الدّيوان: 280/1.

(5) التّشاريف: إنعامات يقدّمها السّلطان لرجال دولته عند تولّيهم مناصب جديدة أو يقدّمها في الأعياد أو في غيرها من المناسبات، وعادة ما تكون خلعاً من الملابس الثّمينة من فراء أو حرير وغيره، مرقوم عليها ألقاب السّلطان ومرصّعة بالأحجار الكريمة وقد يُضاف إليها السّيوف المحلاّة بالذّهب والخيل المسرجة فيما إذا كان التّشريف لتقليد ولاية مفخمة. (صبح الأعشى: 53/4 وما بعدها).

(6) في (ص): "هنا ومن هناك".

(7) البيت لأبي العتاهية، الدّيوان: 535، وفيه: "وفي المغارب منه خلفها أثر"، وذرّت الشّمس: طلعت وظهرت، وقيل: هو أوّل طلوعها. (لسان العرب: طلع).

(8) الأمد: أمد الخيل في الرّهان: مَدافِعُها في السّباق ومنتهى غاياتها الّذي تسبق إليه، ومنه قول النّابغة، الدّيوان:82:

" سبق الجواد، إذا استولى على الأمد".

أي غلب على منتهاه حين سبق وسيلة إليه. (لسان العرب: أمد).

قَالَ لَهُ البَرْقُ وقَالَتْ لَهُ   الرِّيحُ جَمِيْعَاً وهُمَا مَا هُمَا[1]

أأنْتَ تَجْرِي مَعْنَا؟ قَالَ[لا][2]   إنْ نَشطَتْ[3] أَضْحَكْتُكُمَا مِنْكُمَا

أَنَا ارْتِدَادُ[4] الطَّرْفِ قَدْ فُتَّهُ   إلى المَدَى[5] سَبْقَاً فَمَنْ أَنْتُمَا؟!

ولَمْ يَزَلِ البَرِيْدُ مُرَتَّبَاً فِيْمَا تَقَدَّمَ وسَلَفَ مِنَ الأَيَّامِ، ومُعَاوِية[6] أَوَّل مَنْ أَحْدَثَهُ في الإِسْلَامِ، وأَحْكَمَ أَمْرَهُ الَّذي مَلَكَ البِلَادَ شَرْقَاً وغَرْبَاً، ونَظَرَ إلى السَّحَابَةِ فَقَالَ: "امْطِرِي أَنَّى شِئْتِ فَخَرَاجُكِ إلَيَّ يُجْبَى"[7]، وعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ مَهَمَّاتِ المَلِكِ العِظَام، فَقَالَ: "رُبَّمَا فَسَدَ بِحَبْسِهِ سَاعَةَ تَدْبِيْرُ عَامٍ"[8]:

فَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسَاً   وأَيَّامُهُ فِيْمَا يُرِيْدُ قِيَامُ[9]

لا سِيَّمَا في هَذَا العَصْرِ، وعَدُوّ الدِّيْنِ قَدْ أَمَرَّ أَمْرُهُ[10]، واسْتَشْرَى شَرُّهُ[11]، وامْتَدَّتْ أَطْمَاعُهُ في البِلَادِ، وسَرَى فيها مِنْهُ الفَسَادُ مَسْرَى السُّمِّ في الأَجْسَاد.

وهو أَوْلَى الأُمُوْرِ الَّتي لا يُسْتَأْذَنُ عليهِ وقَدْ وَافَى مُسْرِعَاً، والَّذي يُقَالُ لَهُ: لَعَاً[12] إذا

---

(1) قائل هذه الأبيات هو ابن حجّاج في رثاء فرس له، انظر: (الغيث المسجم: 41/1، وخزانة السّلاح: 167و168، ومعاهد التّنصيص: 41/3، وأنوار الرّبيع: 243/4).

(2) زيادة من مصادر التّخريج، وبها يستقيم الوزن.

(3) في خزانة السّلاح: 167: "شئتما"، وفي الغيث المسجم: 41/1، ومعاهد التّنصيص: 41/3، وأنوار الرّبيع: 243/4: "شئت".

(4) في معاهد التّنصيص: "هذا ارتداد".

(5) في (ص): "المدا".

(6) انظر حول خبر إحداث معاوية للبريد في الإسلام في: (الأوائل: 191، والفخري: 106، والتّعريف بالمصطلح الشّريف: 256/1، وصبح الأعشى: 413/14).

(7) قول معروف لهارون الرّشيد، وفي النّسختين المعتمدتين في التّحقيق : "يجي" لعلّه تصحيف، وقد أثبتنا ما يستقيم به السّجع.

(8) القول منسوب لعبد الملك بن مروان، انظر: (الأوائل: 191، وصبح الأعشى: 314/14، وفيهما ورد أنّ القول منسوب لزياد بن أبيه).

(9) البيت للمتنبّي، الدّيوان: 393/3، وروايته:

ودانت له الدُّنيا فأصبح جالساً   وأيّامها فيما يريد قيام

(10) أمَرّ: يقال: قد أمَرّ هذا الطّعام في فمي أي صار فيه مُرّاً، ويقال: لقيت منه الأمرّين: أي الشّر والأمر العظيم. (لسان العرب: مرر).

(11) استشرى: يقال للرّجل إذا لجّ في الأمر: قد شري واستشرى. (لسان العرب: شري).

(12) لَعاً: دعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته، يقول أبو تمام، الدّيوان: 600/1:

قل لَعاً لابن عثرةٍ ما له فيـــ   ـــها لشيء سوى نداك نُهوض

ويقول أبو الأسود الدّؤلي، الدّيوان:31:

فقلت ولم أفحش: لعا لك عالياً   وقد يعثر السّاعي إذا كان مسرعاً

قِيْلَ لِسِواه لا لَعاً[1]:

وجَاءَ مِنْهُ بِقرطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ فَأَوْحَشَ القَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ فَزِعَا[2]

وقَدْ أقَامَ اللهُ بِهِم للإِسْلاَمِ[3] بالدِّيَارِ المصريَّةِ، والشَّامِ كُلَّ شَهْمٍ "أَمْضَى مِنْ سَهْمٍ"[4] وأَبْعَدُ غَايَةً مِنْ نَجْمٍ"[5].

إذا جَارَتْهُ شُهْبُ الأُفْقِ قَالَتْ أعَانَ اللهُ أبْعَدَنَا مُرَادا[6]

مَحْمُودُ الطَّرائِقِ، مَقْبُوْلُ الخَلاَئِقِ عِنْدَ الخَلاَئِقِ، خَفِيْفُ الحَرَكَاتِ، مُسَارِعٌ إلى الحَرَكَاتِ[7]، قَضِيْفٌ يَرْجحُ بِهِ ظِلُّهُ[8]، خَفِيْفٌ على ظَهْرِ المَطِيَّةِ حَمْلَهُ.

وإذا كَانَ النَّاسُ أرْوَاحَاً وأجْسَامَاً، فهو رُوْحٌ كُلُّهُ، عَارِفٌ بالآدَابِ والسُّلُوْكِ للمِثُوْلِ بَيْنَ يَدَي الأُمَرَاءِ والسَّلاطِيْنِ والمُلُوْكِ، عَذْبُ العِبَارَةِ، خَفِيُّ الإِشَارَةِ، مُنْجِحُ السَّفَارَةِ، كَتُومُ الأَسْرَارِ، مُوَفَّقُ الإيْرَادِ والإِصْدَارِ، صَادِقُ اللَّهْجَةِ، ثَابِتُ العَدَالَةِ، ملي بأدَاءِ السَّلاَمِ وإبْلاَغِ الرِّسَالَةِ.

---

(1) لا لعا: في المثل: "لا لعا لفلان" إذا دَعَوا عليه وشتموا به، أي لا أقامه الله من سقطته. انظر: (مجمع الأمثال: 174/3، وفصل المقال: 101و102) وقال الأخطل، الدّيوان: 205/1:

فلا هدى الله قيساً من ضلالتهم ولا لعا لبني ذكوان إذ عثروا

(2) البيت ليزيد بن معاوية، وروايته:

جاء البريد بقرطاسٍ يخبُّ به فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

انظر: (المعمرون والوصايا: 157، وأخبار أبي القاسم الزّجاجي: 143)، وفي(ص): "وجاءت منه"، ويخبُّ: من الخبب: هو ضرب من العدو، وقيل: السّرعة. (لسان العرب: خبب).

(3) في (ص): "الإسلام".

(4) من الأمثال المضروبة في المبالغة والتّناهي في مضاء السّهم أو السّيف أو النّصل أو السّنان وغيره. انظر: (جمهرة الأمثال: 227/2، ومجمع الأمثال: 358/3).

(5) في المثل: "أبعد غاية من نجم"، ويفسّره الميداني، مجمع الأمثال: 201/1 قائلاً: "أمّا النّجم فإنّه يُراد به الثّريّا، دون سائر الكواكب، ومنه قول الشّاعر:

إذا النّجم وافى مغرب الشّمس أحجرت مقاري حيي واشتكى العُذرَ جارُهَا

(6) البيت لأبي العلاء المعري، شروح سقط الزّند: 773/2، وروايته:

إذا سارتك شهبُ اللّيل قالت أعان الله أبعدنا مُرادا

قد فسّره التّبريزي بقوله: "سارتك": فاعلتك، من سرى اللّيل، والمعنى أنّ شهب اللّيل تتعجب من سراك معها، فتدعو لك بالمعونة أو لأنفسها. أي أعان الله أبعدنا غرضاً". وفسّره الخوارزمي قائلاً: "في أمثالهم: "أسرى من النّجوم"، يقول: تحسب النّجوم أنّها تسري سُراك، فإذا بارتك في ذاك، علمت بُعد مداك، فأنصفتك، ودعت لك".

(7) سقط من (ص): "إلى الحركات".

(8) في الأصل: "قصيف يرجح به طله" لعلّه تحريف، والمثبت ما ورد في (ص)، والقضيف: الدّقيق العظم القليل اللّحم،...والقضافة من خَلَق لا من هُزال. (المحكم: 86/2، وأساس البلاغة: 370) لعلّ المعنى مستفاد من قول عمر بن أبي ربيعة، الدّيوان: 124: "قليلٌ على ظهر المطيّة ظلُّه".

لَيْسَتْ مَعْرِفَتُهُ على آدَابِ السَّفَرِ مَقْصُوْرَةً، جَامِعٌ بَيْنَ أَدَبِ النَّفْسِ وأَدَبِ الـــدَّرْسِ، حَسَنُ الاسْمِ(1)، ومِنَ الرَّسْمِ(2) سِوَى الوَسْمِ(3)، سَرِيْعٌ إِلى الدَّاعِي، مُبَادِرٌ إِلى امْتِثَالِ الأَوَامِرِ والدَّوَاعِي، مَا يَفُوْهُ بالجَوَابِ إلاَّ ورِجْلُهُ في الرِّكَابِ، فهم متى رُسِمَ لهم بالسَّفَرِ يُسَارِعُوْنَ، وإِلى الإِجَابَةِ يَهْرَعُوْنَ(4)، وعلى الخِدْمَـــةِ أَنْفُسَـــهُمْ يَعْرِضُـــوْنَ، ﴿كَأَنَّـــهُمْ إِلى نُصُـــبٍ يُوْفِضُوْنَ﴾(5)، ﴿وَالسَّابِقُوْنَ السَّابِقُوْنَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُوْنَ﴾(6).

لا يَسْتَقِرُّ بِهِم رَبْعٌ ولا سَكَنٌ ... كَأَنَّهُم فَوْقَ مَتْنِ الرِّيْحِ نُزَّالُ(7)

مَا نُدِبَ مِنْهُم نَدْبٌ(8) لمُهِمٍّ إلاَّ وبَادَرَ مُطِيْعًا، ومَا غَابَ إلاَّ قَابَ(9) سَرِيْعًا، فَمَا مَاثَلَـــهُ في السَّيْرِ ذَكْوَانُ(10)، ولا ضَاهَاهُ حُذَيْفَةُ بن بَدْرٍ(11) وقَدْ سَاقَ هِجَانَ النُّعمان:

أَلِفَ النَّوَى حَتَّى كَأَنَّ رَحِيْلَهُ ... لِلْبَيْنِ رِحْلَتُهُ إِلى الأَوْطَانِ(12)

---

(1) جاء في الحديث عن الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-: "إذا أبردتم إليّ بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم". انظـر: (الجـامع الكبير: 31/1، ورسل الملوك: 13).

(2) لعلّ الشّيباني يشير إلى بيتين أوردهما العماد في: خريدة القصر (قسم الشّام): 489/1:

أتيت من أهواه عكس اسمه ... فلم أنل منه سوى الاسم
وكلّما أطمعني ضدّه ... عاد به التّيـه إلى الرّسم

(3) الوَسم: السّمة والعلامة. (لسان العرب: وسم).

(4) في (ص): "يهرجون".

(5) من الآية: 43 من سورة المعارج، نُصب: جمع النّصيب وهي الحجارة تنصب على الشّيء، يوفضون: من الإيفاض وهو الإسـراء، وأصله أن يعدو من عليه الوفضة، وهي الكنانة تتخشخش عليه، وجمعها: الوفاض، وقيل: الأوفاض الفرق من النّاس المسـتعجلة. انظر: (مفردات ألفاظ القرآن: 807، 877).

(6) من الآيتين: 10و11 من سورة الواقعة.

(7) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها، لعلّه من شعر الشّيباني نفسه.

(8) نُدب: ندبه للأمر فانتدب أي دعاه له فأجاب، نَدْب: رجل نَدْب: خفيف في الحاجة، سريع، ظريف، نجيب، وكذلك الفـرس. (لسان العرب: ندب).

(9) قاب: قرُبَ. (لسان العرب: قوب).

(10) لم أقف على ترجمة له في المصادر الّتي رجعت إليها سوى إشارة وردت في المستطرف: 19/2: "وسار ذكوان مولى عمـر- رضي الله عنه- من مكّة إلى المدينة في يوم وليلة، وذكر الرّاغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء: 616/4: "وسار ذكوان من مكّـة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة، فصلّى العتمة، فقال له أبو هريرة: حاج غير مقبول منه، فقـال: لم؟ فقال: لأنّك نفرت قبل الزّوال. فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزّوال".

(11) هو حذيفة بن بدر الفزاري، ويضرب به المثل في شدّة السّير وسرعته، ويذكر عنه ابن قتيبـة، عيـون الأخبـار: 138/1، والأبشيهي، المستطرف: 19/2: "أغار على هجان النّعمان بن المنذر بن ماء السّماء، وسار في ليلة مسيرة ثمان" انظر: (محـاضرات الأدباء: 17/4)، وفيه يقول قيس بن الخطيم، الدّيوان: 182:

هممنا بالإقامة ثمّ سرنا ... كسَيْرِ حُذيفةِ الخير بن بدرِ

وفي المستطرف: 19/2: "قيس بن الخطيم".

(12) ورد البيت بلا عزو في: الغيث المسجم: 169/1، والكشكول: 353.

واللهُ-سبحانه وتعالى- يَطْوي البَعِيْدَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ، ويُسَهِّلُ العَسِيْرَ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوَكِيْلِ ونِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِيْر.

إلاَّ أنَّ حُضُوْرَ النِّيَّاتِ الَّتِي بها انْعِقَادُ الأمُوْرِ الدِّيْنِيَّاتِ لا يَحْصَلُ إلاَّ بالثَّبَاتِ والأنَاة، والطُّمَأنِيْنَةِ في الرُّكُوْعِ والسُّجُوْدِ كَمَالُ الفَرْضِ﴿فَأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسِ فَيَمْكُثُ في الأرْضِ﴾[1].

وكَمَا وَرَدَ في التَّنْزِيْلِ النَّهْي عن التَّبَاطِي، وَرَدَ النَّهْي عن التَّسرُعِ وسَبَبَه، فَقَالَ-عَزَّ مَنْ قَائِل-:﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[2]، ونَهَى عن العَجَلَةِ تارَةً في الخَيْرِ، وتَارَةً في الشَّرِّ قَوْلاً جَزْمَاً، فَقَالَ-سبحانه وتعالى-:﴿فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِم إنَّمَا نَعُدُّ لَهُم عَدَّاً﴾[3]، ﴿ولاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمَاً﴾[4].

ولاَ رَيْبَ أنَّ الثَّبَاتَ مِنَ اللهِ تَعَالى، والعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ، وأنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- امْتَنَّ بالتَّثْبِيْتِ على النَّبيِّ الكَرِيْمِ، فَقَالَ-سبحانه وتعالى-:﴿ومَنْ أصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيْلاً﴾[5]،﴿وَلَوْلاَ أنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِم شَيْئَاً قَلِيْلاً﴾[6]،و﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلاً﴾[7]،

وإنْ وَرَدَ عَنْ سُليمان-عليهِ السَّلاَمُ- طَلَبُ الإسْرَاعِ في الكِتَابِ المُبِيْنِ[8]، فَكَذَلِكَ وَرَدَ عَنْهُ التَّثَبُّتُ في قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿سَنَنْظُرُ أصَدَقْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِيْنَ﴾[9].

وبِمَا يَصِفُ الوَاصِفُ، أو يَنْعَتُ النَّاعِتُ، فَرْقٌ مَا بَيْنَ العَجَلَةِ والتَّأنِي[10]؟! وبَيْنَ

---

(1) من الآية: 17 من سورة الرّعد، جفاء: هو ما يرمي به الوادي أو القدر من الغثاء إلى جوانبه، يقال: أجفأت القدر زبدها: ألقته، إجفاء، وأجفأت الأرض: صارت كالجُفاء في ذهاب خيرها. انظر: (مفردات ألفاظ القرآن: 197).

(2) من الآية: 16 من سورة القيامة.

(3) من الآية: 84 من سورة مريم.

(4) من الآية: 114 من سورة طه.

(5) من الآية: 122 من سورة النّساء.

(6) من الآية: 74 من سورة الإسراء.

(7) من الآية: 32 من سورة الفرقان.

(8) يشير إلى الآيات:38و39و40 من سورة النّمل، وقد سبق الإشارة إليها.

(9) من الآية: 27 من سورة النّمل.

(10) جاء في رسالة سعيد بن العاص الّتي بعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان: "فإنّ الحزم في التّثبت، والخطأ في العجلة، والشؤم في البدار،000" انظر: (شرح نهج البلاغة: 244/10).

البُرُوْجِ المُنْقَلِبَةِ والبُرُوْجِ الثَّوَابِتِ[1] ؟! وبالتَّأَنِي يَحْصَلُ التَّأَتِي، ويَكُوْنُ المَرْءُ مِنْ أَمْرِهِ علـــى بَصِيْرَةٍ، ويُشَاهِدُ في مَرْأَى مِرْآةِ فِكْرِهِ صُوْرَةَ الخِيْرَةِ، ويَأمَنُ[2] مِنْ تَرَدُّدِ الحَيْرَةِ.

وقَدْ قِيْلَ: "أَصَابَ مُتَأَنٍ أَوْ كَادَ، وأخْطَأَ مُسْتَعْجِلٍ أَوْ كَادَ"[3]، وحَصَلَ على أَنْكَـــادٍ[4] وأيِّ أَنْكَادٍ، ولولا التَّأَنِي قَبْلَ إِرْسَالِ السَّهْمِ لم تَحْصَلْ بِهِ النِّكَايَةُ، ولولا التَّثَبُّتِ قَبْلَ إِطْلاَقِهِ مَا وَصَلَ إلى الغَرَضِ، ولا بَلَغَ الغَايَةَ.

فَالعَجَلَةُ والنَّدَامَةُ فَرَسَا رِهَانٍ[5]، وشَرِيْكَا عِنَانٍ[6]، وإنْ حُمِدَ المُجَلِّي يَوْمَ الرِّهَانِ، ومَـا زَالَتْ ثَمَرَةُ العَجَلَةِ النَّدَامَةِ، ورُبَّمَا كَانَتِ الهَلَكَةُ[7] في العَجَلَةِ، وفي التُّـؤدَةِ السَّـلاَمَةُ، وفي الثَّبَاتِ والأنَاةِ مَا لاَ يُحْصَرُ مِنْ أَمْرِ العَوَاقِبِ في سَائِرِ الحَالاَتِ، و "أَسْـــرَعُ السُّـحْبِ في الجِهَامِ"[8]، ومَا الإقْدَامُ في كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ، ولا الثَّبَاتُ مِنَ الإحْجَامِ:

والحَرْبُ تُرْهِبُ لَكِنَّ الأنَاةَ لَهَا ... عِنْدَ التَّأَيُّدِ أَضْعَافٌ مِنَ الرَّهَبِ
لا يَأمَنُ الدَّهْرَ بَأسَ الجَمْرِ لامِسُهُ ... وقَدْ يَرَوْحُ سَلِيْماً لاَمِسُ اللَّهَبِ[9]

---

(1) قال أبو تمام في بائيّته المشهورة في فتح عموريّة، الدّيوان: 191/1:

وصيّروا الأبرُج العُليا مُرَتّبةً ... ما كَانَ مُنْقلباً أو غير مُنقلب

وقد شرحه الصّولي قائلاً: "يعني البروج الاثني عشر: الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والأسد والسّنبلة والميزان والعقـــرب والقـــوس والجدي والدّلو والحوت. يقول: فكانوا يحكمون في أخبارهم بهذه البروج، إذا ورد عليهم خبر في وقت، الطّالع فيه برج ثابت حقّقـوه، وإن كان الطّالع فيه برجاً منقلباً لم يحقّقوه. والبروج المنقلبة عندهم: الحمل والسّرطان والميزان والجدي".

(2) في (ص): "...صور الخيرة، وتأمن تردّد الحيرة".

(3) القول من الحكم المنسوبة إلى الإمام عليّ بن أبي طالب، انظر: (شرح نهج البلاغة: 293/20)، وفيه: "أصاب متأمّل أو كاد،..."، كما أورد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: 86/7: "ومن أمثالهم في مدح الأناة وذمّ العجلة: أخطأ مستعجل أو كاد، وأصـاب متثبّت أو كاد" ، وورد في الحديث النّبوي الشّريف: "من تأنّى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد" انظر: (الجامع الكبـير: 761/1، واللطائف: 123، والتّمثيل والمحاضرة: 420).

(4) أنكاد: من النّكد وهو كلّ شيء جرّ على صاحبه شرّاً. (لسان العرب: نكد).

(5) في المثل: "هما كفرسي رهان" يضرب للمتساوين. انظر: (مجمع الأمثال: 50/3، وثمار القلوب: 360، والتّمثيل والمحاضرة: 339).

(6) شركة العنان: هي أن يخرج كلّ واحد من الشّريكين دنانير أو دراهم مثل ما يخرج من صاحبه ويخلطان، ويأذن كلّ واحد منـهما لصاحبه بأن يتجر فيها، و لم تختلف الفقهاء في جوازه، وهو مأخوذ من عنان الدّابة لأنّ عنان الدّابة طاقتان متساويتان. (لســـان العرب: عنن).

(7) الهلكة: الهلاك، ومنه قولهم: هي الهلكة والهلكاء وهو توكيد لها، كما يقال: همج هامج. (لسان العرب: هلك).

(8) من قول المتنبّي، الدّيوان: 100/3:

ومن الخير بطء سيبك عنّي ... أسرع السّحب في المسير الجهامُ

والجهام: السّحاب الّذي فرغ ماؤه. (لسان العرب: جهم).

(9) البيتان للحيص بيص، الدّيوان: 340/2، ورواية صدر البيت الأوّل في الدّيوان: "الحُرق يُرهب لكنّ الأناة لها".

والتَّسَرّعُ خَرَقٌ[1]، والأناةُ حِلْمٌ ووقَارٌ، والتَّثَبُّتِ دَلِيْلُ[2] القُدْرَةِ مِنَ اللهِ-عزَّ وجلَّ-مُثَبِّتُ[3] القُلُوْبِ والأبْصَارِ، وفَرَّقَ-سبحانه وتعالى-بَيْنَ الشَّجَرَةِ الثَّابتَةِ والشَّجَرَةِ الَّتِي ما لها مِنْ قَرَارٍ[4].

ومَا كَانَ الثَّبَاتُ في شَيءٍ إلاَّ زَانَهُ[5]، ولا التَّسَرُّعِ في أمْرٍ إلاَّ شَانَهُ، ومَع العَجَلِ الزَّلَلِ[6]، ومع الزَّلَلِ الخَجَلُ، ومع الخَجَلِ الوَجَلُ، ومع الوَجَلِ الخَلَلُ الجَلَلُ، وللثَّبَاتِ وثَبَاتٌ، وأيُّ وثَبَاتٍ، وقَلِيْلاً مَا حَصَلَ النَّصْرُ والظَّفرُ إلاَّ بالكَمِيْنِ والبَيَاتِ.

وقَدْ حَكَمَ الصَّادرُ والوَارِدُ، والمُدَاني والشَّارِدُ، وأقَرَّ المُعْتَرفُ والجَاحِدُ، واعْتَرَفَ الصَّدِيْقُ والعَدُوُّ والحَاسِدُ، وسَارَ في الأقْطَارِ والآفَاقِ، وبَلَغَ مَنْ بمصرَ والشَّامِ والرُّوْمِ[7] والعِرَاقِ:

وسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسِيْرُ مُشَمِّرَاً   وغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدَاً[8]

مَا حَصَلَ للإسْلاَمِ والمُسْلِمِيْنَ مِنَ الانْتِفَاعِ، ولعَدوِّ الدُّنْيَا والدِّيْنِ مِنَ الوَهَنِ والضَّعْفِ والانْدِفَاعِ بِثَبَاتِ المَقَرِّ[9] العَالِي الجَمَالي[10]، كَافِلِ المَمَالِكِ الشَّرِيْفَةِ الشَّامِيَّةِ[11]-أعَزَّ اللهُ

(1) خُرق: جهل، حُمق. (لسان العرب: خرق).

(2) في(ص): "ذليل"، وهو تحريف، وفي رسالة رصف الفريد: 76: "وفرّق الله سبحانه...".

(3) انظر: الآية: 32 من سورة الفرقان، والآية: 120 من سورة هود.

(4) جاء في قوله تعالى، الآيات: 24و25و26 من سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا في السَّمَاءِ، تُؤتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بإذْنِ ربِّهَا ويَضْرِبُ اللهُ الأمْثَالَ للنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُوْنَ، ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾.

(5) من قول الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم- لعائشة-رضي الله عنها-: "عليك بالرّفق فإنّ الرّفق لا يخالط شيئاً إلاّ زانه، ولا يفارق شيئاً إلاّ شانه". انظر: (سنن أبي داود: 3/3، وكشف الخفاء: 434/1، والمستطرف: 51/2).

(6) لعلّ المعنى مأخوذ من قول القطامي:

قد يُدرك المتأنّي بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزّللُ

انظر: (لباب الآداب: 162، والمستطرف: 51/2، والمخلاة: 175).

(7) حدّد العمري، التّعريف بالمصطلح الشّريف: 131/1 المقصود ببلاد الرّوم، يقول: "...وتُسمّى الآن ببلاد الدّروب، وهي البلاد المنحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنطيني"، والمقصود بها تركيا في الوقت الحاضر .

(8) البيت للمتنبّي، الدّيوان: 291/1، وفيه: "فسار به..." ومعنى البيت كما شرحه العكبري: "إذا سمع شعري الكسلان نشّطه، فصار على سماعه مشمّراً، والّذي لا يغني إذا سمعه طرب، فغنّى به مغرّداً، وذلك أنّه يستحسنه كلّ أحد".

(9) المقرّ: لقب يختصّ بكبار الأمراء وأعيان الوزراء في العصر المملوكي، ويقال فيه: المقرّ الشّريف العالي" و "المقرّ الكريم العالي" و "المقرّ العالي". انظر: (صبح الأعشى: 463/5و464).

(10) الجمالي: المقصود هنا جمال الدّين أقوش الأفرم (ت721هـ/1340م) الّذي كان نائباً للشّام عندما قام قازان أو غازان ملك التتار بتجريد حملة على بلاد الشّام سنة 700هـ واجتاح انطاكية وأرض شيزر، وصمّم على اجتياح بقيّة الشّام =

أنْصَارَهُ-ومُقَامُهُ على المَرْجِ مع قُوَّةِ الهَرَجِ[1]، وكَثْرَةِ المَرَجِ[2]، وإنَّهُ قَامَ بِذَلِكَ للدِّيْنِ نَصِيْرَاً، وللمُلْكِ ظَهِيْرَاً، وأخَذَ هو ومَنْ أقَامَ بخِدْمَتِهِ مِنَ العَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ بِقَوْلِهِ-سبحانه وتعالى- ﴿يَا أيُّهَا الّذِيْنَ آمَنُوا إذا لَقِيْتُم فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللهَ كَثِيْرَاً﴾[3]:

سَدِيْدُ الرَّأي لا فَوْت التَّأني يُلِمُّ بِهِ ولا زَلَلُ العَجُوْلِ[4]
يُعِيْبُ مَضَاهُ وقَفَاتُ حِلْمٍ كَعيبِ المَشْرَفِيَّةِ بالفُلُوْلِ[5]

وقَدْ كَانَ العَدُوُّ المَخْذُوْلُ يَظنُّ أنَّهُ يَركُنُ إلى الإحْجَامِ، ويَتَربَّصُ الدَّوَائِرَ والعَرَصَاتِ مِنْ سِهَامِ الأيَّامِ، فَأخْلَفَ اللهُ ظَنَّهُ، وعَجَّلَ هَلاكَهُ وضَعْفَهُ وَوَهْنَهُ، وتَحقَّقَ أنَّهُ الطَوْدُ الّذي لا يُلْتَقَى، والسُّوْرُ الّذي أحَاطَ بالشَّامِ، فَمَا أنْ يَتَسَوَّرَ ولا يُرْتَقَى فَأجْفَلَ إجْفَالِ الظِّلِيْمِ[6]، وطَلَبَ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ، ولم يَلْوِ على مَالٍ ولا حَرِيْمٍ.

وحَفِظَ اللهُ بثَبَاتِهِ الإسْلاَمَ، ورَفَّهَ خَوَاطِرَ أهْلِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ، وصَانَ أهْلَ الشَّامِ، وعَادَتْ العَسَاكِرُ المِصْرِيَّةُ إلى بِلادِهَا عَوْدَ الصَّوَارِمِ إلى أغْمَادِهَا، والأجْفَانِ إلى رُقَادِهَا، والجُنُوْبِ إلى مِهَادِهَا[7]، واقْتَدَى[8] بالسُّلْطَانِ الشَّهِيْدِ[9]-قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ- كَمَا مَضَى

=فأرسل الله الثّلوج والأمطار الغزيرة على جيشه، وتوجّه الإمام المجاهد ابن تيمية على خيل البريد إلى القاهرة مستنصراً بالسّلطان النّاصر محمّد بن قلاوون، فأجابه إلى ذلك، ولقيت جيوشه مشقّةً عظيمةً في السّفر من مصر إلى الشّام بسبب الأمطار، وفرّ كثير من النّاس من الشّام إلى مصر وزلزلوا زلزالاً عظيماً، ثمّ جاءت الأخبار بأنّ ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً في عامه ذلك لضعف جيشه وقلّة مدده، فطابت الأخبار، وسكن النّاس، ورجعوا إلى منازلهم منشرحين آمنين، والحمد لله ربّ العالمين، وعاد نائب السّلطنة إلى دمشق من المرج، وكان فيه مخيماً مدّة أربعة شهور متتابعة وكان هذا من أعظم الرّباط، وتراجع النّاس من الحصون حول دمشق إلى أوطانهم". انظر: (عقد الجمان: 31/4، وتحفة ذوي الألباب: 2/200-209، وولاة دمشق في عهد المماليك: 114-115)، وسقط من (ص): "الجمالي".

(11) كافل الممالك: من ألقاب النّائب الكافل: وهو النّائب بحضرة السّلطان، ونائب السّلطنة بدمشق: "يُضاهي النّائب الكافل بالحضرة السّلطانيّة في الرّتبة والألقاب والمكاتبة. (صبح الأعشى: 191/4و67/6).

(1) الهرج: الاختلاط، والهرج: الفتنة وشدّة القتل وكثرته، وكثرة الكذب. (لسان العرب: هرج).

(2) المرج: الفتنة المشكلة والفساد والاضطراب. (لسان العرب: مرج).

(3) من الآية: 45 من سورة الأنفال.

(4) لم أقف على البيتين في المصادر الّتي رجعت إليها، ولعلّهما من شعر الشّيباني نفسه.

(5) الفلول: جمع فَلٍّ: وهو كسرٌ في حدّ السّيف من كثرة الضّرب به. (لسان العرب: فلل).

(6) الظّليم: الذّكر من النّعام. (لسان العرب: ظلم، قور)، والكلام من قول شاعر من كنانة:

دعونا قارةً لا تُنفرونا فنجفلَ مثلَ إجفال الظّليم

انظر: (شروح سقط الزّند: 1920/5، وفصل المقال: 204، والاشتقاق: 179، والجمهرة: 409/2و410، والفصول والغايات: 455).

==

وسَبَق، وجَاءت النُّصْرَةُ بحَمْدِ الله تَعَالَى كَمَا أرَادَ لا كَمَا اتَّفق، وأصْبَحَ وأمْسَى[1] يُثْني عَلَيهِ عَدُوّه[2] فيَقُولُ حَاسِدُه صَدَق، وبَدَّلَ اللهُ المُسْلِمِيْنَ بالأمْنِ بَعْدَ الأوْجَال ﴿وردَّ اللهُ الّذِيْنَ كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وكَفَى اللهُ المُؤمِنِيْنَ القِتَالَ﴾[3]، وكَانَ مِنْ خَبَرِ[4] كَذَا وكَذَا...".

قُلْتُ: ولشهاب الدِّيْنِ محمود[5] في مَعْنَى ذَلِكَ: "أمَّا بَعْد حَمْدِ الله مُيَسِّر أسْبَاب النَّجَاح، وجَاعِلِ قَوَائِم العَادِيَات[6] في مَصَالِحِ الإسْلامِ كَقَوَادِمِ ذَات[7] الجَنَاح، فهَذِه تُطْوَى لَهَا الأرْضُ[8] كَمَا تُطْوَى لِذِي الصَّلاح، وتِلْكَ يَتَّسِعُ لَهَا مَجَالُ الفَضَاءِ كَمَا يَتَّسِعُ لِمُرْسَلاتِ الرِّيَاحِ[9]، ورُبَّمَا تَسَاوَيَا في سُرْعَةِ القُدُوْم، وامْتَازَتْ الخَيْلُ في سُرَى اللَّيْلِ بمُشَابَهَةِ الفَلَكِ، ومُشَارَكَةِ النُّجُوْمِ، إلاّ أنَّ الخَيْلَ يُعِيْنُهَا قُوَّةُ رَاكِبِهَا وثَبَاتِهِ، ويُغْرِيْهَا بالسَّبْق حِدَّةُ عَزْمِ رَاكِضِهَا وثَبَاتِهِ، ويَطْوِي لَهَا شُقَّةَ الأرْضِ حُسْنُ صَبْرِهِ على مُوَاصَلَةِ السُّرَى، ويُقَرِّبُ لَهَا النَّازِحُ[10] طُوْلَ هَجْرِهِ لِطَيْفِ الكَرَى، حَتَّى إنَّ بَعْضَ رَاكِبي بَرِيْدِهَا يَكَادُ يَعْثِرُ طَوْقَ لَيْلِهِ بذَيْلِ صَاحِبِهِ، ويَلْتَبِسُ على نَاظِرِهِ ومُنْتَظِرِهِ عَدْوُهُ في المَهَمَّاتِ برَوَاحِهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الّذي كَانَ الرُّعْبُ يَتَقَدَّمُهُ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ

- (7) الجُنُوب: جمع الجَنْب والجانب وهو شِقُّ الإنسان، وربّما كانت الجنوب ريح تخالف ريح الشّمال، قال الأصمعي: "مجيء الجنوب ما بين مطلع سُهيل إلى مطلع الشّمس في الشّتاء، وإذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح. (لسان العرب: جنب).

(8) في الأصل: "وامتدى"، وفي: (ص): "وافتدى"، وأثبت ما يستقيم به المعنى.

(9) لعلّه يقصد الملك الأشرف صلاح الدّين خليل الّذي قتل غدراً في سنة 693هـ/1294م، وقد نُعت ب"السّعيد الشّهيد". انظر: (الفضل المأثور: ورقة:129، وتذكرة النّبيه: 167/1، وفوات الوفيات: 406/1-415).

(1) سقطت من رسالة رصف لفريد في وصف البريد.

(2) المعنى مأخوذ من قول السّري الرّفاء، الدّيوان: 264/1:

وشمائل شهد العدوّ بفضلها   والفضل ما شهدت به الأعداء

(3) من الآية: 25 من سورة الأحزاب.

(4) في رسالة رصف الفريد في وصف البريد: 79: "خبره".

(5) سوف ترد الإشارة إليه.

(6) العاديات: الخيل المُغيرة، قال الله تعالى:﴿والعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾ قال ابن عبّاس: هي الخيل، وقال عليّ-رضي الله عنه-: هي الإبل ههنا. (لسان العرب: عدا).

(7) في (ص): "ذاة".

(8) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: "عليكم بسير اللّيل، فإنّ الأرض تطوى باللّيل ما لا تُطوى بالنّهار". (الموطأ: 848).

(9) من الآية: 1 من سورة المرسلات:﴿والمُرْسَلاتِ عُرْفًا. فالعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾.

(10) في الأصل و(ص): "النارح".

إلى العِدَى(1)، والوَحْي يَأتِيْهِ مِنَ السَّمَاءِ بِخَبَرِ مَنْ رَاحَ لِحَرْبِهِ أو اغْتَدَى.

فَإنَّهُ لَمَّا كَانَ البَرِيْدُ جَنَاحَ المَمَالِكِ، ورَائِدَ المَهمَّاتِ الإسْلامِيَّةِ فِيْمَا قَرُبَ أو نَأى مِنْ المَسَالِكِ، وبِهِ تُنَفَّذُ المَهمَّاتِ في أوْقَاتِهَا، وتَتَوَافَقُ الحَرَكَاتُ فِيْمَا يَتَعَيَّنُ مِنْ مِيْقَاتِهَا، وتُعْرَفُ أحْوَالُ الثُّغُوْرِ على اتِّسَاعِ أطْرَافِهَا، واخْتِلافِ جِهَاتِهَا، كَانَ المُبرِّزُ في ذَلِكَ مَنْ عَرَفَ مِنْهُ السَّبْق وألِفَ، وسَلَّمَ لَهُ التَّقَدُّمَ في السُّرْعَةِ مِنْ نُظَرَائِهِ فَمَا ارْتِيْبَ في تَرَجُّحِهِ ولا اخْتَلَفَ، فَكَأنَّهُ شِهَابٌ يَتَوَقَّدُ في سَمَائِهِ، أو بَرْقٌ تَألَّقَ في أذْيَالِ الغَمَامِ لِسُرْعَةِ ومِيْضِهِ وانْطِوَائِهِ.

ولَمَّا كَانَ فُلانٌ مِمَّنْ جَلَّى في هَذِهِ الحَلَبَةِ، وبَرَزَ في ارْتِقَاءِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ، فَبَلَغَ إليها غَايَةً لا يُشَقُّ غُبَارُهَا(2) المُثَار، ونَشَرَ مِنْهَا رَايَةً لا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا الرِّيَاحِ الخَوَافِقِ بِسِوَى مُشَاهَدَةَ الآثَار.

فَسَارَ على البَرِيْدِ في قُوَّةِ الهَوَاجِرِ المُثْبطَةِ وشِدَّتِهَا، وقِصَرِ اللَّيَالِي المُعِيْنَةِ على السَّوْق، وتَقَارُبِ مُدَّتِهَا مِنْ دِمَشْقَ المَحْرُوْسَةِ إلى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ في يَوْمَيْنِ ونصْفٍ، فَكَانَ(3) لَهُ بِذَلِكَ مِزْيَةٌ على أقْرَانِهِ، ودَرَجة لا يَرْتَقَى إليها إلاَّ مَنْ جَارَاهُ إلى مِثْلِهَا في مَيْدَانِهِ، وسَأَلَ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أنْ يَكْتُبَ لَهُ خَطَّهُ بِمَا عَلِمَهُ، وأنْ يَشْهَدَ لَهُ بِمَا تَحَقَّقَهُ مِنْ هَذِهِ الحَرَكَةِ الَّتِي رَفَعَتْ بَيْنَ الأكِفَّاءِ عِلْمَهُ.

عُدْنَا إلى ابن العطَّار، ومنه رِسالته(4) في البُنْدق أوَّلَهَا: "أمَّا بَعْد حَمْدِ اللهِ على مَا أسْبَغَ مِنْ نَعْمَائِهِ، ووَالَى آلائِهِ، وأبَاحَ الإنْسَان مِنْ شَرَابِهِ(5)، وفَسَحَ لَهُ فِيْمَا يَتَدَرَّبُ بِهِ لِيَوْمِ هَيْجَائِهِ، ويَعِدُهُ مِنْ قُوَّةٍ لِدَفْعِ الصَّائِلِ عليهِ مِنْ أعْدَائِهِ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتِمِ أنْبِيَائِهِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وخُلَفَائِهِ وحُلَفَائِهِ، مَا مَدَّ الكَفُّ الخَضِيْبُ وتَرَ البَرِقِ لِقَوْسِ(6) الغَمَامِ، وحَلَّقَ طَائِرُ الفَجْرِ نَحْوَ الغَرْبِ مِنْ وَكْرِ الظَّلاَمِ.

---

(1) من قول النّبي-صلّى الله عليه وسلّم-: "نُصرت بالرّعب مسيرة شهر"، انظر: (صحيح البخاري: 212/3، و3/13).

(2) ورد في المثل: "ما يُشقُّ غباره"، ويُضرب مثلاً للسّابق المبرز على أصحابه. (مجمع الأمثال: 294/2، وجمهرة الأمثال: 232/2).

(3) في (ص): "وكان".

(4) في (ص): "رسالةً".

(5) في الأصل: "شرآبه"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(6) في (ص): "لقوم".

فَإنَّ الصَّيْدَ مِمَّا اتَّفَقَتْ الشَّرَائِعُ المُخْتَلِفَةُ على تَحْلِيْلِهِ[1]، ولَهِجَتْ النُّفُوسُ الأبِيَّةِ بِتَقْدِيْمِهِ على سَائِرِ المَلاذِّ الرِّيَاضِيَّةِ وتَفْضِيْلِهِ، مع إنَّهُ الرَّاحَةُ الَّتِي لا تُنَالُ إلاَّ بِتَجَشُّمِ التَّعَبِ، والمَسَرَّةُ الَّتِي لا تُدْرَكُ وإلاَّ بَعْدَ النَّصَبِ واللَّغَبِ[2]، وألَذه مِنَ القُلُوْبِ مَوْقِعَاً، وأمْكَنُهُ مِنَ النُّفُوْسِ مَوْضِعَاً، مَا أدْرَكَهُ المَرْءُ بِنَفْسِهِ، واكْتِسَابِهِ لا بِمُشَارَكَةِ بُزَاتِهِ وفُهُودِه وكِلاَبِه.

ولِذَلِكَ أجْهَدَ نُفُوْسَهُم فيهِ كَثِيْرٌ مِنَ المُلُوْكِ والخُلَفَاءِ، ولم يَرْضُوا بالصَّيْدِ مِنْ وَجْهِ الأرْضِ، فَعَمَدُوا إلى الصَّيْدِ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءِ[3]، ولم يَجِدُوا ذَلِكَ إلاَّ في صَرْعِ الطَّائِرِ الجَلِيْلِ[4] الَّذي لا يَشْتَرِكُ فيهِ صَغِيْرٌ مع كَبِيْرٍ، ولا حَقِيْرٌ مع جَلِيْلٍ، ولو لَمْ يَكُنْ فيهِ مع حُصُوْلِ المُرَادِ إلاَّ السَّلاَمَة مِنْ التَّقَطُّرِ[5] عَنِ الجِيَادِ، لَكَانَ أوْلاَهَا بالاخْتِيَارِ وأحَقُّهَا عِنْدَ الاجْتِبَارِ.

وأنِفُوا مِنْ بَقَايَا كَسَائِرِ كَأشْلاَءِ الذِّئَابِ، وفَضَلاَتِ مَا أكَلَتْهُ الفُهُوْدُ، ولعَتْ بِهِ الصُّقُوْرُ، وولَغَتْ[6] فيهِ الكِلاَبُ، فَعَمَدَ كُلٌّ مِنْهُم إلى الانْفِرَادِ في رِمَائِهِ، وصَرْعِ كُلِّ طَائِرٍ يَتَخَبَّطُ في ذمَائِهِ[7]، مُخَلَّقٌ[8] بدِمَائِهِ، مُرَاصَدٌ بارْتِقَائِهِ لِعُيُوْنِ الأوْتَارِ في التِفَافِهِ وتَحْلِيْقِهِ، جَدَدٌ[9] في حَالَتِي اجْتِمَاعِهِ وتَفْرِيْقِهِ، وتَغْرِيْبِهِ وتَشْرِيْقِهِ، وإذا فَكَّرَ اللَّبِيْبُ فِيْمَا أوْدَعَهُ البَارِي -جَلَّ جَلاله- مِنْ القِوَى فيها؛ ظَهَرَ لَهُ أسْرَار مَا أخْفَاهُ مِنْ بَدَائِعِ صُنْعِهِ بَيْنَ قَوَادِمِهَا وخَوَافِيْهَا.

---

(1) انظر: الآية: 4 من سورة المائدة.

(2) اللّغب: الإعياء والتّعب. (لسان العرب: لغب).

(3) كبد السّماء: وسطُها الّذي تقوم فيه الشّمس عند الزّوال، فيقال عند انحطاطها. (لسان العرب: كبد).

(4) الطّائر الجليل: هو المعبر عنه بطير الواجب، وبه تعتني رماة البندق ونحوها، وتفتخر بإصابته وصَرْعه، ويحتاج إليه في الرّسائل الصّيدية، وفي كتابه قدم البندق ونحوها، وهو أربعة عشر طائراً وهي على ضربين: الأوّل-طيور الشّتاء، وهي: الكُركي، والإوز، واللّغلغ، والحُبْرج، والتّمّ، والصّوغ، والعنّاز، والعقاب، والنّسر، والأنيسة. والثّاني- طيور الصّيف: وهي: الكي، والغرنوق، والمرزم، والشّبيطر. (صبح الأعشى: 2/69-75).

(5) التّقطر: قطره فرسه وأقطره وتقطّر به: ألقاه على تلك الهيئة، وتقطّر هو: رمى بنفسه من علو. (لسان العرب: قطر).

(6) ولغت: الولغ: شُرب السّباع بألسنتها، ولغ السّبع والكلب وكلُّ ذي خَطْمٍ، وولغ يلغُ فيهما ولغاً: شرب ماءً أو دماً. (لسان العرب: ولغ).

(7) الذّماء: بقيّة الرّوح في المذبوح، وقيل: الذّماء: قوّة القلب. (لسان العرب: ذمي).

(8) مُخَلّق: الخلوق: طيب معروف يُتّخذ من الزّعفران وغيره من أنواع الطّيب، وتغلب عليه الحمرة والصّفرة. (لسان العرب: خلق).

(9) جدد: الأرض الغليظة، وقيل: الأرض الصُّلبة، وقيل: المستوية. وفي المثل: "من سلك الجدد أمن العثار؛ يريد من سلك طريق الإجماع فكنى عنه بالجدد. (لسان العرب: جدد).

فَمِنْهَا التَّمُّ[1] الّذي هو أتمُّها صُورَةً، وأعْظَمُهَا سُوْرَةً[2]، قَدْ عَلاَ على الغُيُوْمِ لِرَمْي بَنادق النُّجُوْمِ، وخَاضَ بَحْرَ الظَّلاَمِ وعَبَّ فِيهِ[3]، وأخَذَ مِنْهُ قِطْعَةً بِسَاقَيْهِ وقِطْعَةً بِفِيْهِ، حَتَّى وَرَدَ على جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ، فَاكْتَسَبَ مِنْهَا رِيَاشَهُ[4]، واكْتَسَبَ مِنْ بَيَاضِهَا أَرْيَاشَهُ.

ثُمَّ الكُيُّ[5] الّذي هُوَ في طَيَرَانِهِ واعْتِنَانِه[6] في مِضْمَارِه، واسْتِنَانِه[7] كالفَارِسِ في مَيْدَانِهِ كَأَنَّهُ النَّجْمُ في حَالَةِ الرَّجْمِ، لو عَارَضَهُ السِّمَاكُ[8] لاقْتَلَعَهُ، أو الحُوت[9] لابْتَلَعَهُ.

ثُمَّ الإوَزّ[10] الّذي يَمْشِي مُتَبَخْتِراً، ويَنْقُرُ مُتَحَذِّراً، كَأَنَّمَا يَدُوْسُ على مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ، ويَمْتَازُ على أَبْنَاءِ جِنْسِهِ بِرِحْلَةِ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ، يَبِيْتُ على فَرْدِ رِجْلٍ واحِدَةٍ، ويَرْمُقُ مُوْهِمَاً أَنَّ عَيْنَهُ رَاقِدَةٌ، ولَيْسَتْ بِرَاقِدَة.

ثُمَّ اللَّغْلَغُ[11] الّذي يُوَافِي مِنْ بِلاَدِ الخَزَرِ[12]، ولا يَتَّقِي مِنَ البُنْدُقِ سِهَامَ القَدَرِ، ولا يَخْشَى أَنْ يُصِيْبَهُ عَيْنٌ مِنَ الوَتَرِ، لا يُحَارِبُ إلاَّ بِسِحْرِ الجُفُوْنِ مِنْ خَزَرِ[13] العُيُوْنِ، ولا يَسْتَجِنُّ إلاَّ مِنْ تَدْبِيْجِ الصَّدْرِ بِزَرَدٍ مَوْضُونٍ[14].

---

(1) التّمّ: طائر في قدر الإوز أبيض اللّون، طويل العنق، أحمر المنقار، وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قَدْراً. (صبح الأعشى: 72/2).

(2) سُورة: المنزلة، والجمع سُوَرٌ وسُوْرٌ. (لسان العرب: سور).

(3) عبّ: العَبُّ: شُرب الماء من غير مصّ؛ وقيل: أن يُشرب الماء ولا يتنفّس فيه. (لسان العرب: عبب).

(4) الرّياش: مفردها ريش وهو كسوة الطّائر. (لسان العرب: ريش).

(5) الكُي: طائر أغبر اللّون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلة، رجلاه تضربان إلى السّواد. (صبح الأعشى: 74/2).

(6) الاعتنان: الاعتراض والظّهور. (لسان العرب: عنن).

(7) الاستنان: النّشاط، واستنّ الفرس في المضمار إذا جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة. (لسان العرب: سنن).

(8) الإوز: طير يُحبُّ السّباحة، وفرخه يخرج من البيض ينزل في الماء ويسبح في الحال، والأنثى لا تحتضن إلاّ بيضها، وإذا حضنت الأنثى قام الذّكر يحرسها لا يفارقها. انظر: (الأغاني: 70/2، والمستطرف: 113/2، وحياة الحيوان الكبرى: 420/2).

(9) سبق الإشارة إليه.

(10) الحوت: برجٌ في السّماء، وهو آخر المنازل، ويقال لها السّمكة، وتسمّى الرّشاء أيضاً، وهي ثمانية عشر كوكباً تشكّل شكل سمكة رأسها في جهة الشّمال، وذنبها في جهة الجنوب، وفي الشّرق منها كوكب نير يُسمّى سُرّة الحوت، وبطن الحوت، وبطن السّمكة وقلب السّمكة... (صبح الأعشى: 181/2).

(11) اللّغلغ أو اللّقلق: طائر معروف، قيل إنّه من طيور الفواخت، يأتي مصر في أيّام الشّتاء، يأكل الحيّات، ويبني عُشّه في مكان عالٍ. انظر: (الأغاني: 70/2، والمستطرف: 144/2، وحياة الحيوان الكبرى: 431/2).

(12) بلاد الخزر: وقاعدته مدينة(بَلَنْجَر)، وهي مدينة عظيمة بَذْربند خزران، واقعة في الإقليم السّادس من الأقاليم السّبعة. (صبح الأعشى: 457/4).

(13) الخزر: ضيق العين وصغرها. (لسان العرب: خزر). في الأصل: "حزر"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(14) ورد في (لسان العرب: وضن): "الدّرع الموضونة: الدّرع المنسوجة، ويقال: مُداخلة الحِلَق بعضها في بعض".

ثُمَّ الأنِيْسَةُ[1] تَتَهَادَى تَهَادِي الطَّاووس[2]، وتَخْتَالُ اخْتِيَالَ العَرُوْسِ، حتَّى تَلْتَقِط حَبَّات القُلُوْبِ، وتَصِيْدُ سَوَافِرَ النُّفُوسِ، كَمْ قَطَعُوا في طَلَبِهَا مِنْ أنْهَارٍ نَهَار، وسَمَحُوا بإنْفَاق أكْيَاسِ النُّجُوْمِ مِنْ خزَائِنِ اللَّيْلِ ومَا فيها مِنْ دِرْهَمٍ ودِيْنَارٍ، فَمَا فَازُوا بِوِصَالِهَا، ولا ظَفِرُوا إلاّ مِنْ على وَجْهِ المَاءِ بِطَيْفِ خَيَالِهَا.

ثُمَّ الحُبْرُج[3] الّذي تَهَادَى في مِشْيَتِهِ غيْرَ مُرَوَّع، وكَأنَّمَا على كَتِفَيْهِ بَقَايَا مِنْ صَدَأ الدُّرُوْعِ، لم يَتَدَرَّعْ بِمَقَاصَّةِ الأنْهَارِ، ولا آوَى إلى ظِلِّ الأشْجَارِ، بَلْ بَرَزَ كَأنَّهُ مُنَاجِزٌ[4] يُشِيْرُ ألاَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ[5].

ثُمَّ النَّسر[6] الّذي عَلاَ عليهَا شَأناً، وغَدَا لها سُلْطَاناً، وسَارَ فيها بالعَفَاف عن دِمَائِهَا أجمل السَّيْرِ، وتَحَصَّنَ مِنْ قُنَّةِ[7] الجَبَلِ بِقُبَّةِ السَّمَاءِ، فَأصْبَحَ صَاحِبُ القُبَّةِ[8] والطَّيْرِ، حتَّى لَقَدْ ضَجَّ الأبَدُ مِنْ عُمْرِ لُبَد[9]، لما طَالَتْ صُحْبَةٌ لَهُ على رُغْمِهِ، واسْتَعَانَ بِهِ النَّمْرُوْدُ[10] في الصُّعُوْدِ إلى السَّمَاءِ على زَعْمِهِ.

---

(1) الأنيسة أو الأنيس: هو طير له لون حسن، غذاؤه الفاكهة، ومأواه الأنهار والبساتين والغياض، وله صوت حسن كالقمري. انظر: (الأغاني: 73/2، ونهاية الأرب: 238/10، والمستطرف: 113/2).

(2) في (ص): "الطواوس".

(3) الحُبرج، والحُبَارج: ذكر الحُبارى. انظر: ((لسان العرب: حبرج)، ونهاية الأرب: 215/10، وصبح الأعشى: 71/2، وحياة الحيوان الكبرى:218/1).

(4) ورد في (لسان العرب: نجز): "المناجز، المناجزة في القتال: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتّى يقتل كلّ واحد منهما صاحبه أو يُقْتَل أحدهما، قال عبيد، الدّيوان: 66:

كالهندوانيّ المهنـ ـــندِ، هَزّه القِرنُ المناجز

(5) من قول ابن المعتزّ، الدّيوان: 459/1:

وألبستني درعاً عليّ حصينةً فناديتُ صرف الدّهر هل من مبارز

(6) النّسر: هو سيّد الطّيور، ويعمّر طويلاً، وقيل: إنّه يعيش ألف سنة، وله قوّة على الطّيران حتّى قيل: إنّه يقطع من المشرق إلى المغرب في يوم، وجثّته عظيمة حتّى قيل: إنّه يحمل أولاد الأفيلة، وله قوّة حاسّة الشّمّ حتّى قيل: إنّه يشمّ رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ، وإذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطّيور هيبة له حتّى يفرغ من الأكل، يضع بيضه في الأماكن العالية ولا يحضنه، وتكون حرارة الشّمس بمنزلة الحضن، ومن طبعه أنّه لو شمّ رائحة الطّيب مات لوقته، وعنده الحزن على فراق إلفه حتّى قيل: إنّه ليموت كمداً. (حياة الحيوان الكبرى: 432/2، والمستطرف: 145/2، وصبح الأعشى: 73/2).

(7) القنّة: أعلى كلّ شيء، وقنّة الجبل وقلّتهُ: أعلاه. (لسان العرب: قنن).

(8) المقصود به النّسر الّذي تنسب إليه القبّة المسمّاة بقبّة النّسر الّتي سترد الإشارة إليها.

(9) لُبَد: هو النّسر السّابع من نسور لقمان، وفي المثل: "أتى أبدٌ على لُبَد"، وفيه يقول النّابغة الذّبياني، الدّيوان: 78:

أضحت خلاءً وأضحى أهلُهَا احتملوا أخنى عليها الّذي أخنى على لُبَدِ

والعرب تزعم أنّ النّسر يعيش خمسمائة عام، ويزعمون أنّ لقمان عاش عمر سبعة أنسر، كلّما مضى عمر نسر منها أخذ فرخ نسر آخر، وأنّ آخرها كان يُسمّى لُبد، وأنّه لمّا استوفى سنيه فمات قال لقمان: "أتى الأبد على لُبد"، ثمّ مات لقمان بعده. انظر: (مرآة الزّمان: 261/1، وجمهرة الأمثال: 126/1، وفصل المقال: 462).

(10) النّمرود: اسم ملك معروف. (لسان العرب: نمرد).

فَمَا ظَنُّكَ بِفِتْيَةٍ تَقْصِدُ صَرْعَ مِنْ هَذِهِ قُوَاهُ، ومِنْ جُمْلَةِ أَنْجُمِ السَّمَاءِ أَخَوَاهُ[1]، لَــــو صَارَعَهُ عُقَابُ الجَوِّ لَصَرَعَهُ، أو عَارَضَهُ أحَدُ النَّسْرَيْنِ لَمَا قَدِرَ أنْ يَطِيْرَ مَعَهُ.

ثُمَّ العُقَابُ[2] الَّتِي اشْتُهِرَ مِنْهَا الشَّهَامَةُ والضَّرَاوَةُ، حَتَّى اشْتُهِرَ مَا بَيْنَهَا وبَيْنَ الحَيَّةِ مِــنَ العَدَاوَةِ، فَإِنَّهَا تُوَسِّدُ فَرْخَهَا لُحُوْمَ الأرَانِبِ، ومَا عَنْقَاءُ مُغْــــرِبٍ[3] عِنْدَهَـــا إلاَّ كَبَعْــضِ الجَنَادِبِ، وطَالَمَا حَلَّقَ وَرَاءَ كُلِّ جِنْسٍ عَصَائِبُ مِنْهَا تَهْتَدِي بِعَصَائِبَ[4] مِنْ كُلِّ لِقُوَّةٍ ذي دكْنَةٍ، وقُوَّةٍ تَخَالُ الغَوَانِي ضَمَّخَتْهَا بالغَوَالِي، أو دَرَّعَتْهَا الغَوَادِي مدْرَعَةَ اللَّيَالِي:

كَأَنَّ قُلُوْبَ الطَّيْرِ رَطْبَاً ويَابِساً   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي[5]

وأمَّا الَّتِي تُحْمَلُ بأَسْيَاقِهَا ولا تُحْمَلُ بأعْنَاقِهَا، فَنَقُوْلُ:

ثُمَّ الكركي[6] الَّذي فَاقَ العُقَابَ فِي قُوَّةِ طَيَرَانِهِ والنَّسْرِ، وأمَّ مِصْرَ مِنَ الدّربندات[7]

---

(1) إشارة إلى النّسرين، وهما النّسر الواقع، وهو ثلاثة أنجم كأنّها أثافي، سمّي الواقع لأنّهم يجعلون اثنين منه جناحيه، ويقولون: قد ضمّهما إليه كأنّه طائر وقع. والآخر: النّسر الطّائر، سمّي بذلك لأنّهم يجعلون اثنين منه جناحيه، ويقولون: قد بسطهما كأنّــه طائر، والعامّة تسمّيه الميزان. (صبح الأعشى: 182/2).

(2) العقاب: من صغار جوارح الطّير يصيد الطّير وصغار الحيوان كالأرانب والثّعلب، ويأكل من كلّ حيوان كبده لأنّ الكبــــد ينفعه من أمراضه، قال الجاحظ: لمخلب العقاب خاصيّة في تقطيع الذّئب فينقضّ على الذّئب فيقدّه نصفين، ويتبع العســاكر لطعمه من لحوم القتلى. والعقاب لا يفرّخ إلاّ بيضتين، والزّيادة يرميها لأنّها أكولة، لا يتفرّغ للأولاد الكثيرة لقساوة قلبــها وسوء خلقها، وإذا هرمت وعجزت عن الطّيران تراعيها أفراخها، وإذا أظلم ضوء عينها من الهرم تصعد نحو الهـــواء إلى أن يخرق بريشها ثمّ تنزل فتغوص في شيء من عيون الماء فيذهب هرمها وتعود إليها قوّتها، وهو طويل العمر، بعيـــد التّسافر، يتغدّى بالعراق ويتعشّى باليمن. (نهاية الأرب: 181/10، وحياة الحيوان الكبرى: 428/2، وصبح الأعشى: 72/2).

(3) عنقاء مغرب، ومغربة، عن أبي عليّ: طائر عظيم يبعد في طيرانه؛ وقيل: هو من الألفاظ الدّالة على غير معنى، وقيل: هي الّتي أغربت في البلاد ولم تحسّ ولم تُرَ. وفيها يقول الشّاعر، (لسان العرب: غرب، حلّق):

ولولا سليمان الأمير لحلّقت   به، من عتاق الطّير، عنقاء مغرب

(4) من قول النّابغة الذّبياني، الدّيوان: 46:

إذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم   عصائب طير تهتدي بعصائب

(5) البيت لامرئ القيس، الدّيوان: 359/1.

(6) الكركي: طائر معروف يقال له بالفارسيّة كنك، وهو طير محبوب للملوك، وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر، ومصيفه بأرض العراق، له اجتماع في الطّيران لا يفارق بعضه بعضاً، وله مقدّم تتبعه الجماعة، وذلك بالنّوبة، وله حُراس باللّيل تــدور حول الكركي فإذا أحسّ بعدوّ زعق ونبّه أصحابه، والحراسة أيضاً بالنّوبة، والحارس يقيم على إحدى رجليــه حتّــى لا يغلبه النّوم، وإذا مشى وطئ الأرض بإحدى رجليه وبالأخرى قليلاً خوفاً من أن يُحَسُّ به، وإذا طار سار ســطراً يتقدّمــه واحد كهيئة الدّليل ثمّ تتبعه البقيّة... انظر: (نهاية الأرب: 234/10، وصبح الأعشى: 69/2، وحيـــاة الحيــوان الكــبرى: 431/2، والمستطرف: 142/2).

(7) الدّربندات: جاء في (معجم البلدان: 303/1): "باب الأبواب ويقال له: الباب والباب والأبواب هو الدّربند دربند شــروان، قال الاصطخري: إنّها على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر، وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلــين. وجمــع القلقشندي كلّ معانيها في(صبح الأعشى: 365/4).

و لم يَبْعِدْ على عَاشِقِ مِصْر:

نَجعَتْ مِنْ أقْصَى البِلاَدِ وآفَاقِهَا خَوَارِج في طَلَب أقْوَاتِهَا وأرْزَاقِهَا[1]

ثُمَّ الغَرَانِيْق[2] الّتي لا تَبْرُزُ إلاَّ مُحْمَرَّةُ الحَدَقِ لِقُوَّةِ الغَيْظِ وشِدَّةِ الخُنْقِ، حَذِرَة مِنْ قَوْسِ الرَّامِي وبُنْدُقِهِ، مُدَرَّعٌ كُلُّ طَائِرٍ مِنْهَا مَحْبُوْك الزَّرَدِ مِنْ مِغْزَرِه إلى مِفْرَقِهِ.

ثُمَّ الصَّوْغ[3] الّذي زَادَ على الطَّيورِ طولاً وعَرْضَاً، وأُعِدَّ للدِّفَاعِ مِنْ مِغْزَرِه مَا هُوَ أنْكَى مِنَ السَّيْفِ والسِّنَانِ وأمْضَى، وطَالَمَا رَامَ الرَّامِي بإرْسَالِ البَنَادقِ وراءه، فَأتْعَبَ جِيَادَ القِسِيّ وأنْضَى، كَأَنَّهُ قِطْعَة مِنَ الغَيْمِ تُصَرِّفُهَا الرِّيَاحُ، أو بَقِيَّةُ الغَلَسِ مِنَ اللَّيْلِ على وَجْهِ الصَّبَاحِ، وكَأنَّمَا وَرَدَ مِنْ نَهْرِ المَجَرَّةِ، ورَعَى نَرْجِسَ نُجُوْمِهِ كَرَّة، وخَافَ أنْ يَكُوْنَ لَهُ إليها كَرَّة.

ثُمَّ المِرْزَم[4] الّذي يُبَارِزُ بِجَوْشَنٍ[5] مُوَرَّد، وجُؤجُؤ[6] مُزَرَّد، "كَأَنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّد"[7]، كَأَنَّمَا[8] خَرَجَ مِنَ الهَيْجَا في طَلَبِ النَّجَا، وبِهِ رِشَاشٌ مِنَ الدِّمَاءِ، فَتبصَّر فَإذا "الطَّيْرُ مُسَخَّرَات في جَوِّ السَّمَاءِ"[9].

ثُمَّ الشُّبَيْطِر[10] الّذي يُبَارِزُ مُبَارَزَةَ الشُّجَاعِ، ويَلْتَقِمُ الأفْعُوَانَ والشُّجَاعَ[11]، قَدْ تَبْدأ

---

(1) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها .

(2) الغرانيق: مفردها غرنيق: طائر من طيور الماء، قال صاحب "المنطق": إنّ الغرانيق من الطّيور القواطع وإنّها إذا أحسّت بتغيّر الزّمان رجعت إلى بلادها، فعند ذلك تتّخذ قائداً ثمّ تنهض معاً، وإذا طارت ارتفعت في الهواء جدّاً كيلا يعرض لها شيء من سباع الطّير،...وإذا سقطت للطعم أمسكت عن الصّياح كيلا يحسّ بها العدوّ، وإذا أرادت النّوم أدخل كلّ واحد رأسه تحت جناحه لعلمها أنّ الجناح أحمل للصّدمة من الرّأس،...انظر: (نهاية الأرب: 234/10، وفيه "أنّ الغرانيق هي الكركي"، وصبح الأعشى: 74/2، وحياة الحيوان الكبرى: 430/2).

(3) الصّوغ: إنّه طائر مختلط اللّون من السّواد والبياض، أحمر الصّدر، وأكثر ميله إلى الخضرة والأشجار، وذكر الدّميري، حياة الحيوان الكبرى: 434/1: "أنّه من طيور اللّيل كالهامة إذا أحسّ بالصّباح صدح وصرخ، قال المفضّل: هو ذكر البوم. انظر: (عيون الأخبار: 91/2، وصبح الأعشى: 72/2). في الأصل و(ص): "الصّوع".

(4) المرزم: طائر أبيض في أطراف ريشه حُمرة، طويل الرّجلين والعنق، وهو حلال الأكل. (صبح الأعشى: 75/2)، والمرزم: اسم لعدد من النّجوم أشهرها مرزمان هما: الشّعريان: العبور، والغميصاء. (لسان العرب: رزم).

(5) الجوشن: الصّدر، ما عَرُض من وسط الصّدر، والجوشن: اسم الحديد الّذي يلبس من السّلاح. (لسان العرب: جشن).

(6) الجؤجؤ: الصّدر، وقيل: عظامه. (لسان العرب: جأجأ).

(7) من الآية: 44 من سورة النّمل:﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيْرَ﴾.

(8) سقطت من (ص).

(9) من الآية: 79 من سورة النّحل: ﴿أَلَمْ يَرَوا إلى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ اللهُ﴾.

(10) الشّبيطر، أو السّبيطر: طائر طويل العنق جدّاً، بريّ أبداً في الماء الضّحل الضّحضاح، ويكنى بأبي العيزار. انظر: (صبح الأعشى: 75/2، وحياة الحيوان الكبرى: 368/1).

(11) الأفعوان: ذكر الأفاعي. (لسان العرب: فعو)، الشّجاع: ضرب من الحيّات لطيف دقيق، وقيل: هو ضرب منها صغير. (لسان العرب: شجع).

الرُّمَاةُ بصَدْرِه وبنَحْرِه، ولَيْسَ جَوْشَنهُ مِنْ جَنَاحِهِ إلاَّ قُدَّامه ووَرَاء ظَهْرِه.

ثُمَّ العُنَّاز[1] الّذي اشْتَدَّ بَأساً، واخْتَارَ شِعَارَ الخُلَفاءِ لِبَاسَاً، ومَا سَمَحَ بإظْهَارِ ذَوَائِبَهُ وإشْرَافِهَا؛ إلاَّ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ عُظَمَاءِ الطَّيْرِ[2] أشْرَفها، قَدْ تَحَلّى مِنَ الحَدَقِ المِرَاضِ بالضِّدَّيْنِ مِنَ السَّوَادِ والبَيَاضِ، ومَا مِنْهُمَا إلاَّ مَا يُزَاحِمُ النُّجُوْمَ بالمَنَاكِبِ[3] "كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ ثَأراً عِنْدَ بَعْضِ الكَوَاكِبِ"[4]، لا يَبْرُزُ إليها رَامٍ إلاَّ رَاجِلاً، وهو مُشَمِّرٌ للذَّيْلِ، غَارِقٌ إلى وَسَطِهِ في وَحْلٍ وسَيْلٍ، يَصْرَعُ فَارِساً مِنَ السَّمَاءِ على أشْهَبِ[5] الصُّبْحِ، وأشْقَرِ البَرْقِ، وأدْهَمِ[6] اللَّيْلِ.

ومِنْهُ قَوله: "وأعْلى[7] في الخَافِقَيْنِ[8] خَوَافِقَ أعْلاَمِهِ، وبَسَطَ على البَسِيْطَةِ قَوَادمَ عَدْلِهِ وخَوَافِي إنْعَامِهِ حتَّى لا تُشْرِق شَمْسٌ إلاَّ على مَا مَلَكَتْ يَمِيْنُهُ، ولا تَلَقَّاهُ مَلِكٌ إلاَّ خَضَعَ لَهُ بالسُّجُوْدِ جَبِيْنُهُ.

المَمْلُوكُ يُقَبِّلُ الأرْضَ، ويَجْمَعُ بَيْنَ الطَّهُوْرَيْنِ: صَعِيْدهَا الطَّيِّب، وسَحَابِهَا الصَّيِّبِ[9]، ويُنْهِي ورُوْدَ المِثَالِ الشَّرِيْفِ، فَتَنَاوَلَ مِنْهُ كِتَابَ أمَانَةٍ باليَمِيْنِ، وأعْطَى بمُبَايَعَتِهِ اليَمِيْنَ، ولَثَمَهُ وهو مَوْضِع رَغَبَاتِ اللاثِمِيْنَ، ووَرَدَهُ[10] فَرَأى أَنَّهُ البَحْرُ العَذْبُ، ولا يَقْذِفُ مِنَ الدُّرِّ إلاَّ الثَّمِيْنَ.

ومِنْهُ قَوله: "وكَانَتِ المَمْلَكَةُ الحَلَبِيَّةُ مِنْ مَمَالِكِنَا، بِمَنْزِلَةِ السُّوْرِ على البَلَدِ، والرُّوْحِ مِنَ

---

(1) العنّاز: طائر من طيور الماء، وهو أيضاً ضرب من السّمك. (لسان العرب: عنز)، وفي (صبح الأعشى: 72/2): العنّاز: طائر أسود اللّون، أبيض الصّدر، أحمر الرّجلين والمنقار.

(2) سقطت من (ص).

(3) المناكب: في جناح الطّائر أربع بعد القوادم. (لسان العرب: نكب).

(4) من قول أبي تمام، الدّيوان: 283/1:

مكارم لجّت في علوّ كأنّها   تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

(5) الأشهب: الأبيض. (لسان العرب: شهب).

(6) الأدهم: الأسود. (لسان العرب: دهم).

(7) في الأصل: "وأعلا"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(8) الخافقان: قُطرا الهواء، والخافقان: أُفق المشرق والمغرب، قال ابن السّكيت: لأنّ اللّيل والنّهار يخفقان فيهما، وفي التّهذيب: يخفقان بينهما. (لسان العرب: خفق).

(9) الصّيّب: المطر. (لسان العرب: صيب).

(10) في (ص): "وورد".

بَيْنَ تَجهّزهما وإنْ لَمْ يَجتمِعَا، وليُرَتِّبْ أمُوْرَهَما على أجْمَلِ الأوْضَاعِ لِيَتَوافَيَا على انْفِرَادٍ واجْتِمَاعٍ، فَكَثِيْراً مَا سَبَقَ البَرِيْدُ السَّائِرَ، وجَاءَ قَبْلَ الطَّيْرِ الطَّائِرِ، فَبَلَغَ المَرَامَ، وعَاقَ الحَمَامَ الحِمَامُ".

ومِنْهُ قَوله: "-أعَزَّ اللهُ أنْصَارَ المَقَام، ولا زَالَتْ مَكَارِمهُ تَقْذِفُ لِمَنْ جَازَ بِهِ بِدُرِّه، والرَّوض يُسَابِقُ مَنْ مَرَّ عليهِ بِنَشْرِه، والمِسْك يُبَادِرُ مَنْ دَنَا[1] مِنْهُ بِعِطْرِه، والغَيْثُ الّذي لا يَقْتَصِرُ على سَائِلِهِ بِفَيْضِ قَطْرِه- المَمْلُوكُ يُقَبِّلُ الأرْضَ الّتِي مَنْ حَلَّ بِها نَالَ الغِنَى، ومَنْ خَيَّمَ بِدَارِهَا نَالَ المُنَى، ومَا اجْتَازَ بِها إلاَّ مَنْ وَافَاه إسْعَافُهُ وإسْعَادُهُ، ومَا سَارَ أحَدٌ في الآفَاقِ إلاَّ ومِنْ إنْعَامِهَا رَاحِلتهُ وزَادُه.

ويُنْهِي وُرُوْدَ كِتَابُ فُلان يَصِفُ إحْسَانَ مَوْلاَنَا إليهِ وإنْعَامِهِ، ومَا تَعَجَّلَ في مَقَامِهِ الأمِيْنِ مِنْ دَارِ الكَرَامَةِ، وإقَامَتِهِ بِهِ وبِعَسْكَرِهِ في حَالَتَي تَوَجُّهِهِ وعَوْدِه، وشَكَرَ سَحَابَةَ العَمِيْمَ وجُوْدَ جُوْدِه، وشَكَرَ المَمْلُوكُ عَنْهُ صَدَقَاتِ مَلِكٍ، لا يَخْلُو[2] نَازِلٌ مِنْ إكْرَامِهِ، ولا رَاحِلٌ مِنْ إنْعَامِهِ، ولا يَزَالُ في الإقَامَةِ والظَّعْنِ، إمَّا يُؤوِيْهِم[3] إلى كَنَفِهِ، أو يُرْسِلُ عليهم ظُلَّةً مِنْ غَمَامِهِ[4]، وتِلْكَ سَجِيَّةُ مَوْلاَنَا الّتِي جُبِلَتْ على الإحْسَانِ إلى كُلِّ إنْسَانٍ، واصْطِنَاعِ المَعْرُوْفِ إلى المَعْرُوْفِ وغَيْرِ المَعْرُوْفِ، واللهُ تَعَالَى يُوْزِعُ الدَّهْرَ شُكْرَ مَوْلاَنَا الّذي شَمَلَ بِرُّهُ الأنَامَ، وسَطَّرَتْهُ أنَامِلُ الحَمْدِ في صَحَائِفِ الأيَّامِ".

ومِنْهُ قَوله: "وَوَصَلْنَا مَعَهُ طَرَابُلُسَ، فَنَزَلَ بِسَاحَتِهَا، وجَعَلَهَا للعَسَاكِرِ المَنْصُوْرَةِ مَوْطِنَ رَاحَتِهَا، ومَوْطِنَ إبَاحَتِهَا، وقَدْ تَكَفَّلَ البَحْرُ لَهَا بالامْتِنَاعِ، وضَمِنَ لها مَا يَزِيْدُ على حَصَانَةِ القِلاَعِ، وأمَدَّهَا مِنْ بِلاَدِ الفِرَنْجِ كُلَّ يومٍ بِمَدَدٍ، وَوَاصَلَهَا بالمَرَاكِبِ الكَثِيْرَةِ العُدَدِ، فَوَصَلَ رُسُلُ أهْلِهَا وتَوَسَّلُوا بالذَّرائِعِ، وبَذَلَ الأمْوَالَ والقَطَائِعَ، وعِمَارَةَ المَأذَنَةِ والجَامِعِ، فَلَمْ يَقْنَعْ مِنْهُم بِغَيْرِ الإسْلاَمِ أو تَسْلِيْمِ البَلَدِ بِجُمْلَتِهِ، وإعَادَةِ القِبْلَةِ مِنْ شَرْقِ بَيْعَتِهِ إلى قِبْلَتِهِ، فَاعْتَصَمُوا بالأسْوَارِ، ورَكَنُوا للقِتَالِ مِنْ وَرَاءِ الجِدَارِ، وأطْلَقُوا نَحْوَ كُلِّ سَهْمٍ مِنَ المَنْجَنِيْقِ يُشِيْرُ عليهِم بَنَانُهُ بالإيْمَانِ، ويَمِيْلُ تَارَةً إليهِم، وتَارَةً إلينا، ويَمِيْدُ كَالنَّشْوَانِ، فَنَصَبْنَا

---

(1) في الأصل: "دن"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) في الأصل: "يخلوا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(3) في الأصل: "يويهم"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(4) من الآية: 210 من سورة البقرة :﴿هَلْ يَنظُرُوْنَ إلاَّ أنْ يَأتِيَهِم اللهُ في ظلل مِنَ الغَمَامِ﴾.

مَناجَنيْقَنَـــا قُبَالَةَ مَجانيْقَهُم الّتي نَصبُوْهَا مِنْ وَرَاءِ أسْوَارِهَا، ولَمْ تَزَلْ تَرْمِيْهُم حتّى عَـــادَ السُّوْرُ رَمِيْمَاً[1]، والحَجَرُ الّذي كَانَ بأعْلَى الأبْرَاجِ في أسْفَلِ الخَنْدَقِ هَشِيْمَاً[2]، وكَثِيْراً مَـــا كَانَتْ تُثِيْرُ مَجَانيْقُهُم فَتَقْضِي عليهِم بِبَوَارِهِم، وتُبَشِّرَهُم مِـــنْ أوَّلِ أمْرِهِـــم بإدْبَـــارِهِم، و"تُصِيْبُهُم قَارِعَةٌ بِمَا صَنَعُوا أو تَحِلُّ قَرِيْبَاً مِنْ دَارِهِم"[3].

فَرَجَعَتْ عليها العَسَاكِرُ المَنْصُوْرَةُ، وفي عَاجِلِ الوَقْتِ مَلَكُوا البَاشُوْرَةَ[4]، فَعَلِمُوا إنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِوَى الإسَارِ[5] أو القَتْلِ أو الفِرَارِ، فَالتَبَسَتْ على كُلٍّ مِنْهُم مَذَاهِبُهُ:

فَرَاحُوا فَرِيْقَاً في الأسَارِ وبَعْضهم قَتِيْلٌ وبَعْضٌ لاَذَ بالبحرِ هَارِبُه[6]

فَهَجَمْتَ العَسَاكِرُ المَنْصُوْرَةُ عليهَا هُجُوْمَ اللّيُوثِ الضَّوَارِي، وعَاجَلَتْ أكْثَرَهُم عن الالْتِجَاءِ إلى المَرْكَبِ والاعْتِصَامِ بالصَّوَارِي، وتَصَرَّفَتْ فِيْمَنْ بَقِي مِنْهُم يَدُ القَهْرِ، وتَنَوَّعَتْ فيهم مِنَ القَتْلِ والنَّهْبِ والسَّبْي والأسْرِ".

ومِنْهُ قَوله مِمَّا كَتَبَهُ إلى أبي الفَضْلِ بن عَبْد الظَّاهر[7]:

سَقَى وحَيَّا[8] اللهُ طَيْفَاً أتَى فَقُمْتَ إجْلالاً [لَهُ][9] وقَبَّلْتُهُ
لِشِدَّةِ الشَّوْقِ الّذي بَيْنَنَا قَدْ زَارَنِي حَقّاً وَقَدْ[10] زُرْتُهُ

وَافَى مِنَ الجَنَابِ العَالِي المحْيَوي-آنسَ اللهُ المَمْلُوكَ بقُرْبِه، وحَفِظَ عليهِ مَنْزِلَتَهُ مِنْ قَلْبِـــهِ، وهَدَاهُ إلى الطَّرِيْقِ الّذي[11] كَانَ قَدْ ظَفِرَ فيها بِمَطْلَبِ البَلاَغَةِ مِنْ كُتُبِهِ[12]، ولا شَغَلَهُ بِسِوَاه حَتّى لا يَسْمَعُ غَيْرَ كَلاَمِهِ، ولا يَرَى غَيْرَ شَخْصِهِ، ولا يَنْطِقُ إلاَّ بِذِكْرِهِ لِغَلَبَةِ حُبِّـــهِ

---

(1) من الآية: 42 من سورة الذّاريات: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

(2) من الآية: 45 من سورة الكهف:﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمَاً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾.

(3) من الآية: 31 من سورة الرّعد:﴿ولاَ يَزَالُ الّذِيْنَ كَفَرُوا تُصِيبُهم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَة أوْ تَحِلُّ قَرِيبَاً مِنْ دَارِهِم﴾.

(4) الباشورة: وجمعها بواشير، وهي سدّ من التّراب لمنع وصول الخيّالة والرّجال والسّهام إلى موضع المحـــاربين. انظـــر: (السّـــلوك: 150/1، حاشية 4).

(5) في (ص): "الأسارى".

(6) البيت لبشّار بن برد، الدّيوان: 146، بلفظ: "ومثله" بدل: "وبعضهم"، ولفظ: "ومثل" بدل: "وبعض".

(7) سبق التّرجمة له.

(8) في الأصل و(ص): "وحيي"، وقد أثبتنا ما ورد في : أعيان العصر: 387/1، والوافي: 168/8.

(9) زيادة وردت في(ص).

(10) في النهل الصّافي: 211/2: "وما زرته".

(11) في الوافي: 168/8: "الّتي".

(12) سقطت من الوافي.

ولا رَآهُ[1] في المَنَامِ، ولا رَآهُ[2] في خِفْيَةٍ واكْتِتَامٍ، ولا شَاهَدَهُ بِدَعْوَى الأَحْلاَمِ، بَلَى[3]، فَإِنَّ المُنَى أَحْلاَمُ المُسْتَيْقِظِ، وهو بِهِ طُوْلُ المَدَى حَالِمٍ، والنَّاسُ نِيَامٌ، ولا يُنْكِرُ الإِخْلاَلَ بِالمُكَاتَبَةِ على نَائِمٍ "والقَلَمُ مَرْفُوْعٌ عن النَّائِمِ"[4]، غَيْرَ أَنَّ المَمْلُوْكَ الظَّاهِرِيَّ[5] أَمَاتَهُ الشَّوْقُ فَانْتَبَهَ بَعْدَمَا زَارَهُ[6] بِعَيْنِهِ، وهو[7] لا يَتَأَوَّلُ، ولا سِيَّمَا في أَمْرِ مَا اشْتَبَهَ، ومَا كَانَتْ زِيَارَتُهُ لَهُ إِلاَّ مُنَافَسَةً لَهُ بِظَنِّهِ أَنَّ المَمْلُوْكَ عَلِقَتْ بِهِ سِنَةُ[8] الكَرَى، ومُنَاقَشَةً لِطَلَبِهِ زَوْرَ الخَيَالِ حَقِيْقَةً لَمَّا سَرَى، لِيَنْفِيَ الوَسَنَ[9] عن نَظَرِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ على أَثَرِهِ، ولَمَّا سَجَدَتْ لَهُ الأَجْفَانُ ظَنَّ بِهَا سِنَةً فَزَارَهَا مُنَبِّهًا، ومَا كَانَ إِلاَّ سَاهِيًا بِمَزَارِهِ عن خِدْمَتِهِ، فَلاَ يُنْكِرُ على جَفْنِهِ السُّجُوْدَ لَمَّا سَهَا[10]، ولَكِنْ غُلَّةُ[11] الشَّوْقِ أَطْفَأَ حَرَّهَا بِمَزَارِهِ، وأَعْلَقَ بِهِ أَشْرَاكَ الأَجْفَانِ خِيْفَةً مِنْ نِفَارِهِ، وعَقَلَهُ بِحَبَائِلِ جَفْنَيْهِ خَشْيَةً أَنْ تَنْزِعَ يَدُ اليَقْظَةِ حَنِيْنَهُ[12] مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وضَمَّهَا على خَيَالِهِ ضَمَّ المُحِبِّ لِلعِنَاقِ يَمِيْنَهُ على شِمَالِهِ. ولَكِنْ مَا فَازَ بِالعِنَاقِ إِلاَّ يَدٌ ويَدَانِ[13]، وعِنَاقُ المَمْلُوْكِ لِلطَّيْفِ مِنْ فَرْطِ الوَجْدِ بِأَرْبَعَةِ أَيْدٍ[14] مِنَ الأَجْفَانِ.

وإِنْ لَمْ تُؤخَذْ هَذِهِ الدَّعْوَى مِنْهُ بِالتَّسْلِيْمِ، وقِيْلَ مَا زَارَهُ بَلْ اسْتَزَارَهُ فِكْرٌ لَهُ " في كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُ"[15]، فَبَلَى وحَقِّهِ لَقَدْ صَدَقَ[16] مَزَارًا، إِنَّ الكَرِيْمَ إِذَا لَمْ يَسْتَزِرْ زَارَا[17].

(1) في الوافي: 168/8: "زاره".

(2) في الوافي: "أتاه".

(3) في الوافي: "بل".

(4) من قول الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-: "إنّ القلم رُفع عن ثلاثة: المجنون حتّى يفيق، وعن الصّبي حتّى يُدرك، وعن النّائم حتّى يستيقظ،...". انظر: (صحيح البخاري: 195/19).

(5) سقطت من الوافي.

(6) في الوافي: "رآه".

(7) في الوافي: "فهو".

(8) في الوافي: "أسباب".

(9) الوَسَن: أوّل النّوم، وقيل: ثقلة النّوم. (لسان العرب: وسن).

(10) في (ص): "سهى".

(11) في الوافي: 168/8: "علّةٍ للشّوق".

(12) في الوافي: "حبيبه".

(13) في الوافي: "أو يدان".

(14) في الأصل: "ليدٍ"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي.

(15) من الآية: 225 من سورة الشّعراء:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُوْنَ﴾.

(16) في الوافي: "قصد".

(17) من قول الشّاعر، (محاضرات الرّاغب):638/2:

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم إنّ المحبّ إذا لم يستزر زارا

وتَاللهِ لَقَدْ وَافَاهُ، ووَسَّدَهُ(1) على حَشَاهُ، ويُمْنَاهُ مُتَشبِّثاً(2) بأذْيَالِ دُجَاهُ. وفاجأه(3) فَوَجَدَهُ على أبْرَحِ(4) الوَجْدِ الّذي عَهِده(5)، إلاَّ أنَّ ضَيْفَ الطَّيْفِ مَا اهْتَدَى إلاَّ بِنَارِ أشْوَاقِهِ، ومَا سَرَى بَلْ سَارَ في ضِيَاءٍ(6) مِنْ بَارِقِ دَمْعِهِ، ومَا يُورَى قَدْحاً مِنْ سَنَابِكِ بُرَاقِهِ، وتَسَوَّرَ أسْوَارَ الجُفُوْنِ، وخَاضَ السُّيُوْلَ مِنَ العُيُوْنِ(7)، كَيْفَ لا وهو يَتحَقَّقُ أنْ لِقَاهُ المُرَادُ، وإذَا هو نَامَ زَارَهُ طَيْفُ كَرَى في الرُّقَادِ، فَأجَابَهُ ابنُ عبد الظَّاهِرِ(8):

في النَّوْمِ واليَقَظَةِ لِي رَاتِبٌ   عَلَيْكَ في الحَالَيْنِ قَرَّرْتُه(9)
تَفَضَّلَ المَوْلَى إذا زَارَهُ   طَيْفُ(10) خيَالِي مِنْهُ إنْ زُرْتُه(11)

وَرَدَ على المَمْلُوْكِ-أدَامَ اللهُ نِعْمَةَ الجَنَابِ العَالِي الكَمَالِي، ولا أسْهَرَ جَفْنَهُ إلاَّ في سَبِيْلِ المَكَارِمِ، ولا سَهَّدَهَا إلاَّ في تَأوِيْلِ رُؤيَا مَغَارِمِ الفَضْلِ الّتي يَرَاهَا مِنْ جُمْلَةِ المَغَانِمِ، وجَعَلَهُ تَنغَمِرُ(12) بِحلمةِ هَفْوَةُ الطَّيْفِ، وكَيْفَ لا يَحْلُمُ الحَالِمُ؟!- كِتَابٌ شَرِيْفٌ حَبَّبَ إليهِ التَّشْبِيْهَ بِنَصْبِ حَبَائِلَ الهُدْبِ مِنَ الجُفُوْنِ، والاسْتِغْشَاءِ بالنُّعَاسِ(13) لَعَلَّ خَيَالاً في المَنَامِ يَكُوْن، ولِتَغْنَمَ اجْتِمَاعَهُ ولو في الكَرَى، وتُصْبِحُ عَيْنُهُ مَدِيْنَةً وإنْ مَضَى عليها زَمَنٌ وهي مِنَ القُرَى، ويَنْعَمُ طَرْفُهُ مِنَ التَّلاَقِي بأحْسَنِ الطُّرَفِ، ويَقُوْلُ: هَذَا مِنْ تِلْكَ السَّجَايَا أظْرَفُ(14) الهَدَايَا، ومِنْ تِلْكَ المَزَايَا ألْطَفُ التُّحَفِ، ويَرْفَعُ مَحَلَّ الطَّيْفِ فَيُرْقِيْهِ مِنَ الهُدْبِ في سَلاَلِمِ، بَلْ

(1) في الوافي: 168/8: "ويسراه".
(2) في الأصل: "مبشبثا"، وفي الوافي: "متشبثة"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.
(3) في الأصل و(ص): "وفجئة"، وأثبت ما هو أولى.
(4) في (ص): "أبرج".
(5) في الوافي: "على أبرح ما يكون من الوجد الّذي عهده".
(6) في الأصل: "ضيا"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي.
(7) إلى هنا انتهى النّص في الوافي.
(8) هو محمّد بن عبد الله بن عبد الظّاهر بن نشوان فتح الدّين(631-691هـ): أوّل من سُمّي بكاتب السرّ في الدّيار المصريّة كان صاحب ديوان الإنشاء فيها، مولده بالقاهرة، ووفاته بدمشق. انظر: (النّجوم الزّاهرة: 35/8، وحسن المحاضرة: 570/1، والوافي: 366/3، وشذرات الذّهب: 419/5، والأعلام: 234).
(9) في المنهل الصّافي: 211/2: "قدرته".
(10) في الأصل: "طيفي"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي، وفي المنهل الصّافي: 211/2: "طيفي خيال".
(11) البيتان وردا في أعيان العصر: 387/1والوافي: 169/8.
(12) في الوافي: 169/8: "يتعزز".
(13) من الآية: 11 من سورة الأنفال:﴿إذ يُغَشِّيْكُم النُّعَاسَ أمَنَة مِنْهُ﴾.
(14) في الوافي: أطيب".

يُمطِيْهِ طِرْفَ طَرْفِهِ، ويَجْعَلُهَا لَهُ شَكَائِمَ[1]، لا بَلْ يُرْخِيْهَا لِصَوْنِهِ أَسْتَاراً ولا يَصفهَا بأَنَّهَا دُخَانٌ، إذ[2] كَانَ يُجِلُّ مَوْطِنَ الطَّيْفِ الكَرِيْمِ أنْ يُؤَجّجَ نَاراً، ويُعَظِّمُهُ عن أنَّهُ إذا أَرْسَلَ خَيَالَهُ رَائِداً أنْ تُتْعِبَهُ[3] المَنَاظِر، وأنْ يُكَلِّفَهُ مَشَقَّةً بِسُلُوْكِ مَدَارِجَ الدّمُوْعِ إذْ هِي مَحَاجِر، ثُمَّ يَخْشَى أَنَّهُ يَحْصَلُ نُفُوْرٌ مِنَ التَّغَالِي في وَصْفِ الدّمُوْعِ بأَنَّهَا سُيُوْلٌ، فَيُهَوِّلُ مِنْ أَمْرِهَا مَا يُهَوِّلُ، ويَقُوْلُ: هَلْ الدَّمْعُ إلاّ مَاء[4] يُرَشُّ بِهِ بَيْنَ يَدِي الطَّيْفِ؟! وهَلْ الهُدْبُ على تَقْدِيْرِ أَنَّهَا دُخَانٌ إلاّ مَا لَعَلَّهُ يَرْتَفِعُ لِمَا يُقْرَى بِهِ الضَّيْف، وعن إبْرَادِ الأَجْفَانِ[5] بِهَذَا[6] وإسْخَانِ العُيُوْنِ بِهَذِهِ، وهَلْ هُمَا لإيْلاَف[7] الخَيَال إلاّ مَا يَقْصُدُهُ مِنْ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ ورِحْلَةِ الصَّيْفِ[8]، ثُمَّ يَحْتَقِرُ المَمْلُوك عَيْنَهُ عن أَنَّهُ يُلْزِمُهُ هَذا الأمْرِ تَكْلِيْفاً، ويَتَدَبَّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيْفاً﴾[9]، ويَقُوْلُ لَهُ: لا تَطِيْق القِيَامَ بِمَا لِهَذِهِ[10] الزَّوْرَةِ للزوم[11] مِنَ الوَظِيْفَة؛ لأنَّ النَّوْمَ سُلْطَانٌ وخَلِيْفَة[12]، وأنِّي بِذَلِكَ مع خَلِيْفَةِ الحَبِيْبِ، ويَدُ الخِلاَفَةِ لا تُطَاوِلُهَا يَدٌ، والعُيُوْنُ في الصِّبَا[13] زَوْرَتُهَا حَقِيْقَةٌ، ويُمْكِنُ ألاّ تُوْصَف إلاّ بأَنَّهَا ضَعِيْفَة، فَيَقُوْلُ: كَمْ مِثْلِي إنْسَان تَطَاوَلَ الاسْتِزَارَةِ الطَّيْفِ حَتَّى طَرَقَ؟ وكَمْ خَيَال أَتَى على أعْيُنِ النَّاسِ فَجَاءَ مَحْمُوْلاً على الحَدَقِ؟ وكَمْ مُحِبّ ذَرَأَ عن النَّوْمِ يُشبهه تَغْمِيْض الأجْفَانِ عن غَيْرِ غَمْض[14] حَدَّ القَطْعِ على السَّرق. ثُمَّ يَأْخُذُ في طَرِيْقَةٍ غيرَ هَذِهِ الطَّرِيْقَة، ويَرَى الاكْتِفَاءَ بالمَجَازِ عن الحَقِيْقَةِ، وإذا أَقَامَتِ العَيْنُ الحُجَّةَ[15] في تَصْوِيْبِ اسْتِزَارَةِ

(1) الشّكائم: مفردها شكيمة، والشّكيمة من اللّجام: الحديدة المعترضة في الفم. (لسان العرب: شكم).

(2) في (ص): "إذا".

(3) في الوافي: 169/8: "يتبعه النّاظر".

(4) في الأصل: "ما"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي.

(5) في الوافي: "الجفون".

(6) في (ص): "بماذا".

(7) في الأصل و(ص): "ليلاف"، وقد أثبتنا ما ورد في الوافي.

(8) من الآية: 2 من سورة قريش: ﴿لإيلافِ قُرَيْش. إيْلافِهِم رِحْلَة الشّتَاء والصَّيْفِ﴾.

(9) من الآية: 28 من سورة النّساء.

(10) في الوافي: 169/8: "القيام لهذه"، وسقطت: "بما".

(11) في الوافي: "الشّريفة".

(12) قول معروف، وممّا نظم فيه قول البهاء زهير، الدّيوان: 265:

من لي بنومي أشكو ذا السّهاد له ... فهم يقولون: إنّ النّوم سلطان

(13) في الأصل: "الصّبى"، وفي الوافي: "والعيون في الصّبا أو الكبر لا توصف إلاّ بأنّها ضعيفة".

(14) في الوافي: 170/8: "عمد".

(15) في الوافي: "أومأت العين للحجّة".

الخَيَالِ، يَقُوْلُ: مَا هَذِهِ الحُجَجُ الّتِي تُسَمَّى وثِيْقَة؟ ويَرَى أنْ تَمَثُّلَ الشَّخْصَ الشَّرِيْفَ في الخَاطِرِ قَدْ أغْنَاهُ عن أنَّهُ يَتَقَلَّدُ[1] مِنْهُ الكَرَى وكَفَاه، أنَّهُ يُنْشِدُ:

سُرَّ الخَيَالُ بِطَيْفِهِ لَمَّا سَرَى

ولم يُحْوِجهُ حَاشَاهُ إلى أنَّهُ يُزَوِّرُ لَهُ مَحْضَراً، ولا أنَّهُ يُنْشِدُ:

أتُرَى دَرَى ذَاكَ الرَّقِيْبُ بِمَا جَرَى

اللَّهُمَّ إلاّ أنْ يُورِدَ[2] مَوْرِدَ العَيْنِ أنْفَعَ مَا يُدَّخَر، والعَيْنُ الصَّافِيَةُ مَا بَرِحَ عِنْدَهَا مِنَ الخَيَالِ الخَبَر، وإذا كَانَ القَلْبُ مُتَوَلِّي الحَرْبَ مع الأشْوَاقِ فَكَيْفَ يُشَاحِحُ[3] الخَيَال على أنَّهُ مُتَوَلِّي النَّظَر، فَحِيْنَئذ يَشْتَاقُ[4] إلى الوَسَنِ، ويُمَدُّ لَهُ مِنَ الهُدْبِ الرَّسَنْ، ويَزُوْرُ ويَسْتَزِير، ويُقَصِّر ويَتْلُو: ﴿وَيَعْفُو[5] عَنْ كَثِيْر﴾[6]، ويَذْهَبُ لأجْلِ ذَلِكَ[7] مَذْهَبَ مَنْ إنَّهُ يُقَدّم على الأيَّامِ واللَّيَال ويُعَظِّمهَا لأنَّهُ مَظَنَّة هَجْمَةِ[8] الخَيَالِ، ويَجْعَلُ جُفُوْنَهُ أرْضَ تِلْكَ الهَجْمَةِ[9] الّتِي تَغَلَّبَ عليها ومَا بَرِحَتْ تَغْلِب لها أرض الجِبَال.

وأمَّا النِّيْلُ فَكَم احْتَقَرَهُ المَمْلُوكُ بالنِّسْبَةِ إلى كَرَمِ مَوْلاَنَا وَنَوَالِهِ، وتَكَرَّه مَذَاقَهُ بالإضَافَةِ إلى زُلاَلِهِ، وتَحَقَّقَ أنَّ مِقْيَاسَ رَاحَتِهِ هو الّذي يَسْتَسْعِدُ بِهِ الأُمَمَ، وإنَّ الأصَابعَ مِنَ الأصَابِعِ[10] الكَرِيْمَةِ، والعَمُوْدُ القَلَمِ، وإنَّ طَالِبَ وِرْد ذَاكَ[11] تَعِبْ، وطَالِبَ جُوْدَ سَيِّدنا مُسْتَرِيْح، ويَكْفِي وَاصِف نَوَالِهِ لَهُ وهو غَايَةُ المَدِيْح[12].

وأمَّا مَا لابن العَطَّارِ مِنْ شِعْرٍ، فَكَتَبَ أبو الفَضْلِ عبد الله بن عبد الظَّاهر إليه:

لا تُنْكِرَنَّ على الأقْلاَمِ إنْ قَصُرَتْ ... لَهُ[13] مَسَاعٍ إذا أبْصَرْتَها وَخُطَا

---

(1) في الوافي: 170/8: "ينقله".

(2) في الوافي: "اللمّ ليورد".

(3) في (ص): "يشاحج".

(4) في الوافي: "يسكن".

(5) في (ص): "ويتلوا ويعفوا".

(6) من الآية: 15 من سورة المائدة.

(7) في الوافي: "ذاك مذهب من يقدم على الأيّام اللّيالي".

(8) في الوافي: "هجوم".

(9) في (ص): "النّجمة"، لعلّه تحريف.

(10) سبق الإشارة إلى مقياس النّيل والأصابع.

(11) في (ص): "ذلك".

(12) إلى هنا انتهى النّص في الوافي: 171/8.

(13) في أعيان العصر: 386/1، والوافي: 171/8: "لها".

فَعَارِضُ الطِّرْسِ في خَدِّ(1) الطّروسِ بَدَا   مِنْ أَبْيَضِ الرَّمْلِ شَيْبٌ فيهِ قَدْ وخَطَا

فَقَالَ ابنُ العَطَّارِ يُجيبُهُ:

أَقْلاَمُ فَضْلِكَ مَا شَابَتْ ولا قَصُرَتْ   لَهُ(2) مَسَاعٍ إذا أنْصَفَهَا وخُطَا

بَلْ عَارِضُ الطِّرْسِ لَمَّا شَابَ عَنْبَرُهُ   بِعُشْبِهِ قِيْلَ: شَيْبٌ فيهِ قَدّ وخَطَا

ومِنْهُ قَوله في رِثَاءِ الظَّاهر بيبرس البندقداري(3):

بَكَتِ القِسيُّ لِفَقْدِهِ حتَّى انْثَنَتْ   ولَهَا عَلَيْهِ مِنَ الرَّنِيْنِ تَحَسُّرُ

ولِحُزْنِهَا بِيْضُ الصِّفَاحِ قَدْ انْحَنَتْ   وتَبِيْتُ في أغْمَادِهَا تَتَسَتَّرُ(4)

أَرْخَتْ ذَوَابِلُهُ ذَوَائِبَهَا أسَىً   ولِرَنْكِهِ وَجْهٌ عليها(5) أَصْفَرُ

ولَواؤهُ لِبسَ الحِدَادَ فَهَلْ تُرَى   كَانَ الشِّعَارُ لِفَقْدِهِ يَسْتَشعِرُ

مَلِكٌ بَكَتْهُ أَرَائِكٌ وتَرَائِكٌ   ومَلاَئِكٌ ومَمَالِكٌ لا تُحْصَرُ

ولَكَم بَكَتْهُ حُصْنُهُ وحُصُوْنُهُ   ونَزِيْلُهُ ونزَالِهِ والعَسْكَرُ

مَنْ لِلْمَالِكِ بَعْدَهُ مِنْ كَافِلٍ   كَم حَاطَهَا بالرَّأي مِنْهُ مُسَوَّرُ

قَدْ حَرَّكَ الثِّقَلَيْنِ هَوْلُ(6) مُصَابِهِ   فالظّاهر المُودي أو الاسْكَنْدَرُ

ومِنْهُم: مُحمّد بن عبد الله شرف الدّين أبو محمّد بن فتح الدّين أبي الفضل بن القيسرانيّ القرشيّ المخزوميّ(7)، صَدْرُ إِيْمَان وعُلا، وبَدْرُ زَمَانِ(8) أَضَاءَ الظُّلَمِ وجَلاَ، مُجِيْلُ قِدَاحٍ مِنَ الأقْلاَمِ، ومُجِيْدُ اقْتِدَاحٍ، يَشُقُّ عن البَرْقِ جُيُوْبَ الظَّلاَمِ، خَلَفُ(9) زُهْدٍ

---

(1) في أعيان العصر: 386/1: "حدّ الطروس يدا".

(2) في أعيان العصر :387/1، والوافي: 171/8: "لها".

(3) هو بيبرس العلائي البندقداري الصّالحي ركن الدّين الملك الظّاهر، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، توفي سنة(676هـ). انظر: (النّجوم الزّاهرة: 94/7، وتاريخ ابن الوردي: 281/2، وتاريخ أبي الفدا: 327/2، وعقد الجمان: 261/1، والأعلام: 79/2).

(4) في (ص): "تتسير".

(5) في الوافي: 172/8: "عليه"، والرّنك: لفظ فارسيّ معناه اللّون، وقد استعمل في مصطلح المؤرخين بمعنى الشّعار الّذي يتّخذه الأمير عند تأمير السّلطان له علامة على وظيفة الإمارة الّتي يعيّن عليها. (مصطلحات الصّبح: 163).

(6) في الوافي: "فقد".

(7) هو محمّد بن عبد الله بن أحمد القاضي شرف الدّين ابن الصّاحب فتح الدّين ابن القيسراني المخزوميّ، كان رئيساً ديّناً متواضعاً كثير المحاسن، (ت 707هـ) وله في الإنشاء اليد الطّولى...انظر: (أعيان العصر: 529/4، والوافي: 370/3، والدّرر الكامنة: 481/3، وأعلام النّبلاء: 498/4).

(8) في (ص): "إيمان".

(9) في الأصل: "حلف"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

وَوَرَعٍ، وجدٍّ طَالَ بِهِ الأنَامُ وقَرَعَ[1]، وكَانَ قَرِيْعُ عِلْمٍ لم يَدَعْهُ دارس[2]، وفِقْهٍ طَالَمَا ارْتَبطَ عليهِ ودرس.

مِنْ بَيْتٍ يُتَمَسَّحُ بأرْكَانِه، ويُتَسَمَّحُ مِنْ إمْكَانِهِ، ولم يَزَلْ أهْلُهُ أهِلَّة كُتَّاب، وأهْلُ سُنَّةٍ وكِتَاب، وخَدَمُوا الدُّوَلَ، وختَمُوا بالأمَانَةِ الأيَّامَ الأُوَل، وكَانُوا كُتَّابَ إنْشَاءٍ وحِسَاب، وأصْحَابَ إرْث[3] واكْتِسَاب، وأرْبَابَ فَخَارٍ بِنُفُوْسٍ وانْتِسَاب.

ومِنْهُم جَمَاعَةٌ حَلُّوا المَمَالِكَ فَوَشُّوا[4] حِبْرَاهَا[5]، ووشَّعُوا[6] بذَائِبِ النَّضَار[7] أصْلَهَا وبَكَرَاتِهَا، وكَانُوا أهْلَ مَدَائِحٍ عَلقت كَالسَّحَاب، وعَقَّتِ البَحْرَ وتَعَلَّقَتْ بالسَّحَاب، مَعْ نَسَبٍ في آلِ المُغِيْرَةِ لا تَطْمَعُ في سَرْجٍ كَوَاكِبِهِ مَوَاكِبُ الصَّبَاحِ المُغِيْرَةُ، وكَانَ يَتَرَوَّى ثُمَّ يَأتِي بِنَثْرٍ يَفُوْقُ كَثِيْراً، ويُضحي على وَرَقِهِ سَقِيْطَ الطَّلِّ مَنْثُوْراً، مع قَضَايَا يَتَيَمَّنُ بِقَيْتِهَا، وتجيءُ بِدَارَيْنِ في حَقِيْقَتِهَا مع مُرُوءةٍ ما غَبَنَهُ فيهَا شَرِيْكٌ، ولا فَتَنَهُ عنها سَطَا سُلْطَانٍ ولا مَلِيْك.

وكَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيّ كَافِلِ المَمَالِكِ[8]؛ لِقِرَاءة قِصَصِ المَظَالِمِ، وهو يَقْرَأُ القُرْآنَ الكَرِيْمَ، فَإذا مَرَّ بِآيَةِ سَجْدَةٍ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ وسَجَدَ، ورُبَّمَا اسْتَدْبَرَ كَافِلَ المَمَالِكِ لأجْلِ اتِّبَاعِ القِبْلَةِ، فَوَجَدَ عليهِ لهذا، وقَالَ لعَمِّي[9] في الاسْتِقْبَالِ بِهِ، فَكَانَ يَدْرَأُ عَنْهُ حَدَّهُ، ثُمَّ يُوْصِيْهِ فلا يَفِيْدُ الوَصَايَا عِنْدَهُ، بَلْ يَقْرَأُ، فَإذا مَرَّتْ بِهِ آيَةُ سُجُوْدٍ سَجَدَ، ومَا عليهِ أنْ لا يَجِدَ في نَفْسِهِ عليهِ، أو وَجَدَ مَع مَا[10] كَانَ هَذَا الرَّجُلَ في أيَّامِهِ الأدْنَيْنِ مِنْ كُبَرَاءٍ شَمَخَتْ بِهِم المَنَاصِبُ، وشَدَخَتْ هَامَةُ المَنَاصِب.

ومِنْ نَثْرِهِ قَولُه: "وبَعْد. فَإنَّ أولى مَا عَظُمَ في النُّفُوْسِ، وازْدَانَتْ بِهِ المَحَافِلُ والطُّرُوْسُ، الشَّرْعُ الشَّرِيْف، وبِهِ زَجْرُ أهْلِ الاجْتِرَاءِ والاجْتِرَاحِ، وتُحْقَنُ الدِّمَاءُ وتُسْتَبَاح؛ ولِهَذَا تَعَيَّنَ

---

(1) في الأصل: "وفرع"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(2) في الأصل: "ادارس".

(3) في (ص): "ارف".

(4) فوشّوا: وشى الثّوب شياً وشية: حسّنه، ووشاه: نمنمه ونقشه وحسّنه. (لسان العرب: وشي).

(5) الحِبَرَةُ والحَبَرَةُ: ضرب من برود اليمن مُنَمَّر، والجمع حِبَرٌ وحِبَرات. (لسان العرب: حبر).

(6) وشّع: وشع القطن وغيره ووشّعه، كلاهما: لفّه، والتّوشيع: لفّ القُطن بعد النّدف. (لسان العرب: وشع).

(7) النُّضار: اسم الذّهب والفضّة، وقد غلب على الذّهب، والنّضار: الخالص من كلّ شيء. (لسان العرب: نضر).

(8) سبق الإشارة إليه.

(9) سبق التّرجمة له. (10) في الأصل: "معما".

أنْ لا يَحِلَّ ذُرْوَتَهُ السَّنِيَّةِ، ورُتْبَتَهُ العَلِيَّةِ، إلاَّ مَنْ انْعَقَدَ الإجْمَاع على إنَّهُ للوِلاَيَةِ مُتَعَيِّن، وإنَّ مُوْجِبَ اسْتِخْلاَصِهِ واخْتِصَاصِهِ للمُبَاشَرَةِ بَيِّن.

ولَمَّا كَانَ فُلانُ هو العَالِمُ الّذي لَيْسَ لِفَضْلِهِ جَاحِدٌ(1)، والفَقِيْهُ الوَاحِدُ الّذي هو أشَدُّ على الشَّيْطَانِ مِنْ ألْفِ عَابِدٍ(2)، والّذي عَادَلَ دَمَ الشُّهَدَاءِ مِدَادُهُ، ومَاثَلَ البَحْرَ الزَّاخِرِ مَدَدَهُ في الفَضَائِلِ واسْتِمْدَادُهُ، وبَاشَرَ قَضَاءَ القُضَاةِ، وقَضَاءَ العَسَاكِرِ المَنْصُوْرَةِ بالشَّامِ المَحْرُوْسِ مُدَّةً مُتَطَاوِلَةً، وسَكَّرَتْ مُبَاشَرَتُهُ المَنْصِبَيْنِ، وحَكَمَ بأهْلِيَّتِهِ لَمَّا قَامَتِ البَيِّنَةُ مِنْ خَبَرِهِ، وخَبَرُهُ بِشَاهِدَيْنِ، وبَرَّأَتْ مِنْهُ عُيُوْنَ الأعْيَانِ أحْكَامَ الإحْكَامِ، ولا أثَرَةَ بَعْدَ عَيْنٍ، وأبْدَعَ في تَقْرِيْبِهِ المَسَائِلَ وتَقْرِيْرِهِ وتَحْوِيْرِهِ وتَحَيُّلٍ، حَتَّى قِيْلَ: هو في العُلُوِّ والعُلُوْمِ شَرِيْكُ القَاضِي شَرِيْك(4)، وبِأنْبَاءِ الشَّرِيْعَةِ المُطَهَّرَةِ هو الخَبِيْرُ(5) الّذي يُنْبِيْكَ.

وبَلَغَنَا أنَّهُ في هَذِهِ المُدَّةِ حَصَلَ لَهُ في أثْنَاءِ البَحْثِ مَا أزْعَجَهُ وأحْرَجَهُ، وعَنْ حَلَقَةِ الرِّضَى أخْرَجَهُ، وامْتَنَعَ مِنَ الحُكْمِ أيَّامَاً، ولم يَجْرِ لَهُ في الأمُوْرِ الشَّرْعِيَّةِ لِسَانَاً ولا أقْلامَاً، فَاقْتَضَى اعْتِنَاؤنَا بالشَّرِيْعَةِ المُطَهَّرَةِ وأشْخَاصِهِ الّتي بَيْنَ يَدَيْنَا، واسْتِعْلاَمِ سَبَبِ ذَلِكَ يَقِيْنَاً، وأنْ نُصَرِّحَ لَهُ بِتَجْدِيْدِ تَوْلِيَةِ تَوَلِّيْهِ مَنَاصِبَه، وتَأكِيْدِ رِفْعَةٍ يَكْفُّ بِهَا مَنَاصِبَه".

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي أنَّ المُشَرَّفَ العَالِي وَرَدَ إليهِ فَتَنَسَّمَ أرْوَاحَ قُرْبِهِ، وأوْجَدَ مَسَرَّاتِ قَلْبِهِ، وأعْدَمَ مَضَرَّاتِ كَرْبِهِ، وأبْهَجَهُ الكِتَابُ بِعَبِيْرِ رَيَّاهُ، وألْهَجَهُ الخُطَابُ بِتَعْبِيْرِ رُقْيَاهُ(5)، فَرَأَى خَطَّهُ وشْيَاً(6) مَرْقُوْمَاً، ولَفْظَهُ رَحِيْقَاً مَخْتُوْمَاً(7)، ووَجَدَهُ مَحْتُوْمَاً على دُرَرٍ كَلاَمِيَّةٍ، وبِشَرٍ مَنَامِيَّةٍ، وحَدِيْث نَفْسٍ عِصَامِيَّةٍ.

---

(1) من قول الشّاعر: (صبح الأعشى: 382/14).

وآيَتُهَا الكُبْرَى الّتي دَلَّ فَضْلُهَا   على أنَّ مَنْ لم يَشْهَدِ الفَضْلَ جَاحِدُ!

(2) ورد في :كشف الخفاء: 144/2: "لفقيه واحد أشدُّ على الشّيطان من ألف عابد"، وما أحسن ما قيل:

وإنَّ فَقِيْهَاً واحِدَاً مُتَعَبِّدَاً   أشَدُّ على الشّيطَانِ من ألفِ عَابِدِ

(3) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النّخعي الكوفي، أبو عبد الله (95-177هـ): عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوّة ذكائه، وسرعة بديهته، استقضاه المنصور العباس على الكوفة سنة 153هـ ثمّ عزله، وأعاده المهديّ، فعزله موسى الهادي، وكان عادلاً في قضائه، مولده في بخارى ووفاته بالكوفة. (وفيات الأعيان: 464/2، والبداية والنّهاية: 177/9، وتاريخ بغداد: 279/9، والأعلام: 163/3).

(4) في (ص): "الخبر".

(5) في الوافي: 371/3: "رؤياه"، لعلّه الصّواب.

(6) في الأصل و(ص): "وسنا"، وقد أثبتنا ما ورد في: أعيان العصر: 532/4، والوافي: 371/3.

(7) من الآية: 25 من سورة المطففين: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُوْمٍ﴾.

نَرْجُو مِنَ اللهِ أنْ نُشَاهِدَ ذَلِكَ إيْقَاظًا، ويَكُوْنُ لأنْبَائِهِ[1] حُفَّاظًا".

ومِنْهُ قوله يَصِفُ زِيَادَةَ النِّيْل: "وأقْبَلَ يعُبُّ عَبَابُهُ، ويُكَاثِرُ البَحْرَ المُحِيْطَ انْسكَابُهُ، ويُطَاوِلُهُ﴿وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾[2]، وأمْرُ زِيَادَتِهِ يَعْظُمُ عن الشَّرْحِ ويَكبُرُ، ومُشَاهِدُهُ لِقُدْرَةِ اللهِ فِيْهِ يَتْلُو[3]: ﴿والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُر﴾[4]، وقَدْ تَلَقَّتْهُ البِلاَدُ تَلَقِّي المُحِبُّ لِحَبِيْبِهِ، والعَلِيْلُ المُرْتَقِبُ لِطَبِيْبِهِ، وهو كُلَّمَا حَلَّ بُقْعَةً صَدَّ[5] صَدًا، وأجْدَى جدًا، وكُلَّمَا حَبَاهَا بإصْبَعِ شَكَرَتْ[6] لَهُ يَدًا.

وكَانَ قَدْ وَصَلَ في أثْنَاءِ ذَلِكَ المُفْرَد مِنَ الأعْمَالِ القُوصِيَّةِ[7] مُخْبِراً بِوَفَائِهِ، واقْتَضَى مَذْهَبُنَا الشَّرِيْفُ الحُكْمَ بخَبَرِ المُفْرَدِ، والعَمَلِ بمَا عَنْهُ يُرْوَى وإليهِ يُسْنَدُ، ومع ذَلِكَ حَصَلَ التَّثَبُّتِ إلى أنْ نُقِلَ هَذَا الأمْرُ مِنَ الخَبَرِ إلى العِيَان[8]، واسْتَحَقَّ خَلِيْجُ مِصْرَ أنْ يُفَكُّ عنهُ الحَجْر، ويَجْرِي مُطْلَقَ العِنَان.

ومِنْ غَرَائِبِ هَذَا البَحْرِ وإنْ كَثُرَتْ فيهِ الغَرَائِبُ ومِنْه الغَرَائِب، أنَّهُ كُلَّمَا تَكَدَّرَ تَبْتَسِمُ لَهُ الثُّغُوْرُ وتَفْتَرُّ، وأنَّهُ نِيْلٌ أزْرَق، وبِصَبْغِهِ تَرُوْقُ البِلاَدُ وتَخْضَرُّ.

وسَطَّرْنَاهَا والخَوَاطِرُ الشَّرِيْفَةُ وَاثِقَةٌ بسُقْيَا أمِنَتْ مِنْ فَوْتِهَا، والعُيُوْنُ نَاظِرَةٌ إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللهِ﴿كَيْفَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[9]، والدِّيَارُ المَصْرِيَّةُ قَدْ غَدَتْ للرَّيِّ في أكْمَلِ زِيّ، وأبْدَتْ بِمَوْجِ الحُلَلِ وتَبَرُّجِ الحُلَي، وزَهَتْ حُسْنًا بالزِّيَادَةِ في الحُسْنَى، وتَلاَ على سَاكِنِهَا لِسَانُ الرَّحْمَةِ:﴿ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْنًا﴾[10].

فالمَجْلِسُ بِحَمْدِ اللهِ لِمَا أعَادَهُ على الوُجُوْدِ مِنْ إشْرَاقِهِ وأُنْسِهِ، ويَسْتَدِيْمُ النِّعْمَةَ بالشُّكْرِ

---

(1) في (ص)، والوافي: 372/3: "لأنبايه".

(2) من الآية: 12 من سورة فاطر.

(3) في (ص): "يتلوا".

(4) من الآية: 27 من سورة لقمان.

(5) سقطت من (ص).

(6) في الأصل: "سكرت"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(7) من الأعمال القوصيّة: أبنود، أدفو، أرمنت، أسنا، قنا، وغيرها، هذا بالإضافة إلى قوص المدينة الرّئيسة، وتقع قوص على مسافة اثني عشر ميلاً من الفسطاط،...انظر: (معجم البلدان: 413/4، وصبح الأعشى: 455/3).

(8) من قولهم: "ليس الخبر كالعيان". انظر: (المستطرف: 46/1).

(9) من الآية: 50 من سورة الرّوم.

(10) من الآية: 55 من سورة النّور.

﴿ومَنْ شَكَرَ فإنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾[1]، واللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ إلى جِهَاتِهِ، حَسَنَةَ التَّفْرِيْجِ، مَنَاظِرُهُ بِهَا نَاضِرَةُ الرِّيَاضِ في التَّدْبِيْجِ، مُظْهِرَةً فيها مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ومِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[2]،﴿وأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ﴾[3].

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي ورُوْدَ المُشَرَّفُ العَالِي، فَأَطْلَعَ مِنْ جَوَاهِرَ الأَلْفَاظِ مَا لو شَاهَدَهُ البَدْرُ لَمَا أسْفَرَ، أوْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ الحَمِيْدِ لأحَبَّ أنْ لا يُذْكَرَ، فَتَنَزَّهَ في رِيَاضِ كِتَابَتِهِ الَّتي أيْنَعَتْ أغْصَانُهَا، وأبْهَجَتْ بِفُنُوْنِهَا أفْنَانَهَا، فلولا حِلّهَا وحُرْمَةُ السِّحْرِ لِقُلْنَا سِحْرًا، ولولا أنَّهُ شَغَلَ الأعْنَاقَ بِمِنَنِهِ لَقَلَّدْنَاهَا إذ هي الدُّرُّ نَحْرًا[4] ".

ومِنْهُ قَوله يَذْكُرُ النِّيْلَ: "وأمْسَتِ التِّرَاعُ[5] مِنْهُ تِرَاع، وأصْبَحَ الجَدْبُ مَع مَا[6] كَانَ فيهِ مِنَ القُوَّةِ وقَدْ أخَذَ في النِّزَاعِ، وحَقَقَتْ بِهِ عَرُوْسُ مصر أنْ يَزِيْدَ[7] كَقَطْرَةٍ في بَحْرِهَا إذ يَزِيْد، وإنَّ باناس[8] لا تَرْفَعُ بِهِ خُلْجَانَهَا مِنْ رَأس، وإنَّ ثَوْرًا[9] لو حَفَّ بِهِ شُرْبٌ لَمَا كَمَّلَ دَوْرًا، وإنَّ كُلَّ رَابِيَةٍ مِنْهَا[10] تَرْبَى[11] على الرَّبْوَةِ[12] والنَّيْرَبِ[13]، وكُلَّ بَرْقٍ مَا عَدَا[14]

---

(1) من الآية: 40 من سورة النّمل. (2) من الآية: 39 من سورة فصلت.

(3) من الآية: 5 من سورة الحجّ.

(4) لعلّ المعنى مأخوذ من قول ابن الحلاوي الّذي كتبه إلى القاضي محيي الدّين ابن الزّكي يصف خطّه، (فوات الوفيات: 146/1):

كتبت فلولا أنّ هذا مُحللٌ وذاك حرامٌ قست خطّك بالسّحر

فوالله ما أدري أزهر خميلة بطرسك أم درٌّ يلـوح على نحر

(5) التّراع: التّرعة: مقام الشّاربة من الحوض، وتراع: ممتلئة. (لسان العرب: ترع).

(6) في الأصل: "معما". (7) في (ص): "تريد".

(8)باناس: من أنهار دمشق وَصَفَهُ في بردى، قال الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة: (معجم البلدان: 330/1):

يا صاحبيّ سقى منازل جلّق غيثٌ، يروّي مُمحلات طساسها

فرواق جامعها، فباب بريدها فمشارب القنوات من باناسها

(9) في (ص): "نورا"، وهو نهر من أنهار دمشق. (10) سقطت من (ص).

(11) في (ص): "ترى".

(12) الرّبوة: وهي الّتي قال عنها ابن بطوطة: 116/1 :"هي من أجمل مناظر الدّنيا ومتنزّهاتها، وبها القصور المشيّدة والمباني الشّريفة والبساتين البديعة"، وسمّيت بالرّبوة لأنّها مرتفعة ومشرفة على غوطتها ومياهها، وكلّ راب مرتفع على ما حوله يقال له ربوة، والحقيقة فإنّ ما يسمّى بالرّبوة اليوم إنّما هو أوّل منفسح الوادي الغربي الآخذ إلى دمشق، وفيها يخرج بردى من سجنه الضّيق فينقسم إلى عدّة أنهار، وفي هذا الوادي محلّ يقصده النّاس للزّيارة والتّبرك يُسمّى بالرّبوة. انظر: (معجم البلدان: 29/3، والقلائد الجوهرية: ق48/1).

(13) النّيرب: محلّة كانت عامرة آهلة بالسّكان تلي الرّبوة من جهة دمشق، والنّيرب: كلمة سريانيّة معناها الوادي، ولكن يراد بها سفح قاسيون ممّا يلي الرّبوة، ووصفها ياقوت، معجم البلدان: 330/5: بأنّها قرية مشهورة بدمشق، يقال فيها مُصلّى الخضر عليه السّلام. انظر: (رحلة ابن بطوطة: 116/1). (14) في (ص): "عدى".

بَرْق سُحْبِهَا الهَامِلِةِ خُلَّب[1]، وإنَّهَا تَخْلِبُ القُلُوْبَ بالمَلَق، وتَسْلِبُ الألْبَابَ بالحَدَائِقِ لا الحَدَق، وإنَّ البَسِيْطَةَ في البَسْطَةِ، والنّزْهَة في رَبِيْعِهَا إذا نُسِج بَسْطَة، وإنَّهَا عَمَّا قَلِيْل تَتَجَلى في حُلَلِهَا النَّضِرَة، وتَتَبَيَّنُ أنَّهَا لا مَا عَدَاهَا الدُّنْيَا إذ هي الخُضْرَة".

ومِنْهُم: **محمود بن سلمان بن فهد الحلبي**[2]، الكَاتِبُ، شَيْخُنَا العَلاَّمَةُ، حُجَّةُ الكُتَّاب، فَرْدُ الزَّمَان، شهابُ الدِّين أبو الثَّنَاء، جَبَلُ أدَبٍ لا مَطْمَح في ارْتِقَائِهِ، وبَحْرُ عِلْمٍ لا مَطْمَحَ إلاَّ إلى مَا يُؤخَذُ مِنْ تِلْقَائِهِ، رَقَى السَّمَاءَ وتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ كَلِمَات[3] عَلَّمَ بِهَا الكُتَّابَ الأسْمَاءَ[4] نَاضَلَتِ الدُّوَلُ بأقْلاَمِهِ، وكُلِّمَتْ مُلُوْك العِدَا[5] بكَلاَمِهِ، فَحَظِيَ ببِرِّهَا، وخُطِبَ لِحِفْظِ سِرِّهَا، وتَقَدَّمَ باسْتِحْقَاقِهِ، واسْتَعْبَدَ الحُرّ باسْتِرْقَاقِهِ، وأقَامَ بالشَّامِ، ثُمَّ بِمِصْرَ فَطَابَ بِهِ الوَادِيَان كِلاَهُمَا، وأغْدَقَ نَوْؤهُمَا[6] وكَلاَهُمَا.

وكَانَ كَاتِبَاً لا يُعْرَفُ لَهُ نَظِيْر، ولا يُعْرَفُ مِثْلُهُ في الزَّمَنِ الأخِيْر، تَعَيَّنَ بدِمَشْقَ، فَكَانَ للكُتَّاب وَالِدَا، وتَفَرَّد بِمِصْرَ فَبَقِي سَهْمَاً في الكِتَابَةِ وَاحِدَاً، وكَانَ بَابَل سِحْر[7]، وعَنْبَرَ شِحْر[8]، وعَانَة[9] مدَام، وغَايَةَ إقْدَامٍ، وغَابَةَ أُسْدٍ ذي ظَفر دَامٍ، لَمْ يَزَلْ نجيّ مَلِكٍ هُمَام، ورَسِيْلَ بَحْرٍ وغَمَام، يَكْتِبُ طَالَمَا أيْنَعَتْ رَوْضَهُ زَهْرٍ، وأُفْقُ سَمَاءِ نَرْجِسهِ الثُّرَيَّا، ومَجَرَّتَهُ

---

(1) خلّب: برق خُلّب: هو السّحاب الّذي يبرق ويرعد ولا مطر فيه. (لسان العرب: خلب).

(2) هو محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي ثمّ الدّمشقي، أبو الثّناء شهاب الدّين (644-725هـ)، أديب كبير، استمرّ في دواوين الإنشاء بالشّام ومصر نحو خمسين عاماً، ولد بحلب، وتوفي بدمشق، كان شيخ صناعة الإنشاء في عصره، ويقال لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله. انظر: (حسن التّوسل: 17، وأعيان العصر: 372/5، والنّجوم الزّاهرة: 264/9، وفيه: "محمود بن سليمان"، وشذرات الذّهب: 69/6، وفوات الوفيات: 82/4، وتذكرة النّبيه: 152/2، والدّرر الكامنة: 92/5، والقلائد الجوهريّة: ق312/1، والبداية والنّهاية: 124/14، والأعلام: 172/7، وعصر سلاطين المماليك: 124/6)، وفي (ص): "محمود بن سليمان".

(3) من الآية: 37 من سورة البقرة:﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَات فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

(4) من الآية: 31 من سورة البقرة:﴿وعلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم على المَلاَئِكَةِ﴾.

(5) في الأصل: "العدى".

(6) في الأصل: "نوهما".

(7) بابل: موضع بالعراق، إليه ينسب السّحر والخمر،...انظر: (لسان العرب: بيل).

(8) شحر: اسم مدينة وناحية على ساحل جنوبي بلاد العرب الّذي لا يزال يعرف بساحل شحرات وهم أهمّ موانئ حضرموت قديماً. (دائرة المعارف الإسلاميّة: 176/13)، وعنبر شحر: لون من ألوان العنبر وهو ما يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشّحر من أرض اليمن، وهو مأخوذ من أجود أنواع العنبر وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً، وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة. (صبح الأعشى: 131/2).

(9) عانة: بلد مشهور بين الرّقة وهيت، يُعدّ في أعمال الجزيرة، تُشرف على الفرات قرب حديثة النورة، وبها قلعة حصينة، وقد نسب إليها يعيش بن الجهم العانيّ، وقد نسبت العرب إليه الخمر. (معجم البلدان: 81/4).

النَّهر، وكَانَ لا يَرْضَى بدَارَات الأقْمَارِ لِزَهْرِه كُمَامَة، ولا بالهِلاَل لظُفْر قَلَمِه قُلاَمَة[1]، بأَدَب دَقّ على الأدَبَاء ورَق، فَنسَبَ الجَفَاءَ إلى الصَّهْبَاء[2]، فأشْفَقَ الشَّفَقُ أنْ يَكُونَ لِكُؤوسٍ[3] كَلِمِهِ مُدَامَة، ودُخَانُ النِّدّ[4] أنْ يَكُوْنَ على عَنْبَرِ سُطُوْرِه غَمَامَة، وكَانَ في الدِّيْوَانَيْنِ مُصَدَّى لِمَهَمَّات الإنْشَاء، فَكَم أطَالَ لِوجُوْه الأيَّامِ غُرَراً، وقَلَّدَ أعْنَاقَ المَمَالِكِ دُرَراً مِنْ تَقَالِيْدٍ لو شَيَّدَت العِمَادَ لَمَا مَادَ، أو حُبِي[5] بفَضْلِهَا الفَاضِلُ لأنْطَقَ الجَمَادَ، أو أَثْرَت ابن الأثِيْرِ لاستَغْنَى مِمَّا يُثِيْر، أو بَنَى على أبْكَارِهَا ابنُ بَنَان[6] لَمَا ضَمَّ لَهُ قَلَمَ بَنَانٌ، أو خَلَّتْ شَيْئاً لابن الخلاّل[7] لنَضاه بكَرَم الخِلاَل، أو خَصَّتْ ابن أبي الخِصَال[8] بخُصْلَةٍ لَطَالَ بهَا وصَال، وكَسَرَ على النِّصَالِ النِّصَالَ إلى نَظْمٍ وطَي بأخْمَصِهِ الطَّائيين[9]، وأفْنَى بخُلُوْدِ الذِّكْرِ الخَالديين[10] بِمَا أهْدَى إليهِ، وتَرَكَ الكِنْدي[11] مُضَلَّلاً، وخَلَّى العَزِيْزَ في

---

(1) من قول ابن المعتزّ، الدّيوان: 247:

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا   مثل القُلامة قد قُدّت من الظّفر

(2) الصّهباء: الخمر، سمّيت بذلك للونها، قيل: هي الّتي عُصرت من عنب أبيض؛ وقيل: هي الّتي تكون منه ومن غيره، وذلك إذا ضربت إلى البياض. (لسان العرب: صهب).

(3) في (ص): "لكوس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(4) النَّدّ والنَّد: ضرب من الطّيب يُدخّن به. (لسان العرب: ندد).

(5) في (ص): "واحبى".

(6) هو محمّد بن محمّد بن بنان، أبو طاهر الأنباري ثمّ المصري (507-596هـ)، كاتب من أعيان عصره، أصله من الأنبار، ومولده ووفاته بالقاهرة، تولى ديوان النّظر في الدّولة المصريّة، وتنقلت به الخدم في الأيّام الصّلاحيّة بتنيس والإسكندرية. انظر: (فوات الوفيات: 259/3، والوافي: 281/1، وشذرات الذّهب: 327/4، وحسن المحاضرة: 375/1، وسير أعلام النّبلاء: 220/21، والأعلام: 26/7).

(7) هو أبو الحجّاج يوسف بن محمّد المعروف بابن الخلاّل (-566هـ)، صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ العُبيدي، وأحد كبار الكُتّاب المترسلين، وله شعر حسن رقيق، اشتغل عليه القاضي الفاضل في الإنشاء. انظر: (نكت الهميان: 314، ومرآة الجنان: 285/3، وفيه: "ابن الجلال"، وشذرات الذّهب: 219/4، وحسن المحاضرة: 233/2، ووفيات الأعيان: 219/7، وسير أعلام النّبلاء: 505/20، والأعلام: 247/8).

(8) هو محمّد بن مسعود بن طيب بن فرج، وزير أندلسي، شاعر أديب يلقّب بذي الوزارتين، استشهد في فتنة المصامده بقرطبة سنة (206هـ). انظر: (الذّخيرة: ق784/2/3، وبغية الملتمس: 131، وبغية الوعاه: 243/1، ونفح الطّيب: 466/3، 519، 602، وهديّة العارفين: 89/6، ومقدمة رسائل ابن أبي الخصال، وقلائد العقيان: 518/2، والأعلام: 95/7).

(9) من قول المتنبّي، الدّيوان: 9/3:

فصرت إذا أصابتني سهامٌ   تكسّرت النّصال على النّصال

هما: أبو تمام حبيب بن أوس الطّائي (ت 231هـ)، وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطّائي (ت 284هـ)، وقد سبق التّعريف بهما.

(10) هما: أبو بكر محمّد الخالدي (ت 380هـ) وأبو عثمان سعيد الخالدي (ت 390هـ) ابنا هاشم بن وعلة بن عُرام من بني عبد القيس، كانا آية في الحفظ والبديهة، يتّهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم،... انظر: (مسالك الأبصار: 180/15، =

قَوْمِهِ ابن أبي سُلْمَى[1] مُذَلَّلاً، حتَّى لو وُسِمَ عَبَيْد[2] بِوَلائِهِ في القَرِيْضِ، لَمَا قَال: "حَــــالَ الجَرِيْضُ"[3].

فَأمَّا في تَوْلِيْدِ المَعَانِي فَفَاتَ ابن هَانِي[4]، ونَهَضَ جَدُّهُ وسَقَطَ صَرِيْعُ الغَوَانِي[5]، فَمِــــنْ نَسِيْبٍ نُسِي بِهِ القَدِيْم، وغَزَلٍ ذُكِرَ بِهِ كُلّ غَزَال، ورِيْمَ كُلّ رِيْمٍ، ورِثَاء أسْكَتَ النَّـائحَتَيْنِ الدَّيْلَمِي[6]، وذَا النَّسَب الصَّمِيْم، وتَشْبِيْهِ ثَالِث[7] المَلِكَيْنِ ابن المعتزّ[8] تَمِيْم، إلى تباسٍ أذْهَبَ العَسْكَرِي[9] في الصِّنَاعَتَيْن، وفَلَك حَرَصَ الرَّاغِبُ[10] والجاحظ[11] في البراعتين.

= وتاج العروس مادّة(خلد)، وترجمة (محمّد) في: فوات الوفيات: 52/4، ويتيمة الدّهر: 183/2، والأعــــلام: 129/7، وترجمــة (سعيد) في: فوات الوفيات: 52/2، والأعلام: 103/3).

(11) الكندي: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (130-80ق0هــ) من بني آكل المرار، أشهر شعراء العرب علـــى الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، اشتهر بلقبه،...انظر: (الأغاني: 55/9، وشرح شواهد المغــــني: 21/1، وخزانــة الأدب: 16/1، ودائرة المعارف الإسلاميّة: 622/2، والأعلام: 11/1).

(1) هو زهير ابن أبي سُلمى، ربيعة بن رياح المزني (-13ق0هــ) من مضر: حكيم الشّعراء في الجاهليّة،...انظر: (الأغاني: 443/10، ومعاهد التّنصيص: 327/1، وشرح شواهد المغني: 130/1، والشّعر والشّعراء: 69، وهو فيه: "زهير بن أبي سُلمى ربيعــة بــن قرط").

(2) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسديّ (-نحو 25 ق0هــ)، من مضر، أبو زياد، شاعر من دهاة الجاهليّة وحكمائــها. انظر: (مسالك الأبصار: 56/14، والشّعر والشّعراء: 161/1، والمؤتلف والمختلف: 63و227، والأعلام: 188/4).

(3) مثل قاله عبيد بن الأبرص، ونصّه: "حال الجريض دون القريض". (جمهرة الأمثال: 359/1)، والجريض: الغُصّة والقريض الجِـرّة، وقيل: الجريض: الغصص، والغريض: الشّعر، وقال الرّياشي: القريض والجريض يحدثان بالإنسان عند الموت. (لســـان العـــرب: جرض).

(4) ابن هاني: هو أبو نواس، وقد سبق التّعريف به.

(5) هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء (-208هــ) أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل وهو أوّل مــن أكــثر مــن (البديع) وتبعه الشّعراء فيه،...انظر: (النّجوم الزّاهرة: 186/2، وتاريخ بغداد: 96/13، والشّعر والشّـــعراء: 564، والأعــلام: 223/7).

(6) لعلّه مهيار بن مرزويه، أبو الحسن (أو أبو الحسين) الدّيلمي(428هــ/1037م)، شاعر كبير في معانيه ابتكار وفي أسلوبه قـــوّة، فارسيّ الأصل، من أهل بغداد،...انظر: (تاريخ بغداد: 276/13، والأعلام: 317/7).

(7) في الأصل: "ثلث".

(8) سبق التّعريف به.

(9) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر، نســبته إلى "عســكر مكرم" من كور الأهواز، توفي سنة 395هــ،...انظر: (مقدمة الصّناعتين، وأنبــاه الــرّواه: 189/4، والأعــلام: 196/2). في الأصل: "بي الصّناعتين"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(10) هو الحسين بن محمّد بن المفضّل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالرّاغب (-502هــ) أديب من الحكمــاء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد، اشتهر حتّى كان يقرن بالغزالي. (كشف الظّنون: 36/1، والأعلام: 255/2).

(11) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانيّ اللّيثيّ المعروف بالجاحظ (-250هــ)... انظر: تاريخ بغـــداد: 212/12، ووفيات الأعيان: 470/3، ولسان الميزان: 355/4، وبغية الوعاة: 228/2، وشذرات الذّهب: 121/2).

وكَانَ في كُلٍّ مِنْهُمَا إمَامًا، وسَحَّ في كُلٍّ مِنْهُمَا غمَامًا، بِسَجْعٍ كَمْ غَازَلَ على أيْكَـــهِ حَمَامًا، وأعْطَى الغَوَانِي على حلي ذِمَامًا، وشَقَّ على لُبِّهِ النَّهْرُ أطْوَاقًا، وأرْخَى على أنَـــامِلِ الغُصُوْنِ أكْمَامًا، ثُمَّ ولِّي بدمشقَ أصْحَابَهُ[1] دِيْوَانَ الإنْشَاءِ، وأطْلَعَ في الصَّبَـــــاحِ نُجُـــوْمَ العِشَاءِ.

وهو شَيْخِي في الأدَبِ، وإنْ لم يَكُنْ لي أَبًا، مِثْل أب لَزِمْتُهُ مُنْذُ قَدِمَ دمشقَ حتَّى مَـاتَ، أقرأُ عليهِ، وأُقْرِئُ مِمَّا[2] لَدَيْهِ، ومِنْ حَوَاصِلِهِ أنْفَقْتُ وجَمَعْتُ وفَرَّقْـــتُ، وسَـدَّدْتُ إلى الغَرَضِ وفَوَّقْتُ[3]، وأقُوْلُ ولا أخْشَى، فمهما وصَفْتُهُ بِهِ مِنَ المَحَاسِنِ صَدَقَتْ؛ لأنَّ الرَّجُـلَ أشْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ، وذِكْرُهُ أسْيَرُ، وذِكْرُهُ أسْيَرُ مِنْ "قِفَا نَبْكِ"[4]، قَدْ أنْجَدَ ذِكْرُهُ وأتْـــهَمَ، وأعْرَقَ وأشْأَمَ، وغَنَّى بِهِ المَلَّاحُ والحَادِي، وغَنَّى بِهِ سُكَّانُ الجَبَلِ والوَادِي.

هَذَا إلى مَا لَهُ مِنَ المُشَارَكَةِ في عِلْمِ الحَدِيْثِ، وحِفْظِ المُتُوْنِ والرِّجَالِ، والاطِّلَاعِ علـى آرَاءِ النَّاسِ، ومَذَاهِبَ الأُمَمِ في المِلَلِ والنِّحَلِ، وفِرَقِ الخِلَافِ، ومَوَاضِعَ الاخْتِلَافِ، وضَبْـطِ التَّارِيْخِ، واسْتِحْضَارِ الوَقَائِعِ، وذِكْرِ نُوَبِ الدَّهْرِ، وتَصَارِيْفِ الزَّمَانِ، وأيَّامِ العَرَبِ والعَجَمِ، ومَعْرِفَةِ النَّسَبِ، ودُوَلِ الخُلَفَاءِ والمُلُوْكِ، وأحْوَالِ الوزَرَاءِ والكُتَّابِ والشُّـعَرَاءِ، ومَشَـاهِيْرِ الأُمَّةِ والأعْيَانِ مِنْ أهْلِ كُلِّ عِلْمٍ، والمُقَدَّمِيْنَ في كُلِّ فَنٍّ، والمُبَرِّزِيْنَ في كُلِّ صَنْعَةٍ، وأسْـمَاءِ الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ، والمَجَامِيْعِ المُؤَلَّفَةِ، وإجَادَةِ النَّظَرِ في مَعْرِفَةِ الخُطُـوْطِ، والإلْمَـامِ بِكِتَابَـةِ المَكَاتِيْبِ الحكْمِيَّةِ والشُّرُوْطِ، إلى مَعْرِفَةِ الأمْثَالِ الجَاهِلِيِّ مِنْهَا والمُوَلَّدِ، والمُلُوْكِيِّ والسُّـوْقِيِّ، وأمْثَالِ الخَوَاصِّ والعَوَامِّ، والعَرَبِيِّ مِنْهَا والعَجَمِيِّ، والأصْلِ في ضَرْبِ كُلِّ مَثَلٍ، مع إتْقَـانِ قَوَانِيْنَ الدِّيْوَانِ، مِمَّا لم يَجْمَعْهُ سِوَاهُ، ولو تَفَرَّدَ بِوَاحِدٍ مِنْهُ كَفَاهُ.

وبِهِ انْتَفَعَ كُتَّابُ زَمَانِهِ، وتَخَرَّجُوا عليهِ، وتَدَرَّبُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، أخَذَ الفِقْهَ عن ابن المنجَّا[5]

---

(1) في الأصل: "صحابه" وقد أثبتنا ما ورد في(ص).

(2) في (ص): "بما".

(3) أوفقت: من قولهم: أوفقت السّهم إذا جعلت فُوقه في الوتر لترمي،...واشتقّ هذا الفعل من مُوافقة الوتر محـزّ الفُـوق. (لسـان العرب: وفق).

(4) من مطلع معلّقة امرئ القيس، الدّيوان: 164/1:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزل   بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

(5) هو أسعد بن المنجّا بن أبي البركات القاضي، وجيه الدّين أبو المعالي التّنوخي، المعرّي، ثمّ الدّمشقي الحنبلـيّ. (-606هـ)، مصنّف "الخُلاصة" في الفقه. (العبر: 141/3، وسير أعلام النّبلاء: 436/21، وشذرات الذّهب: 18/5).

والنَّحْوَ عن ابنِ مَالِكَ[1]، والأدبَ عن ابن الظّهير[2]، وتَنَقّلَ في الوَظَائِفِ، وطَلَبَهُ عَمِّــي[3] إلى الدِّيَارِ المصريَّةِ بَعْدَ محيي الدِّين بن عبد الظّاهر[4] على مَعْلُومِهِ، وكَتَبَ بَيْنَ يَدَيِّ الوَزيــر ابن السّلعوس[5]، وقَلَّ أنْ كُتِبَ مُدَّةَ مَقَامِهِ بالحَضْرَةِ مُهمّ جَلِيْل إلاَّ مِنْ إنْشَــائِهِ، وعُيِّــنَ لِقَضَاءِ الحَنابِلَةِ بمصرَ فَامْتَنَعَ، حتَّى بُعِثَ إلى دِمَشْقَ صَاحِباً لدِيْوَانِ الإنْشَاءِ، وأقَامَ بها حتَّــى مَاتَ.

ومِنْ تَصْنِيْفِهِ كِتَاب: "حسن التّوسل إلى صناعة التَّرسّل"،و"منازل الأحباب"، و"أهنى النائح في أسنى المدائح"، مِنْ نَظْمِهِ في المَدِيْحِ الشَّرِيْفِ النَّبويّ-زَادَهُ اللهُ شَرَفَاً-ولم يَكُنْ مِثْلهُ في إعْطَاءِ كُلِّ مَقَامٍ حَقَّهُ فَوَفَّى[6] مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ ولا نَقْصٍ، وذَكَرَ مَلاَحِمَ الحُــرُوْبِ علــى افْرَاطِ التَّهْوِيْلِ في رِقَّةِ الغَزَلِ لِلُطْفِ تَحَيَّلَهُ، ورقَّةِ تَخَيّلِهِ، واسْتِعَارَاتِهِ وغَرَائِبَ تَشْبِيْهَاتِهِ.

ومِنْ نَثْرِهِ قوله في تَوْقِيْعٍ لابن جماعة[7] بِتَدرِيْسِ المَدْرَسَةِ المُجَاوِرَةِ للشَّافِعِيِّ: " وهـــو يَعْلَمُ أنَّ ذِكْرَ هَذِهِ البُقْعَةِ سَارٍ في الآفَاقِ، جَارٍ على ألْسِنَةِ الرِّفَاقِ، عَالٍ على قَدْرِ شَــامِيَّةِ الشَّامِ، ونظَامِيَّةِ العِرَاقِ، وإنَّهَا جَمَعَتْ مِنَ العُلَمَاءِ أعْلاَمَاً، ومِنَ الأُمَّةِ أئِمَّةً، لولا شَــرَفُ البُقْعَةِ؛ لَتَفَرَّقُوا في الأرْضِ هُــدَاةً وحُكَّامَاً، فَلاَ يَقِفُ في العِلْمِ عِنْدَ غَايَةٍ، ولْيَجِدَّ في طَلَبِ

---

(1) هو محمّد بن عبد الله بن مالك الطّائي الجيّاني، جمال الدّين أبو عبد الله المعروف بابن مالك النّحويّ، صاحب الألفيّة في النّحــو، المتوفّى سنة(672هـ)،... انظر: (الوافي: 359/3، وهدية العارفين: 130/6، وبغية الوعــاه: 130/1، وشــذرات الذّهـب: 339/5، وفوات الوفيات: 407/3، ودائرة المعارف الإسلاميّة: 272/1، والأعلام: 233/6).

(2) هو محمّد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الإربلي (602-677هـ)، شاعر، أديب، من فقهاء الحنفيّة، ولد بإربل، وتنقّل في العراق والشّام، ومات بدمشق،...انظر: (الدّارس في تاريخ المدارس: 441/1، والجواهر المضيّة في طبقــات الحنفيّــة: 52/3، والعبر: 336/3، وفوات الوفيات: 301/3، وبروكلمان: 22/5، والأعلام: 323/5).

(3) سبق التّعريف به.

(4) هو محيي الدّين بن عبد الظّاهر بن نشوان المصري الأديب (620-692هـ)، كاتب الإنشاء بالدّيار المصريّة، وأحد البلغاء، لــه النّظم الفائق والنّثر الرّائق، ومصنّفات منها: "سيرة الملك الظّاهر"،...انظر: (حسن المحاضرة: 570/1، والنّجوم الزّاهــرة: 38/8، وفوات الوفيات: 179/2، والأعلام: 98/4).

(5) هو محمّد بن عثمان بن أبي الرّجاء (-693هـ) الوزير الصّاحب شمس الدّين التّنوخي الدّمشقي، التّاجر، وزير السّلطان الملــك الأشرف. (الوافي: 86/4، والنّجوم الزّاهرة: 53/8، والبداية والنّهاية: 358/13، وتاريخ ابن الفرات: 106/8).

(6) في (ص): "موفى".

(7) هو محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشّافعي (639-733هـ) بدر الدّين، أبو عبد الله، قاضٍ من العلماء بالحديث، وسائر علوم الدّين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثمّ القضاء بمصر، فقضاء الشّام ثمّ قضاء مصــر إلى أن شاخ وعمي. انظر: (نكت الهميان: 235، والنّجوم الزّاهرة: 298/9، والدّرر الكامنة: 367/3، وفــوات الوفيــات: 297/3، ودائرة المعارف الإسلاميّة: 121/1، والأعلام: 297/5).

النِّهَايَةِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ للعِلْمِ نِهَايَة، ولْيُمَثِّلْ نَفْسَهُ مَاثِلاً بَيْنَ يَدَيْ مَنْ نُسبَتْ إليــهِ، ويُقِيْــم رُوْحَهُ مَقام مَنْ جَلَسَ للقِرَاءَة عليهِ، ولْيَبُثَّ مَا استَوْدَعَهُ مِنْ أسْرَارِ مَذْهَبِهِ، لِيَسيْرَ عنهُ مــن مَعْدَنهِ، ويَنْقُلَ الفَضْلَ إلى الأوْطَانِ مِنْ مَظَنَّتِهِ ومَوْطِنِهِ، ولْيُلْقِ بهَا عَصَا[1] السُّــرَى؛ فَإنَّــهَا مَنْزِلَةٌ لا يَنْوِي مَنْ بَلَغَهَا سَيْرَاً، ولِيَحْمَدْ اللهَ على مَا وَهَبَهُ مِنْ بِضَاعَتِهِ، فَإنَّهُ مِمَّنْ يُرِدْ اللهُ بــهِ خَيْرَاً[2]".

ومِنْهُ قَوله في تَقْلِيْدِ وزير: "ولْيَبْدَأْ بالعَدْلِ، فَإنَّ اللهَ قَدَّمَهُ على الإحْسَان، وحَلَّى بهمــا أيَّامَنَا، ويُجَانِبْ الظُّلْمَ وأهْلَهُ؛ فَإنَّ اللهَ أرْهَفَ بِمَحْوِهِ مِنَ الوُجُوْدِ سُيُوْفَنَا وأقْلامَنَا، ونَقْرِنــهُ بالإحْسَانِ، فَإنَّ اللهَ رَفَعَ بهذا مَنَارَ مُلْكِنَا وأعْلا بذَا أعْلامَنَا، ويَمُدُّ خَزَائِنَ الأمْوَالِ بِكُنُــوْزِ تَدْبِيْرِهِ، ويُعِدُّ لِمَهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ القَاهِرَةِ ذَخَائِرَ الجَمِيْلِ وحُسْنِ تَأْثِيْرِهِ، ولْيَزِنْ ذَلِكَ بــالرِّفْقِ؛ فَإنَّهُ مع الخِبْرَةِ أجْدَى مِنَ العُنْفِ وأجْدَر، وإذا[3] رَامَ المُثْبَتُ بُلُوْغَ الغَايَةِ، فَإنَّ المُثْبَتَ أقْــوَى مِنْهُ على ذَلِكَ وأقْدَر، فَإنَّ النَّمَاءَ مع العَدْلِ كَفَرَسَي رِهَان[4]، ولَيْسَ الخَبِيْرُ مَــنْ حَصَّــلَ الأمْوَالَ بالظُّلْمِ، بَلْ مَنْ حَصَّلَهَا والحَقُّ عَزِيْزٌ، والبَاطِلُ مُهَانٌ، ولْيَتَحَرَّ الحَقَّ المَحْضَ فيمَا أمَرَ بأخْذِهِ رِفْقَاً، ويُنَاقِشُ على حُقُوْقِ بَيْتِ المَالِ؛ فَإنَّهُمَا سَوَاءٌ مَنْ أخَذَ لِغَيْرِهِ بَاطِلاً، أو تَرَكَ لَهُ حَقَّاً، ولْيَجْتَهِدْ في عِمَارَةِ البِلادِ، فَإنَّهَا على الحَقِيْقَةِ مَعَادِنُ الأرْزَاقِ، وكُنُوْزُ الأمْوَالِ الّتي لا يُنْفِذُهَا الإنْفَاقُ.

ومِنْهُ قَوله: "وقَلَّدَتْهُ مَهَابَتُنَا سَيْفَاً تَلْمَعُ مَخَايِلُ النَّصْرِ مِنْ غِمْدِهِ، وتُشْرِقُ جَوَاهِرُ الفَتْحِ في فِرِنْدِهِ، وإذا سَابَقَ الأجَلَ إلى قَبْضِ[5] النُّفُوْسِ عَرَفَ الأجَلُ قَدْرَهُ، فَوَقَفَ[6] عِنْدَ حَدِّهِ،

---

(1) في الأصل: "عصى"، يقال: ألقى المسافر عصاه إذا بلغ موضعه وأقام؛ لأنّه إذا بلغ ذلك ألقى عصاه فخيّم أو أقام وترك السّــفر؛ قال معقر بن حمار البارقي يصف امرأة كانت لا تستقرّ على زوج، كلّما تزوجت رجلاً فارقته واستبدلت آخر به، وقــال ابــن سيّده: كلّما تزوّجها رجل لم تواته ولم تكشف عن رأسها ولم تُلق خمارها، وكان ذلك علامة إبائها وأنّها لا تريــد الــزّوج، ثمّ تزوجها رجل فرضيت به وألقت خمارها وكشفت قناعها:

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وقال ابن بري: هذا البيت لعبد ربّه السلمي، ويقال لسُليم بن ثمامة،... (لسان العرب: عصا).

(2) من قول النّبي- صلّى الله عليه وسلّم-: "من يرد الله به خيراً يفقهّه في الدّين، وإنّما العلم بالتّعلم". (صحيح البخاري: 30/2).

(3) في (ص): "وأجدر من إذا رام".

(4) يضرب هذا المثل للاثنين يستبقان إلى غاية فيستويان. (مجمع الأمثال: 391/2).

(5) في حسن التّوسل: 347: "قنص".

(6) سقطت من حسن التّوسل.

ومَتَى جَرَّدَهُ[1] على مَلِكٍ مِنْ مُلُوْكِ العِدَى وهَنَتْ[2] عَزائِمَهُ، وعَجَزَ جَنَاحُ جَيْشِهِ أنْ تَنْهَضَ بِهِ قَوَادِمُهُ، وعَلِمَ أنَّ[3] سَيْفَنا [الَّذي][4]:

على عَاتِقِ المَلِكِ الأغَرِّ نِجَادُهُ وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمواتِ قَائِمُهُ[5]

ومِنْهُ قوله: "وسِرْنَا بالجَيْشِ الَّذي لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ حَدَّهُ، ولا الوَهْمُ عَدَّهُ، وكَأنَّ[6] ذَوائِبَ السَّحَابِ[7] عَذَبُ بُنُوْدِه، وكَأنَّ شَوَامِخَ الآكَامِ مَنَاكِبَ أَبْطَالِهِ ومَوَاكِبَ جُنُوْدِه، ومَا قَصَدَ عَدُوّاً إلاَّ ونَازَلَهُم قَبْلَ خَيْلِهِم[8] خَيَالُهُ، وقَضَى عليهم وَعْدُهُ ووَعِيْدُهُ قَبْلَ أنْ تَرْهَفُ أسِنَّتُهُ أو تَرْعَفُ نِصَالُهُ، وإذا لَمَعَ حَدِيْدُهُ، وخَفَقَتْ عُذَبُهُ وبُنُوْدُهُ[9]، قِيْلَ هَذَا غَمَامٌ تَلَهَّبَتْ بَوارِقُهُ، ودَمْدَمَتْ صَوَاعِقُهُ، أو بَحْرٌ تَلاَطَمَتْ أمْوَاجُهُ [وقَذَفَ الشَّرَرَ مِنْ مَائِهِ أُجَاجُهُ][10]، أو سَيْلٌ غَصَّتْ بِهِ فِجَاجُهُ وعَكَسَ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ اضْطِرَابُهُ وارْتِجَاجُهُ، ومَا عَلاَ جَبَلاً إلاَّ وألْحَقَ صُعُوْدَهُ إليهِ جَرْيَهُ[11] بالصَّعِيْدِ[12]، ومَا مَنَعَ الرِّيحَ مُوَاجَهَتَهُ إلاَّ لِيَسْمَعَ[13] صَهِيْلَ خَيْلِهِ بِأقْصَى الرُّوْمِ مِنْ أَقْصَى الصَّعِيْدِ".

ومِنْهُ قَوله: "ومَا رَهَجُ[14] العَدُوّ المَخْذُوْلِ بالحَرَكَةِ، ورَمْي الصِّيْتِ، فَإنَّ عِدَّةَ العَاجِزِ الصِّيَاح، وقُوَّةَ الجَبَانِ في القَولِ، والقَوْلُ يَذْهَبُ في الرِّيَاحِ[15]، وقَدْ عَلِمُوا أنَّهُم مَا قَدِمُوا إلينا[16] إلاَّ وكَانَ أَحَدُ سِلاَحِهِم الهَرَب، ولا طَمِعُوا في النَّجَاحِ، وكَانَ[17] لَهُم في غَيْرِ

---

(1) في حسن التّوسل: 347: "حرّكه".

(2) في حسن التّوسل: "وهت".

(3) في حسن التّوسل: "أنّه"، من هنا سقط في (ص)، ونص العبارة: "وعجز جناح جيشه أن تنهض به قوادمه قائمة".

(4) زيادة وردت في حسن التّوسل.

(5) البيت للمتنبّي، الدّيوان: 341/3.

(6) في حسن التّوسل: 350: "فكأنّ".

(7) في حسن التّوسل: "السّحائب".

(8) في حسن التّوسل: "خيله".

(9) في حسن التّوسل: "وجنوده".

(10) زيادة وردت في حسن التّوسل.

(11) في حسن التّوسل: "حزنُهُ".

(12) الصّعيد: المرتفع من الأرض. (لسان العرب: صعد).

(13) في حسن التّوسل: "ليُسمعَ".

(14) الرَّهْجَ والرَّهَجُ: الغبار،...أو السّحاب الرّقيق كأنّه غبار. (لسان العرب: رهج).

(15) ورد هذا القول في نهاية الأرب: 99/1: "وبعض القول يذهب بالرّياح".

(16) في حسن التّوسل: "ما أقدموا إلاّ".

(17) في حسن التّوسل: "فكان".

الحَيَاة[1] أَرَبْ، يُبَالِغُوْنَ في الاحْتِشَاد، والجَازِرُ لا يَهُولُهُ[2] كَثْرَةُ الغَنَمِ، ويَسْتَكْثِرُوْنَ مِنَ السَّوَاد، ووجُوْدِ[3] مَنْ لا يَنْفَعُ أَشْبَهُ شَيءٍ بالعَدَمِ، فَقُوَّتُهُمْ ضَعِيْفَةٌ، ووطْأَتُهُم خَفِيْفَةٌ[4]، وثَبَاتُهُم[5] أَقْصَرُ مِنْ حَلِّ العِقَالِ، وصَبْرُهُم[6] أسْرَعُ مِنَ الظِّلِّ في الانْتِقَالِ، وخُيُوْلُهُم لا تُطِيْعُ أَمْرَ أعِنَّتِهَا، إلاَّ في الفِرَارِ، ورِمَاحُهُم لا تَحْمِلُ كُلَّ أسِنَّتِهَا إلاَّ للخَوَرِ[7] والانْكِسَارِ، وسِهَامُهُم لا عَهْدَ لَهَا بالمَقَاتِلِ، وصِفَاحُهُم كُلّ شَيءٍ مِنَ القُضُبِ[8] غَيْرَهَا يُمْكِنُ وصْفُهُ بأَنَّهُ قَاتِلٌ، فَإِنْ﴿دَلاَّهُم الشَّيْطَانُ بغُرُوْرِه﴾[9]، فَسَيَبْرأُ مِنْهُم سَرِيْعَاً، وإِنْ أطْمَعَهُم في اللِّقَاءِ فَسَتَرُدّهُم كِلاَمُ سُيُوْفِنَا كَأَقْسَامِ الكَلاَمِ الثَّلاَثَةِ: "هَزِيْمَاً أو أَسِيْرَاً أو صَرِيْعَاً"[10]

ومِنْهُ قَوله، رِسَالَة طَرْدِيّة: "-لا زَالَ يُمْنُهُ يَسْتَنْزِلُ العُصْمَ مِنْ مَعَاقِلِهَا، ويُسْمِعُ السِّهَامَ الصُّمَّ مَا تَحَدِّثْ بِهِ حَرَكَاتُ الطَّيْرِ عن مَقَاتِلِهَا، ويُلْجِئُ صَوَادِي[11] الوَحْش إلى سُيُوْف أوْلِيَائِهِ[تَشْبِيْهَاً][12] لِتَرَقْرُق مَاء الفِرَنْدِ[13] مِنْهَا بِمَنَاهِلِهَا.

ويُنْهِي[14] إنَّهُ سَارَ إلى مَا وَاجَه وَجْهَهُ[15] إِقْبَالِهِ مُتَيَمِّنَاً بِسَعْدِهِ الّذي مَا بَرِحَ يَعْتَنِقُ بِحِبَالِهِ ومَعَهُ مِنَ الجَوَارِحِ كُلُّ بَازِي[16] شَدِيْدِ الأَسْرِ، صَحِيْحٍ على مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الكَسْرِ، يَنْظُرُ مِنْ بَهَار[17]، ويَخْطُرُ في لَيْلٍ رَقَمَ بِهِ أدِيْمَ نَهَارٍ، ذِي صَدْرٍ مُدَبَّجٍ[18]، ورَأسٍ

---

(1) في حسن التوسل: 350: "النّجاة".

(2) في حسن التوسل: "تهوله".

(3) في (ص): "ووجوه".

(4) في حسن التوسل: "فقوّتهم ووطأتهم خفيفة".

(5) في (ص): "ونباتهم".

(6) في (ص): "وسيرهم".

(7) الخَوَر: الضّعف. (لسان العرب: خور).

(8) في (ص): "القصب".

(9) من الآية: 22 من سورة الأعراف.

(10) من قول بشار بن برد، الدّيوان:146:

فراحوا فريقاً في الأسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

(11) في حسن التّوسل: 347: "هوادي"، والصّوادي: شديدة العطش. (لسان العرب: صدى).

(12) زيادة وردت في حسن التّوسل.

(13) الفرند: وشي السّيف، وفرند السّيف: جوهره وماؤه الّذي يجري فيه. (لسان العرب: فرند).

(14) في حسن التّوسل: "ونَهي".

(15) في حسن التّوسل: "أنّه سار إلى الصّيد مُيَمّمَاً وجه إقباله".

(16) في حسن التّوسل: "بازٍ"، وقد سبق الإشارة إليه.

مُتوَّجٍ، ومِخْلَبٍ خَطُوْفٍ، ومِنْسَرٍ كَصِدْغٍ[1] مَعْطُوْفٍ. أسْرَعُ مِنْ هُوْجِ الرِّيَاحِ، وأقْتَلُ[2] مِنْ عَوَجِ الصِّفَاحِ، يَنْحَطُّ على الطَّيْرِ مِنْ عَلٍ، ويَسْبِقُ إلى مَقَاتِلِ الوَحْشِ كُلَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ[3]، ومِنَ الضَّوَارِي كُلُّ حَامٍ، أسْبَقُ مِنَ السَّهْمِ، وأخْفَى في الوَثْبَةِ مِنَ الوَهْمِ[4]، ذي صَدْرٍ[5] مَجْدُوْلٍ، وسَاعِدٍ مَفْتُوْلٍ، وأنْيَابٍ عُصْلٍ[6]، وظُفْرٍ أقْطَعُ مِنَ النَّصْلِ[7].

ومِنَ الفُهُوْدِ كُلّ أهْرَتِ الشِّدْقِ، ظَاهِرِ الحِذْقِ، بَادِي العُبُوْسِ، مُدْبِرِ المَلْبُوْسِ، شَثِنِ البَرَاثِنِ بأنْيَابٍ[8] كَالمِدَيّ، ومَخَالِبَ كَالمَحَاجِنِ.

قَدْ أخَذَ مِنَ الفَلَقِ والغَسَقِ[9] إهَابًا، وتَقَمَّصَ مِنَ السَّمَاحِ والنَّجْلِ[10] جلْبَابًا، يُضْرَبُ المَثَلُ في سُرْعَةِ وثُوبِ الأجَلِ بِهِ ويُشْبِهُهُ، وتَكَادُ الشَّمْسُ مُذْ لَقَّبُوْهَا بالغَزَالَةِ[11] [مِنَ الوَجَلِ][12]، لا تَطْلُعْ على وَجْهِهِ، يَسْبِقُ إلى الصَّيْدِ مَرَامِي طَرْفِهِ، ويَفُوْتُ الخَطَّ مُرْسِلَهُ إليهِ، فَلاَ يَسْتَعْملُ[13] النَّظَرَ إلاّ وهو في كَفِّهِ، وتَتَقَدَّمُهُ الضَّوَارِي إلى الوَحْشِ، فَإذا وَثَبَ لَهُ

= (17) في حسن التّوسل: "من بمار"، والبهار: نبت طيّب الرّيح، والبهار: العرار الّذي يقال له عين البقر وهو بهار البرّ، وهو نبت جَعْدٌ له فُقّاحةٌ صفراء ينبت أيّام الرّبيع يقال له العرارة. (لسان العرب: بهر).

(18) مُدبّج: مُزيَّن منقوش. (لسان العرب: دبج).

(1) في حسن التّوسل: 347: "لصدغ".

(2) في حسن التّوسل: "وأقل".

(3) ثعل: أبو حيّ من طيّءٍ وهو ثُعَل بن عمرو أخو نبهان، وهم الّذين عناهم امرؤ القيس بقوله، الدّيوان: 436/2:

رُبَّ رَامٍ من بني ثُعَلٍ مُخرجٍ كفَّيْهِ من سُترِه

وفي الدّيوان: "مُتلجٍ" بدل: "مخرجٍ"، ويضرب بهم المثل، ويوصفون بجودة الرّمي من بين قبائل العرب. انظر: ((لسان العرب: ثعل)، وثمار القلوب:120).

(4) في حسن التّوسل: "عند الوثبة"، انظر الأمثال المضروبة في المبالغة والتّناهي. (جمهرة الأمثال).

(5) في حسن التّوسل: "حضر".

(6) في حسن التّوسل: "عُقلٍ"، وأنياب عصل: معوجّة شديدة. (لسان العرب: عصل).

(7) في حسن التّوسل: "من نصلٍ".

(8) في حسن التّوسل: "ذي أنياب".

(9) في حسن التّوسل: "القلق والضّيق".

(10) في حسن التّوسل: "وتقمّص من نُجْل الحدق جلباباً".

(11) المعنى مأخوذ من قول فارس محمّد بن أحمد السّرّاج:

وأهرت الشّدق في فيه وفي يده ما في الصّوارم والنّبل
تساهم اللّيل فيه والنّهار معاً فَقَمَّصَاهُ بجلباب من الحُلَلِ
والشّمسُ مُذْ لقّبوها بالغزالة لم تطلع لناظره إلاّ على وَجَلِ

انظر: (مناهج الفكر: 49/2).

(12) زيادة وردت في حسن التّوسل.

(13) في حسن التّوسل: "يستكمل".

تَعَثَّرَتْ[1] مِنْ خَلْفِهِ.

ومَعْنَا غِلْمَةٌ نَحْنُ بِسِهَامِهِم مِنْهَا أَوْثَقُ، وهُمْ بإصَابَةِ شَوَاكِلِ المُرَادِ مِنْ كُلِّ مَا ذُكِـــرَ أحْذَقُ[2] إذا أخَذَ كُلٌّ مِنْهُم حِنِيَّتِهِ[3]، أرَانَا القَمَرَ في القَوْسِ وإنْ نَظَمَ رَمْيَتَهُ قِيْـــلَ: هَـذَا حَبِيْب، وإنْ لم يَكُنْ ابنُ أوْسٍ[4] فَمَا لاَحَ طَائِرٌ إلاَّ ولَهُ مِنَ السِّهَامِ أجَلٌ، وَوَرَاءَهُ مِنْ زَجَـلِ الجَوَارِحِ رِجْل[5]، إنْ أخْطَأَ هَذَا أصَابَ هَذَاكَ[6]، ورُبَّمَا كَانَ لَهُ[7] ومَا اسْتِهَامٌ في تَحْصِيْلِهِ واشْتِرَاكٌ، وإنْ سَنَحَ[8] وحْشٌ فالسِّهَامُ أدْنَى إلى وَرِيْدِهِ مِنْ قِلاَدَةِ جِيْدِهِ، فَإنْ فَاتَ فَـالكَلْبُ أعْرَفُ باخْتِلاَسِهِ مِنْهُ بكِنَاسِهِ[9]، وأسْرَعُ إلى احْتِبَاسِهِ مِنْ رَجْعِ أنْفَاسِهِ، وإلاَّ فالفَهْدُ أسْـرَعُ إلى لِحَاقِهِ مِنْ أجَلِهِ، وألْزَمُ لِعُنُقِهِ لو كَانَ يَعْقِلُ مِنْ عَمَلِهِ.

وظَلَلْنَا[10] بَيْنَ قَدِيْرٍ مُعَجَّلٍ، وقَدِيْدٍ[11] مُؤَجَّلٍ، "نَمُشُّ بأعْرَافِ الجِيَـــادِ كُفُوْفَـنَا"[12]، ونُقْرِي مِنْ صَوَافِّ الطَّيْرِ، وأصْنَافِ الوَحْشِ ضُيُوْفَنَا، وكُنَّا[13] بَيْنَ صَيْدٍ تَحَصَّلَ، وآخَـــرَ يَتَرَقَّبُ، وغَدَوْنَا:

وكَأنَّ[14] عُيُوْنَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا   وأرْحُلِنَا[الجَزْعُ][15] الّذي لم يُثَقَّبِ[16]

(1) في (ص): "تغيرت"، وفي حسن التّوسل: 347: "بعثرت".

(2) في حسن التّوسل: "يحذق".

(3) الحنيّة: القوس، والجمع حَنِيٌّ وحنايا. (لسان العرب: حنا).

(4) هو أبو تمام، حبيب بن أوس، وقد سبق التّعريف به.

(5) في حسن التّوسل: "وَجَلْ".

(6) في حسن التّوسل: "ذاك".

(7) في حسن التّوسل: "لهما".

(8) في الأصل: "شنح"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل.

(9) المكنس: مولج الوحش من الظّباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ، وهو الكِناسُ، والجمع أكنسة وكُنُسٌ. (لسان العرب: كنس).

(10) في حسن التّوسل: "فظللنا".

(11) القديد: اللّحم المقدّد، والقديد: ما قُطع من اللّحم وشُرِّر، وقيل هو ما قطع منه طوالاً. (لسان العرب: قدد)، وفي حســـن التّوسل: "أو قديد".

(12) من بيت لامرئ القيس، الدّيوان: 402/1:

نَمُشُّ بأعْرَافِ الجِيَادِ أكفنَا   إذا نحن قمنا عن شواء مُضَهَّبِ

(13) في حسن التّوسل: "وبتنا".

(14) في حسن التّوسل: "كأنّ".

(15) سقطت من الأصل و(ص)، والجزع: ضرب من الخرز، وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الّذي فيه بياض وسواد تشـــبّه بـــه الأعين. (لسان العرب: جزع).

(16) البيت لامرئ القيس، الدّيوان: 402/1.

وقَدْ أرْسَلْنَا إليهِ مِنْ ذَلِكَ مَا يَتحقَّقُ بِهِ أنَّ يمُنْهُ أمَارَنَا، وأوْرَى نارَنَا، ويُسْتَدَلّ بِهِ على حُسْنِ ظَفَرِنَا في سَفَرِنَا وإنَارةِ تَوْفِيْقنا في طَرِيْقِنَا. واللهُ تَعَالَى لا يُخْلِي مِنْهُ مَكَانَ تَأْيِيْد، ويُبْلِغُهُ مِنَ السَّعَادَة فَوْقَ مَا يُرِيْد".

ومِنْهُ قَوله: "وإنَّ المَخْذُوْلِيْنَ[1] أقْبَلُوا كَالرِّمَال، واصطَفُّوا كَالجِبَال، وتَدَفَّقُوا كالبحَارِ الزَّوَاخِرِ، وتَوَالُوا كَالأمْوَاجِ الّتِي لا يُعْرَفُ لها الأوَّلُ مِنَ الآخِرِ، فَصَدَمَتْهُم جيُوْشنَا المَنْصُوْرَة صَدْمَةً بَدَّدَتْ شَمْلَهُم، وعَلَّمَتْ الطَّيْرَ أَكْلَهُم، وحَضَرَتْهُم في الفَضَاءِ، وطَالَبَتْ أروَاحَهُم الكَافِرَة بدَيْنِ دِيْنِهَا، فَأَسْرَفَتْ[2] في القَضَاءِ[3]، وحَصَدَتْ [مِنْهُم][4] سُيُوْفنَا المَنْصُوْرَةُ مَا يَخْرُجُ عَنْ وَصْفِ الوَاصِفِ[ومَزَّقَتْ بَقِيَّتَهُم في الفَلَوَات][4] وكَانُوا[5] ﴿كرَمَاد اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ في يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[6]، وأحَاطَتْ بهم كَتَائِبُنَا المَنْصُوْرَة، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاَّ مَنْ لا يُؤْبَهُ لَهُم[7] مِنْ فَرِيْقِهُم، وقَسَمَتْهُم جيُوْشُنَا المُؤَيَّدَةُ مِنَ الفَلَوَات إلى الفُرَات بَيْنَ القَتْلِ والأسْرِ، فَلَمْ يَخْرُجْ عن تِلْكَ القِسْمَةِ غَيْرُ غَرِيْقِهُم[8]، وأعْقَبَتْهُم تِلْكَ الكَسْرَةُ أنْ هَلَكَ طَاغِيَتُهُم أَسَفَاً وحَسْرَةً، وحُزْنَاً على مَنْ قُتِلَ مِنْ تِلْكَ المُقَاتِلَةِ، وأُسِرَ مِنْ تِلْكَ الأسرة، وأمَاتَهُ الرُّعْبُ مِنْ جيُوْشِنَا المَنْصُوْرَة فُجَاءة، واسْتَوْلَى عليهِ الوَجَلُ، فَجَاءهُ مِنْ أمْرِ اللهِ مَا جَاءهُ"[9].

ومِنْهُ قَوله مِمَّا كَتَبَ بمَال مُتَمَلِّك سيس[10]: "ويُبَادِرَ إلى الطَّاعَةِ قَبْلَ أنْ يَبْذُلَهَا فَلاَ تُقْبَل، ويَتَمَسَّكُ بأذْيَالِ العَفْوِ قَبْلَ أنْ يَرْتَفِعَ[11] دُوْنَهُ فَلا تُسْبَل، وتُعجِّلَ بحَمْلِ أمْوَالِ القَطِيْعَةِ وإلاَّ كَانَ أهْلُهُ وأوْلادُهُ في جُمْلَةِ مَا يُحْمَلُ[منها][12] إلينا، ويُسَلِّم[مفاتح][12] مَا

---

(1) في حسن التوسل: 336: "وإنّ التتار المخذولين"، وفي نهاية الأرب: 194/7: "فإنّ التتار المخذولين أقبلوا كالرّمال".

(2) في (ص): "فأشرقت".

(3) في حسن التوسل، وفي نهاية الأرب: "في الاقتضاء".

(4) زيادة وردت في حسن التّوسل ونهاية الأرب.

(5) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب: "فكانوا".

(6) من الآية: 18 من سورة إبراهيم.

(7) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب: "من لا توبة له".

(8) من قول بشار بن برد، الدّيوان: 336/1:

فراحوا فريقاً في الأسار ومثله   قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

(9) تتمّة النّص في حسن التّوسل: 337، ونهاية الأرب: 195/7.

(10) سيس، ويقال: (سيسة): هو بلد من أعظم مدن الثّغور الشّاميّة بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك النّاحية الأرمني. (معجم البلدان: 338/3).

(11) في نهاية الأرب:200/7: "ترفع".

(12) زيادة وردت في نهاية الأرب.

عَدَا عليهِ مِنْ فُتُوحِنَا، وإلاَّ فَهْوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا وجَمِيْع مَا تَأخَّرَ مِنْ[1] بلاَدِه بَيْنَ يَدَيْنا،"[2].

ومِنْهُ قَوله: "هَذِهِ المُكَاتَبَةُ إلى فُلاَن-لا زَالَ مَأمُوْن الغِرَّة، مَأمُوْلَ الكَرَّة، مُجْتَنياً حُلْـــوَ الظَّفرِ مِنْ كَمَامِ[3] تِلْكَ المَرَّةِ المُرَّة، رَاجِياً مِنْ عَوَاقِب الصَّبْرِ مَا[4] يُسْفِر لَهُ مَسَــاءُ[5] تِلْـكَ المَسَاءة عَنْ صُبْحِ المَسرَّة، واثِقاً مِنْ عَوَائِدِ نَصْرِ اللهِ بإعَادَتِهِ ومَنْ معهُ في القُوَّةِ والاسْــتِظْهَارِ "كَمَا بَدَأهُم أوَّل مَرَّة"[6].

أصْدَرَهَا وقَدْ اتَّصَلَ بهِ[7] نَبَأُ ذَلِكَ المَقَام الَّذي أوْضَحَتْ فيهِ السُّيُوْفُ عُذْرَهَا، وأبْـدَتْ بِهِ الكُمَاةُ صَبْرَهَا، وأَظْهَرَتْ فيهِ الحُمَاةُ مِنْ الوَثَبَاتِ والثَّبَاتِ مَا يَجبُ عليهَا، وبَذَلَتْ فيـهِ الأبْطَالُ مِنَ الجِلاَد جُهْدَهَا، ولَكِنْ لو يَكُنْ الظَّفَرُ إليهَا، وكَانَ[8] عليــهم الإقْـدَامُ علـى غَمَرَاتِ الحَرْبِ الزَّبُوْن، والاصْطِلاَءُ بجَمَرَات المَنُوْن[9]، و لم يَكُنْ عليهم إتْمَامُ مَا قُدِّرَ إنَّهُ لا يَكُوْن، فَكَابَرَتْ[10] رِقَابُ الأعْدَاءِ في ذَلِكَ المَوْقف السُّــيُوْفُ، وكَــاثَرَتْ[11] أعْدَادُهُـم الحُتُوْفَ، وتَدَفَّقَتْ بحَارُهُم على جَدَاولِ مَنْ مَعَهُ، ولولا حُكْمُ القَدَرِ لانْتَصَفَـــتْ تِلْـكَ الآحَاد مِنْ تِلْكَ الأُلُوْف، فَضَاقَ بازْدِحَامِ الصُّفُوْف على رِجَالِهِ المَجَالُ، وزَادَ العَدَدُ علـى الجَلَدِ، فلم يُفِدْ الإقْدَامُ على الأوْحَالِ مع قُدُوْمِ الآجَال، وأُمْلِي للكَافِرِيْنَ بمَا قُدِّرَ لَهُم مِـنْ الإنْظَار[12]، وحَصَلَ لَهُم مِنَ الاسْتِظْهَارِ، وعُوِّضُوا بمَا لم يَعْرِفُوْهُ مِنْ الإقْدَامِ علــى مَــا[13] أَلِفُوْهُ مِنَ الفِرَارِ﴿ولَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[14].

(1) في نهاية الأرب: 200/7: "في".

(2) تتمّة النّص وردت في نهاية الأرب: 200/7.

(3) في صبح الأعشى: 300/8: "أكمام".

(4) في حسن التّوسل: 385، وصبح الأعشى: 300/8: "أن يسفر".

(5) سقطت من حسن التّوسل.

(6) من الآية: 79 من سورة يس:﴿قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِي أَنْشَأهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

(7) في صبح الأعشى: "أصدرناها وقد اتّصل بنا".

(8) في حسن التّوسل: "فكان".

(9) في صبح الأعشى: "وكان عليهم الإقدام على غمرات المنون، والاصطلاء بجمرات الحرب الزّبون"، وحرب زبون: تَزْبِنُ النّـاس أي تصدمهم وتدفعهم. (لسان العرب: زبن).

(10) في (ص): "فكاربرت"، لعلّه تصحيف.

(11) في حسن التّوسل: "كابرت".

(12) من الآية: 178 من سورة آل عمران:﴿ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمَـاً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِيْنٌ﴾.

(13) في صبح الأعشى: 301/8: "عمّا".

(14) من الآية: 251 من سورة البقرة.

وقَدْ وَرَدَ إنَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ كَمَا يُنْصَرُ[1]، وإذا كَانَتِ الحُرُوْبُ سِجَالاً، فَلاَ يُنْسَبُ إلى مَنْ كَانَتْ عليهِ[وَبَالاً][2] إذا اجْتَهَدَ، و لم يُسَاعِدْهُ القَدَرُ أنَّهُ قَصَّرَ مع أنَّهُ قَدْ أشْهَرَ مَا[3] فَعَلَهُ في مَجَالِهِ مِنَ الذَّبِّ عن رِجَالِهِ، ومَا أبْدَاهُ في قِتَالِهِ[4] مِنَ الضَّرْبِ الّذي مَا تَرَوَّى فيهِ خَصْمُهُ إلاّ بَدَرَهُ بارْتِجَالِهِ، وإنَّ الرِّمَاحَ الّتي[5] امْتَدَّتْ إليهِ أخرَسَ سَيْفُهُ ألْسنَةَ[6] أَسِنَّتِهَا، والجِيَادَ الّتي أقْدَمَتْ عليهِ جَعَلَ طَعْنَةَ أكْفَالِهَا[7] مَكَانَ أعِنَّتِهَا "فَأثْبَتَ في مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ"[8] "وَوَقَفَ وَمَا في المَوْت شَكٌّ لِوَاقِفٍ"[9] لِيَحْمِي خَيْلَهُ ورَجْلَهُ، حتَّى تَحَيَّزَ أصْحَابُهُ إلى فِئَةٍ مَأمَنِهِمْ، وأقَامَ نَفْسَهُ دُوْنَهُم ذَرِئَةً[10] لِمَنْ بَدَرَ مِنْ سُرْعَانِ القَوْمِ أو ظَهَرَ مِنْ مَكْمَنِهِم، وهَذَا هو المَوْقِفُ الّذي قَامَ لَهُ[11] مَقَامَ النَّصْرِ إذا فَاتَهُ النَّصْرُ[12]، والمَقَامُ الّذي أصِيْبَ فيهِ مِنْ أصْحَابِهِ آحَادٌ يُدْرِكُهُم أدْنَى العَدَد فُقِدْ[13] فيهِ مِنْ أعْدَائِهِ مع ظُهُوْرِهِم ألُوْفٌ لا يُدْرِكُهم الحَصْرُ، وكَذَا فَلْيَكُنْ قَلْبُ الجَيْشِ كَالقَلْبِ يَقْوَى بِقُوَّتِهِ الجَسَدُ، وإذا حَقَّقَ[14] اللِّقَاءُ فلا تَفِرُّ عن كِنَاسِهِ إلاَّ الظَّبْيُ، ولا يَحْمِي عَرِيْنَهُ إلاَّ الأسَدُ، ومَا بَقِي إلاَّ أنْ تَعْفُو الكُلُوْمُ، وتَثُوْبُ الحُلُوْمُ، وتَنْدَمِلُ الجِرَاحُ، وتَبْرَأُ مِنْ قُلُوْبِ[15] المَضَارِبِ صُدُوْرُ الصِّفَاحِ، ونَهَضَ[16] لاقْتِضَاءِ دَيْنِ الدِّين مِنْ غُرَمَائِهِ المُعْتَدِيْنَ، ويُبَادِرُ[17] إلى اسْتِنْجَازِ وَعْد

---

(1) في حسن التّوسل: 385، وصبح الأعشى: 301/8: "ننصر".

(2) زيادة وردت في صبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(3) في حسن التّوسل: "و لم يساعده القدر أنّه قد اشتهر ما فعله"، وفي صبح الأعشى: "قد اشتهر بما فعله".

(4) في حسن التّوسل: "قِبالِهِ".

(5) في حسن التّوسل: "الّتي إليه أخرس".

(6) في الأصل: "احرس سيفهٌ السنةً"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) في حسن التّوسل: "كِفَالها".

(8) صدر بيت لأبي تمام، الدّيوان: 296/3، وروايته:

فأثبت في مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت أخمصُكِ الحشرُ

(9) من بيت للمتنبّي في مدح سيف الدّولة الحمداني، الدّيوان: 386/3، وروايته:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف   كأنّك في جفنِ الرّدى وهو نائمُ

(10) في (ص): "درية"، وفي صبح الأعشى: 301/8: "ذريئة".

(11) سقطت من حسن التّوسل.

(12) في حسن التّوسل: "إذ فاته النّصر"، وفي صبح الأعشى: "إذ فاته النُّصراء وفاته النّصر".

(13) في حسن التّوسل: "أدنى العدوّ فقد فيه"، وفي صبح الأعشى: "أدنى العدد وفُقِد فيه".

(14) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "حقّ".

(15) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "فلول".

(16) في (ص): "وينهض".   (17) في حسن التّوسل: "وبادر".

اللهِ، "فَإنَّ[1] اللهَ يُمَحِّصُ المُؤمِنِيْنَ، ويَمْحَقُ الكَافِرِيْنَ"[2]، واللَّيْثُ إذا جُرِحَ كَانَ أشَدُّ لِثَبَاتِهِ، وأمَدُّ لِوَثَبَاتِهِ، "والمَوْتُوْرُ[3] لا يُصْطَلَى بِنَارِه"، والثَّائِرُ[4] لا يَرْهَبُ الإقْدَامَ على المَنُوْنِ في طَلَبِ ثَأرِه، والدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ، والزَّمَانُ مُتَلَوِّنٌ، إنْ دَرَجَتْ عليكم مِنْهُ بالقَهْرِ لَيْلَةٌ واحِدَةٌ، فَقَدْ أشْرَقَتْ لَكُمْ مِنْهُ بالنَّصْرِ لَيَالٍ أُوَلٍ.

فَالمَوْلَى لا يَلْتَفِتُ إلى مَا فَاتَ، ويُقْبِلُ بِفِكْرِهِ على تَدْبِيْرِ مَا هُوَ آتٍ، ويُعِدُّ للحَرْبِ عُدَّتَهُ، ويُعَجِّلُ أمَدَ الاسْتِظْهَارِ ومُدَّتَهُ، ولا يُؤَخِّرُ فُرْصَةَ الإمْكَانِ، ولا يُعِدُ[5] ذِكْرَ مَا مَضَى، فَإنَّهُ دَخَلَ في خَبَرِ كَانَ، ولا يُظْهِرُ بِمَا جَرَى عَجْزاً، فَإنَّ العَاجِزَ مَنْ ظَنَّ إنَّهُ يُصِيْبُ ولا يُصَابُ[6]، ولا يَتَّخِذُ غَيْرَ ظَهْرِ حِصَانِهِ حِصْنَاً، فَلاَ حِرْزَ أمْنَعُ مِنْ صَهْوَةِ الجَوَادِ، ولا سُلَّمَ أسْلَمُ مِنَ الرِّكَابِ، ولْيَعْلَمْ ﴿أنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾[7] ويَدَّرِعْ جُنَّةَ[8] الصَّبْرِ؛ لِيَكُوْنَ مِنَ النَّصْرِ على ثِقَةٍ، ومِنْ الظَّفَرِ على يَقِيْنٍ فـ﴿إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابرِيْنَ﴾[9]، ومَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ كَانَتْ يَدُهُ الطُّوْلَى، وإذا لاَقَى عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّهُ فَلْيَصْبِرْ لِحَمْلَتِهِ[10]، "فَإنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأوْلَى"[11]، واللهُ تَعَالَى يَكْلَؤُهُ بِعَيْنِهِ، ويَمُدُّهُ بِعَوْنِهِ، ويَجْعَلُ الظَّفَرُ على عَدوِّه[12] مَوْقُوْفَاً على مُطَالَبَتِهِ لَهُ بِدَيْنِهِ".

---

(1) في صبح الأعشى: 302/8: "بأن".

(2) من الآية: 141 من سورة آل عمران: ﴿ولِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الكَافِرِيْنَ﴾.

(3) الموتور: الّذي قُتِل له قتيل فلم يُدرك بدمه. (لسان العرب: وتر)، ولا يُصطلى بناره: يُراد أنّه لا يُتَعرّض لشرّه، وقال صاحب المقصورة:

لا يُصطلى بناره عند الوغى   ويُصطلى بناره عند القرى

انظر: (جمهرة الأمثال: 397/2).

(4) في الأصل: "السّائر"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل وصبح الأعشى.

(5) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "يعيد".

(6) من قول الخنساء، الدّيوان: 277:

فمن ظنّ ممّن يلاقي الحروب   بأن لا يُصاب فقد ظنّ عجزا

(7) من الآية: 49 من سورة هود.

(8) في (ص): "جبّة"، والجنّة: السُّترة، والجُنّة: الدّرع وكلّ ما وقاك جُنّة، والجُنّة: خرقة تلبسها المرأة فتغطّي رأسها ما قبَل منه وما دبَر غير وسطه، وتغطّي الوجه وحَلْيَ الصّدر، وفيها عينان مَجُوبتان مثل عيني البُرقع، وفي الحديث: "الصّوم جُنّة"، أيّ يقي صاحبه ما يؤذيه من الشّهوات. (لسان العرب: جنن).

(9) من الآية: 115 من سورة البقرة.

(10) في (ص): "لجملته"، وفي حسن التّوسل: "بحملته".

(11) انظر: (صحيح البخاري: 96/6، وسنن أبي داود: 189/3).

(12) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "بعدوّه".

ومِنْهُ قَوله في مِثْلِهِ على الطَّرِيْقِ المُعْتَادِ في ذَمِّ المَهْزُوْمِ: "هَذِهِ المُكَاتَبَةُ إلى فُلاَن-أَقَالَ اللهُ عَثْرَةَ زَلَّتِهِ[1]، وأقَامَهُ مِنْ حُفْرَةِ ذِلَّتِهِ، وتَجاوَزَ لَهُ عن كَبِيْرَةِ[2] فِرارِهِ مِنْ جَمْعِ عَدُوِّهِ على قِلَّتِـــهِ، بَلَغْنَا أَمْرُ الوَاقِعَةِ الَّتِي لَقِيَ فيهَا العَدُوُّ بِجَمْعٍ قَلِيْلٍ غِنَاؤُهُ، ضَعِيْفٍ بِنَـــاؤُهُ، كَثِيْــفٍ في رَأيِ العَيْنِ جَمْعُهُ، خَفِيْفٍ في المَعْنَى وَقْعُهُ ونَفعُهُ، أَسْرَعُ في مُفَارَقَةِ المَجَالِ مِنَ الظِّلِّ في الانْتِقَـالِ، وأشْبَهَ في مُمَاثَلَةِ الوُجُوْدِ بالعَدَمِ مِنْ طَيْفِ الخَيَالِ، يُجفُّوْنَ[3] مِنْهُ بِقَلْبٍ وَاجِبٍ[4]، ويَهْتَدُوْنَ مِنْ تَجرِيْبِهِ[5] وتَهْذِيْبِهِ بِرَأيٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ الصَّوَابِ[ألف][6] حَاجِبٌ، ويَأتَمُّوْنَ مِنْهُ بِمُقَدَّمٍ يَـرَى الوَاحِدَ مِنْ عَدُوِّهِ كَأَلْفٍ[7]، ويَتَسَرَّعُوْنَ مِنْهُ وَرَاءَ مُقَدَّمٍ[8] يَمْشِي إلى الزَّحْــفِ ولَكِــنْ إلى خَلْفٍ، جَنَاحُ جَيْشِهِ مَهِيْضٌ، وطَرْفُ سِنَانِهِ غَضِيْضٌ، وسَاقَةُ عَسْكَرِهِ ظَالِعَةٌ[9]، وطَلاَئِعُـــهُ كَالنُّجُوْمِ ولَكِنْ في حَالِ كَوْنِهَا رَاجِعَةً، تَأسَفُ السُّيُوْفُ بِيَمِيْنِهِ على ضَـــارِبٍ، وتَأسَـى الجَنَائِبُ حَوْلَهُ إذ تُعَدُّ لِمُحَارِبٍ، فَتَغْدُو[10] لِهَارِبٍ، وأَنَّهُ حِيْنَ وَقَعَتْ العَيْنُ على العَيْـنِ[11]، وأيْقَنَ عَدُوُّهُ لَمَّا رَآهُ[12] مِنْ عَدَدِهِ وعُدَدِهِ بِمُعَاجَلَةِ الحِيْنِ، أعْجَلَ نُصُـــوْلَ العِـدَى عـن وصُوْلِهَا، وتَرَكَ غَنِيْمَةَ الظَّفَرِ لِعِدَاهُ بَعْدَ أنْ أَشْرَفَ على حُصُوْلِهَا، تُنَادِيْهِ أَلْسِنَةُ الأسِـــنَّةِ[13] الكَرَّةَ الكَرَّةَ، ولا يَلْتَفِتُ[14] إلى نِدَائِهَا، وتَشْكُو لَهُ[15] سُيُوْفُهُ الظَّمأَ وَقَدْ رَأَتْ مَوَارِدَ

---

(1) أقال الله عثرته: بمعنى الصّفح عنه، وفي الحديث الشّريف: "أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم"، وأقال الله عثرتك وأقالكـــها. (لســان العرب: قيل).

(2) في الأصل و(ص): "كبير"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التوسل: 387، وصبح الأعشى: 307/8.

(3) في صبح الأعشى: 308/8: "يمشون إليه"، والوجف: سرعة السّير. (لسان العرب: وجف).

(4) واجب: خافق مضطرب. (لسان العرب: وجب).

(5) في صبح الأعشى: 308/8: "تخرصه"، وسقطت : "تهذيبه" منه.

(6) زيادة وردت في حسنن التوسل، وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(7) من قول ابن دريد، كشف الخفاء: 170/2:

والنّاس ألف منهم كواحــد ... وواحد كالألف إن أمــر عنى

وقول البحتريّ، الدّيوان: 1/ 625: ولم أر أمثال الرّجال تفاضلت ... إلى المجد حتّى عُدّ ألف بواحد

(8) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "مقدام"، أيّ الجريء عند الإقدام. (لسان العرب: قدم)، هنا موضع للسّخرية.

(9) في حسن التّوسل: "ظالّته"، وفي (ص)، وصبح الأعشى: "طالعة".

(10) في صبح الأعشى: "فتُعَدُّ".

(11) سقطت من (ص).

(12) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "رأى".

(13) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "أسنته".

(14) في صبح الأعشى: "فلا يلوي".

(15) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "إليه".

الوَرِيْدِ، فَيُعِيْدُهَا إلى الغُمُوْدِ بِدَائِهَا، فَمَنَحَ عَدُوَّهُ مَقَاتِلَ رِجَالِهِ، وأبَاحَهُم كَرَائِمَ مَالِ جُنْدِهِ ومَالِهِ، وخَلَّى[1] لَهُم خَزَائِنَ سِلاَحِهِ الَتِي أعَدَّهَا لِقِتَالِهِم، فَأصْبَحَتْ[2] مُعَدَّةً لِقِتَالِهِ، فَنَجَا مَنْجَا الحَارِث بن هشام[3]، وآبَ بِسَلاَمَةٍ أعْذَبَ مِنْهَا لو عَقِلَ شِرْبُ كَأسِ الحِمَامْ، واتَّسَمَ بَيْنَ أوْلِيَائِهِ وأعْدَائِهِ بِسِيْمَةِ[4] الفِرَارِ، وكَانَ يُقَالُ: "النَّارُ ولا العَارُ"[5] فَجَمَعَ لَهُ فِرَارَهُ مِنَ الزَّحْفِ بَيْنَ النَّارِ والعَارِ، وعَادَ بِجَمْعٍ مَوْفُوْرٍ مِنَ الجِرَاحِ، مُوَفَّرٍ[6] مِنَ الإثْمِ والاجْتِرَاعِ[7]، لا عِلْمَ بِمَا جَرَى عِنْدَ أسْيَافِهِم، ولا شَاهِدَ بِمُشَاهَدَتِهِم الوَغَى غَيْرَ مَوَاقِعِ الظُّبَا[8] في أكْنَافِهِم[9]، فَبِأيِّ جنَانٍ يَطْمَعُ في مُعَاوَدَةِ عَدُوِّهِ وهَذَا[10] قَلْبُهُ، وهَؤلاءِ حِزْبُهُ، وذلِكَ القِتَالُ قِتَالُهُ[11] وذَلِكَ[12] الحَرْبُ حَرْبُهُ، وبَعْدُ فَإنْ كَانَ[13] لَهُ حَمِيَّةٌ فَسَتَظْهَرُ[14] آثَارُهَا، أو أرْيَحِيَّةٌ فَتَشِبُّ[15] نَارُهَا، أو أنَفَةٌ فَسَتَحْمِلُهُ على غَسْلِ هَذِهِ الدَّنِيَّةِ، وتَبْعَثُهُ على طَلَبِ

---

(1) في الأصل و(ص): "وخلا"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل: 387، وصبح الأعشى: 308/8.

(2) في حسن التّوسل: "فأضحت".

(3) حلّ لبيت حسان بن ثابت، الدّيوان: 215، وروايته:

إن كنت كاذبة الّذي حدّثتني   فنجوت منجى الحارث بن هشام

وهو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ (-18هـ)، صحابي، كان شريفاً في الجاهليّة والإسلام، يُضرب المثل ببناته في الحسن والشّرف وغلاء المهر، شهد بدراً مع المشركين فانهزم فعيّره حسان بن ثابت بأبيات فاعتذر بأبيات هي أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار، وأسلم يوم فتح مكّة، مات في طاعون عمواس، وهذه الأبيات هي:

الله يعلم ما تركت قتالهم   حتّى رموا فرسي بأشقر مُزْبدِ
ووجدت ريح الموت من تلقائهم   في مأزق والخيل لم تتبدّد
فعلمت أنّي إن أُقاتل واحداً   أُقتل ولا ينكى عدُوّي مشهدي
فصدفتُ عنهم والأحبّة دونهم   طمعاً لهم بعقاب يوم مفسدِ

انظر: (الاستيعاب: 365/1.)، وفي حسن التّوسل وصبح الأعشى: "منجى".

(4) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "بسمة".

(5) ورد في كشف الخفاء: 325/2، أنّه مثل وليس بحديث، انظر: (جمهرة الأمثال: 253/2).

(6) في حسن التّوسل: "موقور".

(7) سقطت من حسن التّوسل، وفي صبح الأعشى: "الاجتراح".

(8) في الأصل و(ص): "الظّبى"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل وصبح الأعشى.

(9) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "أكتافهم".

(10) في صبح الأعشى: "من هذا".

(11) في حسن التّوسل: "قِبَالهُ".

(12) في (ص): "وذلك الحزب حزبه"، وفي حسن التّوسل وصبح الأعشى: "وتلك".

(13) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "كانت".

(14) في الأصل و(ص): "تتطهر"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل وصبح الأعشى.

(15) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "فستشب".

غَايَتَيْنِ: إمَّا شَهَادَةٌ مُرِيْحَةٌ أو [حَيَاةٌ][1] هَنِيَّةٌ، واللهُ تَعَالى يُوْقِظَ عَزْمَهُ مِنْ سِنَتِهِ، ويُعَجِّلُ لَهُ الانْتِصَافَ مِنْ عَدُوِّهِ قَبْلَ إكْمَالِ سُنَتِهِ".

ومِنْهُ قَولِه: "فَكَمْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا يُغيرُهُ"[2] وظَلاَمُ النَّقْعِ مِمَّا يُثِيْرُهُ، "وحَدِيْدُ الهِنْدِ مِمَّا يُلاَطِمُهُ"[3] والأجَلُ مِمَّا يُسَابِقُهُ إلى قَبْضِ الأرْوَاحِ ويُزَاحِمُهُ".

ومِنْهُ قَولِه: "وكَفَى السُّيُوْف فَخْرًا أَنَّهَا للجَنَّةِ ظِلاَلٌ[4]، وإلى النَّصْرِ مَآلٌ، وإذا كَانَ مِنْ بَيَانِ الحَدِيْثِ سِحْرٌ، فَإنَّ بَيَانَ حَدِيْثِهَا عَمَّنْ كَلَّمَتْهُ هو السِّحْرُ الحَلاَلُ".[5]

ومِنْهُ قَولِه في قَرِيْبٍ مِنْ مَعْنَاهُ[6]: "حَسْبُ أَلْسِنَة الأسِنَّةِ شَرَفًا أنَّ كَشْفَ خَبَايَا القُلُوْبِ يُذَمُّ إلاَّ مِنْهَا، وأنَّ بَثَّ أسْرَار الضَّمَائِرِ تُكْرَهُ رِوَايَتُهُ إلاَّ عَنْهَا، فَمُكَرَّر حَدِيْثِهَا في ذَلِكَ لا يُفْضِ إلى المَلال[7]، وإنْ[8] لم يَكُنْ حُسْنُ حَدِيْثِهَا الّذي[9] يَسْحَرُ الألْبَابَ مِمَّا يَحِلُّ، فَلَيْسَ في الحَدِيْثِ سِحْرٌ حَلاَلٌ".

ومِنْهُ قَولِه في قَرِيْبٍ مِنْ مَعْنَاهُ، إلاَّ إنَّهُ جَعَلَهُ في البَلاَغَةِ: "البَلاَغَةُ تَسْحَرُ الألْبَابَ حَتَّى تُحِيْلَ العَرْضَ جَوْهَرًا، وتُحِيْلَ الهَوَاءَ المُدْرَكَ بالسَّمْعِ لانْسجَامِهِ وعُذُوْبَتِهِ في الذَّوْق نَهْرًا، لَكِنَّهُ "سِحْرٌ لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ"[10] فَيَتَأوَّلُ في حِلِّهِ، وإذا كَانَ مِنَ[11] الحَدِيْثِ مَا

---

(1) زيادة وردت في حسن التّوسل: 387، وصبح الأعشى: 308/8، لعلّها سقطت من الأصل.

(2) صدر بيت للمتنبّي، الدّيوان: 337/3، وعجزه:

"وملّ سواد اللّيل مِمّا تُزاحمه"

(3) عجز بيت للمتنبّي، الدّيوان: 338/3، وروايته:

وَمَلّ القَنا مِمّا تَدُقُّ صدورهُ   وَمَلّ حديدُ الهندِ مِمّا تُلاطمه

(4) من قول رسول الله-ﷺ-: "واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السّيوف". (صحيح البخاري: 118/12).

(5) حلّ لبيت ابن الرّومي، الدّيوان: 247/3، وروايته:

وحديثها السّحرُ الحلالُ لو أنّه   لم يجنِ قتل المُسلم المتحرّز

وورد البيت في الشّعر المنسوب للبحتري، ديوان البحتري، (الملحق): 2587.

(6) ورد النّص في صبح الأعشى: 336/1.

(7) في الأصل: "الملاك"، وفي حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "ملال".

(8) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "وإذا".

(9) سقطت من (ص).

(10) حل بيت ابن الرّومي في وصف الحديث، الدّيوان: 247/3:

وحديثها السّحر الحلال لو أنّه   لم يجنِ قتل المسلم المُتحرّز

انظر: (المثل السّائر: 354/1، وديوان المعاني: 242، وينسب البيت للبحتري، الدّيوان: 2587.

(11) في صبح الأعشى: "في".

هُوَ "عُقْلَةَ المُسْتَوْفِزِ"[1] فَهذَا أُنْشُوطَةُ نَشَاطِهِ[2] البَلِيْغ، وحَلُّ عِقَالِ عَقْلِهِ".

ومِنْهُ قَوله: "خَطُّهُ شَرَكٌ للعُقُوْلِ[3]، وفِتْنَةٌ تَشْغَلُ المُطْمَئِنَّ بِمَلاحَةِ المَرْأى[4] المَكْتُـــوْبِ[5] عن فَصَاحَةِ المَسْمُوْعِ المَقُوْلِ، ولو لم يَكُنْ البَيَانُ سِحْرَاً[6]، لَمَا تَجَسَّدَتْ مِنْهُ في طُرْسِـــهَا[7] هَذِهِ الدُّرَرُ، ولو لم يَكُنْ بَعْضُ السِّحْرِ حَلالاً، لَمَا انْجَلَى ظَلامُ النَّفْسِ عَمَّا يُهْدِي[8] بِهِ مِـــنْ هَذِهِ الأوْضَاحِ والغُرَرِ".

ومِنْهُ قَولُه، مِمَّا كَتَبَ بِهِ إلى أمِيْرِ سَرِيَّةٍ: "ولا[9] زَالَ أخَفَّ في مَقَاصِدِهِ مِـــنْ وَطْـــأةِ ضَيْفٍ، وأخْفَى في مَطَالِبِهِ مِنْ زَوْرَةِ طَيْفٍ، وأسْرَعَ في تَنَقُّلِهِ مِنْ سَحَابَةِ صَيْـــفٍ[10]، وأرْوَعَ لِلْعِدَا[11]، في تَطَلُّعِهِ مِنْ سَلَّةِ سَيْفٍ، حَتَّى يُعْجَبَ[12] عَدُوُّ الدِّيْنِ في الاطِّلاعِ على عَوْرَاتِـــهِ مِنْ أيْنَ دُهِيَ[13] وكَيْفَ؟ ويَعْلَمُ أنَّ [مِنْ][14] أوَّلِ[15] قِسْمَةِ[16] اللِّقَاءِ حَصَلَ عليهِ في مَقَاصِدِهِ الحَيْفُ.

---

(1) من قول ابن الرّومي، الدّيوان: 247/3:

شرك النّفوس وفتنة ما مثلها   للمطمئنّ، وعقلة المستوفز

في حسن التّوسل: 328، وصبح الأعشى: 336/1: "للمستوفز"، وورد البيت منسوباً للبحتري، الدّيوان: 2587.

(2) في (ص)، وحسن التّوسل: 329، وصبح الأعشى: 308/8: "نشاط".

(3) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "العقول".

(4) في حسن التّوسل وصبح الأعشى: "المرئي".

(5) في الأصل: "الملتوب"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل وصبح الأعشى.

(6) من قول رسول الله- ﷺ-: "إنّ من البيان لسحراً، أو إنّ بعض البيان لسحر". (صحيح البخاري: 43/21).

(7) في صبح الأعشى: 336/1"يهتدي".في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "طُرسه".

(8)

(9) ورد النّص في خزانة الحموي: 414/2، وروايته: "لا زال في مقاصده أخفّ من وطأة ضيف، وفي مطالبه أخفى من زورة طيف، وفي تنقله أسرع من سحابة صيف، وأروع للعدا من سلّة سيف". ورواية النّص في ثمـــرات الأوراق: 417: "كشـــفُ الإزار في مقاصده من وطأة ضيف، وفي مطالبه أخفى من زورة طيف، وفي تنقله أسرع من سحابة صيف، وأروع للعدا من سلّة سـيف"، وورد جزء منه في: عصر سلاطين المماليك: 232/5، مع بعض الاختلاف في الرّواية.

(10) من أمثال العرب: "سحابة صيف من قليل تقشع". (المستطرف: 46/1)، وممّا نظم فيه: (المستطرف: 137/1):

أراها وإن كانت تحبّ فإنّها   سحابة صيف عن قليل تقشع

(11) في الأصل و(للعدى".ص): "

(12) في عصر سلاطين المماليك: 232/5: "يتعجّب".

(13) في حسن التّوسل: 331: "دُعي".

(14) زيادة وردت في نهاية الأرب: 188/7.

(15) سقطت من (ص).

(16) في حسن التّوسل: 331، ونهاية الأرب: 189/7: "قسمته"، وفي عصر سلاطين المماليك: 232/5: "أن من قسمته الشّقاء".

أصْدَرْنَاهَا إليهِ نَحُثُّهُ على الرّكُوْبِ بطَائِفَةٍ أعْجَلَ مِنَ السَّيْلِ[1]، وأهْوَلَ مِنَ اللَّيْلِ، وأيْمَنَ مِنَ نَوَاصِي الخَيْلِ[2]، وأقْدَمَ مِنَ النَّمِرِ، وأوْقَعَ على المَقَاصِدِ مِنَ الغَيْثِ المُنْهَمِرِ، وأرْوَغَ في مُخَاتَلَةِ العِدَى مِنَ الذِّئْبِ الحَذِرِ، على خَيْلٍ تَجْرِي مَا وَجَدَتْ فَلاَةً، وتُطِيْعُ رَاكِبَهَا، مَهْمَا أرَادَ مِنْهَا سُرْعَةً أو أنَاة، تَتَسَنَّمُ[3] الجِبَالَ الصُّمَّ كَالوَعْلِ، وإذا جَارَتْهَا البُرُوْق غَدَتْ[4] وَرَاءهَا "تَمْشِي الهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الوَجِى الوَجِلُ"[5].

ولْيَكُنْ كَالنَّجْمِ في سُرَاهُ، وبُعْدِ ذُرَاهُ، إنْ جَرَى فَكَسَهْمٍ، وإنْ خَطَرَ فَكَوَهْمٍ، وإنْ طَلَبَ "فَكَاللَّيْلِ الّذي هُوَ مُدْرِكٌ"[6]، وإنْ طُلِبَ فَكَالجَنَّةِ الّتِي لاَ يَجِدُ رِيْحَهَا مُشْرِكٌ، حتَّى يَأتِيَ على عَدُوِّ الدِّيْنِ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ، ويَرَى جَمْعَهُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ، ولا يُسْرِفُ في الإقَامَةِ عليهِ إلاَّ إذا عَلِمَ أنَّ الخَيْرَ في السَّرَفِ، ولْيُحْرِزْ جَمْعَهُم، ويَسْبِقْ إلى التَّحَرُّزِ مِنْهُم بَصَرَهُمْ وسَمْعَهُم، ويَنْظُرَهُم بعَيْنٍ مَنَعَهَا الحَزْمُ أنْ تَرَى العَدَدَ[7] الكَثِيْرَ قَلِيْلاً، وصَدَّهَا العَزْمُ أنْ تَرَى العَدُوَّ الحَقِيْرَ جَلِيْلاً، بَلْ تَرَى الأمْرَ على فَصِّهِ، وتَرْوِي الخَبَرَ على نَصِّهِ، وإنْ وَجَدَ مَغْرُوْراً[8] فَلْيَأخُذْ خَبَرَهُ، وإنْ قَدَرَ على الإتْيَانِ بعَيْنِهِ، وإلاَّ فَلْيَذْهَبْ إثْرَهُ[9]، ولا يُهِجْ[10] فِيْمَا لَدَيْهِ نَارَ حَرْبٍ إلاَّ بَعْدَ الثِّقَةِ بإطْفَائِهَا، ولا يُوْقِظْ عليهِ عَيْنَ عَدُوٍّ مَهْمَا ظَهَرَ لَهُ أنَّ المَصْلَحَةَ في إغْفَائِهَا[11]، ولْيَكْشِفْ مِنْ أمُوْرِهِم مَا يُبْدِي عِنْدَ المُلْتَقَى[12] عَوْرَتَهُم، ويُخْمِدُ في حَالَةِ الزَّحْفِ فَوْرَتَهُم[13]، ولْيَجْعَلْ قَلْبَهُ في ذَلِكَ رَبِيْئَةَ[14] طَرْفِهِ، وطَلِيْعَةَ[15] طِرْفِهِ،

---

(1) انظر الأمثال المضروبة في المبالغة والتّناهي. (جمهرة الأمثال".

(2) إشارة للحديث الشّريف: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة". (صحيح البخاري: 135/11).

(3) تتنسم: تركب أو ترتفع وتعلو. (لسان العرب: سنم).

(4) في حسن التّوسل: 331: "عدت".

(5) عجز بيت الأعشى، الدّيوان: 278:

"غرّاء فرعاء مصقول عوارضها".

(6) من قول النّابغة الذّبياني، الدّيوان: 168:

فأنت كاللّيل الّذي هو مُدْرِكي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

(7) في حسن التّوسل: "العدو".

(8) في حسن التّوسل: 332، ونهاية الأرب: 190/7، وعصر سلاطين المماليك: 233/5: "مُغرّراً".

(9) في نهاية الأرب: "أثره".

(10) في نهاية الأرب: "يهيج"، وفي عصر سلاطين المماليك: "يؤجّج"، وكانت العرب إذا أرادوا حرباً أو توقّعوا جيشاً، أوقدوا ناراً على جبلهم ليبلغ الخبرُ أصحابهم. انظر: (صبح الأعشى: 467/1).

(11) في الأصل: "اعفائها"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل وعصر سلاطين المماليك.

(12) في حسن التّوسل: "المُتلقي". (13) في عصر سلاطين المماليك: 233/5: "ثورتهم". ---

وسَرِيَّة كَشْفِهِ. واللهُ تعالى يُمِدّهُ بلُطْفِهِ، ويَحْفَظُهُ[1] "بِمُعَقِّبَات مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ"[2].

ومِمَّا كَتَبَهُ إلى بَعْضِ نُوَّابِ الثُّغُوْرِ: "أَصْدَرْنَاهَا، ومُنَادي النَّفِير قَدْ أعْلَنَ: "بيا خَيْـل اللهِ ارْكَبي"[3] ويَا مَلائِكَةِ الرَّحْمَن اصْحَبِي، ويَا وُفُوْدَ الظَّفرِ والتَّأْييْدِ اقْرُبي[4]، والعَزَائِـمُ قَـدْ رَكَضَتْ على سَوَابِقِ الرُّعْبِ إلى العِدَى، والهِمَمُ قَدْ نَهَضَتْ إلى عَدُوِّ الإِسْلاَمِ، فَلَو كَانَ في مَطْلَعِ الشَّمْسِ لاسْتَقْرَبَتْ مَا بَيْنَهَا وبَيْنَهُ مِنَ المَدَى، والسُّيُوْفُ[5] قَدْ أنفَتْ مِـنَ الغُمُـوْدِ، فَكَادَتْ تَنْفُرُ مِنْ قُرُبِهَا[6]، والأسِنَّةُ قَدْ ظَمِئَتْ إلى مَوْرِدِ القُلُوْبِ فَتَشَوَّقَتْ[7] إلى الارْتِوَاءِ مِنْ قُلْبِهَا[8]، والكُمَاةُ وقَدْ زَأَرَتْ كاللُّيُوْث إذا دَنَتْ[9] [مِن][10] فَرَائِسِهَا، والجِيَادُ قَدْ مَرِحَتْ لِمَا عَوَّدَتْهَا مِنَ الاشْغَالِ[11] بِجَمَاجِمِ الأبْطَالِ فَوَارِسُهَا، والجُيُـوْشُ وقَـدْ كَـاثَرَتْ النُجُـوْمَ أعْدَادُهَا، وسَايَرَتْهَا[12] للهُجُوْمِ على أعْدَاءِ اللهِ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ[13] الكِرَامِ أَمْدَادُهَا، والنُّفُـوْسُ[14] قَـدْ[15] أضْرَمَتْ الحَمِيَّةُ للدِّيْنِ نَارَ غَضَبِهَا، وعَدَاهَا حَرُّ الإشْفَاقِ على ثُغُوْرِ

- (14) الرَّبيئة: الطَّليعة، وإنّما أنّثوه لأنّ الطَّليعة يقال له العين، إذ بعينه ينظر والعين مؤنّثة، وإنّما قيل له: عين لأنّه يرعى أمورهم ويحرسهم. (لسان العرب: ربأ).

(15) الطَّليعة: القوم يُبعثون لمطالعة خبر العدوّ، والواحد والجمع فيه سواء، وطليعة الجيش: الّذي يَطّلع من الجيش يُبعث ليطّلع طِلْـعَ العدوّ. (لسان العرب: طلع).

(1) سقطت من عصر سلاطين المماليك.

(2) من الآية: 11 من سورة الرّعد:﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ﴾.

(3) روي عن سمرة بن جندب أنّه قال: إنّ رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: سمّى خيلنا "خيل الله" إذا فزعنا. انظر: (سنن أبي داود: 26/3، وكشف الخفاء: 379/2)، وفي حسن التّوسل:332، ونهاية الأرب: 191/7: "يا خيل الله اركبي".

(4) في الأصل: "اقربي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(5) من هنا بدأ النّص في خزانة الحموي: 414/2، وروايته: "أصدرناها والسّيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها".

(6) القِرَابُ: غمد السّيف والسّكين ونحوهما. (لسان العرب: قرب).

(7) في خزانة الحموي: "وتشوّقت"، من هنا سقط من خزانة الحموي.

(8) القُلُب: جمع قليب: البئر لم تُطوَ. (لسان العرب: قلب).

(9) في (ص): "دنست".

(10) زيادة وردت في نهاية الأرب: 191/7.

(11) في حسن التّوسل: 333، ونهاية الأرب: 191/7، وصبح الأعشى: 252/8: "الانتعال".

(12) في صبح الأعشى: "وسار بها".

(13) من الآية: 125 من سورة آل عمران:﴿يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ من الملائكة﴾، انظر: الآيـة: 124 مـن سـورة آل عمران، والآية: 9 من سورة الأنفال. وفي (ص): "من ملائكة"، وفي صبح الأعشى: "من الملائكة".

(14) في خزانة الحموي: 414/2: "والسّيوف"، وإلى هنا انتهى السّقط من خزانة الحموي.

(15) في حسن التّوسل: "وقد".

المُسْلِمِيْنَ[فَأعْرَضَتْ][1] عن بَرْدِ الثُّغُوْرِ وطِيْبِ شَنَبِهَا[2]، والنَّصْرُ قَدْ أشْرَقَتْ في الوُجُوْدِ دَلائِلُهُ، والتَّأييْدُ قَدْ ظَهَرَتْ على الوُجُوْهِ مَخَايِلُهُ، وحُسْنُ اليَقِيْنِ باللهِ في إعْزَازِ دِيْنِهِ قَدْ أنْبَأتْ بِحُسْنِ المَآلِ أوَائِلُهُ، والألْسنُ باسْتِنْزَالِ نَصْرِ اللهِ لَهِجَةٌ، والأرْجَاءُ بِأرْوَاحِ القَبُوْلِ أَرِجَةٌ، والقُلُوْبُ بِعَوَائِدِ لُطْفِ اللهِ بهَذِهِ الأمَّةِ مُبْتَهِجَةٌ، والحُمَاةُ[3] وَمَا مِنْهُم إلاَّ مَنْ اسْتَظْهَرَ بإمْكَانِ قُوَّتِهِ، وقُوَّةِ إمْكَانِهِ، والأبْطَالُ ولَيْسَ[4] فيهم مَنْ يَسْألُ عن عَدَدِ عَدُوِّهِ بَلْ عن مَكَانِهِ[5]، والنِّيَّاتُ على طَلَبِ عَدُوِّ اللهِ حَيْثُ كَانَ مُجْتَمِعَة، والخَوَاطِرُ مُطْمَئِنَّةٌ بكَوْنِهَا مع اللهِ بِصِدْقِهَا، ومَنْ كَانَ مع اللهِ كَانَ اللهُ مَعَهُ، ومَا بَقِيَ إلاَّ طَيُّ المَرَاحِلِ، والنُّزُوْلُ على أطْرَافِ الثُّغُوْرِ "نُزُوْلَ الغَيْثِ على البَلَدِ المَاحِلِ"[6]، والإحَاطَةُ بِعَدُوِّ اللهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وإنْزَالُ نُفُوْسِهِمْ على حُكْمِ الأمَرَّيْنِ الأمَرَّيْنِ[7]، مِنْ عَذَابٍ وَاصِبٍ[8]، وهَمٍّ[9] نَاصِبٍ، وإحَالَةُ وجُوْدِهِم إلى العَدَمِ، وإحَالَةُ[10] السُّيُوْفِ الّتي إنْ أنْكَرَتْهَا أعْنَاقُهُمْ فَمَا بالعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ، واصْطِلامُهُمْ على أيْدِي[11] العِصَابَةِ المُؤَيَّدَةِ بِنَصْرِ اللهِ في حَرْبِهَا، وابْتِلاؤهُمْ[12] مِنْ حَمَلاتِهَا بِرِيْحِ عَادٍ الّتي تُدَمِّرُ كُلَّ شَيءٍ بأمْرِ رَبِّهَا[13]، فَلْيَكُن مُتَرَقِّبًا[14] لِطُلُوْعِ[15] طَلائِعِهَا عليهِ، مُتَيَقِّنًا مِنْ كَرَمِ اللهِ تعالى اسْتِئْصَالَ عَدُوِّهِ الّذي إنْ فَرَّ أدْرَكَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ، وإنْ ثَبَتَ

---

(1) زيادة وردت في خزانة الحموي: 415/2.

(2) من هنا سقط من خزانة الحموي.

(3) إلى هنا انتهى السّقط من خزانة الحموي.

(4) سقطت من خزانة الحموي، وفيه: "والأبطال ما فيهم من يسأل...".

(5) إلى هنا انتهى النّص في خزانة الحموي: 415/2.

(6) من قول الشّاعر:

وكنت إذ استرلت من جانب الرّضا　　نزلت نزول الغيث في البلد المحل

انظر: (حسن التّوسل: 313، وفي بديع القرآن: 319، وتحرير التّحبير: 603/4، ونهاية الأرب: 175/7: ينسب البيت لإدريس بن اليمان من شعراء المغرب، وفي الوافي: 327/8 ورد البيت بلفظ: "وأنت إذا استرلت".

(7) سقطت من حسن التّوسل، وفي صبح الأعشى: "الآخرين".

(8) من الآية: 9 من سورة الصّافات:﴿دُحُوْراً ولهم عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾، وفي حسن التّوسل: 333، ونهاية الأرب: 192/7، وصبح الأعشى: 252/8: "واصب"، وعذاب واصب: دائم وثابت، وقيل: موجع. (لسان العرب: وصب).

(9) في حسن التّوسل: "ويتم".

(10) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "وإجالة".

(11) في صبح الأعشى: "ما بأيدي"، والاصطلام: الاستئصال. (لسان العرب: صلم).

(12) في الأصل: "ابتلائهم".

(13) من الآية: 6 من سورة الحاقّة:﴿وأمّا عَاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾.

(14) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب: "مرتقباً".

(15) في صبح الأعشى: "طلوع".

أخذَتْهُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ. ولْيَجْتَهِدْ في حِفْظِ مَا قِبَلَهُ مِنَ الأطْرَافِ وضَمِّهَا، وجَمْعِ سَوَامِ[1] الرَّعَايَا مِنْ الأمَاكِنِ المُخوَّفَةِ ولَمِّهَا، وإصْلاحِ مَا يُحْتَاجُ إلى إصْلاحِهِ مِنْ مَسَالِكِ الأرْبَاضِ[2] المُتطَرِّفَةِ ورَمِّهَا، فإنَّ الاحْتِيَاطَ على كُلِّ حَالٍ مِنْ آكَدِ المَصَالِحِ الإسْلامِيَّةِ وأهَمِّهَا، فكَأنَّهُ بالعَدُوِّ وقَدْ زَالَ طَمَعُهُ، وزَادَ ظَلَعُهُ، وذَمَّ عُقْبَى مَسِيْرِهِ، وتَحقَّقَ سُوْءُ مُنْقَلَبِهِ ومَصِيْرِهِ[3]، وتَبَرَّأَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ الَّذي دَلاَّهُ بغُرُوْرِهِ، وأصْبَحَ لَحْمُهُ مُوَزَّعاً بَيْنَ ذِئَابِ الفَلاةِ[4] وضِبَاعِهَا، وبَيْنَ عُقْبَانِ الجَوِّ ونُسُوْرِهِ، ثِقَةً مِنْ وَعْدِ اللهِ الَّذي تَمسَّكْنَا مِنْهُ باليَقِيْنِ وتَحقَّقْنَا أنَّ اللهَ يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ[5]، و﴿إنَّ[6] العَاقِبَةَ للمُتَّقِيْنَ﴾[7].

ومِنْهُ قَوله: "هَذِهِ المُكَاتَبَةُ إلى فُلانَ، أتْبَعَ اللهُ مَا سَاءَهُ مِنْ أمْرِنَا مع العَدُوِّ بِمَا يَسُرُّهُ، وبَلَّغَهُ عَنَّا مِنْ الانْتِصَافِ، والانْتِصَارِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صُدُوْرِ الصِّفَاحِ وألْسِنَةِ الرِّمَاحِ سِرُّهُ، وأرَاهُ مِنْ عَوَاقِبِ صُنْعِهِ الجَمِيْلِ مَا يَتَحقَّقُ بِهِ أنَّ كُسُوْفَ الشَّمْسِ لا يَنَالُ طَلْعَتَهَا، وأنَّ سِرَارَ[8] القَمَرِ لا يَضُرُّهُ يُوَضِّحُ[9] لِعِلْمِهِ أنَّهُ رُبَّمَا اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُ تِلْكَ الوَقْعَةِ الَّتِي صَدَمْنَا فيها اللِّقَاءَ، وصَدَمْنَا العَدُوَّ صَدْمَةَ مَنْ لا يُحِبُّ البَقَاءَ، وأرَيْنَاهُ حَرْبَاً لو أعَانَهَا التَّأيِيْدُ فَلَّتْ جُمُوْعَهُ، وأذَقْنَاهُ ضَرْبَاً لو أنَّ حُكْمَ النَّصْرِ فيهِ إلى النَّصْلِ أوْجَدَهُ مَصَارِعَهُ، وأعْدَمَهُ رُجُوْعَهُ، وحِيْنَ شَرَعَتْ رِيَاحُ النَّصْرِ تَهُبُّ، وسَحَابُ الدِّمَاءِ مِنْ مَقَاتِلِهِم تَصُوْبُ وتَصُبُّ، وكَرَعَتْ الصِّفَاحُ في مَوَارِدِ نُحُوْرِهِم، وكَشَفَتْ الرِّمَاحُ خَبَايَا صُدُوْرِهِم، ولم[10] يَبْقَ إلاَّ أنْ تَسْتَكْمِلَ سُيُوْفُنَا الرِّيَّ مِنْ دِمَائِهِم، وتَقِفَ صُفُوْفُنَا على رَبَوَاتِ أشْلائِهِم، وتَقْبِضَ بالكَفِّ مَنْ صَفَحَتِ[11] الصِّفَاحُ عن دَمِهِ، وتَكُفَّ[12] بالقَبْضِ يَدَ مَنْ ألْبَسَتْهُ[13] الجِرَاحُ

---

(1) في صبح الأعشى: 252/8: "سوائم".

(2) الأرباض: جمع ربض، وهو الفضاء حول المدينة. (لسان العرب: ربض).

(3) في الأصل و(ص): "وضميره"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل: 334، ونهاية الأرب: 192/7، وهو ما يستقيم به المعنى.

(4) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "الفلا".

(5) من الآية: 40 من سورة الحجّ: ﴿ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾.

(6) في حسن التّوسل: "ثقةً مِن وعد الله تمكّنا منه باليقين، وتحقّقاً أنّ الله ينصر من ينصره"، وفي صبح الأعشى: "وتمسّكاً منه باليقين وتحقّقاً أنّ الله ينصر من ينصره والعاقبة للمتّقين".

(7) الآية: 49 من سورة هود.

(8) سرار القمر: اختفاء القمر ليلة أو ليلتين إذا تمّ الشّهر. (لسان العرب: سرر).

(9) في حسن التّوسل: 389: "نوضّح".

(10) في صبح الأعشى: 303/8: "وما بقي".

(11) في (ص): "صفحة".

(12) في حسن التّوسل: 389: "ونكف".

(13) في (ص): "ألسنته".

حُلَّةَ عَنْدَمِهِ[1]، أظْهَرُوا الجَزَعَ[2] في عَزَائِمِهِم، وحَكَّمُوا الطَّمَعَ في غَنَائِمِهِم، فَحَصَلَ لِجُنْدِنَا إعْجَاب[3] أعْجَلَ سُيُوْفَنَا أنْ تُتِمَّ هَدْمَ بَنَائِهِمْ، وطَمَعٌ مَنَعَ فَوَارِسَنَا[4] أنْ تَكُفَّ عن النَّـهْب إلى أنْ تَصِيْرَ مِنْ وَرَائِهِم، فَاغْتَنَمَ العَدُوُّ تِلْكَ الغَفْلَةَ[5] الّتي سَاقَهَا المُـهْلِكَان[6]: العُجْـبُ والطَّمَعُ، وانْتَهَزَ فُرْصَةَ الكَرَّةِ[7] الّتي أعَانَهُ عليها المُطْمِعَان: إبْدَاءُ الهَلَعِ وتَخْلِيَةِ مَـا جَمَـعَ، فانْتَثَرَ مِنْ جَمْعِنَا بَعْضُ ذَلِكَ العِقْدِ المُنْتَظَمِ[8]، وانْتَقَضَ مِنْ حِزْبِنَا رُكْنُ ذَلِكَ الصَّفِّ الّـذي أَخَذَ فيهِ الزِّحَامُ بالكَظْمِ وثَبَتَ الخَادِمُ في طَائِفَةٍ مِنْ ذَوِي القُوَّةِ في يَقِيْنِهِم، وأرْبَاب البَصَائِرِ في دِيْنِهِم، فَكَسَّرْنَا جَفَوْنَ السُّيُوْفِ، وحَطَّمْنَا صُدُوْرَ الرِّمَاحِ في صُدُوْرِ الصُّفُوْف، وأرَيْنَـا تِلْكَ الأُلُوْفَ[9] كَيْفَ تُعَدّ الآحَادُ بالأُلُوْفِ، وحُلْنَا بَيْنَ العَدُوِّ وبَيْـنَ أصْحَابِنَـا بضَـرْبٍ يَكُفُّ[10] أطْمَاعَهُم، ويَرُدُّ سِرَاعَهُم، ويُعْمِي ويُصِمُّ عـن الآثَـارِ والأخْبَـارِ أبْصَـارَهُم وأسْمَاعَهُم، إلى أنْ نَفَّسْنَا للمُنْهَزِمِ عن خِنَاقِهِ، وأيْأَسْنَا[11] طَالِبَهُ مِنْ لَحَاقِهِ، ورَدَدْنَاهُ عنـهُ خَائِباً بَعْدَ أنْ كَانَتْ يَدُهُ مُتَعَلِّقَةً بأطْوَاقِهِ[12]، وأحْجَمَ العَدُوُّ مع مَا يُرَى مِنْ قِلَّتِنَا عن الإقْدَامِ علينا، ورَأى مِنَّا جِدًّا[13] كَادَ لولا كَثْرَةَ جَمْعِهِ يَسْتَسْلِمُ[14] بِهِ إلينا، وعَادُوا وكُنَّـا[15]، في قُلُوْبِهِم رُعْبٌ يُثَبِّتُهُم[16] وهُم الغَالِبُوْنَ، ويُدْرِكهُم وهُمْ الطَّالِبُوْنَ، ويَسْلِبُهُم رِدَاءَ الأمْـنِ وهم السَّالِبُوْنَ[17]، وقَدْ لَمَّ الخَادِمُ شَعَثَ رِجَالِهِ، وضَمَّ فِرَقَهم بِذَخَائِرَ مَالِهِ،

---

(1) العندم: دم الأخوين، وقيل: صبغ زعم أهل البحرين أنّ جواريهم يختضبن به. (لسان العرب: عندم).

(2) في صبح الأعشى: 303/8: "الخرع"، والخرع: اللّين والرّخاوة. (لسان العرب: خرع).

(3) في صبح الأعشى: "عُجْبٌ".

(4) في صبح الأعشى: "جيوشنا".

(5) في حسن التوسل: 389: "فاغتنم العدوّ الفترة".

(6) ورد في كشف الخفاء: 323/1: "ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه".

(7) في صبح الأعشى: "الإمكان".

(8) في صبح الأعشى: "المنظم".

(9) في حسن التوسل: "الأنوف".

(10) في حسن التوسل: "بضرب بكفٍّ".

(11) في الأصل: "وأيئسنا"، وفي صبح الأعشى: "آيسنا".

(12) في حسن التّوسل: "بعد أن كادت يده تَعْلَقُ بأطواقه"، وفي صبح الأعشى: "بعد أن كادت يده تعتلق بأطواقه".

(13) في حسن التّوسل: "حداً".

(14) في (ص): "يتسلم".

(15) في حسن التّوسل: "وألّنا"، وفي صبح الأعشى: "ولنا".

(16) في حسن التّوسل: "يبيتهم"، وفي صبح الأعشى: "يثنيهم".

(17) في حسن التّوسل: "السّاكنون".

وأمَدَّهُم بِنفقَات حَلّتْ[1] أحْوَالَهُم، وأطْلَقتْ في طَلَب عَدُوِّهم أقْوَالِهم[2]، وسِلاَحِ جَـدَّدَ اسْتِطَاعَتِهم، وأعَانَ شَجَاعَتِهم، وخُيُوْلٍ تَكَادُ تُسَابقُهُم إلى طَلَبِ عَدُوِّهِم، وتَحُضُّهُم علـى أخْذِ حَظِّهِم مِنَ اللِّقَاءِ، كَأَنَّهَا تُسَاهِمُهُم في أَجْرِ رَوَاحِهِم وغُدُوِّهِم، وقَـدْ نَضُـوا رِداءَ الإعْجَاب عن أكْتَافِهِم، واعْتَصَمُوا بِعَوْنِ اللهِ وتَأْيِيْدِهِ لا بِقُوَّةِ جَلَدِهِم ولا بِجِدَّهِ أَسْـيَافِهِم، وسَيُعْجِلُوْنَ العَدُوَّ إنْ شَاءَ اللهُ عن انْدِمَالِ جِرَاحِهِ، ويَتَعَجَّلُوْنَ إليـهِ بِجُيُـوْشٍ تَسُـوءُهُ[3] طَلاَئِعُهَا في مَسَائِهِ، وتُصَبِّحُهُ كَتَائِبُهَا[4] في صَبَاحِهِ، واللهُ تعالى لا يَكِلُنَـا إلى جَلَدِنَـا، ولا يَنْزِعُ أعِنَّةَ[5] نَصْرِهِ مِنْ يَدِنَا".

ومِنْهُ قَوله، مِمَّا كَتَبَهُ على لِسَانِ مَوْلُود إلى أبِيْهِ، و لم يُكْتَبْ بِهِ: "تُقَبِّلُ[6] الأرْضُ ابْتِـدَاءً بالخِدْمَةِ مِنْ حِيْنِ ظَهَرَ إلى الوُجُوْدِ، وتَشَوّقاً إلى امْتِطَاءِ صَهَوَاتِ الجِيَادِ بَيْنَ يَدِي سَيِّدِهِ قَبْـلَ المُهُوْدِ، وتَمَنّياً[7] أنْ يَكُوْنَ أوَّل شَيءٍ يَقَعُ عليهِ نَظَرُهُ مِنَ الدُّنْيَا وجْهُ مَوْلاَنَا الّذي تَعْلُو بنَظَرِهِ الجُدُوْدُ، وتَتَيَمَّنُ برُؤْيَتِهِ كَوَاكِبُ السُّعُوْدِ[8]، ويُنْهِي أنَّهُ يُعَجِّلُ[9] الشَّوْق[10]، على صِغَـرِهِ، وكَانَ كَمَالُ المَسَرَّةِ بِهِ أنْ يَقَعَ نَظَرُ مَوْلاَنَا الشَّرِيْفُ عليهِ قَبْلَ البُشْرَى بخَبَرِهِ، لِتَلْقَى عليـهِ أشِعَّةُ سَعَادَةِ مَوْلاَنَا في سَاعَةِ ظُهُوْرِهِ، ويكَسْى قَبْلَ أنْ تُلْقِيَ عليهِ المَلاَبِـسُ مِـنْ إشْـرَاقِ مُحَيَّاهُ[الكَرِيْم][11] حُلَلَ نُوْرِهِ، ويَكُوْنُ أوّلَ مَا يَلِجُ مَسَامِعَهُ صَوْتُ مَوْلاَنَا بِحَمْدِ رَبِّهِ علـى الزِّيَادَةِ في خَدَمَهِ، وتَكْثِيْرِ[12] مَنْ يَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ في الحَرْبِ بِسَيْفِهِ، ويَقِفُ في السِّلْمِ أَمَامَهُ

(1) في صبح الأعشى: 303/8: "أصلحت".

(2) في صبح الأعشى: "وأطلقت في طلب عدوّ الله أقوالهم".

(3) في حسن التّوسل: 389: "تسوؤه"، وفي صبح الأعشى: "تسوء".

(4) في حسن التّوسل: "كأسها".

(5) سقطت من حسن التّوسل.

(6) في (ص): "يقبل".

(7) في حسن التّوسل: "وتيمناً".

(8) كواكب السّعود: هي الكواكب الّتي يقال لها لكلّ واحد منها سعد كذا، وهي عشرة أنجم: أربعة منها منازل يترل بها القمر، وهي: سعد الذّابح وسعد بُلع وسعد السّعود وسعد الأخبية، وهي في برجي الجدي والدّلو، وستّة لا يترل بها القمر، وهي سعد ناشرة وسعد المَلِك وسعد البهام وسعد الهُمام وسعد البارع وسعد مطر، وكلّ سعد منها كوكبان بين كلّ كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة،... (لسان العرب: سعد)، وصبح الأعشى: 179/2.

(9) في حسن التّوسل: "تعجل".

(10) في الأصل: "السوق"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل.

(11) زيادة وردت في حسن التّوسل.

(12) في حسن التّوسل: "ويكثر".

على قَدَمِهِ، فإنَّ مَنْ يَكُوْنُ نَجْلُ مَوْلاَنَا تَنْطِقُ بالنَّجَابَةِ مَخَايِلُهُ، وتَدُلُّ على الشَّجَاعَةِ سِمَاتُهُ قَبْلَ أنْ تَدُلَّ عليها شَمَائِلُهُ، والهِلاَلُ سَيَصِيْرُ في أُفْقِهِ بَدْرَاً مُنِيْرَاً، والشِّبْلُ سَيَعُوْدُ كَأبِيْهِ أَسَدَاً هَصُوْرَاً[1]، واللهُ تعالى يَهَبُ العَبْدَ عُمْرَاً يَبْلُغُ بِهِ مَنْ طَاعَةِ مَوْلاَنَا مَا يَجِبُ عليهِ، ويَرْزُقُهُ عَمَلاً صَالِحَاً يَتَقَرَّبُ بِهِ إلى رَبِّهِ وإليهِ [بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ][2]".

ومِنْهُ رِسَالَة كَتَبَهَا في البُنْدُقِ[3]: "الرِّيَاضَةُ- أطَالَ اللهُ بَقَاءَ الجَنَابِ الفُلاَنِيِّ، وجَعَلَ حُبَّهُ كَقَلْبِ عَدُوِّهِ وَاجِبَاً، وسَعْدَهُ كَوَصْفِ عَبْدِهِ للمَسَارِّ جَالِبَاً، ولِلْمَضَرِّ حَاجِبَاً- تَبْعَثُ النَّفْسَ على مُجَانَبَةِ الدِّعَةِ والسُّكُوْنِ، وتَصُوْنُهَا عن مُشَابَهَةِ[4] الحَمَائِمَ في الرُّكُوْنِ إلى الوُكُوْنِ[5]، وتَحُضُّهَا على أخْذِ[6] حَظِّهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ حَسَنٍ، وتَحُثُّهَا على إضَافَةِ الأدوَاتِ الكَامِلَةِ إلى فَصَاحَةِ اللَّسْنِ، وتَأخُذُ بِهَا طَوْرَاً في الجِدِّ، وطَوْرَاً في اللَّعِبِ، وتُصَرِّفُهَا في مَلاَذِّ السُّمُوِّ في المَشَاقِّ الّتي يَسْتَرْوِحُ إليهَا التَّعَبُ، فَتَارَةً تَحْمِلُ الأكَابِرَ والعُظَمَاءَ[7] في طَلَبِ الصَّيْدِ على مُوَاصَلَةِ السُّرَى، ومُقَاطَعَةِ الكَرَى، ومُهَاجَرَةِ الأوْطَارِ[8]، ومُهَاجَمَةِ الأخْطَارِ، ومُكَابَدَةِ الهَوَاجِرِ[9]، ومُبَادَرَةِ الأوَابِدَ الّتي لا تُدْرَكُ﴿حَتَّى تَبْلُغَ القُلُوْبُ الحَنَاجِرَ﴾[10] وذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ أوْصَافِهِم الّتي يُذَمُّ المُعْرِضُ عنها، وإذا كَانَ المَقْصُوْدُ مِنْ مِثْلِهِم[11] جِدَّ الحَرْبِ

---

(1) الأسد الهصور: أيّ الشّديد الّذي يفترس ويكسر، ويُجمع على هواصر، وفي حديث عمرو بن مُرّة:

" ودارت رحاها باللّيوث الهواصر"

وفي حديث سطيح:

فربّما ...أضحوا بمترلةٍ   تَهاب صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المواصيرُ

انظر: (لسان العرب: هصر).

(2) زيادة وردت في حسن التّوسل: 389.

(3) هناك بعض النّتف من هذه الرّسالة أوردها محمود سليم في عصر سلاطين المماليك: 337/6 وما بعدها.

(4) في حسن التّوسل: 353: "مشابه".

(5) الوكون: جمع وكن، والوكن: عُش الطّائر، والوكن: مأوى الطّائر في غير عُشّ، وقيل: وكن الطّائر بيضه يَكِنهُ وكنا أي حضنه، قال الشّاعر:

تُذكّرني سلمى، وقد حيل بيننا   حمامٌ على بيضاهِنّ وكونُ

انظر: (لسان العرب: وكن).

(6) في الأصل: "احد"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) في حسن التّوسل: "العظمة".

(8) الأوطار: قال الخليل: الوَطَر كلّ حاجة يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل: قضى وطَرَه وأرَبَهُ. (لسان العرب: وطر).

(9) الهواجر: مفردها هاجرة، والهاجرة: نصف النّهار عند زوال الشّمس إلى العصر، وقيل في ذلك: إنّه شدّة الحرّ، الجوهري: هو نصف النّهار عند اشتداد الحرّ. (لسان العرب: هجر).

(10) من الآية: 10 من سورة الأحزاب.

(11) في صبح الأعشى: 328/14: "ميلهم".

فَهَذِه صُوْرَةُ لَعِبٍ يُخرَجُ إليهِ[1] مِنْهَا، وتَارَةً يَدْعُوْهُم[2] إلى البُرُوْزِ إلى المَلَقِ، ويَحْدُوْهُم[3] في سُلُوْكِ طَرِيْقِهِم[4] مع مَنْ هو دُوْنَهُم على مُلازَمَةِ الصِّدْقِ، ومُجَانَبَةِ المَلَقِ، فَيَعْتَسِفُوْنَ إليهَا الدُّجَى إذا سَجَى[5] ويَقْتَحِمُوْنَ[في بلُوْغِهَا][6] جُرْفَ[7] النَّهَارِ إذا انْهَارَ، ويَتَنَعَّمُوْنَ بوَعْثَاءِ[8] السَّفَرِ في بُلُوْغِ الظَّفَرِ، ويَسْتَصْغِرُوْنَ رُكُوْبَ الخَطَرِ في إدْرَاكِ الوَطَرِ، ويُؤْثِرُوْنَ السَّهَرَ على النَّوْمِ، واللَّيْلَةَ على اليَوْمِ، والبُنْدُقَ على السِّهَامِ، والوحْدَةَ على الالْتِئَامِ، ولَمَّا عُدْنَا مِنَ الصَّيْدِ الّذي اتَّصَلَ بِعِلْمِهِ[9] حَدِيْثُهُ، وشُرِحَ لَهُ قَدِيْمُ أمْرِهِ وحَدِيْثِهِ، تُقْنَا إلى أنْ نَشْفَعَ صَيْدَ السَّوَانِحِ[10] بِرَمْيِ الصَّوَادِحِ، وأنْ نَفْعَلَ في الطَّيْرِ الجَوَانِحِ بأَهِلَّةِ القِسِيِّ ما تَفعَلُ الجَوَارِحُ تَفْضِيْلاً لِمُلاَزَمَةِ الارْتِحَالِ على الإقَامَةِ في الرِّحَالِ، وأَخْذاً بِقَوْلِهِم:

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إذْ كَانَتْ مُدَبَّرَةً   إلاَّ التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إلى حَالِ[11]

فَبَرَزْنَا[12] وشَمْسُ الأصِيْلِ تَجُوْدُ بنَفْسِهَا[13]، وتَسِيْرُ مِنَ الأُفُقِ الغَرْبِيِّ إلى جَانِبِ[14] رَمْسِهَا، وتُغَازِلُ عُيُوْنَ النَّوْرِ بِمُقْلَةِ أَرْمَدٍ، وتَنْظُرُ إلى صَفَحَاتِ الوَرْدِ "نَظَرَ المَرِيْضِ إلى

(1) في حسن التّوسل: 354، ونهاية الأرب: 329/10، وصبح الأعشى: 228/14: "إليها".

(2) في حسن التّوسل ونهاية الأرب: "تدعوهم".

(3) في نهاية الأرب: "وتحدوهم".

(4) في حسن التّوسل ونهاية الأرب وصبح الأعشى: "طريقها".

(5) من الآية: 2 من سورة الضّحى ﴿والضُّحى. واللَّيْلِ إذا سَجَى﴾.

(6) زيادة وردت في حسن التّوسل ونهاية الأرب وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(7) في نهاية الأرب وصبح الأعشى: "حرق".

(8) وعثاء السَّفر: مشقّته وشدّته، وروي عن النّبي-صلّى الله عليه وسلّم- إنّه إذا كان سافر سفراً قال: "اللهمّ إنّا نعوذ بك من وعثاء السّفر وكآبة المنقلب"، أي شدّته ومشقّته. (لسان العرب: وعث).

(9) في صبح الأعشى: "به".

(10) السّوانح: جمع سانح، وهو ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك عن يسارك. (لسان العرب: سنح).

(11) ورد البيت في الغيث المسجم: 12/1 بلا عزو، ونسب في فصل المقال: 409، وجامع بيان العلم: 434/1 لأبي العتاهية، وهو في ديوانه: 359، وروايته:

لن يصلح النّفس إن كانت مُدبَّرةً   إلاّ التّنقل من حال إلى حال

انظر: (المخلاة:130).

(12) من هنا بدأ النّص في مطالع البدور: 222/2، بلفظ: "وبرزنا"، وورد في عصر سلاطين المماليك: 225/5، برواية تختلف.

(13) من قول مسلم بن الوليد، الدّيوان:

يجود بالنّفس إذ أنت الضّنين بها   والجود بالنّفس أقصى غاية الجود

(14) في مطالع البدور: 222/2، وفي صبح الأعشى: 329/14: "تسير من الأفق الغربيّ إلى موضع رمسها".

وجُوْهِ العُوَّدِ"[1]، فَكَأَنَّهَا كَئِيْبٌ أَضْحَى[2] مِنَ الفِرَاقِ على فَرَقٍ، أو عَلِيْلٍ يَقْضِي بَيْنَ أصْحَابِهِ[3] بَقَايَا مُدَّةِ الرَّمَقِ، وقَدْ اخْضَلَّتْ عُيُوْنُ النَّوْرِ لِوَدَاعِهَا، وهَمَّ الرَّوْضُ بِخَلْعِ حُلَّتِهِ المُمَوَّهَةِ بِذَهَبِ شُعَاعِهَا:

والطَّلُّ في أَعْيُنِ النَّوارِ تَحْسَبُهُ دَمْعَاً تَحَيَّرَ لم يَرْقَأْ[4] ولم يَكِفِ
كَلُؤْلُؤٍ ظَلَّ عِطْفُ الغُصْنِ مُتَّشِحَاً بِعِقْدِهِ وتَبَدَّى[5] مِنْهُ في شَنَفِ
يَضُمُّ مِنْ سُنْدِسِ الأوْرَاقِ في صُرَرٍ خُضْرٍ ويَجْنِي[6] مِنَ الأزْهَارِ في صَدَفِ
والشَّمْسُ في طَفَلِ الإمْسَاءِ تَنْظُرُ مِنْ طَرْفٍ غَدَا وَهْوَ مِنْ خَوْفِ الفِرَاقِ خَفِي
كَعَاشِقٍ سَارَ عن أحْبَابِهِ وهَفَا بِهِ الهَوَى فَتَرَاهم[7] على شَرَفِ

إلى أنْ نَضَا[8] المَغْرِبُ عن الأُفْقِ ذَهَبَ[9] قَلاَئِدِهَا، وعَوَّضَهُ عنها من النُّجُوْمِ بِخَدَمِهَا وولاَئِدِهَا، فَلَبِثْنَا بَعْدَ أدَاءِ الفَرْضِ لِبْثَ الأهِلَّةِ، ومَنَعْنَا جُفُوْنَنَا أنْ تَرِدَ النَّوْمَ إلاَّ تَحِلَّة[10]، ونَهَضْنَا وبُرْدُ اللَّيْلِ مُوَشَّعٌ[11]، وعِقْدُهُ مُرَصَّعٌ، وإكْلِيْلُهُ مُجَوْهَرٌ، وأدِيْمُهُ مُعَنْبَرٌ، وبَدْرُهُ في خَدْرِ سِرَارِهِ مُسْتَكِنٌّ، وفَجْرُهُ في حَشَا[12] مَطَالِعِهِ مُسْتَجِنٌّ، كَأنَّ امْتِزَاجَ لَوْنِهِ بِشَفَقِ الكَوَاكِبِ خَلِيْطَا[13] مِسْكٍ[14] وصَنْدَلٍ[15]، كَأنَّ ثُرَيَّاهُ لامْتِدَادِهِ مُعَلَّقَةٌ "بِأمْرَاسِ كِتَّانٍ إلى

---

(1) عجز بيت للنّابغة، الدّيوان: 30، وروايته:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السّقيم إلى وجوه العُوّد

(2) في مطالع البدور: 222/2: "أمسى".

(3) في حسن التّوسل: 354، ومطالع البدور: 222/2، وصبح الأعشى: 329/14، وعصر سلاطين المماليك: 225/5: "صحبة".

(4) في (ص) والأصل ومطالع البدور: "لم يرقى"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل: 355، وعصر سلاطين المماليك.

(5) في الأصل و(ص): "تبدا"، وفي مطالع البدور: "وتندى"، وقد أثبتنا ما ورد في صبح الأعشى: 329/14.

(6) في (ص): "يجنى"، وفي حسن التّوسل: "يحيي"، وفي نهاية الأرب: 330/10: "يُخبّا".

(7) في حسن التّوسل، والغيث المسجم: 261/2، وفي فوات الوفيات: 87/4، ونهاية الأرب: 330/10: "فـتراءاهم"، وفي صبح الأعشى، وعصر سلاطين المماليك: "فتراَهم"، وفي مطالع البدور: "فترآهم".

(8) في الأصل: "نضى"، وفي (ص): "مضى"، وفي صبح الأعشى: "نضّى"، ونضا: خلع وألقى عنه. (لسان العرب: نضا).

(9) في صبح الأعشى: 329/14: "حَلْي".

(10) تحلّة: أي قليل هيّن يسير. (لسان العرب: حلل).

(11) موشّع: من وشّع القطن وغيره ووشعه، كلاهما: لفّه، والتّوشيع: دخول الشّيء في الشّيء. (لسان العرب: وشع).

(12) في نهاية الأرب: 330/10: "حشى".

(13) في مطالع البدور: 223/2: "خليط".

(14) المسك: ضرب من الطّيب. (لسان العرب: مسك، وصبح الأعشى: 126/2).

(15) الصّندل: خشب شجر يؤتى به من سُفالة الهند، وهو شجر طيّب الرّيح. ((لسان العرب: صندل)، وصبح الأعشى: 137/2).

صُمِّ جَنْدَلِ"[1]:

وَلاَحَتْ نُجُوْمُ اللَّيْلِ زُهْرَاً كَأَنَّهَا   عُقُوْدٌ على خَوْدٍ مِنْ الزِّنْجِ تُنْظَمُ
مُحَلَّقَةً في الجَوِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا   طُيُوْرٌ على نَهْرِ المَجَرَّةِ حُوَّمُ[2]
إذا لاحَ بَازِي الصُّبْحِ وَلَّتْ يَؤُمُّهَا[3]   إلى الغَرْبِ خَوْفَاً[4] مِنْهُ نَسْرٌ ومِرْزَمُ[5]!

إلى حَدَائِقَ مُلْتَفَّةٍ، وجَدَاولَ مُحْتَفَّةٍ، إذا حَسَّ[6] النَّسِيْمُ غُصُوْنَهَا اعْتَنَقَتْ عِنَاقَ الأَحْبَابِ[7]، وإذا فَرَكَ[8] مِنَ المِيَاه مُتُوْنَهَا انْسَابَتْ في الجَداولِ انْسِيَابَ الحُبَابِ، ورَقَصَتْ في المَنَاهِلِ رَقْصَ الحِبَابِ، وإنْ لَثَمَ ثُغُوْرَ نورِهَا حَيَّتْهُ بأنْفَاسِ المَعْشُوْقِ، وإنْ أيْقَظَ نَوَاعِسَ وُرْقِهَا غَنَّتْهُ بألْحَانِ المَشُوْقِ؛ فَنَسِيْمُهَا وَانْ، وشَمِيْمُهَا[9] لِعَرْفِ الجِنَانِ عُنْوَانْ، وَوَرْدُهَا مِنْ سَهَرِ نَرْجِسِهَا غَيْرَانْ:

وَطَلُّهَا في خُدُوْدِ الوَرْدِ مُنْبَعِثٌ[10]   طَوْرَاً[11] وفي طُرَرِ[12] الرَّيْحَانِ حَيْرَانُ!

وطَائِرُهَا غَرِدٌ، ومَاؤُهَا مُطَّرِدٌ، وغُصنُهَا تَارَةً يَعْطِفُهُ النَّسِيْمُ إليهِ فَيَنْعَطِفْ، وتَارَةً يَعْتَدِلُ تَحْتَ وَرْقَائِهِ، فَتَحْسَبُ[13] أَنَّهَا هَمْزَةٌ على أَلِف، مع مَا في تِلْكَ الرِّيَاضِ مِنْ تَوَافُقِ المَحَاسِنِ، وتَبَايُنِ التَّرْتِيْبِ، إذْ كُلَّمَا اعْتَلَّ [النَّسِيْمُ][14] صَحَّ نَشْرُ الرَّوْضِ[15]، وكُلَّمَا خَرَّ

---

(1) عجز بيت لامرئ القيس، الدّيوان: 243/1، وصدره: "كأنّ الثّريّا علّقت في مصامها".
(2) في حسن التّوسل: 356: "جُرَّم".
(3) في عصر سلاطين المماليك: 226/5: "نئومّها".
(4) في حسن التّوسل: "خَرْفاً".
(5) النّسران: كوكبان في السّماء معروفان على التّشبيه بالنّسر الطّائر، يقال لكّل واحد منهما نسر أو النّسر، ويصفونهما فيقولون: النّسر الواقع والنّسر الطّائر. (لسان العرب: نسر)، وصبح الأعشى: 182/2). والمرزمان:نجمان من نجوم المطر،...والمرزمان: مرزما الشّعريين، وهما نجمان: أحدهما في الشّعرى، والآخر في الذّراع. (لسان العرب: رزم).
(6) في حسن التّوسل: 356، ومطالع البدور: 223/2، ونهاية الأرب: 331/10: "جمش"، وفي صبح الأعشى:329/14، وعصر سلاطين المماليك: 226/5: "حمش".
(7) في عصر سلاطين المماليك: "اعتنقت كالأحبان".
(8) في عصر سلاطين المماليك: "ركب".
(9) في (ص): "وشيمها".
(10) في نهاية الأرب: 331/10: "منبثٌ".
(11) سقطت من (ص).
(12) في (ص): "في طراز"، وفي حسن التّوسل: "طور".
(13) في مطالع البدور: 223/2: "فيظنّها قوم همزة".
(14) زيادة وردت في نهاية الأرب.
(15) في نهاية الأرب، وصبح الأعشى: 330/14: "الأرج".

أبَارِيْقُ فِضَّةٍ رُؤُوْسُهَا لَهَا فِدَام"[1]، وَمَنَاقِيْرُهَا المُحمَرَّةُ أوَائِلُ مَا انْسَكَبَ مِنَ المُدَام، وكَــأنَّ رِقَابَهَا رِمَاحٌ أَسِنَّتُهَا مِنْ ذَهَب، أو شُمُوْعٌ أسْوَدُ رُؤُوسِهَا مَا انْطَفَى[2]، وأَحْمَرُهُ مَا التَهَبْ، وكُنَّا كَالطَّيْرِ الجَلِيْلِ[3] عِدَّة، وكَطِرَازِ العُمْرِ الأوَّلِ جِدَّة:

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ كَالنَّسِيْمِ لَطَافَةً   عَــفِّ الضَّمِيْرِ مُهَــذَّبِ الأخْــلاَقِ

مِثْلِ البُدُوْرِ مَلاَحَةً وكَعُمْرِهَا   عَدَداً أو مِثْلِ[4] الشَّمْسِ في الإشْرَاق!

ومَعَهُم قِسِيٌّ كَالغُصُوْنِ في لَطَافَتِهَا ولِيْنِهَا، والأهِلَّةِ في نَحَافَتِهَا وتَكْوِيْنِهَا، والأزَاهِــرِ[5] في تَرَافَتِهَا وتَلْوِيْنِهَا، بُطُوْنُهَا مُدَبَّجَةٌ[6]، ومُتُوْنُهَا مُدَرَّجَةٌ كَأَنَّهَا [كَوَاكِــبُ][7] الشَّــوْلَةِ[8] في انْعِطَافِهَا، أو أرْوَاقُ[9] الظِّبَاءِ في التِفَافِهَا، لأوْتَارِهَا عِنْدَ القَوَادِم[10] أوْتَــارٌ، ولِبَنَادِقِــهَا في الحَوَاصِلِ أوْكَارٌ، إذا انْتُضِيَتْ[11] لِطَيْرٍ[12] ذَهَبَ مِنَ الحَيَاةِ نَصِيْبُهُ، وإنْ يُنْصَبْ لِرَمْيٍ بَــدَتْ لها أنَّهُ[13] أَحَقُّ بها مِنْ نَصِيْبِهِ[14]، ولَعَلَّ ذَاكَ الصَّوْتَ زَجْرٌ لِبُنْدُقِهَا أنْ يُبْطِئَ في سَــيْرِه، أو يَتَخَطَّى[15] الغَرَضَ إلى غَيْرِه، أوْ وَحْشَةً[16] لِمُفَارَقَةِ أفْلاَذِ كَبِدِهَا، أو أسَفاً لِخُــرُوْجِ[17]

---

(1) من قول اسحاق الموصلي:

كــأنّ أباريق المــدام لديهم   ظبــاءٌ بأعلى الرّقمتين قيــام

وقد شربوا حتّى كأنّ رقابهم   من اللّين لم يُخلق هُنّ عِظام

انظر: ((لسان العرب: برق)، ونهاية الأرب: 124/4، وديوان المعاني: 311/1)، في صبح الأعشى:331/14: "أقدام".

(2) في حسن التّوسل: 356، ونهاية الأرب: 332/10: "انطفأ".

(3) سبق الإشارة إليه.

(4) في حسن التّوسل، ومطالع البدور:224/2، وصبح الأعشى: "ومثل".

(5) في (ص)، ومطالع البدور: "الأزهار".

(6) في حسن التّوسل: "مدبجة"، والدّبج: النّقش والتّزيين، فارسيّ معرب. (لسان العرب: دبج).

(7) زيادة وردت في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(8) الشّولة: إحدى منازل القمر في برج العقرب،...والشّولة: منزلة وهي كوكبان نيّران متقابلان ينزلهما القمر يقــال لهمــا حُمَــةُ العقرب. ((لسان العرب: شول)، ومناهج الفكر: 91/1، وصبح الأعشى: 178/2).

(9) أرواق: جمع روق، وهو القرن من كلّ ذي قرن، ومنه شعر عامر بن فُهيرة:

" كالثّور يحمي أنفه بروقه".

انظر: (لسان العرب: روق).

(10) في مطالع البدور: 224/2: "القوم".

(11) في (ص): "إذا انتصبت".

(12) في صبح الأعشى: "لصيد".

(13) في نهاية الأرب: 333/10: "وإن انبضّت لرمي بدا لها أنّها أحقُّ به ممّن يصيبه"، وفي مطالع البدور: "وإذا انتضــت لرمــي بدت لها"، وفي صبح الأعشى: وإن انتضت لرمي بدا لها أنّها".

(14) في مطالع البدور: "أن تصيبه"، وفي صبح الأعشى: "ممّن يصيبه".

بَنِيْهَا عَنْ يَدِهَا، على أَنَّهَا طَالَمَا نَبَذَتْ بَنِيْهَا بالعَرَاءِ، وشَفَعَتْ لِخَصْمِهَا التَّحْذِيْرَ بالإِغْرَاءِ:

مِثْــلِ العَقَــارِبِ أَذْنَابَــاً مُعَقَّــدَةً   لِمَن تَأَمَّــلَهَا أو حَقَّــقَ النَّظَــرَا !

إِنْ مَــدَّهَا قَمَــرٌ مِنْهُــم وعَــايَنَهُ   مُسَافِرُ الطَّيْرِ فيها وانْبَرَى[1] سَفَرَا !

فهو المُسيءُ اخْتِيَاراً إذا[2] نَوَى سَفَرَاً   وقَدْ رَأى طَالِعَاً في العَقْرَبِ القَمَرَا !

ومِنَ البَنَادِقِ كُرَاتٌ مُتَّفِقَةُ السَّرْدِ، مُتَّحِدَةُ العَكْسِ والطَّرْدِ، كَأَنَّهَا خُلِطَتْ[3] مِنَ المَنْــدَلِ[4] الرَّطْبِ، أو عُجِنَتْ مِنَ العَنْبَرِ[5] الوَرْدِ، تَسْرِي[6] كَالشُّهْبِ في الظَّلاَمِ، وتَسْبِقُ إلى مَقَــاتِلِ الطَّيْرِ مُسَدِّدَات السِّهَامِ:

مِثْلُ النُّجُــوْمِ إذا مَا سِرْنَ في أُفُــقٍ   عن الأهِــلَّةِ لَكِــنْ نَوْرُهَا[7] رَاءُ

مَا فَاتَهَا مِنْ نُجُوْمِ اللَّيْلِ إذْ[8] رُمِقَتْ   إلاَّ ثَبَــاتٌ[9] يُرَى فيهــا وأَضْوَاءُ

تَسْرِي فَلا[10] يَشْعُرُ اللَّيْلُ البَهِيْمُ بها   كَأَنَّهَا في جُفُــوْنِ اللَّيْــلِ إغْفَاءُ[11]

وتَسْمَعُ الطَّيْــرِ إذْ تَهْفُــو قَوَادِمُــهُ   خَوَافِقَاً في الدَّيَاجِي وهي صَمَّاءُ!

تَصُوْنُهَا[12] جِرَاوَةٌ[13] كَأَنَّهَا دُرْجٌ[14] دُرَرٍ، أو دُرْجُ غُرَرٍ أو كِمَامَةُ ثَمَرٍ أو كِنَانَةُ نَبْلٍ، أو

- (15) في مطالع البدور: 224/2: "أو يخطئ".

(16) في صبح الأعشى: 331/14: "وحشةً".

(17) في مطالع البدور: 224/2: "واسف على الخروج"، وفي نهاية الأرب: 333/10، وصبح الأعشى: 331/14: "أو أسف على خروج".

(1) في نهاية الأرب: 333/10، وصبح الأعشى: 332/14: "أو نوى".

(2) في نهاية الأرب: "إذ نوى".

(3) في حسن التوسل:356، ومطالع البدور: 224/2، ونهاية الأرب: 333/10، وصبح الأعشى: 332/14: "كأنما خرطت".

(4) المندل: عود الطّيب الّذي يُتبخّر به. ((لسان العرب: ندل)، وصبح الأعشى: 134/2).

(5) سبق الإشارة إليه.

(6) في حسن التّوسل: "تُرى".

(7) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "نونها".

(8) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "إن"، وفي مطالع البدور: "من فاتها من نجوم اللّيل إن رمقت".

(9) في (ص): "نبات".

(10) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى: "ولا".

(11) في حسن التّوسل: "إقفاء".

(12) في صبح الأعشى: "يصونها".

(13) في حسن التّوسل: "جرادةٌ"، وفي مطالع البدور: "جراوه"، والجراوة: آلة من جلد يُجعل فيها البندق الطّين الّذي يُرمى بـه عن القوس. انظر: (صبح الأعشى: 154/2).

(14) في نهاية الأرب: 334/10: "جرج".

غَمَامَةُ وَبْلٍ، حَالِكَةُ الأديْمِ، كَأَنَّمَا رُقِمَتْ بالشَّفَقِ حُلَّةَ لَيْلِهَا البَهِيْمِ:

كَأَنَّهَا فِي وَصْفِهَا(1) مَشْرِقٌ   تَنْبتُ(2) مِنْهُ فِي الدُّجَى(3) الأنْجُمُ
أو دِيمَةٌ قَدْ أَطْلَعَتْ قَوْسَهَا   مُلَوَّناً وانْبَعَثَتْ(4) تَسْجِمُ

فَاتَّخَذَ كُلٌّ لَهَا(5) مَرْكِزاً، وتَقَاضَى(6) مِنَ الإصَابَةِ وَعْداً مُنْجَزاً، وضَمِنَ لَهُ السَّعْدُ أنْ يُصْبِحَ لِمُرَادِهِ مُحْرِزاً:

كَأَنَّهُم فِي يُمْنِ أفْعَالِهِم   فِي نَظَرِ المُنْصِفِ والجَاحِدِ
قَدْ وُلِدُوا فِي طَالِعٍ وَاحِدٍ   وأشْرَقُوا مِنْ مَطْلَعٍ وَاحِدِ

فَسَرَتْ "لَهَا مِنَ اللَّيْلِ"(7) عَلَيْنَا مِنَ الطَّيْرِ عِصَابَةٌ، أظَلَّتْنَا(8) مِنْ أجْنِحَتِهَا سَحَابَةٌ، مِنْ كُلِّ طَائِرٍ أَقْلَعَ يَرْتَادُ مَرْتَعاً، فَوَجَدَ(9) ولَكِنْ مَصْرَعَاً، وأسَفَّ(10) يَبْغِي مَاءَ جِمَاماً(11)، فَوَرَدَ ولَكِنْ سُمّاً(12) مُنَقَّعَاً، وحَلَّقَ فِي السَّمَاءِ(13) يَبْغِي مَلْعَباً، فَبَاتَ هو وأشْيَاعُهُ سُجَّداً [لِمَحَارِيْبِ](14) القِسِيّ ورُكَّعَاً(15).

فَتَبَرَّكْنَا بِذَلِكَ الوَجْهِ الجَمِيْلِ، وتَدَارَكْنَا أوَائِلَ ذَلِكَ القَبِيْلِ، فَاسْتَقْبَلَ أوَّلَنَا "تُمّاً"(16) تَمَّ

---

(1) في حسن التوسل: 356، ومطالع البدور: 224/2، وصبح الأعشى: 332/14: "وضعها".

(2) في نهاية الأرب: 334/10، وصبح الأعشى: "تنبتّ".

(3) في مطالع البدور: "الدّجا".

(4) في نهاية الأرب، وصبح الأعشى: "وانبثقت".

(5) في حسن التّوسل: "له"، وفي مطالع البدور: "فاتّخذ له كلّ مركزا".

(6) في صبح الأعشى: "وتقضّى".

(7) سقطت العبارة من حسن التّوسل ونهاية الأرب، وصبح الأعشى، وفيهم: "فسرت علينا من الطّير عصابة".

(8) في مطالع البدور: "أظللتنا".

(9) في مطالع البدور: "فوجدوا الكن".

(10) في مطالع البدور: "وآشف".

(11) في صبح الأعشى: "يبتغي ماءً جمّا".

(12) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب: "السّمّ"، وفي صبح الأعشى: "فوجد ولكن السُّمّ".

(13) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى: "الفضاء"، وفي نهاية الأرب: "في الفضاء يبتغي".

(14) زيادة وردت في صبح الأعشى.

(15) في الأصل: "للقسي" وقد أثبت ما يستقيم به المعنى، وفي مطالع البدور: 225/2: "فبات هو وأشياعه للقسيّ سجّداً رُكّعا".

(16) في الأصل: "تماً ثم"، وفي حسن التّوسل: "تمائم"، وفي صبح الأعشى: "تمام"، وفي مطالع البدور: "ثم بدره"، وقد أثبتنا ما ورد في نهاية الأرب:335/10، وهو ما يستقيم به المعنى، والتّمّ: طائر في قدر الإوزّ أبيض اللّون، طويل العنق: أحمر المنقار، وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدراً. (صبح الأعشى: 72/2).

بَدْرُهُ، وعَظُمَ في نَوْعِهِ[و][1] قَدْرِه، كَأنَّهُ بَرْقٌ كَرَعَ في غَسَق، أو صُبْحٍ عُطِفَ على بَقِيَّةِ الدُّجَى عَطْفَ النَّسَقِ تَحْسَبُهُ في ائْتِلاَف[2] المُنَى غُرَّةَ نُجحٍ، وتَخَالَهُ تَحْتَ أذْيَالِ الدُّجَى طُرَّةَ صُبْحٍ، عليهِ مِنَ البَيَاضِ حُلَّةَ وقَارٍ، ولَهُ كُرَةٌ[3] مِنْ عَنْبَرٍ فَوْقَ مِنْقَارٍ مِنْ قَارٍ، لَهُ عُنُقُ ظَلِيْمٍ، والتِفَاتَةِ رِيْمٍ، وسُرَى غَيْمٍ يُصَرِّفُهُ نَسِيْمٌ:

كَلَوْنِ المَشِيْبِ وعَصْرِ الشَّبَابِ   وَوَقْتِ الوِصَالِ ويَوْمِ الظَّفَرْ!
كَأنَّ الدُّجَى غَارَ مِنْ لَوْنِـــهِ   فَأمْسَكَ مِنْـــقَارَهُ ثُمَّ فَـــرّ

فَأرْسَلَ [إليهِ][4] عن الهِلاَلِ نَجْماً، فَسَقَطَ[5] مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ حَجْماً؛ فَاسْتَبْشَرَ بِنَجَاحِهِ، وكَبَّرَ[6] عِنْدَ صِيَاحِهِ، وحَصَّلَهُ[7] مِنْ وَسَطِ المَاءِ بِجَنَاحِه.

وتَلاَهُ "كَيٌّ"[8] نَقِيُّ اللِّبَاسِ، مَشْتَعِلُ شَيْبِ الرَّأسِ[9]، "كَأنَّهُ في عَرَانِيْنِ شَيْبِهِ[10] لا وَبْلِهِ كَبِيْرُ أُنَاسٍ"[11]، إنْ أَسَفَّ[12] في طَيَرَانِهِ فَغَمَامٌ، وإنْ خَفَقَ بِجَنَاحِهِ فَقِلْعٌ[13] لَهُ بِيَدِ النَّسِيْمِ زِمَامٌ، ذُو عَيْبَةٍ[14] كَالجِرَابِ، ومِنْقَارٍ كَالحِرَابِ، ولَوْنٍ يَغُرُّ[15] في الدُّجَى كَالنَّجْمِ،

---

(1) زيادة وردت في حسن التّوسل: 356، ومطالع البدور: 224/2، وصبح الأعشى: 332/14، لعلّها سقطت من الأصل.

(2) في (ص): "في ائتلاف الدّجى"، وفي حسن التّوسل: 356، ومطالع البدور: 225/2، ونهاية الأرب: 335/10، وصبح الأعشى: 333/14: "أسداف"، والنّجح: الظّفر بالشّيء. (لسان العرب: نجح).

(3) في صبح الأعشى: "كدهن عنبر".

(4) زيادة وردت في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(5) في مطالع البدور: "فأسقط منه ما كبر بما سقط حجماً".

(6) في حسن التّوسل: "وكمد"، وفي مطالع البدور: "وكبر عند صباحه".

(7) في حسن التّوسل: "وحمله".

(8) كيّ: -بضمّ الكاف- وهو طير أغبر اللّون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلة، رجلاه تضربان إلى السّواد. (صبح الأعشى: 74/2).

(9) من الآية: 4 من سورة مريم:﴿واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبًا﴾.

(10) في حسن التّوسل: "سيبه"، وفي مطالع البدور: "يشبه لأوائله".

(11) في حسن التّوسل: "النّاس"، وهو من قول امرئ القيس، الدّيوان: 289/1:

كأنّ ثبيراً في عرانين وَبْله   كبير أُناس في بجاد مُزَمَّلِ

(12) أسفّ: أسَفَّ الطّائر إذا دنا من الأرض. (لسان العرب: سفف).

(13) القِلع: شراع السّفينة والجمع قلاع. (لسان العرب: قلع)، وفي مطالع البدور: "قطع".

(14) في نهاية الأرب: "ذو غببة"، والغببة: اللّحم المتدلّي تحت الحنك من الدّيك والبقر. (لسان العرب: غبب)، والعيبَة: وعاء من أدم، يكون فيها المتاع، والجمع عِيَاب وعِيَبٌ، والعيبة أيضاً: زبيل من أدم ينقل فيه الزّرع المحصود إلى الجرين،...والعيبة: ما يُجعل فيه الثّياب. (لسان العرب: عيب).

(15) في مطالع البدور: "ولون ثغر".

وَيَخْدَعُ فِي الضُّحَى كَالسَّرَابِ، ظَاهِرُ الهَرَمِ، كَأَنَّمَا يُخبِرُ عن عَادٍ[1] وَيُحَدِّثُ عن إرَمٍ[2]:

إنْ عَامَ فِي زُرْقِ الغَدِيْرِ حَسِبْتَهُ مُبْيَضَّ غَيْمٍ فِي أَدِيْمِ سَمَاءِ
أو طَارَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ظَنَنْتَهُ فِي الجَوِّ شَيْخاً عَائِماً فِي مَاءِ
مُتَنَاقِضُ الأوْصَافِ فيهِ خِفَّةُ الـ جهَّالِ تَحْتَ رَزَانَةِ العُلَمَاءِ!

فَثَنَى إليهِ الثَّانِي[3] عِنَانَ بُنْدُقِهِ، وتَوَخَّاهُ[4] فيمَا بَيْنَ أصْلِ[5] رَأسِهِ وعُنُقِهِ، فَخَرَّ كَمَارِدٍ انْقَضَّ عليهِ نَجْمٌ مِنْ أُفْقِهِ[6]، فَتَلَقَّاهُ الكَبِيْرُ بالتَّكْبِيْرِ، واخْتَطَفَهُ قَبْلَ مُصَافَحَةِ[7] المَاءِ مِنْ وَجْهِ الغَدِيْرِ.

وقَارَنَتْهُ إوَزَّةٌ حُلَّتُهَا[8] دَكْنَاءُ، وحُلْيَتُهَا[9] حَسْنَاءُ، لَهَا في الفَضَاءِ مَجَالٌ، وعلى طَيَرَانِهَا خِفَّةُ ذَاتِ[10] التَّبَرُّجِ، وخَفَرُ[11] رَبَّاتِ الحِجَالِ، كَأَنَّمَا عَبَّتْ فِي ذَهَبٍ، أو خَاضَتْ فِي لَهَبٍ، تَخْتَالُ فِي مَشْيِهَا كَالكَاعِبِ، وتَتَأَنَّى[12] فِي خَطْوِهَا كَاللَّاعِبِ، وتَعْطُو[13] بِجِيْدِهَا كَالظَّبْيِ الغَرِيْرِ، وتَتَدَافَعُ فِي سَيْرِهَا "مَشْيَ القَطَاةِ إلى الغَدِيْرِ"[14]:

٦٢٢٤٥٠

(1) سبق الإشارة إليه.

(2) إرم: والد عاد الأولى، ومن ترك صرف إرم جعله اسماً للقبيلة، وقيل: إرمُ عادٌ الأخيرة، وقيل: إرم لبلدتهم الّتي كانوا فيها، وفي التّنزيل بعاد: ﴿إرم ذات العماد﴾، وقيل فيها أيضاً أرام، قال الجوهري في قوله عزّ وجلّ: ﴿إرم ذات العماد﴾، قال: ومن لم يضف جعل إرم اسمه ولم يصرّفه لأنّه جعل عاداً اسم أبيهم، ومن قرأهُ بالإضافة ولم يصرف جعله اسم أمّهم أو اسم بلده، وفي الحديث ذكر إرم ذات العماد، وقد اختلف فيها فقيل: دمشق. (لسان العرب: إرم).

(3) في (ص): "فثنا"، وفي حسن التّوسل: 356، ومطالع البدور: 225/2، ونهاية الأرب: 336/10، وصبح الأعشى: 334/14: "فثنى الثّاني إليه عنان بُندقه".

(4) في (ص): "وتوخا".

(5) سقطت من نهاية الأرب.

(6) من الآية: 10 من سورة الصّافات: ﴿إلاّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

(7) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب: "مصافحته"، وفي مطالع البدور: "مصافحته من الماء وجه الغدير".

(8) في صبح الأعشى: "حلباء".

(9) في صبح الأعشى: "وحُلّتها".

(10) في مطالع البدور، وصبح الأعشى: "ذوات".

(11) الخَفَرُ: شدّة الحياء. (لسان العرب: خفر).

(12) في (ص): "وتنأى".

(13) في صبح الأعشى: "تعطف"، وتعطو: تتطاول إذ رفعت أيديها لتتناول الشّجر، قال الشّاعر يصف ظبية:

وتعطو البرير، إذا فاتها بجيد ترى الخدَّ منه أسيلا

وظبي عطو: يتطاول إلى الشّجر ليتناول منه (لسان العرب: عطو)، وفي ذلك يقول ابن صريم اليشكري:

ويوماً توافينا بوجه متّسم كأنّ ظبية تعطو إلى وارق السّلم

انظر: (خزانة البغدادي: 359/4)، وفي مطالع البدور: 225/2: "كالطّير البهير".

إذَا أقْبَلَتْ تَمْشِي لَخطْرَة[1] كَاعِبٍ رَدَاحٍ، وإنْ صَاحَتْ فَصَـوْلَةُ خَـادِمِ[2]
وإنْ أقْلَعَتْ قَالَتْ لَهَا الرِّيحُ لَيْتَ لِي خَفَا ذِي الخَوَافِي أو قُوَى ذِي القَوَادِمِ
فَأنْعِمْ بِمَا[3] فِي البُعْدِ زَادُ مُسَافِـرٍ وأحْسِنْ[4] بهَا فِي القُرْبِ تُحْفَةُ قَـادِمِ!

فَلَوَى الثَّالِثُ جِيْدَهُ إليهَا، وعَطَفَ بوَجْهِ قَوْسِهِ[5] عليهَا، فَلَجَّتْ فِي تَرَفُّعِهَا مُمْعِنَة، ثُمَّ نَزَلَتْ على حُكْمِهِ مُذْعِنَة، فَأعْجَلَهَا عن اسْتِكْمَالِ[6] الهُبُوْطِ [ورفَعَهَا قَبْلَ اسْتِقْرَارِهَا السُّقُوْطِ][7] واستَوْلى عليها بَعْدَ اسْتِمْرَارِ[8] القُنُوْطِ.

وحَاذَتْهَا "الْغَلْغَةُ"[9] تَحْكِي لَوْنَ وَشْيِهَا، وتَصِفُ حُسْنَ مَشْيِهَا، وتُرْبِي[10] عليها بغُرَّتِهَا، وتُنَافِسُهَا فِي المَحَاسِنِ كَضَرَّتِهَا؛ كَأنَّهَا مُدَامَةٌ قُطِبَتْ بِمَائِهَا، أو غَمَامَةٌ شَفَّتْ عن بَعْضِ نُجُوْمِ سَمَائِهَا:

بِـغُـرَّةٍ بَيْضَـاءَ مَيْمُوْنَـةٍ تُشْرِقُ فِي اللَّيْلِ كَبَدْرِ التَّمَامِ!
وإنْ تَبَدَّتْ فِي الضُّحَى خِلْتَهَا فِي الحُلَّةِ الدَّكْنَاءِ بَرْقَ الغَمَامِ!

فَنَهَضَ الرَّابِعُ لاسْتِقْبَالِهَا، ورَمَاهَا عن فَلَكِ سَعْدِهِ بِنَجْمِ وَبَالِهَا، فَجَدَّتْ فِي العُلُوِّ مَغِـذَّةً[11]، وتَطَارَدَتْ[12] أمَامَ بُنْدُقِهِ، ولولا طِرَادُ[13] الصَّيْدِ لم تَكُ لَذَّة، وانْقَضَّ عليها مِنْ يَدِهِ شِهَابُ

- (14)من قول المنخّل اليشكري:

فدفعتها فتدافعت مشي القطاة إلى الغدير

انظر: (شرح ديوان الحماسة للتبريزي: 204/1) و القطاة: طائر معروف، انظر: (عيون الأخبار: 94/2، وصبح الأعشى: 79/2و80، وحياة الحيوان الكبرى: 79/2).

(1) في حسن التّوسل، ومطالع البدور: 226/2، ونهاية الأرب: 336/10، وصبح الأعشى: 334/14: "فخطرة".

(2) في نهاية الأرب، وصبح الأعشى: "حازم". (3) في مطالع البدور، وصبح الأعشى: "بها".

(3) في مطالع البدور: "وأكرم". (5) في صبح الأعشى: "إقباله".

(6) ومطالع البدور: "استكمالها".

(7) زيادة وردت في مطالع البدور.

(8) في مطالع البدور: "استمرارها".

(9) اللّغلغ: طائر معروف، قال ابن دريد: لا أحسبه عربيّاً. (لسان العرب: لغلغ)، وقال عنه الأبشيهي، المستطرف: 144/2: "إنّه من الطّيور الفواخت، ويأتي إلى أرض مصر في أيّام الشّتاء فيأكل ما قسم الله له من الرّزق،...انظر: (التّعريف بالمصطلح الشّريف: 351، وصبح الأعشى: 70/2، وحياة الحيوان الكبرى: 140/2).

(10) في مطالع البدور: "وترى،...وتنافسها في المجالس".

(11) في مطالع البدور: 226/2: "مُدّة"، وفي صبح الأعشى: 335/14: "مبتذّة"، ومُغذّة: مُسْرِعة. (لسان العرب: غذا).

(12) في مطالع البدور: "وطارت". (13) في حسن التّوسل، ومطالع البدور: "اطّراد".

حَتْفِهَا، وأدْرَكَهَا الأجَلُ لِخِفَّةِ طَيَرَانِهَا مِنْ خَلْفِهَا، فَوَقَعَتْ مِنَ الأُفْقِ في كَفِّـــهِ، ونَفَـرَ مِنْ[1] في بَقَايَا صَفِّهَا عَنْ صَفِّهِ.

وأَتَتْ في إِثْرِهَا "أُنَيْسَةٌ"[2] آنسةٌ، كَأَنَّهَا العَذْرَاءُ[3] العَانسَةُ، أو الإِدْمَـــاءُ[4] الكَانسَـــةُ، عليها خَفَرُ الأَبْكَارِ، وخِفَّةُ ذَوَاتِ الأَوْكَارِ، وحَلاَوَةُ المَعَانِي الّتي تُجْلِي[5] على الأفْكَارِ، ولها أُنْسُ الرَّبِيْبِ، وإِدْلاَلُ الحَبِيْبِ، وتَلَفُّتُ الزَّائِرِ المُرِيْبِ مِنْ خَـــوْفِ الرَّقِيْـــبِ، ذَاتُ عُنُـــقٍ كَالإِبْرِيْقِ، أو الغُصْنِ الوَرِيْقِ، قَدْ جَمَعَ صُفْرَةَ[6] البَهَارِ إلى حُمْرَةِ الشَّقِيْقِ، وصَـــدْرٍ بَـــهِيٍّ المَلْبُوْسِ، شَهِيٍّ إلى النُّفُوْسِ، كَأَنَّمَا رُقِمَ فيهِ النَّهَارُ باللَّيْلِ، أو نُقِشَ فيهِ العَاجُ بِـــالأَبْنُوسِ[7]، وجَنَاحٍ يُنْجِيْهَا مِنَ العَطَبِ، يَحْكِي لَوْنُهُ[8] المَنْدَلَ الرَّطْبَ لولا[9] أَنَّهُ حَطَب:

مُدَبَّجَةُ الصَّدْرِ تَفْوِيْفُهُ   أَضَافَ إلى اللَّيْلِ ضَوْءَ النَّهَارِ
لَهَا عُنُقٌ خَالَهُ مَنْ رَآهُ   شَقَائِقَ قَدْ سُيِّجَتْ[10] بالبَهَارِ!

فَوَثَبَ الخَامِسُ مِنْهَا إلى الغَنِيْمَةِ، ونَظَمَ في سِلْكِ[11] رَمْيِهِ تِلْكَ الـــدُّرَّةَ اليَتِيْمَـــةَ، وحَصَـــلَ بِتَحْصِيْلِهَا بَيْنَ الرُّمَاةِ على الرُّتْبَةِ الجَسِيْمَةِ.

---

(1) في مطالع البدور: 226/2: "وفرّت من ثنايا واصفها"، وفي صبح الأعشى: "ما في ".

(2) الأنيسة: طير له لون حسن، غذاؤه الفاكهة، ومأواه الأنهار والبساتين والغياض، وله صوت حسن كالقمري، انظر: (التّعريـــف بالمصطلح الشّريف: 352، ومناهج الفكر: 215/2و216، وصبـــح الأعشـــى: 74/2، وحيـــاة الحيـــوان الكـــبرى: 45/1، والمستطرف: 113/2)، والآنسة: لعلّه من قولهم: "تأنس البازيّ: أي جلس بطرفه والبازيّ يتأنس. (لسان العرب: أنس).

(3) في الأصل و(ص): "للعذراء"، وقد أثبتنا ما ورد في صبح الأعشى.

(4) الإدماء: أدِمَ أدَماً: اشتدّت سُمرته، فهو آدم وهي أدماء. (لسان العرب: أدم)، وفي حسن التّوسل: "الأماء"، وفي مطالع البـــدور: "الأرماء".

(5) في حسن التّوسل: "تخلي".

(6) في مطالع البدور: "صفرته النّهار إلى حمرة الشّفق" والبهار: نبت طيّب الرّيح. الجوهريّ: البهار: العرار الّذي يقال له عين البقـــر وهو بهار البرّ، وهو نبت جَعْدٌ له فُقّاحَةٌ صفراء ينبت أيّام الرّبيع يقال له العرارة. (لسان العرب: بهر)، والشّقيق أو شقائق النّعمان: نبتٌ، واحدها شقيقة، سمّيت بذلك لحمرتها على التّشبيه بشقيقة البرق،... (لسان العرب: شقق).

(7) لعلّ المعنى مأخوذ من قول العسكريّ:

وتلوح النّجوم في ظلمة اللّيـــ   ـــل كعاجٍ يلوحُ في أبنوس

انظر: (ديوان المعاني: 333/1، وسرور النّفس: 163)، والعاج: أنياب الفيلة، ولا يسمّى غير النّاب عاجاً. (لسان العرب: عوج).

(8) في صبح الأعشى: "لونها".

(9) لعلّ المعنى مأخوذ من قول السّري الرّفاء، الدّيوان: 436/1:

وارحل إذا كانت الأوطان مضيعةً   فالمندل الرّطب في أوطانه حطب

في نهاية الأرب: 337/10: "إلاّ أنّه".

(10) في مطالع البدور: 226/2: "سيحت".

(11) في مطالع البدور: "سلكه".

وأتى على صَوْتِهَا "حُبْرُجٌ"[1] تَسبقُ هِمَّتُهُ جَنَاحَهُ، ويَغْلِبُ خَفقُ قَوَادِمُـــهُ[2] صِيَاحَـــهُ، مُدَبَّجُ المَطَا[3]، كَأَنَّمَا[4] خَلَعَ حُلَّةَ مَنْكِبَيْهِ على القَطَا؛ يَنْظُرُ مِنْ لَهَبْ، ويَخْطُو على رِجْلَيْــنِ مِنْ ذَهَب[5]:

يَزُوْرُ الرِّيَاضَ، ويَجْفُو الحِيَاضَ ويُشْبِه في اللَّوْنِ كُدْرَ القَطَا

ويَهْوَى[6] الزُّرُوْعَ ويَلْهُــو بِهَا ولا يَرِدُ[7] المَاءَ إلاَّ خَطَـــا!

فَبَدَرَهُ السَّادِسُ قَبْلَ ارْتِفَاعِهِ، وأعَانَ[8] قَوْسَهُ بامْتِدَادِ بَاعِهِ، فَخَرَّ على الألاَةِ[9] كبسطام بــن قيس[10]، وانْقَضَّ عليه رَامِيْهِ فَحَصَّلَهُ بِحِذْقٍ، وحَمَلَهُ بكَيْس.

وتَعَذَّرَ على السَّابِعِ مَرَامَهُ، ونَبَا بِهِ عَنْ بُلُوْغِ الأَرَبِ مَقَامُهُ، فَصَعِدَ هو وتِـــرْبٌ لَــهُ إلى جَبَلٍ، وثَبَتَ في مَوْقِفِهِ مَنْ لم يَكُنْ لَهُ بمرَافَقهمَا[11] قِبَل.

فَعَنَّ لَهُ نَسْرٌ ذُو قَوَائِم[12] شِدَاد، ومَنَاقِيْرَ[13] حِدَاد[وخَوَافِي مِدَاد][14] كَأَنَّهُ مِنْ نُسُوْرِ

---

(1) الحُبرج: الحُبْرُج والحُبارج: ذكر الحُبارى. انظر: ((لسان العرب: حبرج)، والتّعريف بالمصطلح الشّريف: 352، وحياة الحيـــوان الكبرى: 218/1، وصبح الأعشى: 71/2).في مطالع البدور: 226/2: "على صياحها حبرج".

(2) في مطالع البدور: "فؤاده".

(3) المطا: الظّهر لامتداده، وقيل: هو حبل المتن من عصب أو عَقَب أو لحم والجمع أمطاء. (لسان العرب: مطا)، ومُدبّج: منقـــوش مزيّن. (لسان العرب: دبج).

(4) في مطالع البدور: "كأنّه".

(5) في مطالع البدور: "ينظر من ذهب ويخطو على عود من لهب".

(6) في صبح الأعشى: 336/14: "ويغوي".

(7) في مطالع البدور: "فلا يرد".

(8) في (ص): "وأعاره"، وفي حسن التّوسل: "وأعار"، وفي مطالع البدور: 227/2: "وأعان قويسه".

(9) في مطالع البدور: "آلائه".

(10) يشير إلى قول ابن عنمة في بسطام بن قيس:

وخرّ على الألاءة لم يُوسّد كأنّ جبينه سيف صقيل

انظر: (الأصمعيات: 36)، والألاء: شجر، ورقه وحمله دباغ، يُمدّ ويُقصر، وهو حسن المنظر، مُرّ الطّعم، ولا يزال أخضر شتاءً وصيفاً. (لسان العرب: ألأ).

وبسطام: هو بسطام بن قيس بن مسعود الشّيباني أبو الصّهباء (-نحو 10ق هـــ) سيّد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهليّـــة، يضرب المثل بفروسيّته،...انظر: (الكامل لابن الأثير: 613/1، وشعراء النّصرانيّة: 256، والأعلام: 51/2).

(11) في مطالع البدور: "بمرافقته".

(12) في مطالع البدور: "بقوادم"، وفي نهاية الأرب: 338/10: "ذو قوادم".

(13) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "ومناسر".

(14) زيادة وردت في مطالع البدور.

لُقْمَان بن عَاد[1]، تَحْسَبُهُ في السَّمَاءِ ثَالِثَ أخوَيْهِ[2]، وتَظُنُّهُ[3] في الفَضَاءِ قُبَّتَــهُ المَنْسُــوبَةَ إليهِ[4]، قَدْ حَلَقَ كَالفُقَرَاءِ رأسَهُ، وجَعَلَ مِمَّا قَصُرَ مِنَ الدُّلُوقِ الدُّكْنِ لِبَاسَهُ، واشْتَمَلَ[5] مِـنَ الرِّيَاشِ العَسَلِيِّ إزاراً، واخْتَارَ[6] العُزْلَةَ فَلا تَجِدُ لَهُ إلاّ في قُنَنِ الجِبَالِ الشَّوَاهِقِ مَزَاراً، قَـدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي[7] وهو لم يَشِبْ، ومَضَتْ الدُّهُوْرُ وهو مِــنَ الحَــوَادِثِ في مَعْقِــلٍ أَشِبٍ[8]:

مَلِيْكُ[9] طُيُوْرِ الأرْضِ شَرْقَــاً ومَغْرِبَــاً وفي الأُفُقِ[10] الأعْلَى لَهُ أَخَوَانِ!
لَهُ حَالُ[11] فَتَّــاكٍ، وحِلْيَــةُ نَاسِــكٍ وإسْرَاعُ مِقْدَامٍ[12]، وفَتْرَةُ وَانِ!

فَدَنَا مِنْ مَطَارِهِ، وتَوَخَّى بِبُنْدُقَةٍ عُنُقَهُ، فَوَقَعَ في مِنْقَارِهِ، فَكَأَنَّمَا هَدَّ[13] مِنْهُ صَخْرَاً، أو هَـدَمَ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّاً، ونَظَرَ إلى رَفِيْقِهِ مُبَشِّرَاً لَهُ بِمَا امْتَازَ بِهِ عَنْ فَرِيْقِهِ[14]، وإذا بِهِ قَـدْ أَظَلَّتْـهُ عُقَابٌ كَاسِرٌ، فَكَأَنَّمَا[15] أَضَلَّتْ صَيْدَاً أُفْلِتَ مِنَ المَنَاسِــرِ[16]، أو[17] حَطَّــتْ فَسَــحَابٌ انْكَشَفْ، وإنْ أَقَامَتْ:

(1) هو لقمان بن عاد بن ملطاط، من بني وائل من حمير، معمّر جاهليّ قديم من ملوك "حمير" في اليمن، يلقّب بالرّائش الأكبر، وهــو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم. (ثمار القلوب: 97، والأعلام: 243/5)، وفي الرّوايات أنّ عدد نسور لقمان بن عاد سبعة، ولبد كان آخرها، وفي ذلك يقول النّابغة، الدّيوان: 78:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الّذي أخنى على لُبَدِ

انظر: (صبح الأعشى: 336/14). وفي مطالع البدور: 227/2: "لقمن".
(2) المقصود بالنّسرين: النّسر الواقع والنّسر الطّائر. انظر: (صبح الأعشى: 182/2).
(3) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "وتخاله".
(4) المقصود بها قبّة النّسر، وقد سبق الإشارة إليها.
(5) في الأصل: "واستمل"، وفي حسن التّوسل: "واشتعل"، وقد أثبتنا ما هو أولى.
(6) في صبح الأعشى: "وألِفَ".
(7) في صبح الأعشى: "اللّيل".
(8) في حسن التّوسل: "أشدّ"، وأشب: مرتفع. (لسان العرب: شبب).
(9) في حسن التّوسل: "عليك".
(10) في مطالع البدور: "الفلك".
(11) في مطالع البدور: "خال".
(12) في مطالع البدور: "أقدام".
(13) في مطالع البدور: "فكأنّما قد هدّ منه صخراً وتوخّى".
(14) في (ص): "رفيقه".
(15) في مطالع البدور: "كأنّما قد".
(16) في مطالع البدور: "قد أفلت من المناسم إن حطّت".
(17) في نهاية الأرب: 339/10: "إن".

"فَكَأَنَّ قُلُوْب الطَّيرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ"[1]، بَعِيْدَةُ مَا بَيْنَ المَنَاكِبِ، إذا أَقْلَعَت: "لَجَّتْ في عُلُوٍّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ[2] ثَأراً عِنْدَ بَعْضِ الكَوَاكِبِ"[3]:

تَرَى[4] الطَّيْرُ والوَحْشُ في كَفِّهَا ... ومِنْقَارِهَا ذا عِظَامٍ مُزَالَهْ

فَلَوْ أَمْكَنَ الشَّمْسَ مِنْ خَوْفِهَا ... إذا طَلَعَتْ مَا تَسَمَّتْ غَزَالَهْ![5]

فَوَثَبَ إليهَا [الثَّامِنُ][6] وَثْبَةَ لَيْثٍ قَدْ وَثِقَ مِنْ حَرَكَاتِهِ بنَجَاحِهَا، ورَمَاهَا بأوَّلِ بُنْدُقَةٍ فَمَا أَخْطَأَ قَادِمَةَ جَنَاحِهَا، فَأَهْوَتْ كَعَوْدٍ[7] صُرِعَ، أو طَوْدٍ صُدِعَ، قَدْ ذَهَبَ بَأْسُهَا، وتَذَهَّبَ بدَمِهَا لِبَاسُهَا، وكَذَلِكَ القَدَرُ يُخَادِعُ الجَوَّ عن عُقَابِهِ، ويَسْتَنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ عِقَابِهِ، فَحَمَلَهَا بِجَنَاحِهَا المَهِيْضِ، ورَفَعَهَا بَعْدَ التَّرَفُّعِ في أَوْجِ جَوِّهَا مِنَ الحَضِيْضِ، ونَزَلاَ إلى الرِّفْقَةِ جَذِلِيْنَ بِربْحِ الصَّفْقَةِ.

فَوَجَدَ[8] التَّاسِعَ قَدْ مَرَّ بِهِ "كُرْكِيٌّ"[9] طَوِيْلُ السِّفَارِ، سَرِيْعُ النِّفَارِ، شَهِيُّ العُرَاقِ[10]، كَثِيْرُ الاغْتِرَابِ، يَشْتُو بِمِصْرَ، ويُصَيِّفُ بالعِرَاقِ، لِقَوَادِمِهِ في الجَوِّ هَفِيْفٌ[11]، وأَدِيْمُهُ[12] لَوْنَ السَّمَاءِ[13] طَرَى[14] عليها غَيْمٌ خَفِيْفٌ، تَحِنُّ إلى صَوْتِهِ الجَوَارِحُ، وتَعْجَبُ مِنْ قُوَّتِهِ

---

(1) حلّ بيت امرئ القيس، الدّيوان: 359/1:

كأنّ قلوب الطّير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

(2) في الأصل: "يحاول".

(3) حلّ لبيت أبي تمام، الدّيوان: 283/1:

مكارم لجّت في علو كأنّها ... تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

(4) في صبح الأعشى: 337/14: "يُرى".

(5) البيتان وردا في الغيث المسجم: 243/2.

(6) زيادة وردت في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(7) العَود: الجمل المُسنّ وفيه بقيّة، وقال الجوهريّ: هو الّذي جاوز في السّنّ البازل والمُخلِف، والجمع عِوَدَةٌ. (لسان العرب: عود).

(8) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب: 340/10: "فوجدا".

(9) كُركيّ: طائر كبير معروف، وهو محبوب للملوك، مشتاه في مصر، ومصيفه في العراق، وهو من الحيوان الرّئيس. انظر: (مناهج الفكر: 211/2، والمستطرف: 142/2، الإمتاع والمؤانسة: 187، وحياة الحيوان الكبرى: 98/2، وكتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 134).

(10) في نهاية الأرب، وصبح الأعشى: "الفراق"، والعُراق: جمع عَرْق: الفِدْرَة من اللّحم، وقيل: العُراق: العِظام إذا لم يكن عليها شيء من اللّحم. (لسان العرب: عرق).

(11) في صبح الأعشى: "حفيف".

(12) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى: "ولأديمه".

(13) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى: "سماء".

(14) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "طرأ".

الرِّيَاحُ البَوَارِحُ، لَهُ أثَرٌ[1] حُمْرَةٍ في رَأسِهِ كَوَمِيْضِ جَمْرٍ تَحْتَ رَمَادٍ، أو بَقِيَّةِ جُرْحٍ تَحْتَ ضِمَادٍ[2]، أو فَصِّ عَقِيْقٍ شَقَّتْ عنهُ بَقَايَا[3] ثِمَادٍ، ذُو[4] مِنْقَارٍ كَسِنَانٍ، وعُنُقٍ كَعِنَانٍ، كَأنَّمَا يَنُوْسُ[5] على عُوْدَيْنِ[6] مِنْ آبَنُوْسٍ:

إذا بَدَا في أُفُقٍ مُقْلِعًا　　　والجَوُّ كَالمَاءِ تَفَاوِيْفُهُ
حَسِبْتَهُ في لُجَّةٍ مَرْكَبًا　　　رِجْلاَهُ في الأُفْقِ مَجَادِيْفُهُ!

فَصَبَرَ لَهُ[7] حَتَّى جَازَهُ مُجَلِّيًا، وعَطَفَ عليهِ مُصَلِّيًا، فَخَرَّ مُضَرَّجًا بِدَمِهِ، وسَقَطَ مُشْرِفًا على عَدَمِهِ؛ وَطَالَمَا[8] أفْلَتَ لَدَى الكَوَاسِرِ مِنْ أظْفَارِ المَنُوْنِ، وأصَابَهُ القَدَرُ بِحَبَّةٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُوْنٍ[9]؛ فَكَثُرَ التَّكْبِيْرُ مِنْ أجْلِهِ، وحَمَلَهُ رَامِيْهِ[مِنْ][10] على وَجْهِ الأرْضِ بِرِجْلِهِ[11].

وحَاذَاهُ "غِرْنَوْقٌ"[12] حَكَاهُ في زِيِّهِ وقَدْرِه، وامْتَازَ عَنْهُ بِسَوَادِ[رَأسِهِ و][13] صَدْرِه، لَهُ رِيْشَتَانِ مَمْدُوْدَتَانِ مِنْ رَأسِهِ إلى خَلْفِهِ، مَعْقُوْدَتَانِ[14] مِنْ أُذْنِهِ[15] مَكَانَ شَنْفِهِ[16]:

لَهُ مِنَ الكُرْكِيِّ[17] أوْصَافُهُ　　　سِوَى سَوَادِ الصَّدْرِ والرَّاسِ
إنْ شَالَ رِجْلاً وانْبَرَى قَائِمًا　　　ألْفَيْتَهُ هَيْئَةَ بِرْجَاسِ[18]

---

(1) في مطالع البدور: 228/2: "له شية حمراء".

(2) سقطت العبارة من حسن التّوسل.

(3) في الأصل: "بقا"، لعلّه تصحيف، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(4) في (ص): "ومنقار".

(5) ينوس: تحرّك وتذبذب متدلّيا. (لسان العرب: نوس).

(6) في حسن التّوسل ومطالع البدور: "عُود".

(7) في مطالع البدور: "فصبر عليه حتّى جازه مخلباً، وعصف عليه مصلباً".

(8) في مطالع البدور: "ولطالما".

(9) حمأ مسنون: الطّين الأسود المنتن المتغيّر، وفي التّنـزيل:﴿من حمأ مسنون﴾، (لسان العرب: حمأ، سنن).

(10) زيادة وردت في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب: 340/10.

(11) في صبح الأعشى: 338/14: "وحمله على وجه الماء برجله"، وسقطت منه كلمة: "راميه".

(12) الغرنوق أو الغرنيق: طائر أبيض طويل العنق من طير الماء،...انظر: (حياة الحيوان الكبرى: 13/2، وصبح الأعشى: 74/2)، وفي (لسان العرب: غرنق): "أنّه طائر أبيض، وقيل: هو طائر أسود من طير الماء طويل العنق".

(13) زيادة وردت في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى، لعلّها سقطت من الأصل.

(14) في مطالع البدور: "له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى خلفه، مفقودتان من أذنه إلى مكان سبقه".

(15) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "أذنيه".

(16) شنف: الّذي يلبس في أعلى الأذن، والّذي في أسفلها القرط، وقيل: الشّنف والقرط سواء. (لسان العرب: شنف).

(17) في مطالع البدور: "الكراكي".

(18) البرجاس: غرض في الهواء يُرمى به،...والبرجاس: شبه الأمارة تنصب من الحجارة. (لسان العرب: برجس).

فَأصْغَى العَاشِرُ لَهُ مُنْصِتَاً، ورَمَاهُ مُلْتَفِتَاً[1]، فَخرَّ كَأنَّهُ صَرِيْعُ الألْحَانِ[2]، أو نَزِيْــفُ بِنْــتِ الحَانِ، فَأهْوَى إلى رِجْلِهِ بيَدِهِ وأيْدِهِ، وانْقَضَّ عليهِ انْقِضَاضَ الكَاسِرِ على صَيْدِهِ.

وتَبِعَهُ في المَطَارِ "صَوْغٌ"[3] كَأنَّهُ مِنَ النُّضَارِ مَصْنُوْعٌ[4]، تَحْسَبُهُ عَاشِقَاً قَدْ مَدَّ صَفْحَتَــهُ، أو بَارِقَاً قَدْ بَثَّ لَفْحَتَهُ:

طَوِيْــلَةٌ رِجْــلاَهُ مُسْوَدَّةٌ كَأنَّمَــا مِنْقَــارُهُ خَنْجَــرُ
مِثْلُ عَجُوْزٍ رَأسُهَا أشْمَطٌ جَاءَتْ وفي رَقَبَتِهَا مِعْجَرٌ![5]

فَاسْتَقْبَلَهُ الحَادِي عَشَر، ووثَبَ وَرَمَاهُ حِيْنَ[6] حَاذَاهُ مِنْ كَثَب، فَسَقَطَ كَفَارِسٍ تَقَطَّرَ[7] عَنْ جَوَادِه، أو وَامِقٍ[8] أُصِيْبَتْ حَبَّةُ فُؤادِه، فَحَمَلَهُ بسَاقِهِ وعَدَلَ بِهِ إلى رِفَاقِهِ.

وأقْرَنَ[9] بِهِ "مِرْزَمٌ"[10] لَهُ في السَّمَاءِ سَمِيٌّ مَعْرُوْفٌ، ذُوْ مِنْقَارٍ كَصُدْغٍ مَعْطُوْفٍ، كَأنَّ رِيَاشَهُ فَلَقٌ اتَّصَلَ بِهِ شَفَقٌ، أو مَاءٌ صَافٍ عَلِقَ بأطْرَافِهِ عَلَقٌ[11]:

لَهُ جِسْمٌ مِنَ الثَّلْجِ علــى رِجْلَيْــنِ مِنْ نَــارِ:
إذا أَقْلَعَ لَيْلاً قُلْــ ــتَ بَرْقٌ في الدُّجَى سَارٍ![12]

---

(1) في صبح الأعشى: 338/14: "متلفتاً".

(2) في مطالع البدور: 228/2: "الأشجان".

(3) ورد في صبح الأعشى: 72/2: "ضِوَع"، وأشار إلى أنّ "صوغ" خطأ، والضّوع: طائر من طيور اللّيل كالهامة، إذا أحـسّ بالصّباح صدح وصرخ. قال المفضّل: هو ذكر البوم. انظر: (عيون الأخبار: 91/2، وحياة الحيوان الكبرى: 434/1)، وفي مطالع البدور: ضوغ".

(4) في الأصل: "مضوع"، وفي حسن التّوسل، ونهاية الأرب: 341/10: "مضوغ"، وفي مطالع البدور: "مصبوغ"، وقد أثبتنا ما ورد في صبح الأعشى.

(5) المعجر: ثوب تلفّه المرأة على استدارة رأسها ثمّ تجلببُ فوقه بجلبابها. (لسان العرب: عجر)، وفي نهايــة الأرب: 341/10: "قمّتها معجر".

(6) في حسن التّوسل: حتّى"، وفي مطالع البدور: "حين حازاه".

(7) في مطالع البدور: "تقنطر".

(8) الوامق: المحبّ. (لسان العرب: ومق)، وفي مطالع البدور: "وامق احتسب".

(9) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "واقترن".

(10) المرزم: طائر، والمرزم: اسم لعدد من النّجوم أشهرها مرزمان هما: الشّعريان: أحدهما في الشّعرى، والآخر في الذّراع. (لسان العرب: رزم)، وهو طائر أبيض في أطراف ريشه حمرة، طويل الرّجلين والعنق، وهو حلال الأكل. (صبح الأعشى: 75/2).

(11) العَلَق: دودة في الماء تمصّ الدّم، والجمع عَلَق. (لسان العرب: علق).

(12) في صبح الأعشى: 339/14: "ساري"، وفي مطالع البدور: 228/2: "نار".

فَانْتَحَاهُ الثَّاني عَشَرَ مُتَمِّمًا[1]، ورَمَاهُ مُصَمِّمًا، فَأصَابَهُ في زَوْرِهِ، وحَصَّلَهُ[2] مِـــنْ فَــوْرِهِ، وحَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ[3] مَا خَرَجَ بِهِ عَنْ طَوْرِهِ.

والْتَحَقَ بِهِ "شُبَيْطِر"[4] كَأَنَّهُ مُدْيَةُ مُبَيْطِرٍ[5]، يَنْحَطُّ كَالسَّيْلِ، ويَكِرُّ علـــى الكَوَاسِــرِ كَالخَيْلِ، ويَجْمَعُ مِنْ لَوْنِهِ[6] بَيْنَ ضِدَّيْنِ، يُقْبِلُ مِنْهُمَا بالنَّهَارِ، ويُدْبِرُ بـــاللَّيْلِ، يَتَلَــوَّى في مِنْقَارِهِ الأيْمُ[7] تَلَوِّي[8] التِنِّينِ في الغَيْمِ[9]:

تَرَاهُ في الجَوِّ مُمْتَدًّا وفي فَمِهِ مِنَ الأفَاعِي شُجَاعٌ أرْقَم ذَكَرُ
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ عُنْقُهُ يَدُهَـــا ورَأْسُهُ رَأْسُهَا[10] والحَيَّةُ الوَتَرُ!

فَصَوَّبَ الثَّالِثَ عَشَرَ إليهِ بُنْدُقَةً[11]، فَقَطَعَ لَحْيَهِ[12] وعُنُقِهِ، فَوَقَعَ كَـــالصَّرْحِ المُمَـــرَّدِ[13]، أو الطِّرَافِ المُمَدَّدِ.

واتَّبَعَهُ "عِنَازٌ"[14] أَصْبَحَ في اللَّوْنِ ضِدَّهُ، وفي الشَّكْلِ نِدَّهُ، كَأَنَّهُ لَيْلٌ ضَـــمَّ الصُّبْـــحَ إلى صَدْرِهِ، أو انْطَوَى[15] على هَالَةِ بَدْرِهِ:

تَرَاهُ في الجَوِّ عِنْدَ الصُّبْحِ حِيْنَ بَدَا مُسْوَدَّ أجْنِحَةٍ مُبْيَضَّ حَيْزُومْ

---

(1) في حسن التّوسل، ومطالع البدور: 228/2، ونهاية الأرب: 342/10، وصبح الأعشى: 339/14: "مُيَمِّماً".

(2) في حسن التّوسل: "وحمله".

(3) في حسن التّوسل: "وحصل له السّرور".

(4) في (ص)، وصبح الأعشى: "سَبَيْطر"، هو طائر طويل العنق جدّاً، برّي أبداً في الماء الضّحل الضّحضاح، ويكنى بأبي العيزار. انظر: (حياة الحيوان الكبرى: 368/1، وصبح الأعشى: 75/2).

(5) المبيطر: معالج الدّواب، ومن ذلك؛ قال النّابغة، الدّيوان:80:

شَكَّ الفَرِيْصَةَ بالمِدْرَى فَأنْفَذَهَا، شَكَّ المُبَيْطِرِ إذْ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ

(لسان العرب: بطر)، وفي مطالع البدور: 228/2: "مسطر".

(6) في صبح الأعشى: "لونيه".

(7) الأيم: الذّكر من الحيات. ((لسان العرب: أيم)، وحياة الحيوان الكبرى: 104/1).

(8) في مطالع البدور: "كتلوي".

(9) في حسن التّوسل: "في الغنم".

(10) في صبح الأعشى: "ورِجْلُهُ رِجْلُهَا".

(11) في نهاية الأرب: 342/10: "ببندقة".

(12) في الأصل و(ص)، وحسن التّوسل: "الحيّة"، وفي مطالع البدور: 229/2: "الحبة".

(13) من الآية: 44 من سورة النّمل:﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾.

(14) العنّاز: طائر من طيور الماء، وهو أيضاً ضرب من السّمك. (لسان العرب: عنز)، وفي صبح الأعشى: 72/2: "طير أســـود اللّون، أبيض الصّدر، أحمر الرّجلين والمنقار"، وفي مطالع البدور: 229/2: "وأتبعه عنان".

(15) في مطالع البدور: "وانطوى".

كَأَسْوَدٍ حَبَشِيٍّ[1] عَامَ في نَهَرٍ وضَمَّ في صَدْرِهِ طِفْلاً مِنَ الرُّوْمِ!

فَنَهضَ تَمَامُ القَوْمِ إلى التَّتِمَّةِ[2]، وأسْفَرَتْ عن نَجَاحٍ[3] الجَمَاعَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ المُدْلَهِمَّةِ[4]، وغَدَا ذَلِكَ "الطَّيْرُ الوَاجِبُ"[5] وَاجِبًا، وكَمُلَ بِهِ العَدَدُ[6] قَبْلَ أنْ تُطْلِعَ الشَّمْسُ عَيْنًا[7] أو تُبْرِزَ حَاجِبًا، فَيَا لَهَا لَيْلَة حَصَرْنَا[8] بِهَا الصَّوَادِحُ[9] في الفَضَاءِ المُتَّسِعِ، ولَقِيَتْ فيها الطَّيْرُ مَا طَارَتْ بِهِ مِنْ قَبْلُ على كُلِّ شَمْلٍ مُجْتَمِعٍ، وأصْبَحَتْ[10] أشْلاؤُهَا على وَجْهِ الأرْضِ كَفَرَائِدَ خَانَهَا[11] النِّظَامُ، أو شَرْبٌ "كَأنَّ رِقَابَهُمْ[12] مِنَ اللِّيْنِ لم يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ"، وأصْبَحْنَا مُثْنِينَ على مَقَامِنَا، مُثْنِيْنَ بالظَّفَرِ إلى مُسْتَقَرِّنَا ومُقَامِنَا[13]، دَاعِيْنَ المَوْلَى[14] جَهْدَنَا، مُدَّعِيْنَ[15] لَهُ قَبلَنَا، أوْرَدْنَا حَامِلِيْنَ مَا صَرَعْنَا إلى بَيْنِ يَدَيْهِ، عَامِلِيْنَ على الشَّرَفِ[16] بِخِدْمَه والانْتِمَاءِ إليهِ:

فَأنْتَ الّذي لم يُلْفَ مَنْ لا يَوَدُّهُ ويَدْعُو[17] لَهُ في السِّرِّ أو يَدَّعَى[18] له
فَإنْ كَانَ رَمْيٌ أنْتَ تُوَضِحُ طُرْقَهُ وإنْ كَانَ جَيْشٌ: أنْتَ تَحْمِي رَعِيْلَه[19]

---

(1) في صبح الأعشى: 340/14: "كأنّه حبشيّ".

(2) في حسن التّوسل: "التِمة".

(3) في حسن التّوسل، ومطالع البدور: 229/2، وصبح الأعشى: "نجح".

(4) في مطالع البدور: "المدهمة".

(5) في حسن التّوسل: "الواجب"، وهو المعبر عنه بالطّير الجليل. انظر: (صبح الأعشى: 69/2).

(6) في حسن التّوسل، ومطالع البدور، وصبح الأعشى: "وكمل العدد به".

(7) في مطالع البدور: "غيباً".

(8) في حسن التّوسل، وصبح الأعشى: "حضرنا"، وقد أثبتنا ما ورد في نهاية الأرب: 342/10.

(9) في مطالع البدور: "فيا لها حصرت بابها الصّوادح"، وفي صبح الأعشى: "الصّادح".

(10) في نهاية الأرب: "وأضحت".

(11) في مطالع البدور: "صانها"، وهو من قول ذي الرّمة، الدّيوان: 750/2:

جرى الماء من عينيك حتّى كأنّه فرائد خانتها سلوك النّواظم

(12) من قول إسحاق الموصليّ:

وقد شربوا كأنّ رقابهم من اللّين لم يُخلق لهنّ عظام

في صبح الأعشى: 340/14: "أو شَرْب كأنّ رقابها"، وفي مطالع البدور: "أو مشرب"، وفي نهاية الأرب: (343/10: "أو شَرْب".

(13) إلى هنا انتهى النّص في مطالع البدور: 229/2.

(14) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "للمولى".

(15) في نهاية الأرب، وصبح الأعشى: "مُذعنين".

(16) في حسن التّوسل، ونهاية الأرب، وصبح الأعشى: "التّشرف بخدمته".

(17) في الأصل و(ص): "يدعوا"، وفي صبح الأعشى: "ويُدْعى"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التّوسل.

(18) في (ص): "ندّعي". (19) في صبح الأعشى: "قبيلة".

والله تعالى يجعلُ[1] الآمالَ منوطةً به، وقدْ فعَل، ويجعَلَهُ كهْفاً للأولياءِ وقدْ جعَلَ [بمنّه وكرمِهِ][2] [إنّما أثْبتَ هذهِ الرِّسالة بكمالِها لِكثْرةِ ما اشْتملَتْ عليهِ مِنَ الأوْصافِ، ولِتعلُّقِ بعْضِها ببعْضٍ][3].

ومِنْهُ قَوْله مِمَّا كَتَبَهُ جوَاباً عمَّنْ قِيْلَ مَنْ ادَّعَى إليهِ في البُنْدُق: "-ولا زَالَتْ قُدْمَة فَضْلِهِ مُذَهَبَة الفوَاتِحَ بالفُتُوْحِ، مُنْبَضَّةً بالنُّجُوْمِ عن قَوْسِ عَزْمٍ مُذْ تَشَبَّه بِهِ هِلَالُ الأُفْقِ لم يَجْسُرْ نَسْرُ السَّمَاءِ الطَّائِرِ[4] أنْ يَلُوْحَ، مُنْبِئَةٌ عن فَتَكَاتِ اهْتِمَام لا[5] ذُو الجَنَاحِ أمَامهُ بِنَاجٍ، ولا يَسْلَمُ مِنْهُ مَثَار الوَحْشِ الجَمُوْحِ، مُطَرَّزَة حُلَّةُ الظَّلَامِ بردَاءِ شَفَقِ نَشْرِهِ في الأُفْقِ مِنْ صَوْبِ صَابِئَةٍ دَمِ الطَّيْرِ المَسْفُوْحِ.

صَدَرَتْ هَذِهِ المُكَاتَبَةُ تَتَلَقَّى بالقَبُوْلِ وَجَهَ قَصْدِهِ الجَمِيْلِ، وتُقَابِلُ سَعْدَ طَائِرِه المَيْمُوْنِ[6] بوَاجِبِ الوِدِّ الجَلِيْلِ، ويُثْنِي على عَزْمِهِ الّذي مَا بَرِحَ يَسْرِي في بُرْدَةِ اليُمْنِ إلى رَوَاتِبِهِ كُلَّ فَخَارٍ، ويُثْنِي أعِنَّةَ الثَّنَاءِ إلى هِمَمِهِ الّتي اسْتَخَارَتْ التَّوْفِيْقَ في الادِّعَاءِ إلى قَدِيْمِ مَجْدِنَا الّذي تَتَشَرَّفُ بِهِ الأقْدَارُ فَخَارٍ، وتَشْكُرُ سَدَادَ مَقْصَدِهِ الّذي لا يُخْفِي مَوَاقِعَ[7] إصَابَتِهِ اللَّيْلُ، واشْتِدَادِ سَاعِدِهِ الّذي أسْبَلَ الجَنَاحَ على رِجْلِ حَامِلِهِ في الأُفْقِ إسْبَالَ الذَّيْلِ، مُعْلِمَةً أنَّ مُكَاتَبَتَهُ الكَرِيْمَةَ وَرَدَتْ مُنْبِئَةً عن طَرُوْقِهِ مَظَانّ الاسْتِرْوَاحِ، وسُرَاهُ إلى مَوَاطِنِ النُّجْحِ الّتي يُحْمَدُ فيهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ[8] في رِفْقَةٍ مِنْ أوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا مَا فيهم إلاَّ مَنْ حَسَبْتُهُ في الوَلَاءِ صَمِيْمٍ، وحَدِيْث مَجْدِهِ في إصَابَتِهِ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ في الخِدْمَةِ قَدِيْم، مُرْهِفاً عَزْمَةً مَا رَأى نُجُوْم أهِلَّتِهَا النَّسْرَ الطَّائِرَ إلاَّ أصْبَحَ كَأخِيْهِ وَاقِعاً[9]، ولا نَهَضَتْ إلى بَاسِطِ جَنَاحٍ تُهِيْنُهُ في أُفْقِ السَّمَاءِ إلاَّ خَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَاضِعاً.

(1) في الأصل و(ص): "يجول"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن التوسل، وصبح الأعشى: 340/14.

(2) زيادة وردت في صبح الأعشى.

(3) زيادة وردت في حسن التّوسل، وصبح الأعشى.

(4) المقصود به النّسر الطّائر، وقد سبق الإشارة إليه.

(5) في (ص): "إلاّ".

(6) في (ص): "المأمون".

(7) في الأصل: "موامع".

(8) من قولهم: "عند الصّباح يحمد القوم السّرى"، وأوّل من قال ذلك خالد بن الوليد لّما بعث إليه أبو بكر-رضي الله عنهما- وهو باليمامة: أن سر إلى العراق،...وقصّة المثل طويلة، ويضرب للرّجل يحتمل المشقّة رجاء الرّاحة، انظر: (مجمع الأمثال: 3/2)

(9) انظر: (صبح الأعشى: 182/2).

وإنَّ السَّعْدَ هَيَّأ لَهُ مُقَامَاً يَسْتَنْزِلُ فيهِ عَظِيْم الطَّيْرِ مِنْ عَوَاصِمِ الأُفْقِ، وتَسْلُكُ فيهِ رُسُلُ قَوْسِهِ إلى أرْوَاحِ ذَوَات الجَنَاحِ المُحَلِّقَةِ في الفَضَاء أَقْرَب الطُّرُق، وإنَّهُ حِيْنَ مَرَّ بِهِ مِنَ "اللَّغَالغِ" صَفٌّ قَدْ أوْثَقَ بَعْضهُ القَدَرُ، وأوثَقَ أوَّلَهُ بدرة عَزْمِهِ والبَدْرُ لِمَنْ بَدَر.

أرْسَلَ -أعَزَّهُ اللهُ- عن كَبدِ القَوْسِ[1] ابْنَهَا فَأَنَّتْ، وخَطَبَ إلى نَفْسِ تِلْكَ العُصْبَةِ مِنَ الطَّيْرِ نَفْسها فَمَا ضَنَّتْ، وصَرَعَ "لَغْلَغَةً" مَلِيْحَةً مُلِيْحَة، فَأصَابَهَا في أقْوَى قَوَادِمِهَا إصَابَةً صَحِيْحَةً صَرِيْحَةً، فَأهْوَتْ إلى بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ مَكَامِنِ مَكَانِهَا، وحَمَلَهَا القَدِيْمُ الَّذِي أشَارَ إليهِ رَافِعَاً بالقَسَمِ يُعْلِي لِشَانِهَا، فَتَمَنَّى كُلُّ "تَمٍّ" لو حَصَّلَ كَمَا حَصَلَتْ، ووَدَّ كُلُّ "صَوْغٍ" لو صُبِغَتْ عُيُوْنُهُ في جُمْلَةِ حِلْيَتِهَا الَّتِي فَصَلَتْ، وإنَّهُ ادَّعَى لَنَا بِهَذِهِ النِّسْبَةِ الَّتِي تَثْبُتُ بالقَبُوْلِ أحْكَامُهَا، وتُقْضَى بانْتِسَاجِ الأوَاصِرِ حُكَّامُهَا، وقَدْ عَلِمَ بذَلِكَ جَمِيْعهُ، وأفَضْنَا في شُكْرِه، وأفْضَيْنَا إلى غَايَةِ الثَّنَاء الجَمِيْلِ عِنْدَ ذِكْرِه، وسُرِرْنَا بِبُلُوْغِ الوَطَر، وحُصُوْلِ الظَّفَر، وتَفَاءلْنَا أنَّهُ كَذَلِكَ يَنْزِلُ على حُكْمِ سُيُوْفِنَا كُلُّ مَنْ كَفَر، وقَابَلْنَا ذَلِكَ بوَجْهِ القَبُوْلِ المُبْتَهِجِ، وأمْضَيْنَا حُكْمَ هَذَا الانْتِمَاءِ المُلْتَحِمِ، والانْتِسَابِ المُمْتَزِجِ، ومَنْ أوْلَى مِنْهُ بِهَذَا الفَخْرِ الَّذي انْتَظَمَتْ عُقُوْدُهُ، وتَقَابَلَتْ في أُفْقِ مَجْدِهِ سُعُوْدُهُ، فَلْيَأخُذْ حَظَّهُ مِنْ بُشْرَى هَذَا القَبُوْلِ وبِشْرَة حِبْرِهِ خَبَره الَّذي يَتَضَوَّعُ الوُجُوْدُ بنَشْرِه.

واللهُ -تَعَالَى- يَجْعَلُ مَطَالِبَهُ مَقْرُوْنَةً بالنَّجَاحِ، قَادِمَةً إليهِ بأنْبَاءِ السُّعُوْدِ على أوْثَقِ قَوَادِم، وأثْبَتِ جَنَاح.

ومِنْهُ قَوله في النِّيْلِ: "وأجْرَى الخَلْقَ على عَوَائِد كَرَمِهِ، وأجْرَى لَهُم بقُدْرَتِهِ مِنْ حُجُبِ الغَيْبِ مَوَادَّ نعَمِهِ، وأعْلاَ لَدَيْهِم مَوَارِدَ نِيْلِهِم حتَّى مَا كَانَ يَشْرَبُ مَعْرُوْف سَاقِهِ مِنْ نِيْلِهِم يَتَنَاوَلُ المَاءَ بِفَمِهِ، وأمَرَ البَحْرَ فَأقْبَلَ بالفَرَجِ القَرِيْبِ مِنَ الأمَدِ البَعِيْدِ، وأذنَ لَهُ في الرَّفْعِ عَن مَحَلِّهِ، فَسَجَدَ على التُّرْبِ شُكْرَاً، وتَيَمَّمَ الصَّعِيْدَ، وإنْ لم يَبْقَ بِهِ الآنَ على وَجْهِ الأرْضِ صَعِيْد، وأقْبَلَ بَعْدَ تَقْصِيْرِ عَامِهِ المَاضِي بوَجْهٍ عليهِ حُمْرَةُ الخَجَلِ، وعَزْمٍ سَبَقَ سَيْفُهُ إلى المَحَلِّ العَدْلِ بالأجَلِ، وحَزْمٍ أدْرَكَ الجَدْبُ مَوْجَهُ[2] قَبْلَ أنْ يَقُوْلَ: ﴿سَآوِي إلى جَبَلٍ﴾[3]

---

(1) كبد القوس: ما بين طرفي العِلاقة، وقيل: قَدْرُ ذراع من مَقْبضها، وقيل: كَبِداها مَعْقِدا سَيْر عِلاقتها. التّهذيب: وكبد القوس فُوَيْق مَقْبضِها حيث يقع السّهم. يقال: ضع السّهم على كبد القوس، وهي ما بين مقبضها ومجرى السّهم منها. (لسان العرب: كبد).

(ص): "بوجه".

الآية: 43 من سورة هود.

واستِظْهاراً على كُلِّ مَا عَلاَ مِنَ الأرْضِ حَتَّى إنَّ الهَرَمَيْنِ بَاتَا مِنْهُ على وَجَلٍ، ومَهَّدَ الأرْضَ الّتِي كَانَتْ تَرْقُبُهُ فهو لها المَنْظَرُ على الحَقِيْقَةِ، ووطِئَ بَطْنَ الثرَى فَنتَجَ الخِصْبُ بَيْنَهُمَا، وذَبَحَ المَحْلَ في العَقِيْقَةِ[1]، وتَجَعَّدَ على الآكَامِ، فَخَيَّلَ للعِيُوْنِ أنَّهَا تَسِيْلُ، وشَبَّتْ مَفَارِقُ الثَّرَى بِبَيَاضِ زِنْدِه، وعَادَهُ بَيَاضُ الشَّيْبِ إنْ تَخضَّبْ بورَقِ النِّيْلِ فَيَسْتَقْبِلُ نِعَمَ اللهِ الّتِي سَيَسِمُ الأرْضَ وَسْمَهَا، ويُوْلِي النِّعَمَ وَلْيهَا، ويَأتِي بالرِّكَابِ آتِيْهَا؛ حَتَّى تَغُصّ بالنِّعَمِ تِلْكَ الرِّحَابُ، وتَظُنّ لِعُمُوْمِ ذي البِلاَدِ الشَّامِيَّةِ أنَّ نِيْلَ مِصْرَ رَكِبَ إليهَا على السَّحَابِ".

ومِنْهُ قَوله في مِثْلِهِ: "صَدَرَتْ ونِعَمُ اللهِ قَدْ عَمَّتْ، وآلاؤُهُ مع تَحقُّقِ المَزِيْدِ قَدْ تَمَّتْ، والسَّيْلُ قَدْ بَلَغَ في تَتَبُّعِ بَقَايَا القَحْطِ الزُّبَى[2]، والنِّيْلُ قَدْ عَمَّ بِنَيْلِهِ حَتَّى كَلَّلَ مَفَارِقَ الآكَامِ، وعَمَّمَ[3] رُؤُوْسَ[4] الرُّبَى، وحَمَى الأرْضَ مِنْ تَطَرّقِ المُحُوْلِ إليهَا، فَأصْبَحَتْ مِنْهُ في حَرَمٍ، وظَهَرَتْ بِهِ عَجَائِبُ القُدْرَةِ".

ومِنْهَا: "إنَّ ابنَ سِتَّةَ عَشَرَ بَلَغَ إلى الهَرَمِ"[5] وبَثَّ جُوْدَهُ في الوُجُوْدِ، فَلَو صَوَّرَ نَفْسَهُ لم يَزِدْهَا على مَا فيهِ مِنْ كَرَمٍ، وتَلَقَّتْ مِنْهُ النُّفُوْسُ أبْهَجَ مَحْبُوْبٍ طَرَدَ مَمْقُوْتَاً، ووثِقَتْ مِنْ حُمْرَتِهِ بالغِنَى والمُنَى؛ إذْ لَمْ يَدْرِ أيَاقُوْتَاً تُشَاهِدُ أمْ قُوْتَا؟!

وجَرَى في الوَفَاءِ على أكْمَلِ مَا أُلِفَ مِنْ عَادَتِهِ، وظَهَرَ بإشْرَاقِهِ وعُمُوْمِ نَفْعِهِ ظُهُوْرَ الشَّمْسِ، فَألْقَى على الأرْضِ أشِعَّةَ سَعَادَتِهِ، وبَلَغَ اللهُ بِهِ المَنَافِعَ فَزَعْزَعَ الجِبَالَ الشُّمَّ، ولم يَتَجَاسَرْ على الجُسُوْرِ[6]، وأقْطَعَ الخِصْبَ الأرْضَ كُلّهَا، فَلَهُ كُلّ بُقْعَةٍ مِثَال مرئِي[7]،

(1) العقيقة: الشّعر الّذي يولد به الطّفل لأنّه يشقّ الجلد، وإنّما سُمّيت الشّاة الّتي تُذبح في تلك الحال عقيقة لأنّ الشّعر يُحلق عند الذّبح. (لسان العرب: عقق)، والعقيقة تُذبح في اليوم السّابع من ولادته، وحكمها سُنّة مؤكّدة للقادر عليها من أولياء المولود، وذلك لقوله_صلّى الله عليه وسلّم-: "كلّ غلام رهينة بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه، ويُسمّى ويُحلق رأسه"، والحكمة منها شكر الله على نعمة الولد، ووسيلة لله في حفظ المولود ورعايته. (منهاج المسلم: 297).

(2) من قولهم: "بلغ السّيل الزُّبى"، وهو مثل يضرب لما جاوز الحدّ. (مجمع الأمثال: 91/1).

(3) سقطت من (ص).

(4) في الأصل: "رؤس".

(5) من قول صلاح الدّين الصّفدي:

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتّى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت هذا عجيبٌ في بلادكم ... أنّ ابن ستٍّ وعشرٍ يبلغ الهرما

انظر: (الغيث المسجم: 76/2، وحلبة الكميت: 229).

(6) في (ص): "على السّجور".

(7) في الأصل: :مراي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

ومَنْشُوْر مَنْشُوْر، وبَعَثَ إلى كُلِّ عَمَلٍ مِنْ سَرَايَا جُنُوْدِهِ عَارِضَاً مُغْضِبَاً على المَحَلِّ مَا يَخطُرُ إلاَّ وَسَيْفُهُ مَشْهُوْرٌ، وجَرَى الأمْرُ في التَّحْلِيْقِ على عَوَائِدِ السُّرُوْرِ، وعُلِّقَتْ سِتَارَةُ المِقْيَاسِ[1] لا للإخْفَاءِ على عَادَةِ الأسْتَارِ، بَلْ للإشَاعَةِ والظُّهُوْرِ، واسْتَقَرَّ حُكْمُ المَسَرَّةِ على السُّنَنِ المَعْهُودِ، وعَادَ النَّاسُ بِهِ عِنْدَ مُرُوْرِهِم إذْ ذَلِكَ برَحْمَةِ اللهِ﴿يَوْم مَجْمُوْع لَهُ النَّاس وذَلِكَ يَوم مَشْهُود﴾[2]، وهَا هُوَ الآنَ يَرْفَعُ إلى كُلِّ تِلْعَةٍ[3] على جَنَاحِ النَّجَاحِ[4]، ويَحِيْفُ السَّيْلُ وَمَا عَلَيهِ حَرَجٌ[5]، ويَقْطَعُ الطُّرُقَ ولَيْسَ عليهِ جَنَاح[6]".

ومِنْهُ قَوله يُبَشِّرُ بِرُكُوْبِ السُّلْطَانِ بَعْدَ تَقَطُّرٍ[7] كَانَ حَصَلَ لَهُ عن جَوَادِه: "-ولا زَالَ مُبَشِّرَاً مِنَ النَّصرِ بمَا يُقِرُّ عَيْنَ الهُدَى، ويَكْمِدُ قُلُوْبَ العِدَى، ويُنْذِرُ أهْلَ الكُفْرِ مِنْ رُكُوْبِنَا اليَوْم بطَلائِعِ رِكَابِنَا عليهِم غَدَا، ويُسِرُّ حِزْبَ الإيْمَانِ مِنْ أخْبَارِ مَوْكِبِنَا الشَّرِيْفِ بِيَوْمٍ كَفَّرَ الدَّهْرُ ذَنْبَ إسَاءتِهِ بالأمْسِ واقْتَدَى_ صَدَرَتْ تَخُصُّهُ بِبُشْرَى عَمَّتْ بَشَائِرُهَا، وسَرَتْ بالمَسَرَّاتِ الكَامِلَةِ بَوَادِرُهَا، وتَأَرَّجَتْ الأرْجَاءُ، فَلَوْلاَ أمَانَةُ الكُتُبِ لَقِيْلَ تَمَّتْ بأسْرَارِ السُّرُوْرِ ضَمَائِرُهَا، وطَارَتْ بها مُخَلَّقَاتُ التَّهَانِي في الوُجُوْدِ، ووَجَبَ بسَبَبِهَا وجُوْبُ سُجُوْدِ الشُّكْرِ على كُلِّ مُؤْمِنٍ يَتَعَبَّدُ عِنْدَ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ بفَرْضِ السُّجُوْدِ، وذَلِكَ إنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ حَصَلَ مِنْ تَأخُّرِ رُكُوْبِنَا هَذِهِ الأيَّامِ بسَبَبِ مَا كَانَ حَصَلَ مِنَ التَّقَطُّرِ الّذي كَانَتْ عَاقِبَتُهُ بحَمْدِ اللهِ مَأمُوْنَةً، وكَبْوَة الجَوَادِ بحُسْنِ المَآلِ فيهِ مَيْمُوْنَة فيهِ بمَا الفَنَاء مِنْ عَوَائِدِ تَأيِيْدِ اللهِ وعَوْنِهِ مَضْمُوْنَة، وكَانَ تَأخُّرُ الرّكُوْبِ في تِلْكَ المُدَّةِ اللَّطِيْفَةِ لِمُوَافَقَةِ آرَاءِ الحُكَمَاءِ في خِدْمَةِ المِزَاجِ ومُلاَطَفَةِ العِلاَجِ.

وقَدْ مَنَّ اللهُ-سبحانه وتعالى- في كَمَالِ الصِّحَّةِ، وشُمُوْلِ العَافِيَةِ، وزَوَالِ البَأسِ، ﴿وإنْ

---

(1) سبق الإشارة إليه.

(2) من الآية: 103 من سورة هود.

(3) التّلعة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض، والتّلعة: أرض مرتفعة غليظة يتردّد فيها السّيل ثمّ يدفع منها إلى تلعة أسفل منها. (لسان العرب: تلع).

(4) في (ص): "الجناح".

(5) من الآية: 6 من سورة المائدة: ﴿مَا يُرِيْدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عليكُم مِنْ حَرَجٍ﴾: انظر: الآية: 61 من سورة النّور، والآية: 37و38 من سورة الأحزاب، والآية: 17 من سورة الفتح.

(6) من الآية: 198 من سورة البقرة:﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاح أنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُم...﴾، انظر: الآية: 29و58و61 من سورة النّور، والآية: 5 من سورة الأحزاب.

(7) تقطّر: قَطَرَهُ فرسه وأقْطَرَه وتقطّرَ به: ألقاه على تلك الهيئة، وتقطّر هو: رمى بنفسه من عُلُو. (لسان العرب: قطر).

تَعِدُّوا نعْمَةَ اللهِ لاَ تحْصُوْهَا﴾[1]، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وعلى النَّاس.

سَطَّرْنَاهَا مُبَشِّرَةً بِرِكُوْبِنَا الّذِي خَضَعَتْ لَهُ أعْنَاقُ الكُفْرِ والشِّقَاقِ، وسَارَتْ بِهِ رَكَائِبُ البَشَائِرِ ونَجَائِبُ التَّهَانِي فِي الآفَاقِ، وضَاقَتْ بِهِ فِجَاجُ الأَرْضِ بِأَوْلِيَاءِ الطَّاعَةِ، فَلَوْلاَ سُلُوكهُمْ أدَبَ الخِدْمَةِ فِي التَّرَجُّلِ بَيْنَ أَيْدِيْنَا لَزَلْزَلَ رَكْضُ خَيْلِهِم بِمِصْرَ أطْرَافَ العِرَاقِ، فَكَانَ رُكُوبُنَا فِي مَوْكِبِنَا الْمَنْصُوْرِ يَوْم كَذَا "وكَانَ يَوْمَاً مَشْهُوْداً"[2]، ووقْتَاً مِنْ مَوَاسِمِ الزَّمَنِ مَعْدُوْداً، أرْبَتْ فِيهِ النِّعَمُ على الحَصْرِ، ورفَلَ بِهِ الدِّيْنُ فِي حُلَلِ التَّأْيِيْدِ والنَّصْرِ، وسَرَى إلى أَرْوَاحِ العِدَى رُعْبُهُ، وعَزَّ بِهِ فِي كُلِّ أُفُقٍ دِيْنَ الإِسْلاَمِ وحِزْبُه، وتَحَقَّقَ بِهِ العَدُوُّ الّذي أمْلَى لَهُ أنَّ حَرَكَتَهُ حَرَكَةَ الذَّبِيحِ، وجَمْعَهُ الّذي أَلِفَهُ الشَّيْطَانُ بِغُرُوْرِه للتَّكْسِيْرِ لا للتَّصْحِيْحِ، وتَضَاعَفَ شَوْقُهُ إلى الجَنَابِ العَالِي[3] فِي ذَلِكَ المَوْكِبِ الّذي أخَذَ الأوْلِيَاءُ فيهِ مِنَ المَسَرَّةِ بِأوْفَى القِسَمِ، وأوفَرِ النِّعَمِ، ورَفَلُوا[4] فيهِ فِي مَطَارِفِ الجُوْرِ، واتَّخَذُوْهُ بَيْنَهُم عِيْدَاً وسَمُّوْهُ عِيْدَ السُّرُوْرِ.

وقَدْ عَجَّلْنَا بِإعْلاَمِهِ بذَلِكَ، لِعِلْمِنَا بِمَحَبَّتِهِ الصَّادِقَةِ، ومُوَلاَتِهِ الّتِي هي بِمَحْضِ الصَّفَاءِ نَاطِقَة، ولأنَّا نَعْلَمُ مُضَاعَفَةَ سُرُوْرِهِ بِهَا، وأدَائِهِ نُذُوْرَ الشُّكْرِ بِسَبَبِهَا، فَلْيُسَرَّ الأوْلِيَاءُ بِإشَاعَتِهَا، وتَتَقَدَّمُ بِضَرْبِ[5] البَشَائِرِ فِي وَقْتِهَا وسَاعَتِهَا، واللهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ إقْبَالَهُ، ويُبْلِغُهُ مِنَ النِّعَمِ أمْنِيَتِهِ وآمَالِهِ.

ومِنْهُ قَوله فِي تَقْلِيْدٍ لِنَائِبِ البيرة[6] بالاسْتِمْرَارِ:" وعَلِمَ العَدُوُّ إنَّهُ النَّدْبُ الّذي كَثُرَتْ فِي سَبِيْلِ اللهِ أيَّامُهُ، ومَا قَصَدَهُ العَدُوُّ إلاَّ وتَمَنَّى الذَّهَابَ، وحَثَّ لِلْهَرَبِ الرِّكَابَ "وقَنَعَ مِنَ الغَنِيْمَةِ بالإيَابِ"[7] "وَوَلَّى جَمْعَهُمُ الأدْبَارَ"[8] ولَمْ يَعُدْ إلى أهْلِهِم سِوَى الأخْبَارِ،ومَا أقْدَمُوا عليهِ إلاَّ وقَدْ عَلِمُوا بِمَا ألِفُوْهُ مِنْ بَأسِهِ أنَّهُم لا يُنْصَرُوْنَ، ومَا نَظَرُوا إليهِ إلاَّ وَقَدْ

---

(1) من الآية: 34 من سورة إبراهيم.

(2) من الآية: 103 من سورة هود:﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَهُ النَّاس وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُوْد﴾.

(3) سبق الإشارة إليه.

(4) في (ص): "ورفًا وافيه".

(5) في (ص): "بصرف".

(6) البيرة: قرب سميساط، بين حلب والثّغور الرّوميّة. (معجم البلدان: 526/1).

(7) مثل أوّل من نطق به امرؤ القيس، وفيه يقول، الدّيوان: 544/2:

وقَدْ طوَّفتُ في الآفاق حتّى ... رضيتُ من الغنيمة بالإياب

وفي ديوان المعاني: 193: "رضيت من السّلامة بالإياب".

(8) من الآية: 45 من سورة القمر: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّوْنَ الدّبر﴾.

جَعَلَ الرُّعْبُ: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِم سَدًّاً و مِنْ خَلْفِهِم سَدًّاً فَأَغْشَيْنَاهم فَهُمْ لا يُبْصِرُوْنَ﴾[1].

ومَا قَاتَلُوْهُ بَعْدَمَا قَابَلُوْهُ إلاَّ أنَّ اللهَ طَمَسَ على قُلُوْبِهِم، يَمُدُّوْنَهُم في الغَيِّ ثُمَّ لا يَقْصِّرُوْنَ، وكَمْ أَرْسَلُوا في أَيَّامِهِ إلى الثَّغْرِ السَّوَابِقَ، "فَضَرَبَ بَيْنَهُم بِسُوْرٍ"[2]، وطَارَتْ[3] إليهِم مِنْ كِنَانَةِ بَأسِهِ حَمَامُ الحِمَام بِأجنحَةِ النُّسُوْرِ، وسَرَتْ سَرَايَاهُ في بِلاَدِ العَدُوِّ فَسَبَقَهَا الرُّعْبُ إليهم[4]، وأحَاطَ النَّهْبُ بِمَا لَدَيْهِم، واستَوْلَى عليهم الذُّعْرُ حتَّى صَارُوا ﴿يَحْسَبُوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم﴾[5] واطَّلَعَ على خَفَايَا أحْوَالِهِم، فَمَا أجْمَعُوا أمْرَاً إلاَّ وعَلِمُوا بِهِ إذْ يَأتَمِرُوْنَ، ولا مَكَرُوا مَكْرَاً إلاَّ أظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِم، واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَمْكُرُوْنَ[6].

وكَانَ فُلاَنٌ هو الّذي مَا شَامَ مَعَهُ العَدُوُّ بَارِقَةَ ثَغْرٍ إلاَّ وأمْطَرَتْهُمْ مِنَ الوَبَالِ بِوَابِلٍ، وأوْقَعَهُم مِنَ النّكَالِ في كَفَّةِ حَابِلٍ، فَاقْتَضَتْ الآرَاءُ الشَّرِيْفَةُ أنْ يَزْدَادَ أمْرُهُ تَمَكُّنَا، وقَدْرُهُ تَحَلِّيَاً بالنِّعْمَةِ وتَزَيُّنَا، وسَرُّهُ اسْتِقْرَارَاً بِعُلُوِّ رُتْبَتِهِ وتَوَطُّنَاً، وثَغْرُهُ تَحَسُّنَا بِمَا افْتَرَّ مِنَ النِّعْمَةِ وتَحَصُّنَاً.

ولِذَلِكَ رُسِمَ بالأمْرِ الشَّرِيْفِ -لاَ زَالَتِ الثُّغُوْر بِمَهَابَتِهِ تَبْتَسِمُ، والجُنُوْد تَتَحَكَّمُ بِسَطَوَاتِهِ في ذَخَائِرِ العِدَى وتَقْتَسِمُ- أنْ تَجَدَّدَ لَهُ هَذَا التَّقْلِيْدُ الشَّرِيْفُ بِاسْتِمْرَارِهِ في النِّيَابَةِ بِالبِيرَة على أجْمَلِ عَوَائِدِهِ، وأكْمَلِ قَوَاعِدِهِ، لِنُهُوْضِهِ في مَصَالِحِ الإسْلاَمِ والمُسْلِمِيْن بِمَا أحْصَى[7] اللهُ ونَسُوْهُ، وإجْرَاءً عليهِ بِمَا أَلِفَهُ سَلَفُنَا الطَّاهِرُ مِنْ رُشْدِ كِفَايَتِهِ وأنسُوْهُ، ولأنَّهُم غَرَسُوْهُ في هَذَا الثَّغْرِ لِتَنْمَى بِهِ المَصَالِح، ويَتَعَيَّن أنْ يَتَعَاهَدَ بالإحْسَانِ سُقْيَا مَا غَرَسُوْهُ، فَلْيَتَّقِ هَذِهِ النِّعْمَة بِبَاعِ الشُّكْرِ المَدِيْدِ، ويَتَرَقَّ بِعُلُو الهِمَّةِ إلى المَزِيْدِ مِنْ فَضْلِ اللهِ عليهِ؛ "فَإنَّ لَدَيْهِ المَزِيْد"[8]، ويُجَرِّدُ على مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ العِدَى سَيْفَ عَزْمِهِ، فَإنَّ نَصْرَ اللهِ بِأسْيَافِنَا ﴿أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيْدِ﴾[9]، ويَجْعَلُ سَرَايَاهُ طَلاَئِعَ جُيُوْشِنَا المَنْصُوْرَة؛ فَإنَّهَا قَدْ تَكُوْنُ

---

(1) من الآية: 9 من سورة يس، ويقول العامليّ مضمّناً، الكشكول: 125:

[كأنّ على الأبصار منهم غشاوةً ... ومن بين أيديهم ومن خلفهم سَدُّ]

(2) من الآية: 13 من سورة الحديد: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُوْرٍ لَهُ بابٌ بَاطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ...﴾. (3) في (ص): "وطارق".

(4) لعلّ المعنى مأخوذ من قول أبي تمام، الدّيوان: 197/1:

لم يغز قوماً ولم ينهض إلى بلدٍ ... إلاّ تقدّمه جيش من الرّعب

(5) من الآية: 4 من سورة المنافقون.

(6) من الآية: 102 من سورة يوسف: ﴿ومَا كُنْتَ لَدَيْهِم إذْ أجْمَعُوا أمْرَهُم وهُمْ يَمْكُرُوْنَ﴾.

(7) في الأصل: "أحصا"، سقطت من (ص).

(8) من الآية: 35 من سورة ق: ﴿لَهُم مَا يَشَاءُونَ فِيْهَا ولَدَيْنَا مَزِيْد﴾. (9) من الآية: 16 من سورة ق.

بأقصَى المَمَالِكِ ﴿ومَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ بِبعِيْد﴾[1] ويَكُوْنُ مُسْقِطاً للعَدُوِّ في حَالِ سُكُوْنِهِ؛ فَإنَّهُ قَدْ يَتحامَلُ[2] الجَرِيْحُ، ويَتحَرَّكُ الذَّبِيْحُ، والحَازمُ مَنْ تَرَاه في الأَمْنِ في درْعِهِ فَلاَ تَبْدُو لَيْلَة إلاَّ وهو لَهَا مُتَيَقِّظٌ في العَدُوِّ، وإنْ غَفِلَ مُشَمِّرَاً لَهُ عَنْ سَاقِ العَزْمِ، وإنْ أسْبَلَ مَلاَبِسَ غُرُوْرِه ورَفَلَ؛ فإنَّهُ إذا فَعَلَ ذَلِكَ لم يَلْحَقْهُ نَدَمٌ ولا لَوْمٌ، والخَاسِرُ مَنْ جَلَبَتْ عليهِ تَعَبَ سَنَةٍ رَاحَةَ يَوْمٍ، ولْيَكُنْ، ولَهُ مِنَ الكَشَّافَةِ في كُلِّ فَرِيْقٍ فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ، ومِنَ القُصَّادِ بِكُلِّ طَرِيْقٍ عُصْبَةٌ بأَسْرَارِ القُلُوْبِ مُنَاجِيَة، لِيَعْلَمَ مَا يَأْتِي ومَا يَذَر، وإذا لَمْ يَأْت[3] بِغَدْوَة حَرَاك، فَمَا يَضرُّ مع الأَمْنِ مَبِيْتَهُ على حَذَرٍ، ولْيَضُمَّ الأَطْرَافَ الّتي يَطْمَعُ العَدُوُّ بِهَا في فُرْصَةٍ تَخْتَلِسُهَا، أو دَنِيَّةٍ يَفْتَرِسُهَا، ولْيَتَعَاهَدْ مِنْهُ رِجَالَ الثَّغْرِ بالإِحْسَانِ الّذي يُؤكِّدُ طَاعَتَهُم، ويُجَرِّدَ قُوَّتَهُم في الجِهَادِ واسْتِطَاعَتِهِم، فَإنَّهُم ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[4]، وتَقرَّبُوا بالجِهَادِ في سَبِيْلِهِ إليهِ، ولا يَدَعْ بالثَّغْرِ مَمْلُوْكَاً نَصْرَانِيَّاً؛ فَإنَّهُ يَطَّلِعُ على الأَسْرَارِ، ويَتَطَلَّعُ إلى الكُفَّارِ، ﴿ولَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَأولَئِكَ[5] يَدْعُوْنَ إلى النَّارِ﴾[6]".

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي أَنَّهُ أَرْسَلَ طَيَّهَا قَصِيْدَةً تَنُوْبُ عَنْ حُضُوْرِه، وتَعْتَذِرُ لِقُصُوْرِه[7]، وتُنْبِئُ[8] عن مُسَاهَمَةِ[9] خَاطِرِهِ الخَاطِرَةِ الكَرِيْمِ في مَسَاءَتِهِ[10] وسُرُوْرِه:

ومَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَىً ... بَكَى بِعُيُوْنٍ سَرَّهَا وقُلُوْبِ[11]

ولَمَّا سَئِمَ المَمْلُوْكُ قَلَمُهُ السَّعْيَ في ذَلِكَ مَالَ إلى النُّفُوْرِ وجَنَحَ، وقَالَ: مَا عَادَتِي أنْ أَسْعَى إلى هَذَا الجَنَابِ الشَّرِيْفِ إلاَّ في التَّهَانِي والمَدْحِ، فَقَالَ لَهُ المَمْلُوْكُ: إنَّ مَسَاءَ تِلْكَ المَسَاءَةِ[12] أَوْجَبُ أَجْرَاً، واسْتَقْبِلْ مِنَ المَسَاءِ فَجْرَاً.

---

(1) من الآية: 83 من سورة هود.

(2) التّحامل: تكلّف الأمر على مشقّة وإعياء. (لسان العرب: حمل).

(3) في الأصل: "يأتي"، وسقطت من (ص).

(4) من الآية: 23 من سورة الأحزاب.

(5) في (ص): "اولئك".

(6) من الآية: 221 من سورة البقرة.

(7) في (ص): "لقصوه".

(8) في (ص): "تنبي".

(9) في (ص): "مساومة".

(10) في الأصل و(ص): "مسَاته".

(11) البيت للمتنبّي، الدّيوان: 49/1.

(12) في الأصل: "المسآه".

فكَتَبَ مَا يَقِفُ الخَاطِرُ الشَّرِيْفُ على مَضْمُوْنِهِ، ويَتَحَقَّقُ بِهِ أنَّ لِمِضْمَارِ حقِّهِ مَدَىً تَقِفُ جِيَادُ القَرَائِحِ مِنْ دُوْنِهِ".

ومِنْهُ قوله: "يُقبِّلُ الأرْضَ رَافِعاً مُجَابَ الدُّعَاءِ، فَاسِحاً مَجَالَ الوَلاَءِ، نَاشِراً على أعْطَافِ الطُّرُوْسِ حُلَلَ الثَّنَاءِ، مُبَشِّراً نَفْسَهُ والمُسْلِمِيْنَ بمَا مَنَّ اللهُ بِهِ مِنْ قُدُوْمِ مَوْلاَنَا تَحْتَ أَلْوِيَةِ الظَّفَرِ والنَّصْرِ مَحْبُوّاً بِيُمْنِ[1] العَزَمَاتِ الّتِي قَسَّمَتْ أَعْدَاءَ اللهِ وبلاَدَهُم بَيْنَ الحَصْدِ والحَصْرِ، مُتَوَسِّلاً إلى اللهِ تَعَالَى أنْ يَجْعَلَ عَزَمَاتِهِ المُرْهَفَةَ فِي سَبِيْلِ اللهِ حَيْثُ سَلَكَتْ مَلَكَتْ، وسُيُوْفَهُ المُجَرَّدَةَ على أعْدَاءِ اللهِ أيْنَ سَفَرَتْ مِنَ الغُمُوْدِ سَفَكَتْ".

ومِنْهُ قَوله مِنْ تَوْقِيْعِ حِسْبَةٍ[2]: "وبَعْد. فَإنَّ أوْلَى مَا أنْعَمَ فِيْهِ نَظَرَ الاخْتِيَار، وأمْعَنَ فيهِ تَدَبُّرَ الارْتِيَاد والاعْتِبَار، أمْرٌ تَعِمُّ الأُمَّةَ مَنَافِعَهُ، وتُتِمّ بِهِ بَرَكَات الرِّزْق الّذي تَدِرُّ بالتَّقْوَى مَنَابِعُهُ، ويُزَالُ بِهِ الغُشّ عَنْ الأُمَّةِ فِي المَلاَبِسِ والمَطَاعِمِ، ويُذَادُ بِهِ النَّجَسُ فِي المِكْيَالِ والمِيْزَانِ اللّذَيْنِ هُمَا مِنْ أَظْهَرِ المَضَارِّ، وأخْفَى المَظَالِمَ، وتُرَاعَى بِهِ الهَيْئَات الدَّالَّةُ على إتْمَامِ المُروءةِ وإكْمَالِهَا، وتُدْحِضُ بِهِ النَّقَائِصَ الّتِي تُنْتَقدُ على أرْبَابِ المَكَانَاتِ فِي أقْوَالِهَا وأعْمَالِهَا، ولَمَّا كَانَتْ الحِسْبَةُ هي الأمْرُ الّذي اشْتَرَكَ عُمُوْم نَفْعِهِ، والمَعْنَى الّذي نَبَّهَ على حُصُوْلِ الاضْطِرَارِ إليهِ فِي إبَاحَةِ الشّيءِ ومَنْعِهِ، والسَّبَبُ الّذي يُحْسَمُ بِهِ مَوَادّ الأذَى فِي التَّعَرّضِ إلى البُيُوْعِ الفَاسِدِة، والإقْدَامِ على مَزْجِ الأقْوَات النَّافِقَةِ[3] بالكَاسِدَة، والتَّحَرّز مِنَ الغُشِّ فِي الأشْيَاءِ الّتِي لا يَتْرُكُ صَانِعُهَا هو وأمَانَتَهُ، ولا يَقْنَعُ مِنْهَا بسوَى اليَقِيْن، وإنْ غَلَبَتْ على وَاضِعِهَا عِفَّتُهُ وصِيَانَتُهُ، فَإنَّ البَلْوَى بهَا قَدْ تَعِم، والجَزْم بهَا فِي تَرْكِ التَّقْلِيْدِ، وإذا كَانَتْ الأفْرَادُ لا تَظْهَرُ مع الهَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، فَبيْنَ مَنْ يَتَحَرَّاهَا بالمُبَاشَرَة وبَيْنَ مَنْ يَتَلَقَّاهَا بالقَبُوْل بَوْنٌ بَعِيْد.

فَلِذَلِكَ يَتَعَيَّنُ أنْ يَكُوْنَ مُبَاشِرُهَا مِمَّنْ هَدَتْهُ العُلُوْمُ الدِّيْنِيَّةِ إلى[4] ما يُعْتَمَدُ مِنْ مَصَالِح لا يَخْرُج فيها عَنْ حُكْمِهَا وَجَدَتْهُ القَوَاعِدُ الشَّرْعِيَّة إلى مَا تَسْتَنِدُ إليهِ[5] مِنْهَا مِنْ عَوَائِد لا

---

(1) في (ص): "فيمن".

(2) الحسبة: ذكر القلقشندي، صبح الأعشى: 38/4: "الحسبة: وهي وظيفة جليلة رفيعة الشّأن، وموضوعها التّحدث في الأمر والنّهي، والتّحدث على المعايش والصّنائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصّلاح في معيشته وصناعته وبالحضرة السّلطانيّة محتسبان: أحدهما بالقاهرة، وهو أعظمها قدراً وأرفعها شأناً، ...والثّاني بالفسطاط ومرتبته منحطّة عن الأوّل".

(3) في (ص): "النافقدة".

(4) من هنا سقط من (ص).

(5) إلى هنا انتهى السّقط من (ص).

يَعْدِلُ بِهَا عَنْ وَسْمِهَا الشَّرِيْف ورَسْمِهَا".

وكَانَ فُلاَنٌ هو مَعْنَى هَذِهِ الأَلْفَاظِ المُجْمَلَةِ، وسِرّ هَذِهِ[1] المَقَاصِدِ الَّتِي كَانَ يَحْتَاجُ إِيْضَاحُهَا مِنْ ذِكْرِهِ إلى التَّكْمِلَةِ، وبتَجَارِبِهِ للفَضَائِلِ قُوَّةٌ في الحَقِّ لا تَسْتَقِرّهَا الرُّقَى، واسْتِقَامَةٌ في الإِنْصَافِ لا تُمِيْلُهَا الأَهْوَاءُ عن سُنَنِ التُّقَى.

ورَسَمَ بالأَمْرِ الشَّرِيْفِ أَنْ يُفَوِّضَ إليهِ نَظَرَ الحِسْبَةِ الشَّرِيْفةِ تَفْوِيْضاً يَمْضِي حُكْمُهُ في مَصَالِحِهَا، ويَحْمِلُ نَظَرَهُ في دَانِي الأُمُوْرِ ونَازِحِهَا، فَلْيَفْعَلْ في ذَلِكَ مَا تَقْتَضِيْهِ هَذِهِ الرُّتْبَةُ مِنْ مَنْعِ احْتِكَارٍ، وقَطْعِ أسْعَارٍ، وتَفَقُّدِ مَا يُصْنَعُ مِنْ مَنْسُوْجٍ ومَرْقُوْمٍ، ومَشْرُوْبٍ ومَطْعُوْمٍ، ومَجْلُوْبٍ ومَخْزُوْنٍ، ومَكِيْلٍ ومَوْزُوْنٍ، ومَعْدُوْدٍ ومَدْرُوْعٍ، وبَاقٍ على هَيْئَتِهِ ومَصْنُوْعٍ، ويَجْعَلُ لِذَلِكَ حَدّاً في الجَوْدَةِ مَعْلُوْماً، وقَدَراً في القِيْمَةِ مَفْهُوْماً، ووَصْفاً في العُلُوِّ والدُّنُوِّ والتَّوَسّطِ بَيْنَهُمَا مَرْسُوْماً.

ومِنْهُ قَوله، توقيع خَطَابَة[2]: "وبَعْد. فَإِنَّ صَهَوَاتِ المَنَابِرِ لا تَسْتَقِلُّ بِكُلِّ رَاكِبٍ، ولا تَسْتَقِرُّ إلاَّ تَحْتَ كُلِّ فَارِسٍ يُزَاحِمُ شَرَفُ عِلْمِهِ الكَوَاكِبَ بالمَنَاكِبِ، ولا يُذْعِنُ إلاَّ لِمَنْ إذا امْتَطَى أَعْوَادَهَا أطَالَ في المَعْنَى وأطَابَ، وإذا قَالَ: أَمَّا بَعْد. لم تَخْتَلِفْ الآرَاءُ في أَنَّهُ دَلَّ على الحِكْمَةِ بفَصْلِ الخِطَابِ، وإذا ذَكَّرَ بأَمْرِ اللهِ أصْحَبَ كُلّ قَلْبٍ جَامِحٍ، وغَضَّ[3] كُلَّ طَرْفٍ طَامِحٍ، ورَدَّ كُلَّ عَبْدٍ عن طَاعَةِ ربِّهِ نَازِحٍ، وأصْغَى مَنْ صَغَى[4] مِنْهُ إلى قَوْلِ مُشْفِقٍ في اللهِ[5] صَالِحٍ، وخَرَجَتِ المَوْعِظَةُ مِنْهُ عن لِسَانِ صَادقٍ فَلَمْ تَعدّ حَبَّاتِ القُلُوْبِ، ويَتْبَعُ كَلاَمهُ أدْوَاءِ الضَّمَائِرِ فَشَفَاهَا، ولا دَاءَ أَوْجَعُ مِنَ الذُّنُوْبِ.

ووَثِقَتْ النُّفُوْسُ في أنَّهُ قَوْلُ إمَام عَصْرِهِ، فَتَلَقَّتْهُ بالتَّسْلِيْمِ، وجَلَسَتْ العُلَمَاءُ تَحْتَهُ للاقْتِدَاءِ بفَوَائِدِهِ، فَكَانَ على الحَقِيْقَةِ: ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيْم﴾[6]، وأحَقُّ المَنَابِرِ بارْتِيَادِ مِنَ يَصْلُح لاقْتِعَادِ غَارِبِهَا، وأوْلاَهَا بالصّدُوْدِ عَمَّنْ بَرَزَ في صُوْرَةِ خَاطِبِهَا، مَا كَانَ مِنْ

---

(1) في (ص): "هاذه".

(2) ذكر القلقشندي، صبح الأعشى: 40/4: "أنّ الخطابة أجلّ الوظائف وأعلاها رتبة، إذ كان النبيّ يفعلها بنفسه، ثمّ فعلها الخلفاء الرّاشدون ممّن بعدهم،...".

(3) في (ص): "وغضّن".

(4) في (ص): "صغا".

(5) في (ص): "لله".

(6) من الآية: 76 من سورة يوسف.

أعْظَمِهَا رِفْعَةً، وأكْرَمِهَا بُقْعَةً، وأفخمِهَا جَمَاعَةً وجمْعَةً، وأقْدَمِهَا شُهْرَةً في الآفَاق وسُمْعَةً، وأعْجَبِهَا بِنَاءً وأبْنَاء، وأحملَهَا عَنْ أئِمَّةِ الأُمَّةِ أثْقَالاً وأعْبَاء، وأكْثَرِهَـا زَجَـلاً بـالتِّلاَوَةِ والأذْكَارِ، وأعْمَرِهَا :﴿بِالقَانِتِيْن والمُنْفِقِيْنَ والمُسْتَغْفِرِيْنَ بالأسْحَارِ﴾[1].

ولَمَّا كَانَ المَسْجِدُ الجَامِعُ بِدِمَشْقَ المَحْرُوْسَةِ هـو الّـذي زَاحَـمَ الأرْضَ المُقَدَّسَـةَ بِمَنْكِبَيْهِ[2]، فَلَو كَانَ لِلمَسَاجِدِ الثَّلاثَةِ رَابِعٌ لَشُدَّتْ إليهِ الرِّحَالُ[3]، وتَحقّقَ بالرِّفْعَةِ الّـتي لا تُسَامى.

إنَّ نُوْرَ المَشْكَاة تُشرِقُ مِنْ أرجَائِهِ ﴿في بِيُوْتٍ أَذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيْـهَا اسْـمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيْهَا بالغُدُوِّ والآصَالِ﴾[4] رِجَالٌ تَعَيَّنَ أنْ يُخْتَارَ لَهَا مَنْ هُوَ رَجُلُ المَنَابِر، وبَطَـلُ المَحَابِرِ، وهو فُلاَن الّذي سَفَّتْ مَوَاعِظُهُ القُلُوْبَ، وأثْمَرَتْ بالتُّقَى، واسْـتَلَّتْ سَـخَائِمَ[5] الصُّدُوْرَ، واسْتَقَرَّتْ مِنَ المُصَلَّى على التُّقَى[6].

ورَسَمَ بالأمْرِ الشَّرِيْفِ أنْ يُفَوِّضَ إليهِ الإمَامَةَ بالمَسْجِدِ الجَامِعِ بِدِمَشْقَ[7] المَحْرُوْسَـةِ، والخَطَابَةَ بِمِنْبَرِه الكَرِيْمِ عَمَلاً بالأوْلى في التَّقْدِيْمِ واحْتِيَاطاً للإمَامَةِ الّتي هي أَثْبَتُ دَعَـائِمِ الدِّيْنِ القَوِيْمِ، فَلْيَحِلَّ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الّتي لم تُقَرَّبْ لِغَيرِه جِيَادُهَا، ولْيَحِلْ هَذِه العَقِيْلَة الّـتي لا تُزَانُ بِسوَى العِلْمِ والعَمَلِ أجْيَادُهَا، ويَرْقَ هَذِهِ الهَضَبَةَ الّتي يَطُوْلُ إلاَّ على مِثْلِهِ صُعُوْدُهَـا، ويَلْقَ تِلْكَ العُصْبَةَ الّتي تَجْتَمِعُ للاقْتِدَاءِ بِهِ حُشُوْدُهَا، ويَعْلَمُ إنَّهُ في مَوْقِفِ الإبْلاَغِ عَـن اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِه، والإنْذَارِ بِمَا وَرَدَ عن اللهِ ورَسُوْلِهِ على مُرَادِ اللهِ ورَسُوْلِهِ لا مُرَادِه، وتَحْـتَ مِنْبَرِهِ مِنَ الأعْيَانِ مَنْ أنْ يَلْقَى غَيْرَهُ القَوْلَ بتَقْلِيْدِه، تَلَقَّاهُ بانْتِقَائِهِ وانْتِقَاده، فَيَعْتَصِمُ بـاللهِ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ، ويَتَيَقَّنُ أنَّ " الكَلِمَةَ إذا خَرَجَتْ مِنَ القَلْبِ لاَ تَقَعُ إلاَّ في مِثْلِهِ"[8].

---

(1) من الآية: 17 من سورة آل عمران.

(2) من وصايا لقمان لابنه: "يا بني زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإنّ القلب يحيا بنور العلم كما تحيـا الأرض الميتة بمطر السّماء. انظر: (العقد الفريد: 112/3).

(3) عن أبي هريرة –رضي الله عنه– يَبْلُغُ به النبيّ–صلّى الله عليه وسلّم–: "لا تُشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي والمسجد الأقصى". (صحيح مسلم: 168/9، وكشف الخفاء: 354/2).

(4) من الآية: 36 من سورة النّور.

(5) السّخائم: جمع سخيمة، والسّخيمة الحقد والضّغينة والموجدة في النّفس. (لسان العرب: سخم).

(6) في الأصل: "التّقا"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) جامع دمشق، ويقال له جامع بني أميّة، والجامع الأمويّ، والجامع المعمور،...انظر: (الدّارس في تاريخ المدارس: 285/2).

ولْيَجْعَلْ خُطْبَةَ كُلِّ وَقْتٍ مُناسِبَةً لأحْوَالِ مُسْتَمِعِيْهَا، مُتَنَاسِبَةً في وضُوْحِ المَقَاصِدِ بَيْنَ إدْرَاكِ مَنْ يَعِي غَوَامِضَ الكَلاَمِ وَمَنْ لا يَعِيْهَا، ولْيُوَشِّحْ خُطْبَتَهُ بالدُّعَاءِ لإمَامِ عَصْـــرِه، ومَـــالِك أمْصَارِ الإسْلاَمِ مع مِصْرِه، وللأمَّةِ بعُمُوْمِ تَخْصِيْصِهِ وحَصْرِه، وهُوَ يَعْلَمُ أنَّــهُ يَكُـــوْنُ في المِحْرَابِ مُنَاجِياً لِرَبِّهِ، واقِفاً بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ "يَحُوْلُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ"[1]، فَلْيَلْجَأْ إلى اللهِ تَعَـــالَى في الإعَانَةِ بالإخْلاَصِ على هَوْلِ مَقَامِهِ، ويَسْألُهُ التَّثْبِيْتَ بالعِصْمَةِ في مُسْـــتَقَرِّه ومَقَامِـــهِ، ولْيُرَاعِ مِنْ وَرَاءَهُ مِنْ أهْلِ التَّكْلِيْفِ، وتُكثِرُ جَمَاعَتُهُم بتَجَنُّبِ مَا نَهَى النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم- مُعَاذاً مِنْ تَرْكِ التَّخْفِيْفِ، ولْيَنْظُرْ في عُمُوْمِ اسْتِطَاعَتِهِم دُوْنَ خُصُوْصِهَا؛ فَإنَّ فيــهم العَاجِزَ، وذَا الحَاجَةِ والضَّعِيْفَ[2]، ولْيُحَافِظْ[3] على فُرُوْضِ الكِفَايَاتِ الوَازِعَةِ، والسُّنَنِ الَّتِي يُنَادَى لَهَا الصَّلاَةُ جَامِعَة، ولْيَغْرِسْ في كُلِّ قَلْبٍ حُبَّهُ، لِيَقُوْمُوا إلى الائْتِمَامِ بِهِ وهُم فَارِهُوْن، ولْيَعْمَلْ في البَدَاةِ في ذَلِكَ بصَلاَحِ نَفْسِهِ، فَقَدْ جَعَلَ -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم- مِمَّنْ لا تَجَاوَز صَلاَتُهُم آذَانَهُم مَنْ أمَّ قَوْماً وهُمْ لَهُ كَارِهُوْنَ"[4].

ولَهُ مِمَّا كَتَبَهُ على قَصِيْدَة: "فَلَيْسَ فيها بَيْتٌ دَخَلَ في شَفَاعَةِ أخِيْهِ، ولا مَعْنَىً يَثْبُـــتُ على قَوَاعِدِ الصِّحَّةِ أو أخِيْهِ، ولا كَلِمَة يَصْلُحُ في مَكَانِهَا سِوَاهَا، ولا قَافِيَة أوْهَى السِّـنَادُ[5] رُكْنَهَا، أو أضْعَفَ الإقْـــوَاءُ[6] قُوَاهَا، وكُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا بَيْت قَصِيْدٍ يُعْقَدُ بالخَنَاصِرِ عليهِ، أو

- (8) ورد في المخلاة: 214:" وقال زياد: إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج الكلام من اللّسان لم يجاوز الأذان".

(1) من الآية: 24 من سورة الأنفال: ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُوْلُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ﴾.

(2) من قول رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "إذا صلّى أحدكم للنّاس فليخفّف فإنّ منهم الضّعيف والسّقيم والكبـــير، وإذا صلّى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء". (صحيح البخاريّ: 83/5).

(3) في (ص): "وليحافض".

(4) من قول رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: "ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتّى يرجع، وامرأة باتت وزوجــها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون". (سنن الترمذيّ: 193/2).

(5) السّناد: من عيوب الشّعر، وهو اختلاف الأرداف، كقول عبيد بن الأبرص:

فقد أَلِجُ الخِباءَ على جَوَارٍ، كَــأنَّ عُيونَهُنَّ عُيونُ عِيْـــنِ

ثمّ قال:

فَإنْ يَكُ فاتني أسَفاً شبابي وأضحى الرّأس منّي كاللُّجَيْنِ

وهذا العجز الأخير غيّره الجوهريّ فقال: "وأصبح رأسه مثلَ اللُّجَيْنِ".

والصّواب في إنشادهما تقديم البيت الثّاني على الأوّل. وروي عن ابن سلام أنّه قال: السّناد في القوافي مثل: شَيْبٍ وشِيـــبٍ. (لســان العرب: سند).

(6) الإقواء: عيب من عيوب الشّعر، وهو أن تختلف حركات الرّويّ، فبعضه مرفوع وبعضه منصوب أو مجرور. أبــو عبيــدة: الإقواء: في عيوب الشّعر نقصان الحرف من الفاصلة يعني من عروض البيت، وهو مشتقّ من قوّة الحبل كأنّه نقص قُوّة من قــواه،... (لسان العرب: قوا).

سِلْكٍ فَرِيْدٍ يُشَارُ بِبَنَانِ البَيَانِ إليهِ، أو مَقَرّ مَعْنًى[1] رَئِيْسٍ تَجْلِسُ نَفَائِسُ المَعَانِي بَيْنَ يَدَيْـــهِ، وأمَّا نَظْمُهُ فَمِنْهُ قَوله:

هَذَا ولَمْ يَبْقَ لِي فِي لِذَّة أَرَبٌ إلاَّ اجْتِمَاعِي بِأَصْحَابِي وإلْزَامِي
وأيْنَ هُم خَلَّفُوْنِي مُفْرَدًا ونَأوُا فَبِـــتُّ أُسْهرُ أجْفَانِـــي لِنُـــوَّامِ
وأيْنَ نَيْـــلَ مَرَامِي مِنْ لِقَائِهِم ضَاقَ الزَّمَانُ وهَيَّأ سَهْمَهُ الرَّامِي

ومِنْهُ قَوله:

مَلِكٌ تَوَطَّـــدَ رُكْنَـــهُ مِـــنْ مُلْحِدٍ أو مُعندٍ بِجِـــدَالِهِ وجِـــلاَدِه
ألْفَ الوَقَائِعَ والسُّرَى دُوْنَ الكَرَى فَقُصُوْر لَذَّتِهِ ظُهُوْر جِيَـــادِه
يَرْوِي لِسَانَ سِنَـــانِهِ فِي حَـــرْبِهِ خَبَرُ الْمُدَرّعِ عن صَمِيْمِ فُؤَادِهِ
مُتَيَقِّظ العَزَمَـــاتِ تَعْجَـــل بَأسِهِ جَيْش العَدُوِّ بِهَا عن اسْتِعْدَادِه

ومِنْهُ قَوله:

بَانُـــوا بِقَلْبِـــي وقَلْبِـــي سَارَ يَتْبَعُهُ فَلَسْتُ أطْمَعُ مِنْهُم فِي خَيَالِ كَرَى
ويَح الْمُحِبّ الّذي سَارَتْ أحِبَّتُهُ عَنْهُ ولَمْ يَقْضِ مِنْ تَوْدِيْعِهِـــم وطَـــرَا
وخَلَّفُوْهُ يُنَاجِـــي الرَّكْبَ بَعْدَهُـــمُ فَـــلاَ يُبْلِّغَـــهُ عن رَكْبِهِـــم خَبَرَا
بَانُوا فَصَوَّح نَبْتُ الرَّوْضِ بَعْدَهُـــم هَذَا وقَدْ غَادَرُوا دَمْعِي بِهِ غُـــدُرَا

ومِنْهُ قَوله يُعَزِّي بِبِنْتٍ:

وكَمْ أوْجُهٍ قَدْ غِبْنَ فِي ظُلْمَةِ الثَّرَى ولَمْ يَرَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ[2] كَوْكَب
ولا كَالَّتِي فِي المَجْدِ خَـــالاَت أمِّهَا رُقَيَّـــة بِنْتُ الهَاشِمِـــيّ وزَيْنَـــب

ومِنْهُ قَوله:

رَأتْنِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُـــوْلُ وفَاضَتْ[3] دُمُوعِي على الخَدِّ فَيْضَا
وقَالَتْ[4]: بِعَيْنِي هَذَا السّقَامُ فَقُلْـــتُ: صَدَقْتِ وبالخَصْـــرِ أيْضَا

---

(1) في (ص): "مغنى".

(2) في (ص): "اليل".

(3) في حسن التّوسل: 306: "فاضت".

(4) في حسن التّوسل: 306، وأعيان العصر: 388/5، والغيث المسجم: 262/1، وفوات الوفيات: 84/4، والنّجوم الزّاهـــرة: 265/9، ونهاية الأرب: 171/7، وخزانة الحموي: 260/1، والدّرر الكامنة: 93/5: "فقالت"، انظـــر أيضـــاً: معـــاهد التّنصيص: 185/3، وأنوار الرّبيع: 207/2.

ومِنْهُ قَوله:

وَرَأيْتَهُ فِي المَـــاءِ يَسْبَحُ مَــرَّةً والشَّعْرُ قَدْ رَفَّتْ عليهِ ظِلاَله
فَظَنَنْتُ أنَّ البَدْرَ قَابَلَ وَجْهُهُ وجهَ الغَدِيْرِ فَلاَحَ فيهِ خَيَاله[1]

ومِنْهُ قَوله:

وسَرَتْ بِهِ فِي البَحْرِ جَارِيَـــةٌ سَوْدَاءُ يَسْبَقُ سَيْرَهَا الشُّهُبَا
لَوْ أَنَّ حَكَمَ البَحْرِ طَوْعُ يَدِي لأخَذْتُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْبَا[2][3]

ومِنْهُ قَوْله:

أقُــولُ لَــهُ والغُصْــنُ يُشْبِــهُ قَــدَّهُ أدَاعِبُهُ والظَّبْــي تَحْسَبُ إيَّاهُ
أفِيْكَ سِوَى ذَا الوَجْهِ يَسْبِي بِهِ الوَرَى فَقَالَ: وهَلْ فِي البَدْرِ إلاَّ مُحَيَّاهُ[4]

ومِنْهُ قَوله:

مَضُوْا فاسْتَرَدَّ الدَّهْرُ أُنْسِي الَّذي مَضَى كَانَ لَهُ عِنْدِي بِقُرْبِهِم قَرْضَا
وبَانُوا فَآلَى البَان لا مَالَ[5] بَعْدَهُم ولا عَانَقَتْ أغْصَانُهُ بَعْضَهُ[6] بَعْضَا

ومِنْهُ قَوله:

هُنِّيْتُ بالطِّفْلِ الَّذي اسْتَرْجَعْتْ بِهِ العُلَى مَا ضَاعَ مِنْ دَيْنِهَا
تَكَادُ تَخفَى الشَّمْسُ إنْ قَابَلَتْ طَلْعَتَهُ خَوفَــاً على عَيْنِــهَا

ومِنْهُ قَوله:

دَعْ فُؤَادِي والصِّبا إنَّ الصِّبَــا عَالَجَتْ سُكْرَ فُؤَادِي فَصَحَا
وأعِدْ لِي ذِكْرَ مَنْ حَلَّ الحِمَى[7] فَعَسَى يَرْجِــعُ قَلْب نَزَحَــا
يَا أخِلاَّئِي ومَنْ حَسَّنَ لِــي كَلَفِي فَهْوَ الَّذي قَدْ نَصَحَا
أَرْشِدُوْنِي هَلْ قَضَى حَقّ الهَوَى مَنْ يَبْذُلَ الرُّوْحَ فِيْهِ سَمْحَا

---

(1) البيتان وردا في فوات الوفيات: 85/4.
(2) من الآية: 79 من سورة الكهف: ﴿وكَانَ وَرَاءهُم مَلِكٌ يَأخُذ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصبَاً﴾.
(3) البيتان وردا في فوات الوفيات: 85/4.
(4) البيتان وردا في تذكرة النّبيه: 154/2.
(5) في فوات الوفيات: 92/4: "لا بان".
(6) في فوات الوفيات وتذكرة النّبيه: 154/2: "بعضها".
(7) في (ص): "الحما".

ومِنْهُ قَوله يَرْثِي شَيْخَهُ مَجْد الدِّين بن الظَّهير[1]:

بَكَتْــهُ مَعَالِيْــهِ ولَــمْ يُــرَ قَبْلَــهُ   كَرِيْمٌ مَضَــى والمُهْلِكَاتُ نَوَادِبُــه

ولا غَرْوَ أنْ تَبْكِي المَعَالِــي بِشَجْوِهَا   على المَجْدِ إذْ أوْدَى وهُنَّ صَوَاحِبُه

أمَا والّذي أرْسَــى ثَبِيْرَاً[2] وحلمَــهُ   لَقَدْ طَاشَ حِلْمِي يَوْمَ زُفَّتْ رَكَائِبُه

وَقَفْنَــا وقَدْ جَــدَّ الوَدَاعُ عَشِيَّــةً   فَمُمْسِكٌ دَمْــعَ يَوْمَ ذَاكَ وسَاكِبُه

أنُوَدِّعُ نَفْسَ المَجْــدِ بَيْتَــاً مصرَعَا   طَوِيْــلاً علــى زُوّاره مُتَقَارِبُــه

ظَنَنْــتُ بأنِّــي مُخْلِــصٌ في وِدَاده   وأخْطَأَ وهْمِــي أسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُه

رَجَعْتُ وأمْسِى الجُوْدُ يَصْحَبُ نَفْسَهُ   إلى رَمْسِهِ فالجُــوْدُ لا أنَا صَاحِبُه

ومِنْهُ قَوله:

قُلْ لِي عَنِ الحَمَّامِ كَيْفَ دَخَلْتَهَا[3]   يَا صَاحِبِي[4] لِتَسُرَّ خِلاًّ مُشْفِقَا

أدَخَلْتَهَا[5] وأولَئِك الأقْــوَامُ قَدْ   شَدُّوا المَآزِرَ فَوْقَ كُثْبَانِ النَّقَا[6]

ومِنْهُ قَوله، يَصِفُ قَنَاةً احْتُفِرَتْ وانْبَطَّ[7] مَاؤُهَا لِقَرْيَةِ المعيصرة[8]:

أعَرْتُهَــا نَظْــرَةً غَرَّاءَ لو لَمَحَــتْ   سَحَائِب الصَّيْفِ لانْهَلَّتْ غَوَادِيْهَا

فَأصْبَحَتْ مِثْل ظَهْــرِ الأرْضِ بَاطنها   نُوْرَاً كَأنَّ الثُّرَيَّــا رُكِّبَــتْ فِيْهَا

يَكَادُ يَقْطَعُهَــا السَّارِي علــى فَرَسٍ   رَكْضَــاً ولَيْسَ تُدَانِيْــهِ أعَالِيْهَــا

تَبْدُو[9] على التُّرْبِ مِنْ بَطْنِ الثَّرَى فَتَرَى[10]   تُقَبِّلُ الأرْضَ إجْلاَلاً لِمُنْشِيْهَــا

---

(1) هو محمّد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الإربلي (602-677هـ)، شاعر، أديب، من فقهاء الحنفيّة، ولــد بــإربل، وتنقّل في العراق والشّام، ومات بدمشق. انظر: (مسالك الأبصار: 87/16، وفوات الوفيات: 301/3، وبروكلمــان: 22/5، والأعلام: 323/5).

(2) في (ص): "بتيرا"، وثبير: من أعظم جبال مكّة، بينها وبين عرفة، سمّي ثبيراً برجل من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف الجبــل به، واسم الرّجل ثبير. (معجم البلدان: 72/2).

(3) في مطالع البدور: 12/2: "كيف دخلته".

(4) في أعيان العصر: 381/5، والغيث المسجم: 123/1، ومطالع البدور: 12/2: "يا مالكي".

(5) في مطالع البدور: "أدخلته".

(6) البيتان وردا في فوات الوفيات: 85/4.

(7) نَبَطَ: النَّبْط: الماء الّذي يَنْبُطُ (ينبع) من قعر البئر إذا حُفِرَتْ. (لسان العرب: نبط).

(8) لم أقف عليها في المصادر الّتي رجعت إليها.

(9) في (ص): "تبدوا".

(10) في (ص): "فترى".

ومِنْهُ قَوله:

إذا دَغْدَغَتْني أَيْـــدِي النَّسِيْـــمِ فَمِلْتُ وعِنْدِي بَعْضُ الكَسَلْ

فَسَلْ كَيْفَ حَال قُدُوْدِ المِلاَحِ وعَنْ حَالِ سُمْرِ القَنَا لا تَسَلْ(1)

ومِنْهُ قَوله يَمْدَحُ المَنْصُور لاجين(2) أيَّامَ نِيَابَتِهِ بالشَّامِ، ويَذْكُرُ إحْرَاقَهُ نَصْرَانِيًّا تَعَـــرَّضَ إلى مُسْلِمَةٍ في رَمضان:

يَا مَنْ بِــهِ وبِرَأيِــهِ ورُوَائِــهِ بَلَــغَ المُــرَادَ الدِّيْــنُ مِنْ أعْدَائِهِ

يَا كَافِلَ الإسْلاَمِ قَبْلَكَ لَمْ يَقُم هَــذَا المَقَــامَ سِوَاكَ مِنْ كُفَلاَئِهِ

أرْسَلْتَها بالعَدْلِ أحْسَنَ سِيْــرَةٍ بكَ يَقْتَدِي مَنْ كَانَ مِنْ أكْفَائِهِ(3)

وغَضِبْتَ للإسْلاَمِ غَضْبَةَ(4) ثَائِرٍ للهِ غَيْــرِ مُشَــارِكٍ في رائِهِ

وحَمَيْتَ سَرْحَ الدِّيْنِ مِنْ مُتَخَلِّسٍ رَخْسٍ يَشِيْنُ(5) الغَدْرَ في اسْتِخْفَائِهِ

أخْفَى سُرَاهُ إلى الحَرِيْمِ ومَا دَرَى أنَّ الإلَــهَ وأنْتَ مِــنْ رُقَبَائِهِ

جَمَعَ الخِيَانَةَ والخَنَا في الأرْضِ والإ شَرَاكِ بالرَّحْمَنِ فَــوْقَ سَمَائِهِ

فَأمَرْتَ أَمْــرًا جَازِمًــا بِحَرِيْقِهِ ورَأيْتَ أنَّ القَتْــلَ دُوْنَ جَزَائِهِ

طَهَّــرْتَ مِنْ دَمِهِ الثَّرَى وقَذَفْتَهُ في النَّارِ إذْ هي مُنْتَهَــى نُظَرَائِهِ

ورَفَعْتَ قَــدْرَ السَّيْفِ عَنْهُ وإنَّهُ لَيَجِــلُّ عَنْ تَنْجِيسِهِ بِــدِمَائِهِ

أرْعَبْتَ أهْلَ الشِّرْكِ مِنْهُ(6) فَكُلُّهُم يَلْقَــى خَيَــالَكَ وَاقِفًــا بإزَائِهِ

وَسَلَبْتَهُم طِيْبَ الحَيَاةِ(7) فَمَنْ غَفَا(8) ألْفَــى دَبِيْبَ النَّارِ في أعْضَائِهِ

أو لو تَخَيَّــلَ في المَقَامِ(9) بِحُرْمَــةٍ خَشِيَ الحَرِيْقَ ومَاتَ في إغْفَائِهِ

---

(1) البيتان وردا في حسن المحاضرة: 426/2.

(2) هو حسام الدّين ابن عبد الله المنصوريّ (635-698هـ): من ملوك دولة المماليك البحريّة بمصر والشّام، ويُسَمّى "الرّوك" الحسامي، كان مملوكاً للمنصور قلاوون، وإليه نسبته،...انظر: (السّلوك: 820/1-865، والنّجوم الزّاهرة: 85/8، وأعيان العصر: 165/4، والأعلام: 238/5).

(3) في أعيان العصر: 175/4: "ألُفائه".

(4) في الأصل: "غضبةً"، وفي (ص): "غضبت".

(5) في أعيان العصر: 175/4: "يُسِرّ".

(6) سقطت من (ص)، وفي أعيان العصر: 175/4: "منك وكُلُّهم".

(7) في أعيان العصر: "الرّقاد".

(8) في الأصل: "عفى"، وفي (ص): "عفا"، وقد أثبتنا ما ورد في أعيان العصر. (9) في أعيان العصر: 176/4: "المنام".

يَا رَاعِي الإسْلاَمَ صُنْتَ السِّرْبَ أنْ تَدْنُو[1] كِلاَبُ الشِّرْكِ مِنْ ضُعَفَائِهِ
مَا غِـرْتَ إلاَّ للإلَـهِ وخَـلْقِـهِ مِـنْ فَتْـكِ شَرِّ عَبِيْـدِهِ بإمَـائِهِ
واسْتَشْهَدَ[2] الشَّهْرِ الشَّرِيْف فَإنَّـهُ يُثْنِـي[3] بِمَا أبْدَيْـتَ في أثْنَـائِهِ
عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ وأهْلَكْتَ الَّـذي لم يَـرْعَ حَـقَّ اللهِ في آنَـائِهِ
فَاسْلَـمْ لِهَذَا الدِّيْنِ تَحْرُسُ سِرْبَهُ ويُغَضّ جَفْنُ الشِّرْكِ مِنْكَ عَائِهِ[4]
واشْكُـرْ إلَهَكَ بالَّـذي أُلْهِمْـتَهُ فَمَا فَعَلْـتَ يُزِدْكَ[5] مِنْ نَعْمَـائِهِ

ومِنْهُ قَوله يُهَنِّئ بإبْلاَلٍ مِنْ مَرَضٍ:

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الأمَانِي وضَفَتْ بِهَا حُلَلُ التَّهَانِي
وجَرَى شِفَاؤكَ والسُّرُوْر كَمَا جَرَى فَرَسَا رِهَـانِ
بُرْءٌ أتَى وضَنَـىً مَضَى فَهُمَـا عَلَيْنَـا نِعْمَتَـانِ
ولِكُلِّ يَوْمٍ سَجْدَةَ الشـ شُكْرِ لا بَلْ سَجْدَتَـانِ

ومِنْهُ قَوله في وَدَاعِ الحُجْرَةِ الشَّرِيْفَةِ على سَاكِنِهَا أفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ:

يَا سَيِّدَ الثِّقْلَيْنِ دَعْوَةَ مَنْ أتَـى يَسْعَى إلَيْكَ ولو على الأجْفَانِ
فَارَقْتَ رَبْعَكَ أوَّلاً لأدَاءِ مَـا كَتَبَ الإلَـهُ عليَّ في القُرْآنِ
ورَجَعْتُ أضْحَكُ للتَّوَاصُلِ مَرَّةً أُخْرَى وأبْكِي للفِرَاقِ الثَّانِي[6]

ومِنْهُ قَوله وقَدْ أشْرَفَ على مَكَّةَ المُعَظَّمَة:

أقُـوْلُ لِصَحْبِي والفَيَافِـي كَأنَّهَـا صَحَائِف خُطَّتْ بالمَطِّي[7] سُطُوْرهَا
دَعُوا طَيَّ عَرْضِ البِيْدِ بالسَّيْرِ والسُّرَى فَهَذَا حِمَى لَيْلَى وهَاتِيْـكَ دُوْرُهَا

ومِنْهُ قَوله:

قَاتَلَ اللهُ رَفِيْقَاً بالحِمَى[8] أنْفَدَ الأدْمُعَ واسْتَبْقَى الغَرَامَا[9]

---

(1) في الأصل: "تدنوا".
(2) في أعيان العصر: 176/4: "فاستشهد".
(3) في (ص): "يثنى".
(4) في أعيان العصر: "بدائه".
(5) في أعيان العصر: "فذاك".
(6) وردت الأبيات في ديوانه: أهنى المنائح في أسنى المدائح: 21.
(7) في أهنى المنائح في أسنى المدائح: 16: "بالمطايا". (8) في الأصل: "بالحما". (9) في أهنى المنائح: 26: "الغماما".

ومِنْهُ قَوله: هَلْ لِحَيٍّ إلى اللِّقَــاءِ سَبِيْــلُ وجُيُــوْشُ الفَنَــاء فِيْنَا تَجُوْلُ
أوَ يَلَــذُّ المُقَــامُ ثَاوٍ بِــدَارٍ لَيْسَ يَدْرِي مَتى يَكُوْنُ الرَّحِيْلُ
مُزْمِــعٌ للمَسيْرِ عَنْهَا ولا زَادٌ وإنْ كَانَ فَهْوَ نَــزْرٌ[1] قَلِيْــلُ
شَغَلَتْهُ وفَرَغَتْ مَنْ لَهَا هَامِدَةٌ فَهْــوَ فَــارِغٌ مَشْغُــوْلُ

ومِنْهُ قَوله:

ولّى الدُّجَى وكَأنَّكُم بِسَنَا الصَّبَاحِ وقَدْ تَنَفّس
وغَدَا رِدَاء دُجَىً تَدَثّر بالكَوَاكِبِ وهو أطْلَس
عَلِــقَ الظَّلامُ بذَيْــلِهِ فكَأنَّــهُ ثَوْب مُقَنْدَس
والشَّمْسُ تَبْدُو[2] في المور رد أوّلاً ثُمَّ المُــوَرَّس
كَالخُوْدِ تَجْلا في الثِّيَابِ تَظَــلُّ تَخْلَعهَا وتَلْبَس

ومِنْهُ قَوله:

تُبْدِي السَّمَاءُ لَنَا مَعْنَى الحِمَى[3] بِسَنَا نَاءٍ قَرِيْب سُفُوْرِ الوَجْهِ مُحْتَجِبِ
إذا ظَمِيْنَــا تَوَهَّمْنَــا مَجَرَّتَهَا نَهَرَاً طَفَتْ فيــهِ أكْوَابٌ مِنَ الشُّهُبِ
كَأنَّهَا رَوْضَــةٌ حَفَّتْ أزَاهِــرُهَا بِجَدْوَلٍ مِنْ نَمِيْرِ المَاءِ ذي شُعَبِ
أو حــلَّةٍ مِنْ بَدِيْعِ الوَشْي مُعْلَمَــةٌ بالنَّوْرِ مَعْقُوْدَة الأزْرَارِ مِنْ ذَهَبِ

ومِنْهُ قَوله:

عَسَى وَقْفَة بالرَّكْبِ يَا حَادي الرَّكْب لأسَــلْ مَا بَيْنَ المَحَامِــلِ عَنْ قَلْبِــي
فَعَهْدِي بِــهِ لَمَّا استَقَلَّتْ رِكَــابُكُم وقَدْ قَالَ لِي[4] للسَّارِي إلى طِيْبَةَ سِرْ بي
وقَــدْ تُقْعِدُ الأقْدَارُ مَنْ قَــلَّ حَظُّــه علــى أنَّــهُ وَافَــى الهَوَى وَاقِرَ الحُبِّ
ولَكِنَّــي[5] لم أتَّهِــم في تَأخُّــرِي على كَثْرَةِ الأسْبَابِ شَيْئَاً[6] سِوَى ذَنْبي

ومِنْهُ قَوله:

---

(1) في الأصل: "يزر"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، والنّزر والنّزير: القليل من كلّ شيء، التّافه. (لسان العرب: نزر).
(2) في (ص): "تبدوا".
(3) في (ص): "الحما".
(4) في الأصل: "للسّار"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، والدّيوان: أهنى المنائح: 47، وسقطت منهما: "لي".
(5) في (ص)، وأهنى المنائح: "ولكنني".
(6) في أهنى المنائح: "شيأ".

أَسَرُّوا إلى لَيْلِي سُرَاهُم فَمَا انْجلاَ[1] وبَاتَ كَطَرْفِي نَجْمهُ وهو حَيْرَانُ
كِلاَنَا غَرِيْقٌ في الدَّمُوْعِ وفِي الدُّجَى[2] كَأنَّ الدُّمُوْعَ العَيْن واللَّيْل طُوْفَانُ

ومِنْهُ قَوله:

كَــأنَّ الــدَّرَارِي والنَّــجُوم وَدَارةً[3] حَــوَتْهُ وقَدْ زَانَ الثُّرَيَّا الْتِئَــامُهَا
حبَابٌ طَفَا مِنْ حَوْلِ زَوْرَقٍ[4] فِضَّةٍ بِكَفِّ فَتَاةٍ[5] طَافَ بالرَّاحِ جَامُهَا
كَــأنَّ سُهَيْــلاً والنُّــجُوْمَ وَرَاءهُ صُفُوْفٌ[6] صَلاَةً قَامَ فيهَا إمَامُــهَا

ومِنْهُ قَوله في الرِّثَاءِ:

أَبَحْر النَّدَى طَوْد المَعَــالِي وإنَّــهُ لَيَغْنَى عن التَّصْرِيْحِ باسْمِكَ مِنَ يُكَنّى
حَلَلْتَ بزَعْمِي في الرُّغَــامِ وإنَّــهُ لَمَنْ تَحْتَــهُ يَبْلَى ومَنْ فَوْقَــهُ يَضْنَى
أمُرُّ على مَعْنَاهُ كَي يَذْهَبَ الأسَى كَعَادَتِــهِ الأوْلَى فَيُغْرِي ولا يَــعْنَى
وأقْسِمُ أنَّ الفَضْلَ مَــاتَ لِمَوْتِــهِ ويَخْطُرُ في ذِهْنِــي أخُــوْهُ فَأسْتَثْنِي

ومِنْهُ قَوله:

شَرِبْتُ بِكَأسٍ مَا رَآهَا أخُو أسَىً ولاَ ذَاقَهَا قَبْــلِي مُحِبٌّ ولا بَعْــدِي
فَكَرَّرَ بِسَمْعِي ذِكْر سَفْحَ طُوَيْلِع وبَانَ المُصَلَّى مُنْعماً وأجْدَ لِي وَحْدِي

ومِنْهُ قَوله:

بَانُوا وخَلَّفَنِي الأسَى في رَبْعِهِم أبْكِي الطُّلُوْلَ مُصَرِّحَاً ومُعرِضَا
ولَوْ اسْتَطَعْتُ فِــرَاقَهَا لَتَبِعْتَهُم فَزِمَامُهَا بِيَدِي وَمَا ضَاقَ الفَضَا

ومِنْهُ قَوله وهو مِنْ بَابِ المُغَايَرَة:

ولَقَدْ ذَكَرْتُكِ والفَوَارِس نَحْوَنَا تَتْرَى فَمُدَرَّع وآخَر حَاسِرُ

---

(1) في (ص): "انجلى".

(2) في حسن التّوسل: 117: "وفي السّرى كأنّ دموع العين"، وفي فوات الوفيات: 83/4: "في المدامع والدّجى كأنّ دموع...".

(3) في أعيان العصر: 389/5: "كأنّ الذراري والهلال"، وفي فوات الوفيات: 86/4، وحلبة الكميت: 334، والغيث المسجم: 51/1، ومعاهد التّنصيص: 23/2، والأدب في العصر المملوكي/محمّد سلام: 462/2: "كأنّ الثّريّا والهلال ودارة".

(4) في حسن التّوسل: 121: "زورن"، وفي معاهد التّنصيص: 23/2: "من فوق زورق"، وفي فوات الوفيات: 86/4، والأدب في العصر المملوكي: 462/2: "رفرف".

(5) في (ص): "فتات".

(6) في أعيان العصر: 390/5: "صلاة صفوف".

فَنَسِيْتُ حُبَّكِ عِنْدَ ذَاكَ مَخَافَةً وَوَدَدْتُ أَنِّي فِي الْهَزِيْمَةِ طَائِر

ومِنْهُ قَوله:

مِنْ حَاتِم[عدّ][1] عَنْهُ وأطرح فيهِ[2] في الجُوْدِ[3] لا بِسِوَاهُ يُضْرَبُ المَثَلُ
أيْنَ الَّـــذي برّهُ الآلاف[4] يَتْبَعُهَا كَرَائِـــم الخَيْـــلِ مِمَّنْ برُّهُ الإبلُ
لَوْ مَثَّلَ الجُودُ سَرْحَا قَالَ حَاتِمُهُ[5] "لاَ نَاقَةَ لِي في هَذَا ولا جَمَلُ"[6]

ومِنْهُ قَوله:

يَا رَاكِبَ النَّـــاقَة الوَجْنَاء مُشْتَمِلاً ثَـــوْبَ الظَّلاَمِ كَنَجْمٍ لاَحَ في أُفُقِ
يَؤُمُّ قَبْلَ ازْدِحَامِ الرَّكْبِ طِيْبَةَ كَي يُطْفِي الجوَى أو يَرْوِي[7] غلَّة الحَرَقِ
كُنْ رَفِيْقَاً لِأسْعَـــى نَحْوَهَا عَجلاً إمَّا على صَحْنِ خَدِّي أو على حَدَقِي
عَسَاكَ تُحْيِي مَا[8] تُوْلِيْهِ مِنْ كَرَمٍ رُوْحِي وتُـــدْرِك مَا تَلْقَاهُ مِنْ رَمَقِي
وإنْ أَتَيْتَ فَقُلْ خَلَّفْتَ مُرْتَهَنَـــاً بالشَّوْقِ يَأْتِيْكَ إنْ طَالَ المَدَى[9] وبَقِي

ومِنْهُ قَوله:

بَلَغْـــتُ مُرَادِي ونِلْـــتُ المُنَى وزَادَ سُرُوْرِي وزَالَ العَنَا
فَمَاذا الَّذي أرْتَجِي بَعْدَ[10] ذا وهَـــذَا الرَّسُوْلُ وهَذَا أنَا
فَبُشْرَاك بُشْرَاك يَا نَاظِـــرِي تَمَلَّ[11] وإيَّـــاكَ أنْ تَغْبِنَا

---

(1) زيادة وردت في أعيان العصر: 172/4، والغيث المسجم: 119/1.

(2) ورد في: الأدب في العصر المملوكي: 460/2: "من حاتم؟ عد عنه واطرح فبه".

(3) في أعيان العصر: 172/4: "فيا لجود".

(4) في الأدب في العصر المملوكي: 460/2: "الآلات"، وورد في نفس المصدر: 355/2: "الآلاف".

(5) في الأدب في العصر المملوكي: 355/2 وردت نفس الرّواية، وبرواية تختلف في صفحة: 460: بلفظ: "لـــو مثّـــل الجـــود شخصاً قال حاتمهم"، انظر: أعيان العصر: 172/4، والغيث المسجم: 119/1.

(6) هذا القول للحارث بن عُباد، قاله حين قتل جسّاس كُليباً، واعتزل الفريقين حتّى قتل ابنه بُجَيْرٌ، وقد مضى حديثه، ومنـــه قول الرّاعي، الدّيوان: 198، وشعر الرّاعي النّميري: 233:

وما هجرتك حتّى قلت مُعْلنةً لا ناقة لي في هذا ولا جَمَلُ

في الدّيوان: "وما صرمتك"، انظر: جمهرة الأمثال: 391/2، وفصل المقال: 388و389.

(7) في الأصل: "تروي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في أهنى المنائح : 6: "بما".

(9) في أهنى المنائح: "المدا".

(10) في أهنى المنائح: 16: "بعدها".

(11) في الأصل: "تملى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

فَحَيْثُ الْتَفتُّ رأَيْتُ الرَّسُوْلَ وآثَــارهُ مِنْ هُنَا أو هُنَــا
تَملَّ[1] فَهَذَا مَكَانُ الحَبِيْب وهَذَا التَّوَاصُلِ قَدْ أمْكَنَــا
وخَـلِّ الدُّمُـوْعَ إلى وَقْتِهَا وإنْ حَسُنَ الدَّمْعُ عِنْدَ الهَنَا

وختَمْتُ ذِكْرَ شَيْخِي-رَحِمَهُ اللهُ- بهَذِهِ الأبْيَاتِ المُتَضمِّنَةِ للمَدِيْـحِ الشَّـرِيْفِ؛ لِيُختَـمَ بالصَّالِحَات عَمَلهُ، وإنِّي لأُؤمِّلَ أنْ يُحْسنَ بِهِ فِي دَارِ الكَرَامَةِ نُزُلَه، وأنْ لا يُخيِّـب في اللهِ وفي رَسُوْلِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أمَله ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسَ المُتَنَافِسُوْنَ﴾[2].

ومِنْهُم: عليّ بن محمّد بن سلمان بن حمائل[3]، الشَّيْخُ[4] الإمَامُ[5]، جَمَال الـدُّوَل[6]، عَلاء الدِّين، أبو الحسن، أهْل هَذَا البَيْت، يَخْدمهم للأمّ، مِنْ بَيْتِ صَلاَحٍ مَا فيهِ شُبْهَة لِمَنْ يَذُمّ، وكَتَبَ الإنْشَاءَ مِنْهُم جَمَاعَةٌ، وتَلَقُّوا بالفِطْرَةِ سِرَّ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ، فَنَفَـدُوا السُّـلْطَانَ البَرَاعَة، ونَفَثُوا سِحْرَ البَيَان في عُقَدِ اليَرَاعَةِ، وكَانَ هَذَا الرَّجُل نَسِيْجَ وَحْدَه في العَـوَارِف الحِسَان، ونَسِيْبَ جَدِّه أعْنِي غَانمَاً غَانمَاً للإحِسَان، مع مُلاَبَسَـتِهِ للـدُّوَل في أمُوْرهَـا، ومُمَارَسَتِهِ لَهَا في أحْوَالِ حُزْنهَا وسُرُوْرِهَا، إلاَّ أنَّهُ كَانَ يَحْجُزُهُ دِيْنُهُ، ويَحْجُبُـهُ يَقِيْنُـهُ، وكَانَ أقْوَم أهْل بَيْتِهِ بِرئَاسَةٍ لا كِبَرَ فيها، ورِيَاضَةٍ لا كَدَرَ فيهَا، ومُرُوْءة كَانَتْ تَلذُّ لَهُ ولو أدَّتْ إلى الخَطَر، وأبْدَتْ الأهْوَالَ دُوْنَ الوَطَر، ووَقَعَ على القَصَصِ فَأوْلَى مِنَنا، وأجْـرَى اللهُ بهِ الخَيْرَات زَمَنًا، ولم يَقْصِدْ إلاَّ وَجْهَ اللهِ بِفِعْلِهِ، ولا أسْدَى المَعْرُوْفَ إلاَّ لأهْلِهِ، ثُمَّ مَـاتَ غَالِبُ مَنْ جَرَى لَهُم بِهِ ذَلِكَ المَعْرُوْف، وبَقِي في بَقَايَاهم، وحَصَلَ بِهِ المُلُوْكُ الّذين كَتَبَهُ

---

(1) في الأصل: "تملى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) من الآية: 26 من سورة المطففين.

(3) هو عليّ بن محمّد بن سلمان بن حمائل، الشّيخ علاء الدّين ابن غانم (651-737هـ) صدر الشّام، بقيّة الأعيان، كان زاهداً، توفي بتبوك وهو عائد من الحجّ وله ستّ وثمانون سنة،...انظر: (أعيان العصر: 496/3، وفوات الوفيات: 78/3، والدّرر الكامنة: 178/3، والسّلوك: 426/2).

(4) الشّيخ: من ألقاب العلماء والصّلحاء وأصله في اللّغة الطّاعن في السّن، ولُقّب به أهل العلم والصّلاح توقيراً لهم كما يُوَقّر الشّيخ الكبير: والشّيخيّ نسبة إليه للمبالغة. (صبح الأعشى: 17/6).

(5) الإمام: من ألقاب الخلفاء كما يقال في المكاتبات عنهم" من عبد الله ووليّه الإمام الفلاني"، وأوّل من تلقّب به "إبراهيم بن محمّد" أوّل من بويع له بالخلافة من بني العبّاس، ويقع أيضاً في ألقاب أكابر العلماء، وأصل الإمام في اللّغة الّذي يُقتدى به، ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمّة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة: وهم الشّافعي، ومالك، وأبو حنيفة وأحمد. والإماميّ نسبة إليه للمبالغة. (صبح الأعشى: 8/6).

(6) من الألقاب الإسلاميّة العامّة لسائر الطّوائف ممّا يكتب به عن الأبواب السّلطانيّة،...انظر: (صبح الأعشى: 128/6).

عَنْهُم الآخِرَةَ بِبَعْضِ دُنْيَاهم، ولم يَكُنْ أسْرَعُ مِنْهُ إلى أداءِ حَقٍّ وَاجبٍ، ولا أرْعَى لِصُحْبَةِ صَاحِبٍ، ولا أسْبَقُ إلى عِيَادَةِ مَرِيضٍ، وتَشْيِيعِ جَنَازَةٍ، وتَنْوِيعِ كَرَامَةٍ وغَزَارَةٍ، مع مُلازَمَةِ الصَّلاَةِ في الجَمَاعَةِ، وتَعَهُّدٍ للمَسْجِدِ، لَو قَدِرَ لَمَا غَابَ عَنْهُ سَاعَةً، ومُدَاوَمَةِ تِلاَوَةٍ لا يَفْتَرُ مِنْ تَرَدُّدِهَا، وصَلَوَاتٍ لا يُخِلّ بأوْرَادِهَا، هَذَا وبَابُهُ مَفْتُوحٌ، وسَحَابُهُ مَمْنُوحٌ، وتَحَشُّمُهُ مع جُلَسَائِهِ مَطْرُوحٌ، وتَجَهّمُهُ بالنِّسْبَةِ إلى غَيْرِه خِفَّةُ رُوحٍ لِبَشَاشَةِ وَجْهٍ تَرْوِي غلَّةَ[1] الصَّادِي[2]، وسِعَةَ صَدْرٍ تَفِيْضُ على رِحَابِ النَّادِي[3]، وسُرْعَةَ إجَابَةٍ تُعَاجِلُ صَوْتَ المُنَادِي، مع يَدٍ في هَذَا الشّأنِ لا يَخُونُهَا بَنَانُهَا بَلْ يَزِيْنُهَا بَيَانُهَا.

ومِنْ نَثْرِهِ مَا تَتْعَبُ القَرَائِحُ في إثْرِه، قَولُه يَصِفُ قَلْعَةً[4]: "ذَاتَ أوْدِيَةٍ ومَحَاجِرَ، لا تَرَاهَا العُيُونُ لِبُعْدِ مَرْمَاهَا[5] إلاَّ شَزْرًا[6]، ولا يَنْظُرُ سَاكِنُهَا العَدُوَّ الكَثِيْرَ إلاَّ نَزْرًا، ولا يَظُنُّ نَاظِرُهَا إلاَّ أنَّهَا طَالِعَةٌ بَيْنَ النُّجُوْمِ بِمَا لَهَا مِنَ الأبْرَاجِ، ولَهَا مِنَ الفُرَاتِ خَنْدَقٌ تَحِفُّهَا كَالبَحْرِ المُحِيْطِ، إلاَّ أنَّ ﴿هَذَا فُرَاتٌ وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[7]، ولَهَا وَادٍ لا يَقِي لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ[8]، ولا حَرَّ الهَوَاجِرِ[9]، وقَدْ تَوَعَّرَتْ مَسَالِكُهُ، ولا يُدَاسُ فيهِ إلاَّ على المَحَاجِرِ[10]، يَتَفَاوَتُ[11] مَا بَيْن مَرْآه[12] العَلِي وقَرَارِه العَمِيْقِ، ويَقْتَحِمُ رَاكِبُهُ الهَوْلَ في هُبُوْطِهِ، ﴿وكَأنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أو تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحِيْقٍ﴾[13].

---

(1) الغُلّ والغُلّة والغَلَل والغَلِيْل: شدّة العطش وحرارته. (لسان العرب: غلل).

(2) الصّادي: شديد العطش. (لسان العرب: صدى).

(3) النّادي: مجتمع القوم وأهل المجلس، فيقع على المجلس وأهله. (لسان العرب: ندي).

(4) ورد النّص في أعيان العصر: 498/3.

(5) في (ص): "مرامها".

(6) في الأصل: "شردا"، وفي (ص): "شرد"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) من الآية: 25 و53 من سورة الفرقان.

(8) الرّمضاء: شدّة الحرّ. (لسان العرب: رمض).

(9) الهجير والهجيرة والهجر والهاجرة: نصف النّهار عند زوال الشّمس إلى العصر، وقيل: إنّه شدّة الحرّ. (لسان العرب: هجر).

(10) المحاجر: الأماكن الّتي اجتمع فيها الماء، ويقال: هي البساتين، والحدائق: حيطان النّخل، ومنه قول لبيد، الدّيوان: 122:

بَكَرَت به جرشيّةٌ مقطورةٌ   تروي المحاجر بازل علكوم

(لسان العرب: حجر).

(11) في أعيان العصر: 498/3، وفوات الوفيات: 83/3و84: "وتفاوت".

(12) في الأصل: "مراه"، وفي (ص): "مرآت".

(13) من الآية: 31 من سورة الحجّ.

ومِنْهُ قَوله، ولَقَدْ أَحْسَنَ في وَصْفِ القَلَمِ، فَقَالَ: "القَلَمُ الّذي كَمْ أعَانَ مَنْ هُوَ قَــارِئ للحُرُوْف، ومَنْ هُوَ لِضِيُوْف الضِّيُوْف قَارِي، وهُوَ الرَّاكِعُ السَّاجِدُ في مُلاَزَمَةِ الخَمْسِ طَاعَةً للبَاري[1]، شَقَّ لِسَانَهُ فَنَطَقَ، وأَنَارَ صَبَاحَهُ وعليهِ جَلاَبِيْبُ الغَسَقِ ثُمَّ خَضَعَ لَهُ السَّــيْفُ[2]، وَزَارَهُ مُعَنّىً بحِيْلَة لِمَا مَدَّ، وهَكَذَا في الظَّلاَمِ زَوْرَ الطَّيْفِ[3]، ولَمْ يَزَلْ يُعَظِّــمُ ويُسَـوِّدُ ويَحْكِي للرّمْحِ[4] فَيَتَخطَّر، والغُصْنِ فَيَتَأوَّد، ويُقِمْ فَلاَ يَقْتَات، ويُسَافِر فَيَتَزَوَّد".

ومِنْهُ قوله: "فَسَارِعُوا إلى إنْجَادِ مَنْ نَازَلَهُ العَدُوُّ مِنْ إخْوَانِكُم المُسْــلِمِيْن،﴿وقَــاتِلُوا المُشْرِكِيْنَ كَافَّة كَمَا يُقَاتِلُوْنَكُم كَافَّة واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِيْــن﴾[5]، وامْضُــوا عَلَيْــهِم بقَدَمِكُم وإقْدَامَكُم، وانْصُرُوا اللهَ بِجِهَادِكُم واجْتِهَادَكُم، فَإنّكُم ﴿إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُـم ويُثَبِّتَ أَقْدَامَكُم﴾[6].

وكِتَابُ اللهِ أوْلَى مَا عَمِلَ بِهِ العَامِلُوْنَ، قَالَ اللهُ-تَعَالَى-:﴿انْفِــرُوا خِفَافَــاً وثِقَــالاً وَجَاهِدُوا بِأمْوَالِكُمْ وأَنْفُسكُمْ في سَبِيْلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾[7]".

ومِنْهُ قَوله: "قَدْ تَجَرَّدُوا عَنِ العَلاَئِقِ، واشْتَغَلُوا بخِدْمَةِ المَخْلُوْق عَنِ الخَلاَئِق، وبَرِئُــوا مِنَ التَّكَلُّفِ، وزَهِدُوا في عَرَضِ الدّنْيَا، فَهُم مِنَ الّذينَ "تَعْرِفَهُم بِسِيْمَاهِم ويَحْسَبَهُم الجَاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفّفِ"[8].

ومِنْهُ قَوله يَصِفُ الكُرَةَ، وانْتَهَى إلى حَدِيْثِ الرَّغْبَةِ في تِلْكَ اللِّعْبَةِ: "وهي الجَارِيَةُ الّتي لَمْ

---

(1) من قول الشّاعر:

وذي نحول راكع ساجد　　أعمى بصير دمعه جاري

ملازم الخمس لأوقاتها　　مجتهد في طاعة البـاري

انظر: (المستطرف: 267/2، وورد البيتان في صبح الأعشى: 41/3: بلفظ: "وذي عفاف" بدل: "وذي نحول"، و "أخو صلاح" بـدل: "أعمى بصير"، و "مجتهداً" بدل: "مجتهد".

(2) من قول ابن الرّومي في تفضيل القلم على السّيف، الدّيوان: 59/6:

إن يخدم القلم السّيف الّذي خضعت　　له الرّقاب ودانت خـوفه الأمم

فالموت-والموت لا شيء يُغالبـهُ-　　ما زال يتبع ما يجـري به القلم

كذا قضـى الله للأقلام مُذ بُريت　　إنّ السّيوف لها مُذ أُرهفت خدم

(3) سقطت من (ص).

(4) في الأصل: "لرمح"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(5) من الآية: 36 من سورة التّوبة.

(6) من الآية: 7 من سورة محمّد.

(7) من الآية: 41 من سورة التّوبة.

(8) من الآية: 273 من سورة البقرة:﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيْمَاهُم﴾.

تَزَلْ بالضَّرْبِ دَانيَةً شَاسِعَةً مُبْتَذَلَةً مِنَ الطِّرَادِ والإبْعَاد، دَائِرَةً فِي أَرْضِ اللهِ الوَاسِعَةِ، فَلَمْ تَزَلْ أَيْدِي الأَيْدِيْن، وحَمَلاَت المُؤيِّدِيْنَ "خَافِضَةً لَهَا رَافِعَةً" [1]، تَالِيَةً فِي مَجَالِ القِتَالِ إلى النَّجْمِ، فَإِذَا وَقَعَتِ الأَرْضَ تَلاَ لَهَا:﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾[2]، مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ كَوْنُهَا، وإذا سَأَلَ عَنْهَا سَائِلٌ قِيْلَ: ﴿صَفْرَاء فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾[3].

لاَ تَزَالُ الفَوَارِسُ إليهَا كَالجِهَادِ بالجِيَادِ تَتَعَادَى وعَلَيْهَا مع المُرَافقَةِ والمُصَادَقَةِ بالتَّنَافُسِ[4] تَتَعَادَى، تُشْبِهُ الهَامَةَ المُلْقَاةَ بَيْنَ أَرْجُلِ الجِيَادِ فِي الحَرْبِ.

ولا تَزَالُ هَارِبَةً مِنْ طَالِبِيْهَا، لِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فيهَا مِنَ الضَّرْبِ، تَنْفِرُ مِنَ الأَبْطَالِ نُفُورَ ﴿حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَة فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَة﴾[5]، وتَتَوَاثَبُ عليهَا الرِّجَالُ تَوَاثُبَ اللُّيُوْث الضَّارِبَة الضَّارِيَة، فَكَمْ لَهُم[6] مِنَ الكَرَّةِ على تِلْكَ الكُرَةِ".

ومِنْهُ قَوله فِي تَوْقِيْعِ رَجُلٍ يُعْرَفُ بالجَمَالِ إِبْرَاهيم[7]: "فَلْيَعْمَلْ بتَقْوَى اللهِ فِي هَذِهِ الأَعْمَالِ آتِياً فيهَا مِنْ حُسْنِ التَّأَتِي كُلَّ مَا[8] يَلِيْقُ أَنْ تُشَاهِدَهُ العُيُوْنُ مِنَ الجَمَالِ، وهو أَدْرَى بِمَا يَعْتَمِدُهُ إذ هو الصَّدْرُ الَّذي كُلُّ أَحَدٍ بِعِلْمِهِ عَلِيْم، والرَّئِيْسُ الَّذي لا يَخْفَى بَيْنَ الرُّؤسَاء، وهَلْ يَخْفَى مَقَام إبراهيم".

ومِنْهُ قَوله مِنْ كِتَابٍ كَتَبَهُ: "يُقَبِّلُ اليَدَ- لاَ زَالَتْ بِمِنَنِهَا مُوَاسِيَة، ولِكُلُومِ القُلُوْبِ بِطِبِّ كَلاَمِهَا آسِيَة، ولِعُهُوْدِ مُحِبِّيْهَا على مَرِّ[9] الأَيَّامِ، وإِنْ نَسِيَهَا مَنْ نَسِيَهَا غَيْر نَاسِيَة- ويُنْهِي وُرُوْدَ الكِتَاب الكَرِيْم فَتَسَلَّى عَنْ كُلِّ مَنْ حَجَبَهُ النَّوَى، وتَمَلَّى بنَضَارَتِهِ ومَحَاسِنِهِ عَنْ وَجْهٍ بالجَفَا قَدْ جَفَّ، وعَصْرٍ بالذَّمِّ قَدْ ذَوَى.

وعَلِمَ الإِشَارَةَ العَالِيَةَ إلى أَمْرِ الحَبِيْبِ النَّازِحِ، والَّذي جَدَّ فِي الصَّدِّ[10] وكَانَ غَيْر مَازِح

(1) من الآية: 3 من سورة الواقعة:﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَة. خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

(2) من الآية: 1 من سورة الواقعة.

(3) من الآية: 69 من سورة البقرة.

(4) في (ص): "بالتنفاس".

(5) من الآية: 50 من سورة المدّثر.

(6) في (ص): "لها".

(7) لم أقف على ترجمة له في المصادر الّتي رجعت إليها.

(8) في الأصل و(ص): "كلما".

(9) في الأصل: "ممر"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(10) في (ص): "في الصّدر كان".

وإنَّهُ استَدَلَّ مِنْ كَلامِ المَمْلُوْكِ على شِدَّةِ مَوْجدَتِهِ لِبُعْدِهِ ،عَدَم صَبْرِه عَنْ اسْتِجْلاءِ وَجْهِهِ واعْتِنَاقِ قَدِّه، ودَعَا[1] بعَوْدَةِ ذَلِكَ الغَائِبِ قَبْلَ أنْ يَذْوِي عُوْدُهُ، ورُجُوْعهُ قَبْلَ أنْ تَنْطَفِي بطُلُوْعِ الذَّقْنِ سُعُوْده، وقَدْ تَحقّقَ تَفَضّلَهُ، وهو نِعْمَ مَنْ أمَّهُ الشَّاكِي وأمَّلَهُ:

ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إلى ذي مُرُوْءةٍ   يُوَاسِيْكَ أو يُسلِيْكَ أو يَتَوجَّعُ[2]

ومِنْهُ قَوله في كِتَابٍ إلى قَاضِي القُضَاة[3] إمَامِ الدِّيْن القزويني[4]: "- أدَامَ اللهُ الأُنْسَ بقُرْبِ الجَنَابِ العَالِي القَضَائِي الإمَامِي، "وجَعَلَهُ للمُتَّقِيْنَ إمَامَا"[5]، ورَأيَهُ للصَّوَابِ زِمَامَاً، ولَقَّاهُ يُمْنَهُ حَيْثُ يحُلّ "تَحِيَّةً وسَلاَمَاً"[6]ـ وَرَدَ المُشَرَّفُ الكَرِيْمُ الّذي تَلَقَّاهُ بِقَلْبِهِ قَبْلَ يَدِهِ، وحَلَّ مِنْهُ بمَحَلِّ رُوْحِهِ مِنْ جَسَدِهِ، ونَاظِرِه مِنْ أسْوَدِه، وسُرَّ بمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ أخْبَارِ قُرْبِهِ، وبمَا دَلَّ عَليهِ مِنْ فُنُوْنِ فَضْلِهِ الّذي المَمْلُوْكُ مِنْهُ ﴿على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[7].

وتَحقَّقَ الإشَارَةَ الكَرِيْمَةَ في تَفْوِيْضِ قَضَاءِ القُضَاةِ إلى نَظَرِه الكَرِيْم، وحُصُوْلَ التَّعوِيْلِ في ذَلِكَ على مَقَامِهِ الّذي يَتَشرَّفُ بِهِ كُلُّ عَظِيْم، ولَقَدْ نَالَ هَذَا المَنْصِبَ مِنْ جَلاَلَةِ قَدْرِه مَا سُرَّ بِهِ واغْتَبَطْ، وتَحقَّقَ بمَصِيْرِه إليهِ إنَّهُ على الخَبِيْرِ بِهِ سَقَطَ.

ووَصَلَ التَّقْلِيْدُ الشَّرِيْفُ وقُبِلَ وقُوْبِلَ بالامْتِثَالِ، وحَصَلَ السُّرُوْر بِهِ وعَمَّ، وكَمُلَ بِهِ هَنَاء القُلُوْبِ وتَمَّ، وعَرَضَ لَهُ مِنَ الارْتِيَاحِ إلى لِقَائِهِ مَا سَلَبَهُ القَرَارَ، وعَظُمَ بِهِ الشَّوْق عِنْدَهُ، وأعْظَمُ مَا يَكُوْنُ إذا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ، ولَوْلاَ مَا يَعْلَمُهُ المَوْلَى مِنَ التَّصَدِّي لِمَهَمَّاتِ الإسْلاَمِ لَمَا نَابَتْ في قَصْدِ لِقَائِهِ الأقْلاَمُ عَنِ الأقْدَامِ، واللهُ تَعَالَى يُقَدِّمُهُ قُدُوْمَ البَدْرِ بُرُوْجِ سُعُوْدِهِ، ويُدِيْمَ في المَعَالِي سُمُوَّهُ إلى الغَايَةِ الّتِي لا مَزِيْد على غَايَتِهَا في صُعُوْدِه.

---

(1) في الأصل: "دعى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) البيت لبشار بن برد، الدّيوان: الملحق: 553.

وورد البيت بلا عزو في الغيث المسجم: 155/1، وفي فصل المقال: 399: بلفظ: "لى ذي حفيظة" بدل: "إلى ذي مروءة"، و "أو يتفجّع" بدل: "يتوجّع".

(3) سبق الإشارة إلى هذا اللّقب.

(4) هو عمر بن عبد الرّحمن بن عمر بن أحمد (653-699هـ)، إمام الدّين، أبو القاسم الكرخيّ التّميمي القزويني الشّافعيّ: فقيه من العلماء، ينعت بقاضي القضاة، ولد بتبريز، وتوفي بالقاهرة. انظر: (شذرات الذّهب: 451/5، وتاريخ ابن الفرات: 231/8، والأعلام: 49/5).

(5) من الآية: 74 من سورة الفرقان: ﴿واجْعَلْنَا للمُتَّقِيْنَ إمَامَا﴾.

(6) من الآية: 75 من سورة الفرقان: ﴿ويُلَقَّوْنَ فِيْهَا تَحِيَّةً وسَلاَمَاً﴾.

(7) من الآية: 17 من سورة هود، والآية: 14 من سورة محمّد.

ومِنْ شِعْرِهِ قَوله:

بَكَيْتُ بِدَمْــعٍ فَاقَ دَمْعَ الغَمَائِــمِ   ونَاحَتْ لِنَوْحِي سَاجعَاتُ الحَمَائِمِ
على جِيْرَةٍ جَارَ الزَّمَانُ لِفَقْدِهِــم   ومِنْ بَعْدِهِــم جَاوَرْتُ غَيْرَ مُلائِمِ
مَضَتْ لي بِهِم أيَّامُ أُنْسٍ حَمِيْـــدَةٍ   نَعِمْتُ بِهَا دَهْــراً كَأحْــلامِ نَائِمِ
وإنِّي بِأرْضِ الشَّامِ أشْتَاقُ أرْضَهُم   إذا لَمَــعَ بَــرْقٌ لاَحَ مِنْهَا لِشَائِمِ
فَللهِ أيَّام الصِّبَــا(1) حَيْثُ لا يُرَ   يِنِي وَقَــاراً لَنَا إلاَّ بِخَلْــعِ العَمَائِمِ

ومِنْهُ قَوله:

وكَمْ سَرْحَةٍ لي في الرُّبَا(2) زَمَنَ الصِّبَا(3)   أُشَاهِــدُ مَرْأى(4) حُسْنِهَا مُتَمَلِّيَا
ويُسْكِرِني عَرْفُ الشَّذَا(5) مِنْ نَسِيْمِهَا   فَأقْضِي هَوَىً مِنْ طِيْبَةَ حَتْفَ أنْفِيَا
وأسْألُ فِيْهَا مَبْــسَمَ الــرَّوْضِ قُبْلَــةً   فَيُبْرِزُ مِــنْ أكْمَامِــهِ في(6) أيْدِيَا
فَللهِ رَوْضٌ زُرتُــهُ مُتَنَزِّهَــاً   فَأبْدَى لِعَيْنِي حُسْنَ مَرْأى(7) بلا رِيَا
غَــدَا الغُصْنُ فِيْهِ رَاقِصَــاً ونَسِيْــمُهُ   يَكِــرُّ عَلَــى مَنْ زَارَهُ مُتَــعَدِّيَا
تَرَجَّلَتِ الأشْجَــارُ والمَــاءُ خَــرَّ إذْ   نَسِيْمُ(8) الصَّبَــا أضْحَى مُتَمَسِّيًا(9)
بُعِثْتُ (10) لَدَيْهِ الوَرَقُ والغُصْنُ رَاقِصٌ   فَيَعْرَقُ وَجْهُ الأرْضِ مِنْ كَثْرَةِ الحَيَا

وهَذِهِ أبْيَاتٌ للهِ مَنْ سَمِعَ مِثْلَهَا، لَوْ حَصَلَتْ لابْنِ خَاقَان(11) لَجَعَلَهَا وَاسِطَةَ قَلائِدِهِ، أو ابْــنِ بَسَّام(12) لاتَّخَذَهَا مِنْ أفْضَلِ ذَخِيْرَتِهِ، ومِنْهُ قَوله:

---

(1) في الأصل: "الصبى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) في الأصل: "الرّبى"، وقد أثبتنا ما ورد في أعيان العصر: 502/3.

(3) في الأصل: "الصّبى"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، وأعيان العصر: 502/3، وفوات الوفيات: 83/3.

(4) في الأصل و(ص): "مرااي"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(5) في أعيان العصر: 502/3: "الصّبا".

(6) في (ص): " في أيا ديا"، وفي أعيان العصر: 502/3، وفوات الوفيات: 83/3: "لي".

(7) في الأصل و(ص): "مراى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في الأصل و(ص): "تسليم الصّبى".

(9) في أعيان العصر: "الصّبا أضحى متمشيا"، وفي والأصل، وفوات الوفيات: "الصّبى".

(10) في أعيان العصر، وفوات الوفيات: "تغني لديه".

(11) هو أبو نصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي (480-528هـ)، صاحب كتاب (قلائد العقيان) توفي قتيــلاً بمدينة مراكش،...انظر: (شذرات الذّهب: 107/4، ووفيات الأعيان: 23/4، والأعلام: 134/5).

(12) سبق التّعريف به. وذخيرته، إشارة لكتابه : (الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة).

فعُدَّ نَفسَكَ مِنْ أهْـلِ القُبُـوْرِ بهَا فَعَنْ قَلِيْـلٍ إليهَا سَوْفَ تَنْتَـقِلُ
واذْكُرْ مَصَارِعَ قَوْمٍ قَدْ قَضُوا ومَضُوا كَأنَّـهُم لم يَكُوْنُوا بَعْدَمَا رَحَلُوا
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا قَالُـوا وقِيْلَ لَهُم ومَا الّذي قَدْ أجَابُوا عِنْدَمَا سُئِلُوا[1]

ومِنْهُ قَوله:

سَلَبَ المُهْجَةَ مِنِّـي بالجُفُوْنِ الفَاتِرَاتِ
لو يَزُوْرُ البَيْتَ لم يَرْ مِ الحَشَا بالجَمَرَاتِ[2]

وكُنْتُ قَدْ بَعَثْتُ لَهُ درْجَيْنِ أحْمَرَيْنِ مِنَ الورَقِ ثُمَّ لم أعُدْ أُجهِّزُ لَهُ بَعْدَهُمَا شَيْئاً، فَكَتَبَ إليَّ:

يَا مَنْ مَكَارِمُهُ عَمَّتْ فَكَمْ شَمَلَتْ ذَا فَاقَـةٍ مَا بَقِـيَ مِنْهُ سِوَى الرَّمَقِ
قَدْ كُنْتَ أرْسَلْتَ لي درجَيْنِ لَوْنُهَما مِنْ حُمْرَة، مِثْلُ لَوْنِ الشَّمْسِ للأفُقِ[3]
وبَعْـدَ ذَلِـكَ لم أفْـرَحْ بمِثْلِهِمَا مِنْ سَيِّدِي لا ولا شَيْءٍ مِنَ الوَرَقِ

فَبَعَثْتُ إليهِ دَرْجَيْنِ أحْمَرَ وأبْيَضَ، وكَتَبْتُ إليهِ مَعْهُمَا:

أمْسِكْ سَحَابَكَ لا يُفْضِي إلى الغَرَقِ فَقَدْ كَفَـى مِنْهُ صَوْبُ الوَابِـلِ الغَدِقِ
بَدَائِـعٌ مِنْ عَلاَءِ الدِّيْنِ بتُّ بهَا ألَـذَّ في طِيْـبِ تَقْبِيْـلٍ ومُعْتَنَقِ[4]
مَطْلُوْبـهُ وَرَقٌ[5] وَيَـا عَجَبَـاً مِنَ الغُصُـوْنِ إذَا احْتَاجَتْ إلى الوَرَقِ
وقَـدْ بَعَثْتُ بهِ بحُلَـى الخُدُوْدِ لَهُ في أحْمَـرٍ شَـرْقٍ أو أبْيَـض يَقِقِ[6]
ومَـا عَلَـيَّ إذَا أرْسَلْتُ رَائِـدَهُ وعَـادَ بالشُّهْبِ مَحْبُـوّاً مِـنَ الأُفُقِ
هَـذَا عليٌّ وهَـذا جُوْدُ رَاحَتِـهِ يَـا مَـنْ رَأى البَحْرَ والأنْوَاءَ في نَسَقِ

ومِنْهُم: عبد الباقي بن عبد المجيد بن أبي المعالي، متّى بن أحمد بن محمّد[7] بن عيسى بن يوسف القرشيّ المخزوميّ، أبو المحاسن، تاج الدّين المعروف باليماني[8]، المَكِّي مَوْلِداً،

---

(1) الأبيات وردت في فوات الوفيات: 83/3.

(2) البيتان وردا في أعيان العصر: 500/3، والدّرر الكامنة: 179/3.

(3) في (ص): "في الأفق".

(4) في الأصل: "ومغتنق"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(5) في (ص): "ورقا".

(6) هكذا وردت في الأصل و(ص).

(7) في (ص): "أحمد بن أحمد".

(8) هو عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي، المكّي، تاج الدّين (680-743هـ): فاضل له نظم واشتغال بالأدب والتّاريخ، كان معجباً بنفسه، يعيب كلام القاضي الفاضل وغيره، ولد بمكّة، ورحل إلى الشّام ومصر، واستقرّ باليمن، ---

أحَدُ مَشَاهِيْر الأدَبَاء، وأحَدُ جَمَاهِيْر الأوْلِيَاء، سَرْحَةُ[1] فَضَائِل، ودَوْحَة عِلْمٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُـهَا عَنْ الأيْمَانِ وعَنِ الشَّمَائِلِ، بَحْرٌ يُؤخَذُ مِنْهُ دُرّاً بلاَ ثَمَن، ورَوْضَاً تَجدُ مِنْهُ رَوْحَ الرَّحْمَـنِ مِنْ قِبَلِ اليَمَن.

قَدِمَ مِصْرَ قَدِيْمَاً، ثُمَّ الشَّامَ، وأقَامَ بدِمَشْقَ مُدَّةً، ثُمَّ هَفَتْ[2] بِهِ رِيْحٌ يَمَانِيَّةٌ وذَهَـبَ بلُبِّهِ بَرْقٌ عَلاَنِيَة، فَسَلَبَ قَرَاراً، وغَلَبَ اسْتِقْرَاراً، وعَادَ إلى وَطَنِهِ آيِبَاً، وعَاوَدَ سَكَنَهُ لا ذَامَّاً ولا عَايِبَاً، واتَّصَلَ بالمَلِكِ المُؤيَّدِ داود[3]، ووَصَلَ مِنْهُ بثِقَة ودُوْد، فَعَوَّلَ عليهِ[4]، وقَلَّدَهُ كِتَابَةَ السِّرِّ[5] لَدَيْهِ، وبَقِيَ حتَّى انْمَحَى مِنْ أدِيْمِ السَّمَاءِ هِلاَلُهُ، وأضْحَتْ في تِلْكَ الأفْيَاءِ ظِلاَلُـهُ، فَقَرَّبَهُ قَرِيْبُهُ المَلِكُ الظَّاهِرُ[6] قُرْبَاً حَقَدَهُ المَلِكُ المُجَاهِدُ بن المَلِك المُؤيَّـد[7] فَـأخَذَ أمْوَالَـهُ واجْتَاحَهَا، ونَزَفَ أمْوَاهَهُ وامْتَاحَهَا[8]، وتَطَلَّبَهُ لِيُرْدِي بِهِ، فَفَرَّ، وسَكَنَ مِصْرَ ثُمَّ مَا اسْتَقَرَّ، فَقَصَدَ دِمَشْقَ ثُمَّ أتَى القُدْسَ الشَّرِيْف واسْتَوْطَنَهُ، واتَّخَذَ المَسْجِدَ الأقْصَى مَوْطِنَهُ،

- فولي الوزارة ثمّ عُزل وصودر فرحل إلى القدس، وتوفي بالقاهرة،...انظر: (أعيان العصر: 12/3، والـوافي بالوفيـات: 23/18، والنّجوم الزّاهرة: 104/10، وتذكرة النّبيه: 44/3، والبدر الطّالع: 317/1و318، ونهاية الأرب: 149/8، وفوات الوفيـلت: 246/2، وشذرات الذّهب: 138/6، والدّرر الكامنة: 423/2، والأعلام: 272/3).

(1)السّرحة: واحدة السّرح، وهي كلّ شجر لا شوك فيه، وقيل: السّرح: كلّ شجر طال. وقال أبو حنيفة: السّرحة دوحة مِحـلاَل واسعةٌ يحلّ تحتها النّاس في الصّيف، ويبتنون تحتها البيوت، وظلّها صالح،...والسّرح: شجر كبار عظام طِوال لا يُرعى وإنّما يسـتظلّ فيه، وينبت بنجدٍ في السّهل والغلظ، ولا ينبت في رمل ولا جبل، له ثمر أصفر. (لسان العرب: سرح).

(2)هفت: خفّت وأسرعت. (لسان العرب: هفا).

(3)في الأصل: "داوود"، وهو داود بن يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول (-721هـ): صاحب اليمن، السّلطان الملك المؤيّد، هزبـر الدّين ابن الملك المظفّر، التّركماني الأصل، مولده ونشأته ووفاته باليمن، تمذهب بمذهب الشّافعي، واشتغل بالعلم واعتنى بجمع الكتـب، حتّى اشتملت خزائنه على مائة ألف مجلّد، وبرّ العلماء، وكانت تحفه تصل إلى الشّيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد رحمه الله في كلّ وقـت. انظر: (فوات الوفيات: 428/1، والنّجوم الزّاهرة: 253/9، والدّرر الكامنة: 190/2، وصبح الأعشى: 30/5، والأعلام: 336/2).

(4) عوَّل عليه: استعان به. (لسان العرب: عول).

(5) سبق الإشارة إليها.

(6) هو عبد الله بن أيوب المنصور بن يوسف المظفّر، التّركماني، من ملوك بني رسول في اليمن، ثار على الملك المجاهد، وطالب بـالملك لنفسه فحاربه المجاهد وانتصر عليه وسجنه بتعز إلى أن توفي سنة 734هـ. انظر: (الأعلام: 73/4).

(7) هو الملك المجاهد بن الملك المؤيّد داود، عليّ (سيف الدّين)، (706-764هـ) خامس ملوك بني رسول في اليمـن.كـان في الأيّام النّاصريّة "محمّد بن قلاوون" صاحب الدّيار المصريّة، فأساء السّيرة، فقبض عليه وخُلِع وحُبس في سنة اثنتين وعشرين وسـبعمائة. انظر: (الدّرر الكامنة: 49/3، وابن خلدون: 513/5، وفيه سنة وفاته سنة 766، ومـرآة الزّمـان: 200/4، والبدايـة والنّهايـة: 237/14و240، وصبح الأعشى: 30/5، والأعلام: 286/4).

(8) امتاحها: المتح: جذبك رشاء الدّلو تمدُّ بيد وتأخذ بيد على رأس البئر. (لسان العرب: متح).

؛ورأيْتُهُ بِهِ بَيْنَ عُلُومٍ يَنْشُرُ جَنَاحَهَا، وتَعَبُّدَاتٍ يُضِيءُ في حُنْدُسِ اللَّيْلِ[1] صَبَاحَهَا.

ومِنْ نَثْرِهِ قَوله مِنْ رُقْعَةٍ كَتَبَها إليَّ، قَالَ فيها: "وكَتَبَها المَمْلُوْكُ في يَوْمٍ تَوَقَّدَتْ جَمْرَتُهُ، وطَالَتْ في نَهَارِ القَيْظِ[2] حُجُوْلُهُ[3] وغُرَّتُهُ[4]، ونَارُهُ على الأكْبَادِ مُوْقِدَةٌ، لو لم يَكُنْ إلاَّ لأنَّ المَمْلُوْكَ فَارَقَ سَيِّدَهُ، ونَسِيْمُ المَمْلُوْكِ سُمُوْمٌ[5]، وسِرْبُهُ يَحْمُوْمٌ[6]، وحَشَاهُ تَكَادُ تَذُوْبُ، وجَفْنُهُ كَرَاهُ في نَهَارِهِ، ولَيْلُهُ مَسْلُوْب، وهَيْهَاتَ ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوْب﴾[7]".

فَكَتَبْتُ عَنْهَا إليهِ جَوَابًا، مِنْهُ: "وكَتَبْتُهَا واليوم قَدْ طَارَ في أُفْقِهِ جَنَاحُ الشُّعَاعِ، وأوْهَمَ الصَّبَا وغَرَّ بَرْقِهِ اللَّمَّاعَ، وصَرَّ الجُنْدُبُ[8] في نَوَاحِيْهِ، وسَكَتَ الطَّيْرُ بَعْدَ تَلاحِيْهِ، وغَرِقَ في آلَةِ اللَّيْلِ[9]، وعَرَفَ بِسَوَادِهِ كَفَّ مَاحِيْهِ، والشَّمْسُ في كَبِدِ السَّمَاءِ "تَرْمِي شَرَرٍ كالقَصرِ"[10]، والأصِيْلُ قَدْ آلَى أنْ لا يَمِيْدَ ولا يَجْنَحَ للعَصْرِ".

ومِنْ نَثْرِهِ- أعْنِي اليَمَانِي-قَوْله: "ويُنْهِي إنَّهُ بَلَغَهُ وفَاةُ الوَلَدِ، وإنَّ اللهَ نَقَلَهُ إليهِ، ولم يَعْلَقْ بِشَيءٍ مِنَ الذُّنُوْبِ، وجَعَلَهُ ذَخِيْرَةً وفَرْطًا[11] لِمَوْلانَا يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ امرئ بِمَا قَدَّمَ مِنْ سَالِفِ العَمَلِ المَحْسُوْبِ، فَلَقَدْ جَرَّعَ الأحْشَاءَ صَابَهُ، وجَرَحَ القَلْبَ سَاعَةَ التَّفْرِيْقِ

---

(1) في (ص): "اليل"، وحندس اللّيل: ظلمته. (لسان العرب: حندس).

(2) القيظ: صميم الصّيف، وهو حاقُّ الصّيف، وهو من طلوع النّجم إلى طلوع سهيل، أعني بالنّجم الثّريّا، والجمع أقياظٌ وقُيوظ. (لسان العرب: قيظ).

(3) الحجول أو التّحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس. (لسان العرب: حجل).

(4) غرّة الشّيء: أوّله وأكرمه، وغرّة الشّهر: ليلة استهلال القمر لبياض أوّلها،...ويقال لثلاث ليال من أوّل الشّهر: ثلاث غرر والواحدة غُرّة، وقال أبو الهيثم: سُمِّين غُرراً، واحدها غُرّة تشبيهاً بغُرّة الفرس في جبهته لأنّ البياض فيه أوّل شيء فيه، وكذلك بياض الهلال في هذه اللّيالي أوّل شيء فيها. (لسان العرب: غرر).

(5) السّموم: الرّيح الحارّة، وقيل: هي الباردة ليلاً كان أو نهاراً. (لسان العرب: سمم).

(6) اليحموم: دخان أسود شديد السّواد، واليحموم: الفرس، واليحموم: الأسود من كلّ شيء. (لسان العرب: حمم).

(7) من الآية: 73 من سورة الحجّ.

(8) من قولهم: "علقت معالقها وصرّ الجندب"، ويضرب هذا لمن اطمأنّ وقرّت عينه بعيشه، وأصله أنّ رجلاً انتهى إلى بئر فأعلق رِشاءه برشائها ثمّ صار إلى صاحب البئر فادّعى جواره، فقال له: وما سبب ذلك؟ قال: علّقت رشائي برشائك، فأبى صاحب البئر وأمره أن يرتحل؛ فقال: "علقت معالقها وصرّ الجندب"
أي جاء الحرُّ ولا يمكنني الرّحيل. (لسان العرب: علق).

(9) في (ص): "اليل".

(10) من الآية: 32 من سورة المرسلات:﴿إنّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقصر﴾.

(11) الفرط: ما تقدّمك من أجر وعمل، وفرط الولد: صغاره ما لم يُدْرِكُوا، وجمعه أفراط، وفي الدّعاء للطّفل الميت: اللّهمّ اجعله لنا فَرَطًا أيّ أجراً يتقدّمُنا حتّى نرد عليه. (لسان العرب: فرط).

(12) في الأصل و(ص): "امرء".

مُصَابُهُ، وقطَّعَ الأكْبَادَ فَقْدُه، وأورَثَ الأحزَانَ بُعْدُه، فَيَا لَهُ مِنْ قُرَّة عَيْن[1] أورَثَهَا القَدَرُ قَذَى الأجْفَان، وغُصْن سُؤدد اقْتَطَفَهُ قَبْلَ الإزْهَارِ يَدُ الأحْزَان، وهِلَال حُسْنٍ اعْتَوَرَ نُورَهُ الحَدَثَان، وثَمَرَة جُوْد أوْدعَتْ مَدَارِجَ الأكْفَان، ورَبْع أُنْسٍ أمْسَى صَاحِبُهُ بالخُطُوْب خَلَلاً، وقَادح أمْرٍ أضْحَى بَيَان أمْرِه جَلَلاً على أنَّ الخُطُوْبَ لا تُزَاحِمُ إلاَّ ثَبِيْرَاً[2]، ولا تُعَانِدُ بورُوْدهَا إلاَّ كَبِيْرَاً، وفي سَجَايَاهُ الكَرِيْمَةِ خِلاَلٌ قَلَّ أنْ يَكُوْنَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاس، وصِفَات تَفَرَّدَ بِهَا، وهي: الثُّبُوْت عِنْدَ هُجُوْمِ البَأسِ، ولئِنْ غَابَ مِنْ سَمَاءِ عَلاَئِهِ هَذَا النَّجْمُ الزَّاهِرُ، وذَهَبَ أثَرُهُ[3] المُنِيْرُ البَاهِرُ، فكَم في فَلَكِ مَحَامِدِهِ مِنْ نَجْمِ سِيَادَةٍ بأنْوَارِ الرِّئَاسَةِ سَاطِعٌ، وكَوْكَبُ فَضْلٍ مَا يُقَالُ لَهُ: هَذَا غَارِبٌ حَتَّى يُقَالَ لأخِيْهِ هَذَا طَالِع".

ومِنْهُ قَوله، مِنْ كِتَاب كَتَبَهُ إليَّ: "ويُنْهِي أنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ خَدَمِ هَذَا البَيْتِ الشَّرِيْفِ، والغَنِيّ بِسِمَةِ ولائِهِ بَيْنَ أوْلِيَائِهِ عن التَّعْرِيْفِ، وقَدْ سَارَتْ مَدَائِحُهُ في هَذِهِ البَقِيَّةِ العُمَرِيَّةِ[4] مُغَرِّبَة ومُشَرِّقَة، ومُنْجِدَة ومُعْرِقَة، يَهْجِمُ بِهَا، وجَفْنُهُ لِبُعْدِهِ عن بَابِ سَيِّدِهِ لا يَذُوْق غَمْضَاً، ولا يَعْرِفُ لَيْلاً أقْبَلَ أوْ يُقْضَى، وقُصَارَى مُنَاهُ أنْ لا يَقْبَلَ فيهِ قَوْلَ حَاسِدٍ أو جَاهِلٍ، حَاشَا[5] المَجْلِس الشَّرِيْف، أو عَالِم مُعَاند، ومَوْلاَنَا يَعْذر المَمْلُوْك؛ فإنَّهُ كَتَبَ هَذِهِ الضَّرَاعَةَ، واللَّيْل قَدْ أسْفَرَ دجنّهُ، والسَّهَرُ قَدْ تَرَسَّمَ المَمْلُوْكَ حتَّى تَغَيَّرَ ذهْنُهُ، والمَمْلُوكُ مَا تَغَيَّرَ في هَذَا البَيْتِ المَعْمُوْرِ العُمَرِيّ ظَنَّه".

فَكَتَبْتُ لَهُ جَوَابَاً، مِنْهُ: "وانْتَهَى إليَّ هَنَا والنَّسِيْمُ في السَّحَرِ قَدْ هَلْهَلَ ثَوْبَ الظَّلاَم، وسَحَبَ رِدَاءَهُ[6] على أعْقَابِ ذيول الغَمَامِ، والجَوْزَاء[7] قَدْ انْتَشَرَتْ تَحْتَ مِسْبَحِ السَّرَطَان[8]، وشُعَاع الشَّمْسِ المُحْمَرِّ قَدْ عُرِفَ في مُقْلَةِ الأسَدِ[9] الغَضْبَان، والدِّيْك قَدْ طَلَعَ

---

(1) قرّة عين: لعلّ المعنى مأخوذ من القرار، أيْ رأت ما كانت متشوّقة إليه فقرّت ونامت، وقال بعضهم: قرّت عينه مأخوذ من القرور، وهو الدّمع البارد يخرج مع الفرح، وقيل: من القرار، وهو الهدوء. (لسان العرب: قرر).

(2) سبق الإشارة إليه.

(3) في الأصل: "أتره"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(4) في (ص): "العمر".

(5) في الأصل: "حاشى"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(6) في الأصل: "رداه". (7) سبق الإشارة إليه.

(8) السّرطان: هو صورة سرطان على وسط السّماء، رأسه إلى الشّمال، ومؤخّره إلى الجنوب، والنّثرة على صدره، وعيناه كوكبان خفيّان تحت النّثرة يُدعيان بالحمارين، وزباناه كوكبان فيهما خفاء، وأحدهما أضوأ من الآخر، يكونان شماليين =

على شَرَفِ الجِدَارِ وصَاحَ في اللَّيْلِ[1] مِنْهُ جَاوِيْشُ النَّهَارِ، والمَصَابِيْحُ قَدْ فَرَغَ سَلِيْطُهَا[2] وكَثُرَ في ضَوْءِ الصَّبَاحِ تَخْلِيْطُهَا.

فَوَقَفَ المَمْلُوْكُ وِقْفَةَ الحَيْرَانِ، وتَمَلْمَلَ تَمَلْمُلَ الغَيْرَانِ، وأرَادَ أنْ يُطِيْلَ القَوْلَ بِقَدرِ مَا يَدْعُوْهُ إليهِ رَائِدُ الشَّوْقِ، ويَحْمِلُهُ على أنْ يَحْمِلَ السَّمْعَ الكَرِيْمَ فَوْقَ الطَّوْقِ[3]، ثُمَّ رَجَعَ فَعَاتَبَهُ فِكْرُهُ الطَّلِيْحُ[4]، وجَادَ بِهِ قَلَمُهُ الطَّرِيْحُ، وأنَّبَهُ أدَبُهُ، وقَالَ لَهُ قَدْ آنَ لَكَ أنْ[5] تُرِيْحَ الرَّجُلَ مِنْ تَطْوِيْلِكَ وتَسْتَرِيْحَ".

ومِنْهُ قَوله-أعْنِي اليَمَانِي- في كِتَابٍ يَزْعمهُ في مَعْنَى الكِتَابِ الفَاضِلِيّ بِفُتُوْحِ القُدْسِ: "هَذَا وعُلُوْم الدِّيْوَانِ العَزِيْزَةِ مُحِيْطَةٌ باسْتِيْلاَءِ أهْلِ التَّثْلِيْثِ على البَيْتِ المُقَدَّسِ والمَسْجِدِ الّذي هُوَ على التَّقْوَى مُؤسَّس[6]، وإنَّهُمْ جَعَلُوْهُ مَفْزَعَ طَرِيْدِهم، ومَقَرَّ شَرِيْدِهم، ومَعْقِلَ رُهْبَانِهِم، ومَعْلَمَ أدْيَانِهم، ومَقَرَّ طَالِبِهم، ومُنْتَجَعَ هَارِبِهِم، ومَنْهَجَ شِرْعَتِهِم، وعَمُوْدَ بَيْعَتِهِم، وعُكَاظَ نِفَاقِهِم، ومَوْسِمَ شِقَاقِهِم، ونَادي[7] سِمَارِهِم، ومَظْهَرَ شِعَارِهِم، ومَنَارَ مَنَارِهِم، ومُلْتَقَطَ أخْبَارِهِم، ومَنْزِلَ أحْبَارِهِم، مع إنَّ طَوَائِفَ الفِرَنْجِ بِبَيْعَتِهِ طَائِفَةٌ، وأُمَمَ النَّصَارَى على دِيْنِ الصَّلِيْبِ عَاكِفَةٌ، لا يَعْرِفُوْنَ عَنْ[8] الإنْجِيلِ غَيْرَ مَا بَذَلُوْهُ، ومِنَ القُرْبِ غَيْرَ مَا مَتْلُوْهُ[9].

- من التّوأم، ومؤخّره كفُّ الأسد. (صبح الأعشى: 170/2).

(9) الأسد: في وسط السّماء، فمه مفتوح إلى النّثرة، وعلى رأسه كواكب مضيئة، والطّرف على عنقه، والجبهة على صدره، وقلبه الكوكب الجنوبيّ المضيء من النّثرة، وهو عظيم النّور، وكاهله كواكب خفيّة خارجة عن الطّرف والجبهة إلى الشّمال، والخراتان خاصرته، والصّرفة ذنبه، وكفّه المتقدّمة في آخر السّرطان، وكفّه الأخرى بعد هذه الكفّ إلى المشرق، ورجله الأولى تخرج من الكوكب القبلي من الخراتين إلى الجنوب، والأخرى تحت هذه للمشرق، وكبده كوكب يتوسّط مع الجبهة شماليّ منها، وسائر فقراته إلى المشرق. (صبح الأعشى: 170/2و171).

(1) في (ص): "اليل".

(2) السّليط: عند عامّة العرب الزّيت، وعند أهل اليمن دُهْن السّمسم. (لسان العرب: سلط).

(3) الطّوق والإطاقة: القدرة على الشّيء. (لسان العرب: طوق).

(4) الطّليح: الّذي أصابه الإعياء والسّقوط. (لسان العرب: طلح).

(5) سقطت من (ص).

(6) عن أبي سعيد الخدريّ قال: دخلت على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أيّ المسجدين الّذي أُسّس على التّقوى، قال: فأخذ كفّاً من حصباء فضرب به الأرض ثمّ قال: "هو مسجدكم هذا: لمسجد المدينة". (صحيح مسلم: 168/9).

(7) في الأصل: "وبادي سمارهم"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في (ص): "من".

(9) في الأصل: "متلوه"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

فَنَهَضَ إليهِ الخَادمُ في جَحْفَلٍ مِنْ أوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ القَاهِرَةِ، يَرَوْنَ المَوْتَ مَغْنَماً، والسَّلاَمَةَ مَغْرَمَاً، والهَزِيْمَةَ عَاراً، والإدْبَارَ نَاراً، مَا حَلُّوا بأرْضٍ إلاَّ وأنْبَتَتْ مِن سَاعَتِهَا قَنَا، ولا نَازَلُوا حِصْنَاً إلاَّ بَلَغُوا مِنْ شَامِخِهِ المُنَى، بَايَعُوا اللهَ على إخْمَادِ الكُفْرِ جِهَاراً، وعَاهَدُوهُ على أنْ لا يَذَرَ مَاضِي سُيُوْفِهم على وَجْهِ الأرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً[1].

فَلَمَّا شَاهَدْنَا رِفْعَتَهَا، ومَيَّزْنَا عُلُوَّهَا ومَنَعَتَهَا، رَأَيْنَا مَعْهَدَاً أخَذَ الشَّيْطَانُ على أهْلِهِ أنْ لا يَخْفِرَ لَهُم عَهْدَاً، وعَلَمَاً أمْسَى لِدِيْنِ النَّصْرَانِيَّةِ على مَا ادَّعُوْهُ فَرْدَاً.

قَدْ كَمَّلُوا عُدَّتَهَا وعَدِيْدَهَا، واسْتَخْدَمُوا لِلْمُحَارَبَةِ شَقِيَّهَا وسَعِيْدَهَا، وإذا رَأَوْا على أرْجَائِهَا حَفِيْراً[2] أضْحَى لِجَمَالِهَا[3] سِوَاراً، ولِحِمَايَتِهَا مِنَ التَّطَرُّفِ إلى مُنَازَعَةِ نَزْعِهَا أسْوَاراً، بِنَاء ولَكِنْ يَقْصرُ عن مُمَاثَلَتِهِ يَدَان، وإتْقَان هو بلاَ شَكٍّ مِنْ صَنْعَةِ الجَانِّ، وعِمَلوة ولَكِنْ مِنْ سَاحِرٍ عَنِيْدٍ، وتَدْبِير ولَكِنْ عن رَأْيِ شَيْطَانٍ مَرِيْدٍ، وتَمَاثِيْل يُخَيَّلُ إلينا مِنْ سِحْرِهِم أنَّهَا تَسْعَى[4]، وصَحْرَاء أرْض لَيْسَ لِمَنْ أقَامَ بها طَلٌّ هُنَاكَ ولا مَرْعَى.

فَاسْتَرْقَيْنَا مَكَانَاً دَلَّنَا عليهِ حُسْنُ الإيْمَان، نَصَبْنَا على أرْجَائِهِ مَنْجَنِيْقَنَا، هَدَرَ بَازِلُهُ، وهَتَمَ ثَغْرَ تِلْكَ الأبْنِيَةِ نَازِلُهُ، وتَجَسَّدَتْ عِصِيُّهُ حَيَّات ﴿تَلْقَف مَا صَنَعُوا﴾[5]، وفَرَّقَتْ مَا جَمَعُوا، وظَلَّ لَنَا ولَهُم يَوم ولا كَيَوْمِ ذِي قَار[6]، وحَرْب ولَكِنْ أيْنَ حِزْبُ أهْلِ الجَنَّةِ مِنْ حِزْبِ أهْلِ النَّارِ، بِسُيُوْف مَخْرُوْطَةٍ، وأيْدٍ مِنَّا ومِنْهُم بالدُّعَاءِ مَبْسُوْطَةٍ، وعَجَاجٍ انْعَقَدَ مَثَارُهُ[7]، وقَسْطَلٍ[8] ولَكِنْ اسْتَعَرَ[9] بِحَوَافِرِ الصَّوَافِنِ[10] أُوَارُهُ[11]، قَدْ بَذَلُوا أنْفُسَهُم

(1) من الآية: 26 من سورة نوح:﴿وقَالَ نُوْحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً﴾.

(2) الحفير: البئر الموسّعة فوق قدرها. (لسان العرب: حفر).

(3) في (ص): "لجما".

(4) من الآية: 66 من سورة طه: ﴿فَإذَا حِبَالهم وعِصِيِّهم يُخَيَّل إليهِ مِنْ سِحْرِهِم أنَّها تَسْعَى﴾.

(5) من الآية: 69 من سورة طه: ﴿وألْقِ مَا فِي يَمِيْنِكَ تَلْقَف مَا صَنَعُوا﴾.

(6) يوم ذي قار: يوم لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً فظفرت بنو شيبان، وهو أوّل يوم انتصرت فيه العرب من العجم. انظر: ((لسان العرب: قور)، والأغاني: 224/24، وتاريخ الطّبري: 193/2).

(7) في (ص): "مناره".

(8) القسطل: الغُبار السّاطع. (لسان العرب: قسطل).

(9) استعر: اشتعل. (لسان العرب: سعر).

(10) الصّوافن: جمع صافن، والصّافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرّابعة على طرف الحافر وقد قيل: الصّافن القائم على الإطلاق. (لسان العرب: صفن).

(11) الأوار: شدّة حرّ الشّمس ولفح النّار ووهجها والعطش، وقيل: الدّخان واللّهب. (لسان العرب: أور).

دُونَهَا، ورامُوا[1] ولو بهلاكِهم صَوْنَهَا، وعَلاَ شُرُفَاتِهَا مِنْهُم أُمَمٌ لا تُحْصَى، وجَمْعٌ آلَتْ[2] يَدُ المَنِيَّةِ لِعَدُوِّهِم لا بُدَّ تَسْتَقْصِي، و لم تَزَلْ المَنَايَا تَشْحَنُ بِقُوَّةِ اللهِ ذَلِكَ الحَفِـــيْر، وتُـــوْرِدَ سُكَّانَ تِلْكَ البِقَاعِ بِعَوْنِ اللهِ سُوْءَ المَصِيْر.

ثُمَّ سَارَتْ رَحَافُتُنَا وجَالَ النَّقْبُ في أَرْجَائِهَا، وبَلَغَتِ الأَمَانِي مِنَ النَّصْرِ غَايَةَ رَجَائِـهَا، وصَيَّرْنَاهَا بالحَدِيْدِ والطَّلَلِ الدَّارِسِ بَعْدَ المَشِيْدِ، وحَمَلْنَا عليهم بِقَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، فانْطَمَسَ مَعكَم التَّثْلِيْث، واسْتَبَانَ طَرِيْقِ الوَاحِدِ، وتَفَرَّقَ مَنْ بِهَا بَيْنَ أَسِيْرٍ أَثْقَلَتْهُ أَغْلاَلُهُ، وقَتِيْلٍ غَرَّتْـهُ بالإِقْدَامِ آمَالُهُ، وطَرِيْدٍ لا يُعْرَفُ لَهُ مَكَانَاً، وخَائِفٍ كُلَّمَا تَبَدَّى[3] لَهُ مَرْأى ظَنَّهُ إِنْسَانَاً.

وفَتَحْنَاهَا بُكْرَةَ الجُمْعَة، وغَدَتْ أَعْلاَمُ الخِلاَفَةِ المُعَظَّمَةِ على بَقَايَا شُـــرُفَاتِهَا خَافِقَـــة، وأطْلاَبُ الإِسْلاَمِ لاسْتِئْصَالِ شَافَّتِهِم مُتَلاَحِقَة، وقَامَ خَطِيْبُنَا على صَهْوَةِ المِنْـــبَرِ الأَقْصَـــى مُرْتَجِلاً، وصَاغَ أَوْصَافَ المَوَاقِفِ المُعَظَّمَةِ، والمَوَاطِنَ المُكَرَّمَةِ لِجِيْدِهِ حُلَى، وذَكَّرَهُ الحَـــرْبَ وكَانَ نَاسِيَاً، وألاَنَ لَهُ بالمَوَاعِظِ قَلْبَاً كَانَ لِعَدَمِ الذِّكَارِ قَاسِيَاً.

وأَعَدْنَا إِليهِ مَا كَانَ يَعْهَدُهُ مِنَ الجَمْعِ، وتَقَدَّمْنَا بِهَدْمِ مَا اسْتَحْدَثَ مِنَ البِيَعِ[4]، وشَيَّدْنَا مَا دُثِرَ مِنْ كُلِّ مَشْهَدٍ[5] اعْتَمَدُوا تَخْرِيْبَه ومَعْبَدٍ، واسْتَنْقَذْنَا مَعَالِمَ الصَّخْرَةِ الشَّرِيْفَةِ مِـــنَ الأَشْرَاك، فَعَادَتْ إلى أُخُوَّةِ الحَجَرِ الأَسْوَد، وهَذَا الفَتْحُ وإِنْ كَانَ[6] المَقْصُوْدُ مِنْـــهُ مَكَانَـــاً مَخْصُوْصَاً، فَهْوَ فَتْحٌ يَشْتَمِلُ علـــى مُـــدُنٍ عَـــامِرَة، ورِبَـــاعٍ غَـــير عَـــامِرَةٍ، وقِـــلاَعٍ مَرْفُوْعَةٍ، ﴿وفَاكِهَةٍ لاَ مَقْطُوْعَةٍ ولا مَمْنُوْعَةٍ﴾[7]، وقُرَىً طَاهِرَة، ورُكْبَانٍ وَارِدَةٍ وصَـــادِرَة، وهَذَا المَسْجِدُ شَقِيْقُ الحَرَمَيْنِ، وثَالِثُ الرِّحْلَتَيْنِ[8]، ومَعْبَدُ الأَنْبِيَاء، ومَوْطِنُ بَرَكَةِ الأَوْلِيَـــاء، فللهِ دَرُّهُ فَتْحَاً أَقَرَّ نُوْرَ الدِّيْنِ في نَاظِرِه، وشِعَارِ الإِسْلاَمِ في مَشَاعِرِه.

قُلْتُ: وَوَقَفْتُ لَهُ على رُقْعَةٍ ذَكَرَ فيهَا يَوْمَاً أَصْبَحَ "والثُّرَيَّا فيهِ كَأَنَّهَا في بُرُوْجِ المَطَالِعِ

---

(1) في (ص): "ورامو".

(2) في (ص): "الات".

(3) في الأصل: "تبدّا"، وفي (ص): "تبدّ".

(4) البيع: جمع بيعة، وهي كنيسة النّصارى. (لسان العرب: بيع).

(5) المشهد: المجمع من النّاس، أو محضر النّاس، ومشاهد مكّة: المواطن الّتي يجتمعون بها. (لسان العرب: شهد).

(6) سقطت من (ص).

(7) من الآية: 33 من سورة الواقعة.

(8) من قول رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: " لا تُشدّ الرّحال إلاّ إلى المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى"، انظـر: (مسند الإمام أحمد: 501/2).

كَفّ خُوْد تَختّمَتْ في رؤوسِ[1] الأصابِعِ"[2]، و"الصَّباح جَام لُجَيْن مَلأَتْهُ أشِعَّةُ الشّـــمْسِ خمْرَاً، والمَجَرَّةُ بَحْرٌ مُزبّد يَقْذِفُ الفَوَاقِعَ دُرّاً"[3]، والنَّسْرُ قَدْ ضَجِرَ مِمَّا حَامَ، وسُهَيْل[4] قَدْ تَقَدَّمَ خَوْفَاً مِنَ الزِّحَامِ، وقَدْ عَارَضَتْ وَسْط السَّمَاءِ الشِّعْرَى[5] كَأَنَّهَا يَاقُوْتَة[6] في مِـــدْرَى الجَوْزَاءِ قَدْ مَالَتْ كَشَارِبِ قَهْوَةٍ[7] لَمْ تُمْزَجْ، أو حَسْنَاء تَنَفَّسَـــتْ في المِـــرْآةِ إذْ نَظَـــرَتْ مَحَاسِنَهَا و لم تَتَزَوَّجْ"[8].

والرَّقْعَةُ هَذَا مَضْمُوْنُهَا، وهو- أسْعَدَ اللهُ مَوْلاَنَا بِهَذَا اليَوْمِ الّذي تَمَثّلَتْ ثُرَيَّاه صُـــوْرَةَ كَأسٍ يُطَافُ بِهِ على الجُلاّسِ، وأتَى نَسْرُهُ إلى المَجَرَّةِ حَائِمَاً على الوُرُوْدِ، ذاوِيَاً[9] كَأَنَّهُ

---

(1) في الأصل: "روس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) حلّ لقول الشّاعر:

والثّريّـــا كـــأنّها | في بـــروج المطالع
كفُّ خود تختّمت | في رؤوس الأصابع

نسب البيتان في غرائب التّنبيهات: 37 لابن الرّومي، و لم يردا في ديوانه، ووردا في سرور النّفس: 135.

(3) حلّ لقول سليمان الماردينيّ:

والثّريّا كأنّها كأس خمر | أطلعت فوقها الفواقع دُرّا
وكأنّ الصّباح جام لجين | ملأته أشعّة الشّمس خمرا

(سرور النّفس: 125).

(4) سهيل: وهو كوكب أحمر منفرد عن الكواكب، ولقربه من الأفق كأنّه أبداً يضطرب، وهو من الكواكب اليمانيّة: قال ابن قتيبة: ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق. قال: وهو يُرى في جميع أرض العرب، ولا يُرى في شيء من بلاد أرمينية. (صبح الأعشى: 182/2).

(5) الشّعرى: الشّعريان: العبور، وكانت تُعبد في الجاهليّة، بقوله تعالى: ﴿وأنّه هو ربُّ الشّعرى﴾، وهـــي في الجـــوزاء، والشّـــعرى الغميصاء، ومع كلّ واحدة منهما كوكب يقال له المِرزم،... (صبح الأعشى: 182/2).

(6) حلّ لقول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر:

واعترضت وسط السّماء الشّعرى | كأنّها ياقوتةٌ في مِدْرَى

(سرور النّفس: 139)، ورواية البيت في ديوان المعاني: 338/1:

أقول لمّا هاجَ شوقُ الذّكرى | واعترضت في وسط السّماء الشّعرى
كـــأنّها ياقوتة في مـــدرى | مـــا أطـــول اللّيـــل بســـرّ مـــرّى

في (ص): "ياقوة".

(7) القهوة: الخمر، سُمّيت بذلك لأنّها تُقْهي شاربها عن الطّعام أيّ تذهب بشهوته، وفي التّهذيب: أي تشبعه. (لسان العرب: قها).

(8) حلّ لقول أبي بكر الخالدي:

وتمايل الجوزاء يحكي في الدّجى | ميلان شارب قهوة لم تمزجِ
كتنـــفّس الحسناء في المـــرآة | إذ كملت محاسنها و لم تتزوّجِ

انظر: (مسالك الأبصار: 181/15، وسرور النّفس: 137، وغرائب التّنبيهات: 22).

(9) في الأصل: "رارياً"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

مَجْهُوْدٌ، والجَوْزَاءُ مُسْبَلَةِ الذَّوائِب، وسُهَيْلٌ لَهَا خاطِبٌ، والشِّعْرَى شَعْرُهَا وغَدَائِرُهَا الغَيَاهِب، ومَدَّ اللهُ عُمْرَ مَوْلاَنَا، ومَتَّعَهُ بشَرَفِ المَنَاقِبِ، وبِهَذَا ذَكَرْتُ قَوْلِي مِنْ قَصِيْدَةٍ، وهو:

شَقَّ الصَّبَاحُ غِلاَلَةَ الظَّلْمَاءِ ... وجَلاَ النَّهَارُ غَدِيْرَ كُلِّ سَمَاءِ
لَوْلاَ كَوَاكِبُ[1] في الصَّبَاحِ تَأَخَّرَتْ ... كَحَمَائِمٍ مَبْثُوْثَةٍ فِي مَاءِ
بِصَبِيْحَةٍ رَقَّتْ حَوَاشِي هُدْبِهَا ... ووَشَى النَّسِيْمُ بِهَا إلى الأنْوَاءِ
حَتَّى تَجَلَّتْ مِثْلُ خُوْدٍ خُتِّمَتْ ... بالنَّجْمِ تَحْتَ مِظَلَّةِ الجَوْزَاءِ
وبَدَا سُهَيْلٌ ثُمَّ والشِّعْرَى ... يَلِي اليَاقُوْتَة الصَّفْرَاءِ والحَمْرَاءِ
وكَأَنَّمَا زَهْرُ المَجَرَّةِ رَوْضَةٌ ... قَدْ كُلِّلَتْ بِجَوَاهِرِ الأنْدَاءِ
والنَّسْرُ في شَفَقِ الصَّبَاحِ مُشَمِّرٌ ... كَي لاَ يَبِلَّ لِبَاسَهُ بِدِمَاءِ

عُدْنَا إلى اليَمَنِي، ومِنْ شِعْرِهِ قَوله يَذمّ مَدِيْنَةَ عَدَن:

عَدَنٌ إذا رُمْتَ المُقَامَ بِرَبْعِهَا[2] ... فَلَقَدْ تُقِيْمُ[3] على لَهِيْبِ الهَاوِيَة
بَدْرٌ خَلاَ مِنْ فَاضِلٍ[4] وصُدُوْرُهُ[5] ... أعْجَازُ نَخْلٍ إذْ تَرَاهَا خَاوِيَة[6]

وقَوله:

إذا حَلَّتْ أيَادِي البَرْق رَمْزَاً ... على كَنْزِ الغَمَامِ سَقَيْنَ حِرْزَا
وأمْطَرَت الغُيُوْمُ خُيُوْل سَيْل ... على وَجْهِ الثَّرَى يَجْمِزْنَ جَمْزَا
أثَرْنَ بَيَاتَهُ فَكَسَا رُبُوْعَاً ... تَعَرَّتْ عَن مَلاَبِسِهِنَّ خَزَّا
وبَاعُ المُشْترى لَمَّا تَوَالَى ... مَحَبَّتَهُ لِكَفِّ الأرْضِ بَزَّا
وَأطْلَعَتِ الرِّيَاضُ نُجُوْمَ نَوْرٍ ... فَتُغْرِيْهَا أيَادِي الشَّرْبِ حَزَّا
وَوَلَّى عَسْكَرُ الظَّلْمَاءِ هَزْمَاً ... أخَافَتْ مِنْ سِنَانِ البَرْقِ وَخزَا
وحِيْنَئِذٍ تَرَى عُقْدَ الثُّرَيَّا ... على جِيْدِ الخَمَائِلِ قَدْ تَجَزَّى

---

(1) في (ص): "لولا الكواكب".
(3) في فوات الوفيات: 247/2: "بأرضها".
(4) في الوافي: 26/18، والدّرر الكامنة: 424/2، وفوات الوفيات: 247/2: "أقمت".
(5) في الوافي، والدّرر الكامنة، وفوات الوفيات: "بلد خلا عن فاضل".
(6) في الدّرر الكامنة : "فصدوره".
(7) من الآية: 7 من سورة الحاقّة:﴿فَتَرَى القَوْمَ فيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أعْجَاز نَخْلٍ خَاوِية﴾.

فَمَا هَذَا التَّأنّي يَـا نَدِيْمِي ... لَقَـدْ خَالَفْتَ إذْ خَالَفْتَ عَجْزَا

وجَام الشُّرْبِ يُنْسَبُ للثُّرَيَّا ... وشَمْسُ الرَّاحِ نَحْوَ الكَرْمِ تُعْزَى

فَواصِلْنِـي بِهَا فَلَعَلَّ دَائِي ... يَـزُوْلُ إذا شَرِبْتُ الخَمْـرَ مُزًّا

على نَهْرِ المَجرَّةِ والدَّرَارِي ... عُيُـوْنٌ حَـوْلَهَا يُبْدِيْـنَ غَمْزًا

فَجَرِّدْ جَيْشَ لَهْوِكَ يا خَلِيْلِي ... لِغَـزْوِ غَنِيْمَةٍ مِـنْ قَبْـلِ تُغْزَى

ومِنْهُم: **عبد الله بن عليّ بن محمّد بن سلمان،** عُرِفَ بابن جَمَالِ الدِّيْنِ أبو الفَضْلِ غـانم المقدسي"[1]، شَابٌ بَرَعَ وبَهَرَ، وطَلَعَ مِثْلِ الكَوَاكِبِ وظَهَرَ، ومَـا أعْـرِفُ فِي أيِّ وَقْـتٍ اشْتَغَلَ، ولا مَتَى أُلْهِبَ سَعْفُهُ واشْتَعَلَ، كَأَنَّمَا لُقِّنَ سِحْرُ البَيَانِ[2] مِنْ حِيْنِ وَلَدَتْـهُ أُمُّـهُ، وبَزَغَ فِي الأُفْقِ نَجْمُهُ، وأتَى بِلَطَائِفِ الشَّبَابِ، ويُلائِم في الكُؤوس[3] حابِلَ الحُبَابِ، هَـذا إلى حُسْنِ خَطٍّ كَأَنَّمَا نَمْنَمَهُ عِذَارُهُ، وقِيَام حَسَّنَهُ عِنْدَ المُحِبِّيْن بأعْذَارِه، وهَذَا كُلُّهُ فِي مُـدَّة أقْصَرُ مِنْ رَجْعِ النَّفَسِ، وأسْرَع مِنْ قَدْحِ الزّنَادِ للقَبَسِ، فِي زَمَانٍ أعْجَلُ مِنْ إيْمَاءِ المَلِيْـحِ، وأقَلُّ مِنْ مُقَامِ الضَّيْفِ عِنْدَ الشَّحِيْحِ، لَكِنَّهُ لَمَّا جَاءَ بالألْفَاظِ بَهَرَ[4] حُسْـنُهَا، ويُرَجِّـحُ وَزْنُهَا، ظَنَّ إنَّهُ قَدْ انْتهَى، وتَنَاوَلَ بإحْدَى يَدَيْهِ القَمَرَ، وبالأخْرَى السُّهَا[5]، فَتَرَكَ الطَّلَـبَ وقَدْ كَانَ لَهُ انْتَصَبْ، واسْتَنْزَفَ ثَمْدَةَ[6] البِلَى حتَّى نَضَبَ.

وكَانَ يَشْغَلَهُ مَا يَشْغَلُ الشَّبَاب، ويُصْرِفْهُ عنِ الثَّبَاتِ على حَالٍ مَا يُصَرِّفُ النَّسِـيْمَ الهَابِّ، فَكَانَ لا يَرَى مُسْتَقَرًّا قَدْرَ دَقِيْقَة، ولا رَجْعَ الطَّرْفِ حَقِيْقَة، فَكَانَ يَعِيْبُهُ التَّـهَوّر، ويُزِيْنُهُ كَثْرَةَ التّصُورِ[7]، ومَا سَلِمَ حتَّى وَدَّعَ، ولا تَلَقَّتْهُ القَوَابِلُ حتَّى شَيَّعَهُ مَنْ شَيَّعَ.

---

(1) هو عبد الله بن عليّ بن محمّد بن سليمان بن حمائل، جمال الدّين الشّهير بابن غانم (711-744هـ): كاتب، له نظـم حسـن واشتغال بالحديث، ولد وتوفي في دمشق، ولي إنشاء الدّيوان بالشّام، وكانت له مع صلاح الدّين الصّفدي مراسـلات. انظـر: (الوافي: 351/17، وأعيان العصر: 696/2، وفوات الوفيات: 206/2، والدّرر الكامنة: 282/2وفيه سلمان، وتذكـرة النّبيـه: 54/3، والأعلام: 106/4).

(2) في (ص): "البنان".

(3) في الأصل: "الكوس".

(4) في (ص): "يبهر".

(5) في الأصل: "السّهى"، والسّها: هو كوكب خفيّ في بنات نعش الكبرى، والنّاس يمتحنون به أبصارهم لخفائه. (صبح الأعشـى: 181/2).

(6) الثّمْدُ والثّمَدَ: الماء القليل الّذي لا مادّ له، وقيل: هو القليل الّذي يبقى في الجَلَد. (لسان العرب: ثمد).

(7) في الأصل و(ص): "النصور".

ومِنْ نَثْرِه قَوله في جَوابٍ كَتَبَهُ عن نَائِبِ الشَّامِ تِنْكز[1] إلى نَائِبِ طَرِيْقٍ في مَعْنَى الحَرِيْقِ الّذي حَصَلَ بدِمَشْقَ في سَنَةِ أَرْبَعِيْنَ وسَبْعمائة[2]: "-أَعزَّ اللهُ أَنْصَارَ المَقرّ الشَّرِيْفِ، وحَرَسَ بَرَّهُ الّذي يَتحَرَّى، وحُبُّهُ[3] الّذي يَتسَرَّعُ إلى القُلُوْبِ ويَتسَرَّى، وأَمْرُهُ الّذي يُبَرِّدُ بنَدَاهُ كُلَّ كَبِدٍ حَرَّى، وسِرُّهُ الّذي إذا نَاجَتْهُ خَوَاطِرُ الإشْفَاقِ والإرْفَاقِ أَنْشَدْهُمَا: "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى"[4].

المَمْلُوْكُ يُقَبِّلُ البَاسِطَةَ الشَّرِيْفَةَ تَقبيْلاً يُبَرِّدُ بِهِ الغَلِيْلَ، ويُدَاوَى بطِبِّهِ الفِكْرَ العَلِيْلَ، ويُنْهِي وُرُوْدَ مُشَرَّفَةٍ يَتَضَمَّنُ أَمْرَ الحَرِيْقَ الّذي حَصَلَ بدِمَشْقَ في هَذِهِ المُدَّةِ حَتَّى أَحْرَقَهَا بنَارِهِ، "وحَفَّ جَنَّتَهَا بالمَكَارِهِ"[5] وسَلَّ عليها سَيْفَ الضِّرَامِ، وحَكَمَ عليها حُكْمَ الدَّهْرِ على الكِرَامِ، وأَطْلَعَ في وَجْهِ شَامِهَا لِغَيْرِ الحُسْنِ شَامَاً، وكَادَ يَأْتِي عليها لولا تَدَارُك لُطْفِ اللهِ بـ: ﴿يَا نَار كُوْنِي بَرْدَاً وسَلاَمَاً﴾[6].

وهَجَمَ على جيْرون[7] فَغَبَّرَ دَهْشَتَهَا، وعلى الخَضْرَاءِ[8] فَرَمَى فَرْشَتَهَا، وعلى اللَّبَادِيْنَ[9] فَكَسَرَ قَلْبَهَا لأَنَّهُ كَانَ زُجَاجَاً، وعلى الوَرَّاقِيْنَ[10] فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى صَارَ باللَّهَبِ كُلُّ

---

(1) هو الأمير الكبير المهيب العادل الفريد، سيف الدّين أبو سعيد الأشرفيّ النّاصريّ، نائب السّلطنة بدمشق، توفي سنة 744هـ...انظر: (فوات الوفيات: 251/1، والبداية والنّهاية: 251/14، والمنهل الصّافي: 156/4، وأعيان العصر: 116/2).

(2) في (ص): "وسبع"، في الأصل: "سبعمئة".

(3) في الأصل و(ص): "وحبوه"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(4) مطلع معلّقة امرئ القيس، الدّيوان: 164/1:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

(5) من قول الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-: "حجبت النّار بالشّهوات، وحجبت الجنّة بالمكاره". (صحيح مسلم: 10/23)، وفي كشف الخفاء: 362/1: "حفّت الجنّة بالمكاره، وحفّت النّار بالشّهوات".

(6) من الآية: 69 من سورة الأنبياء.

(7) جيرون: باب من أبواب جامع دمشق، وجيرون هذا هو جيرون بن سعد بن عاد، وهو الّذي بنى دمشق ونقل إليها الرّخام وسمّاها إرم، وهو الباب الشّرقيّ، وهو أعظمها، وذكر المقدسي في أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم: 158: "والصّحن يقابله عن اليسلو باب جيرون على ما ذكرنا غير أنّ الأروقة معقودة بالعرض يصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون وأضرابهم. انظر: (معجم البلدان: 169/2، والرّوض المعطار: 186، وشرح المقامات للشّريشي: 38/2).

(8) الخضراء: دار معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه-، ودور قومه. انظر: (رحلة ابن بطوطة: 106/1).

(9) سوق اللّبادين: سوق قرب المسجد الأمويّ تباع فيه الكتب والعطور،...انظر: (نكت الهميان: 220، والوافي: 266/4، و349/5، والبداية والنّهاية: 74/4و136).

(10) قال ابن بطوطة في رحلته: 107/1: "...وبمقربة من هذه الدّكاكين سوق الورّاقين الّذين يبيعون الكاغد والأقلام والمداد".

رِوَاق[1] سِرَاجَاً، وكُلُّ طلحِيَّةٍ وقَدْ تَفرَّقَ﴿طَلْحُهَا المَنْضُوْد﴾[2]، وكُلُّ كَرَّاسَةٍ وقَدْ رَدَّهَا[3] وجُوْهَهَا البِيْض وهي سُوْد[4]، وأضْحَى فَمُ الفَوَّارَةِ[5] يُصَاعَد جَمَرَات أنْفَاس، وسُوْق النَّحَاسِيْنَ[6] يُرْسَلُ مِنْ إلى سُوْرِ الجَامِعِ﴿شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ ونُحَاسٍ﴾[7]، وكُلُّ مَحْبُوْبَةٍ بالطَّرِيْقَتَيْنِ وقَدْ رَأتْ مَكْرُوْهَهَا، وكُلُّ بَرَاعَةٍ دَهْمَا وقَدْ ابْيَضَّ بالنَّارِ فُوْدهَا[8]، فَلِذَلِكَ سَوَّدَت الذّوى وجُوْهَهَا، وغَادَرَ كُلَّ دُكَّانٍ دَكَّا، فَأوْسَعَ قَوَائِمَ العَمَدِ وأظْلاَعَ السُّقُوْف كَسْرَاً وفَكَّاً، وأقْعَدَ بَيْتَ السَّاعَاتِ[9] إلى بَيْتِ أمِّ السَّاعَةِ[10]، ودَخَلَ إلى بَابِ الجَامِعِ لَكِنْ لِغَيْرِ طَاعَة، وكَادَ يُصْلَى بِهِ مَنْ يُصَلِّي، ويُقْبِلُ على صَفِّ العَابِدِيْنَ فَيُوَلِّي.

واهْتَزَّتْ المِأذَنَةُ بِحُمَّى نَافِض، وتَشَعَّثَ وَجْهُ المَشْهَدِ الأبِيّ بِكَرَى، فَكَأَنَّمَا أصَابَتْهُ عَيْنُ الرَّوَافِضِ[11]، وتَرَقْرَقَتْ عُيُوْنُ العَابِدِيْنَ مِنَ الألَمِ[12]، ورَقَّ صَحْنُ الجَامِعِ لِمَأتَمِ هُدَاةِ السَّاجِدِيْنَ مِنَ المِأذَنَةِ[13] بِنَارٍ على عَلَمِ[14]، ومَا زَالَتْ مِرْآةُ[15] اللَّهَبِ حتَّى خَرَّبَتْ المَنَارَ،

---

(1) في الأصل: "وراق"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) من الآية: 29 من سورة الواقعة.

(3) في الأصل: "زدها"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(4) في (ص): "سودا".

(5) من هنا بدأ النّص في مسالك الأبصار: 149/1، ورد في الدّارس في تاريخ المدارس: 229/2: "أقيمت قبّة الرّخام الّتي فيها فوّارة الماء في سنة ستّ وتسعين وثلاثمائة، وقال جعفر بن دواس الكناني المعروف بقمر الدّولة يصف هذه الفوّارة، شعر:

رأيت بالجامع المعمور معجزة   في جلّق إحدى (كذا) من بها سمعا
فوّارة كلّما فارت فرّت كبدي   ومـاؤها فـاض بالأنفاس فاندفعا
كأنّها الكعبة العظمى فكلّ فتى   مـن حيث قابل أنبوبـاً لها ركعا

انظر: (أحسن التّقاسيم: 159).

(6) سوق النّحاسين:

(7) من الآية: 35 من سورة الرّحمن، من هنا سقط من مسالك الأبصار: 149/1.

(8) الفود: معظم شعر الرّأس ممّا يلي الأذن، وفودا الرّأس: جانباه، والجمع أفواد. (لسان العرب: فود).

(9) باب السّاعات: هو الباب الثّالث من أبواب جامع دمشق، في زاوية المغطّى الشّرقيّة مصراعان سواذج عليه أروقة يجلس فيه الشّروطيّون وأشباههم. (أحسن التّقاسيم: 158).

(10) في (ص): "بيتام"، وفي مسالك الأبصار: 149/1: "إلى قيام السّاعة"، لعلّه الصّواب.

(11) الرّوافض: قوم من الشّيعة، وسمّوا بذلك لأنّهم تركوا زيد بن عليّ ورفضوه وارفضّوا عنه فسمُّوا رافضة. (لسان العرب: رفض).

(11) في (ص): "الآلام".

(13) سقطت من (ص).

(14) من قول الخنساء، الدّيوان: 386:

أغرّ أبلج تأتمّ الهداة به   كأنّه علم في رأسه نارُ

(15) في الأصل ومسالك الأبصار: 150/1: "مراه".

وَصُفَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَحْنِ الجَامِعِ مَا فَضُلَ عن أكْلِ النَّارِ[1].

فَيَا لَهَا دَاهِيَةً عَمَّتِ المُسْلِمِيْنَ، ومُصِيْبَةً سَوَّدَتْ وَجْهَ الدُّنْيَا! فَبَيَّضَ اللهُ وَجْهَ الدِّيْنِ، وواقِعَةً لَهَا﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[2]، وقَارِعَةً[3] لَوْلاَ المُعَوِّذَاتُ[4] لِمَا قَبِلَتْ فيهَا شَفَاعَة! ويَا لَهَا عَيْنًا دَخَلَتْ على هَذِهِ الأسْوَاق فَحَلَّتْ، ويَدًا اسْتَجَدَّتْ مِنْهَا مَحَاسِنَهَا، فَأَعْطَتْهَا ومَا تَخَلَّتْ، كَانَتْ لِعِمَارَتِهَا رُمَّانَة فَأَمْسَتْ جُلَّنَار، وكَانَتْ مَحَاسِنُهَا لَيْسَ عليهَا غُبَار، فَأَصْبَحَتْ لا تُعْرَفُ مِنَ الغُبَار.

ومَا سَكَتَ لِهَذِهِ النَّار لِسَانٌ، ولا خَفِي لَهَا شَخْصٌ ولا عِيَانٌ[5]، ولا نَشِفَتْ الدُّمُوْعُ الّتِي أطْفَأتْهَا، ولا بَرَدَتْ ظُلُوْعُ القَيَاسِيْر[6] الّتِي دَفَّأتْهَا،حتَّى طَلَعَتْ شَمْسُ الفِتْنَةِ مِنْ غَرْبِهَا، وتَعَالَتْ أصْوَاتُ[7] النَّائِبَةِ عن قُرْبِهَا، وأَتَى النَّقْصُ مِنْ جِهَةِ الزِّيَادَةِ، وسَعَى الدَّاءُ بِمَا وَسِعَ العِيَادَة.

فَصَارَ سُوْق الكِفْتِ[8] كفَاتًا، وسُوْق الخَامِ[9] رُفَاتًا، وخَرَجَتْ قيسارية[10] القاس عن القِيَاسِ، وتَوَارَدَ اليَأْسُ[11] والرَّجَاءُ في أمْرِ البَلَدِ بِمَجْمُوْعِهِ، ولَكِنْ غَلَبَ اليَأْسُ[11].

فَرَكِبَ المَمْلُوْكُ بِنَفسِهِ ومَنْ عِنْدَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ، وبِأَيْدِيْهِم أَسْلِحَة المَعَاوِل، وعلى عَوَاتِقِهِم[12] لِقَطْعِ عُنُقِ النَّارِ سُيُوْف الجَدَاوِل، فَكَمْ مِنْ رَأْسٍ دَاسَتْهُ النَّارُ دَوْسًا، وكَمْ مِنْ قَدٍّ وقَوْسٍ تَصَرَّفَتْ فيهما فَصَارَ القَوْسُ قَدًّا، والقَدُّ قَوْسًا، وكَمْ مِنْ أَوْتَارٍ أُخِذَتْ مِنْهَا الأوْتَار، وكَمْ مِنْ سِهَامٍ نَفِذَتْ لَهَا في قَلْبِ الإسْلاَمِ كَمَا شَاءَ الكُفَّارُ، وكَمْ مِنْ حَلَقَةٍ انْقَضَتْ، وكَمْ مِنْ عَيْنٍ بَيْضَاء اسْوَدَّتْ، وعَيْنٍ سَوْدَاء ابْيَضَّتْ، وكَمْ مِنْ لِجَامٍ دَخَلَ فيهِ

(1) إلى هنا انتهى السّقط من مسالك الأبصار: 150/1.

(2) من الآية: 1 من سورة القمر:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

(3) القارعة: من شدائد الدّهر، وهي الدّاهية، وهي القيامة أيضاً. (لسان العرب: قرع).

(4) المعوذتان: بكسر الواو، سورة الفلق وتاليتها لأنّ مبدأ كلّ واحدة منهما: قل أعوذ. (لسان العرب: عوذ).

(5) في (ص): "عنان".

(6) القياسر: القياسر: الإبل العظام. (لسان العرب: قسر).

(7) سقطت من (ص).

(8) سوق الكفت: لعلّة سوق السّلاح الواقع قبلي الجامع الأموي. (نزهة الرّفاق: 22).

(9) سوق الخام: لم أقف عليه في المصادر الّتي رجعت إليها.

(10) سبق الإشارة إليها.

(11) في الأصل: "الاياس"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص)، وهو الأولى.

(12) في (ص): "عوافتهم".

لِسَانُ النَّارِ فَلاَكَهُ، وكَمْ مِنْ بَحْرِ سَرْجٍ رَمَى عليهِ اللَّهَبُ شَبَكَةً[1] فَأكَلَ أسْمَاكَهُ.

وبَقِي المَمْلُوْكُ كُلَّمَا دَارَ إلى دَارٍ سَبَقَهُ إليها المِقْدَارُ، أو أشَارَ إلى دُكَّانٍ تَدَاعَتْ مِنْـــهَا الأرْكَانُ هَدًّا[2]، والصَّاغَةُ[3] تُعَوِّذُ عَيْنَ ذَهَبِهَا مِنْ عَيْنِ لَهَبِهَا، والمِأذَنَةُ تَرْجِفُ فَرَائِصُ تَحْتِهَا مِنْ مَصْرَعِ أُخْتِهَا.

وتَدَارَكَ اللهُ الحَالَ بلُطْفِهِ، ومَنَّ بإطْفَاءِ ذَلِكَ الحَرِيْقِ، ولَوْلاَ مَنُّهُ لم نُطِقْهُ ولم نُطْفِـه، ولم يَقْتَصِرْ الحَالُ على هَذَيْنِ الحَرِيْقَيْنِ، بَلْ تَتَابَعَ بَعْدَهُمَا لَهُمَا أمْثَالٌ.

ومَا يَشكُّ المَمْلُوْكُ في صِدْقِ مَا أشَارَ إليهِ مَوْلاَنَا مِنْ تِلْكَ الحِكَايَـــاتِ وضَرْبِــهِ مِــنَ الأمْثَالِ، فَإنَّهُ مَا يَسْتَعِرُ[4] هَذِهِ النَّارُ إلاَّ عَدُوٌّ أزرَقٌ، ومَنْ أُحْرِقَ قَلْبُهُ بِحَرِيْــقِ جَــانِبٍ مِنْ مَعْبَدِهِ فلا غَرْوَ إذا أحْرَقَ.

ومِنْهُ قَولَه:

يَا سَادَةً نَزَحُوا دُمُوْعِــي عِنْدَمَــا ... نَزَحُوا وعَهْدِي مُنْذُ ذَلِكَ عَامُ
أوَ مَــا وجَدْتُم رَيّ دُمُوْعِي عِنْدَمَا ... وافَــاكُمُ مِنْ نَاظِــرِي غَمَامُ
كَيْفَ اعْتَقَدْتُم سَلْوَتِي عن ذِكْرِكُم ... أيَطِيْــبُ إلاَّ بالكَمَالِ كَــلاَمُ
هَأنْتُمُ في نَاظِرِي مَا دُمْتُ يَقْــ ... ــظَانًا وتَجْلُوْكُــم لي الأحْــلاَمُ
أشْجَــى فِرَاقُكُمُ دِمَشْقَ فَغُصْنُهَا ... قَلِــقٌ إذا نَاحَتْ عليهِ حَمَــامُ
ونَزَلْتُــمُ الشَّهْبَــاءَ فاخْتَالَتْ لأنْ ... عَلِمَــتْ بأنَّ النَّازِلِيْــنَ كِرَامُ
طَابَتْ بِكُم ويَطِيْبُ كُلُّ حِمىً غَدَا ... يُعْــزَى لإبْرَاهِيْــمَ فيــهِ مُقَامُ

ويُنْهِي وُرُوْدَ مِثَالهُ الكَرِيْمِ بَعْدَ أنْ وَجَدَ عن بُعْدٍ رِيْحَهُ، وشَامَ بَرْقَهُ العَالِي قَبْــلَ أنْ يَــأتِي قَمِيْصُهُ بالبُشْرَى الصَّرِيْحَةِ[5]، وأحْسَنَ الخَاطِرُ بِسُرُوْرِهِ الزَّائِرِ، وإنْ كَانَ مَا كُلّ رِوَايَـــاتِ الخَوَاطِرِ صَحِيْحَة ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾[6]، وصَدَقَتْ ظُنُوْنَ

---

(1) في الأصل: "شبكة"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) في الأصل: "هذا".

(3) في (ص): "الصّناعة".

(4) في (ص): "ما يشعر".

(5) من الآية: 93و 94 من سورة يوسف:﴿ اذهَبُوا بقَمِيْصِي هَذا فَألقُوهُ على وَجْهِ أبِي يَأتِ بَصِيْرًا وأتُونِي بأهْلِكُم أجْمَعِيْـــنَ. ولَمَّـا فَصَلَتِ العِيْرُ قَالَ أبُوْهُم إنِّي لأجِدُ رِيْحَ يُوْسف﴾.

(6) من الآية: 40 من سورة النّمل.

حُبِّي ويا أَيَّتهَا الأَيَّام الَّتِي قَدْ طَالَ بَيْنِي وبَيْنَهَا عَتَبُ النَّوَى حَسْبِي.

ثُمَّ عَطَفَ على الكِتَاب الكَرِيْمِ يُغَازِلُهُ، ويُصَاعِدُ فيهِ نَظَرَ اللَّوْمِ ويُنَازِلُهُ، ويَقُوْلُ لَهُ: أَيْـنَ لُطْف التَّرَسُّلِ إِذْ عَدِمْنَا لُطْف الكَلَامِ، قَدْ احْتَرَقْنَا بنَارِ إِبْرَاهِيمَ ولا بَرْد ولا سَلَامٍ[1]، وقَـدْ أَخذَ بِفِرَاقِهِ لَذَّةَ أَيَّامِنَا نَهْبًا، وقَدْ كُنَّا ونَحْنُ بالشَّقْرَاءِ[2] لا نُطِيْقُ جَفَاهُ، فَكَيْفَ وقَدْ رَكِـبَ علينا الشَّهْبَاءَ، وشَرَعَ فِي فُنُوْنِ العَتَبِ يُنَسِّقُهَا، وفِي حُمُوْلِ الشَّكْوَى يُوْسِقُهَا إِلى أَنْ فَـضَّ لَطِيْمَةَ الطُّرْسِ فَفَاحَ عَبِيْرُهُ، ولاَحَ جَبِيْرُهُ، وبَاحَ بالبيانِ صَغِيْرُ لَفْظِهِ وكَبِيْرُهُ، فَكُلّ زَهْـرَةَ حَرْف عليهَا للحُسْنِ نَدَى، وكُلّ غُصْنِ سَطْرٍ طَفَا حَبُّ القُلُوْبِ عليهِ نُقَطًا، وبَدَا يَوَدُّ ابـنُ هلال[3] لو اسْتَعَارَ مِنْهُ مَعْنَى الكَمَال، ويَتَطَلَّعُ يَاقُوْتُ[4] إلى أَنْ يَكُوْنَ فَصًّا لِخَاتِمِهِ الَّـذِي خَتَمَ بِهِ على هَذَا السِّحْرِ الحَلَالِ، ويَتَهَافَتُ المِسْكُ على أَنْ يَكُوْنَ بِهِ تَحْرِيْرُ ذَلِكَ الحَرِيْـر، ويَخْلَعُ صُوْفَ ذَلِكَ الغَزَال.

فَلَمَّا رَأَى المَمْلُوْكُ نَسَمَات تِلْكَ المَحَاسِنِ وقَدْ نَاوَحَتْ الهُبُوْبَ، وتَرَاوَحَتْ بالشَّـمَالِ والجَنُوْبِ، وأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهَا: "ومِنْ أَيْنَ للوَجْهِ الجَمِيْلِ ذُنُوْب"؛ قَبِلَ بشَـفَاعَةِ حُسْـنِهِ الأَعْذَارَ، ونَادَى حَرْبَ العُتْبِ ضَعِي الأَوْزَار[5]، وعَاوَدَ[6] وصْفَ الشَّوْق، فَيَقُول: مَا الرَّبِيْعُ على أَنْسِ البِلَادِ بهِ، وتَحَلِّي عَاطِلِ الرَّوْضِ بِذَهَبِهِ، واسْتِطَالَ ضَاحِي الطَّيْرِ بخِيَامِهِ المَضْرُوْبَةِ حَيْثُ حِبَال الشَّمْسِ مِنْ طُنُبِهِ بأَشَدّ مِنْ شَوْق المَمْلُوْك إلى تِلْكَ المَحَاسِنِ الَّتِي مَنْ رَأَى خَطَّ شَبَابِهَا تَحَقَّقَ إِنَّهُ مَا مَحَاهُ آسِنٌ، وقَدْ آنَ المَمْلُوك أَنْ يَـهْرُبَ مِـنْ الاسْـتِهْدَافِ لهَـذِهِ الأَوْصَافِ، وأَلاَّ يَنْسبهُ إلى انْحِرَافِ كُلّ قَلِيْلِ الإِنْصَاف، ومَا أَكْثَر القَلِيْل.

ذَكَرَ مَوْلَانَا المُقَامَ ومُقَامَهُ، فَشَوَّقَ وما ذَوَّقَ، وعَرَضَ بَيْتَيْنِ انْشَرَا مِنْ لِسَانِ المَمْلُـوْك وقَلَمِهِ مَيِّتَيْنِ، فَحَذَا حِذْوَهُمَا فِي اللَّفْظِ، وتَصَرَّفَ فِي المَعْنَى، وقَالَ فِي مَعْنَى مَـا مَوْلَانَـا بِصَدَدِه مِنْ مُلاَزَمَةِ الاشْتِغَال:

(1) من الآية: 69 من سورة الأنبياء:﴿قُلْنَا يَا نَار كُوْنِي بَرْدًا وسَلَامًا على إبْرَاهِيْمَ﴾. (2) اسم موضع سبق الإشارة إليه

(3) لعلّه عبد الواحد بن محمّد بن المُسَلَّم بن الحسن بن هلال الأزديّ الدّمشقيّ (489-565هـ)،... انظر: (العبر: 46/3، والنّجوم الزّاهرة: 384/5، وشذرات الذّهب: 215/4، وسير أعلام النّبلاء: 499/20).

(4) هو ياقوت بن عبد الله الرّومي الحلبيّ (574-626هـ) مؤرّخ، ثقة من أئمّة الجغرافيين، ومن العلماء باللّغة والأدب، أصلـه مـن الرّوم، أقام في ظاهر خان إلى أن توفي. (وفيات الأعيان: 127/6، ومرآة الجنان: 59/4، والأعلام: 131/8).

(5) من الآية: 4 من سورة محمّد:﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

(6) في (ص): "وعاو" لعلّه تصحيف أو تحريف.

أقَمْتُ مُجاوِراً في كَسْرِ بَيْتِي لأنَّ تَنَقّلِي ذا عُقَامِ
إذا رُزِقَ الفَتَى عَقْلاً ودِيْناً ودُنْيَا بَرَّةً طَابَ المُقَامُ

وآخِرِ تَتِمَّة:

مَلَلْتُ مِنَ المُقَامِ على خُمُوْلٍ وَحَلَّ مِنَ الهُمُوْمِ بِي انْتِقَامُ
ولو أنّي سَعَيْتُ لِكَسْبِ مَالٍ حلاَلٍ طَابَ لِي فيهِ المُقَامُ

وإذا وصَلَتِ المُقَامَةُ تَمَّتْ المَقَامَةُ، وإلاّ فَكَلاَمُ المَمْلُوْكِ خَبْطَ عَشْوَاءٍ[1]، في هَذِهِ الحَالَةِ، نَشِقَ المَمْلُوْكُ عَرْفَ الأدَبَ الوَرْدِيّ، فَتَنَهَّدَ وارْتَاحَ إلى ذَلِكَ الدِّيْنِ الّذي عَرَّى المَمْلُوْكَ مِنْ فَضْلِهِ مع إنَّهُ ما بَرِحَ حتّى للرِّيَاضِ بالكُسْوَةِ يَتَعَهَّدُ، فَيَا شَوْقِي إلى دَنَانِيْرِهِ وقَدْ ألْقَاهَا الشَّرْقُ على بَنَانِي، وإلى وَجْنَاتِهِ الوَرْدِيَّةِ وقَدْ وقَفَتْ نُصْبَ عِيَانِي، ولَكِنْ مَا أفْعَلُ في سُوْءِ الحَظِّ غَايَتِي أنْ ألُوْمَهُ، ومَوْلاَنَا يَعْرِضُ عليهِ لَهَفَاتِي، ومَا يُخْفِي عَنْهُ طَرِيْقَ أكْرُمِهِ[2].

ومِنْهُ قَوْلُهُ: "ويُنْهِي ورُوْدَ البُشْرَى الّتِي مَلأتْ الوُجُوْهَ بِشْرَاً، والوُجُوْدَ نَشْرَاً، وأقَامَتْ بالسَّرَائِرِ سُوْقَاً، أضْحَتْ تُبَاعُ بِهِ البَشَائِرَ، وتَسْرِي بِمَا حَصَلَ لِمَوْلاَنَا مِنَ الإقْبَالِ الشَّرِيْفِ الّذي تَعَدَّدَتْ تَشَارِيْفُهُ، وتَجَدَّدْتَ تَكَالِيْفُهُ، وتَزَيَّدَتْ على وِسْعِ الآمَالِ مَصَارِيْفُهُ، مِنْ تِيْجَانِ غَمَامٍ اعْتَدَلَتْ فَوْقَ مِفْرَقِهِ، وألْوَانِ مِزَاجٍ أحْرَقَ في سُمُوْرِ سَجَفِهَا زَرْكَشِ النُّجُوْمِ فَلاَحَتْ تِلْكَ اللُّمَعِ مِنْ مَحْرَقِهِ، ومِنْ هَالاَتٍ طرحات كَأنَّمَا كُنَّ لِشِهَابِهِ المُشْرِقِ فَلَكُ تَدْوِيْرٍ، ومِنْ أبْدَانِ سِنْجَابٍ حَكَتْ بِبَيَاضِ البُطُوْنِ، وزُرْقَةِ الظُّهُوْرِ طُلُوْعَ الشَّمْسِ في يَوْمٍ مَطِيْرٍ.

فَقَابَلَ المَمْلُوْكُ وسَائِرُ المَمَالِيْكِ المُحِبِّيْنَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِحَقِّهَا مِنَ الشُّكْرِ، وأفَاقَ بِهُبُوْبِ نَسِيْمِهَا، وإنْ كَانَ غَرَامُهُ في هَذِهِ المُدَّةِ[3] بِمُطَالَعَةِ "مسالك الأبصار" لا يَدَعُهُ يَفِيْقُ مِنَ السُّكْرِ.

فللهِ هَذَا الحَبِيْبُ المُشَنَّفِ، والغَرِيْبِ المُصَنَّفِ، والمُنَوَّعِ المُنَوِّرِ، والدَّهْرِ الّذي هو بأهْلِهِ مِنْ لَدُنِ آدم مُصَوَّرٍ -حَرَسَ اللهُ هَذَا الجَمْعَ الصَّحِيْحَ، وهَذَا الفَضْلَ الّذي نَثَرَ مِنَ الدُّرِّ في حُجُوْرِ التَّرَاجِمِ كُلَّ مَلِيْحٍ، وهَذَا السِّيَاقَ الّذي سَيَّرَ الشُّمُوْسَ مِنَ الطُّرُوْسِ على نَجَائِبَ،

(1) خبط عشواء: هي النّاقة الّتي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقّى شيئاً. (لسان العرب: خبط).
(2) في الأصل: "اكرومه"، وقد أثبتنا ما هو أولى.
(3) سقطت من (ص).

وهَذَا الوِفَاقَ الّذي حَصَّلَهُ بَيْنَ البَرِّ والبَحْرِ، وحَدَّثْ عنِ العَجَائِبِ بعَجَائِب، فَمَـا كَـانَ للمَمْلُوْك دَأبٌ في هَذِهِ المُدَّة إلاَّ التِقَاط دُرَرِه مِنْ أصْدَاف الأوْرَاق، واجْتِنَاء ثَمَـرِه مِـنْ غُصُوْن تِلْكَ السُّطُوْر، وكُلُّهُ قَدْ رَاق، فَإنْ اعْتَرَضَتْهُ عَنْبَرَةُ ثَنَاء فَتَّهَا على جَمْرِ الشَّوْقِ فَتّـاً، أو عَارَضَتْهُ عَرَائِسُ تَصَانِيْف الأوَّلِيْنَ[1] أقَامَ تِلْكَ المُجَلَّدَات الخَمْس فَتصِيْرُ سِتّاً.

والمَرْجُوّ مِنَ الله تَعَالَى رُؤيَة ذَلِكَ الوَجْه الكَرِيْم على مَا يَسُرُّ الأوْلِيَاءَ، ويَسُوءُ الأعْـدَاء، وحَاشَاهُ أنْ يَكُوْنَ لَهُ أعْدَاء.

ومَنْ شِعْرِهِ قَوله في مَلِيْحٍ نَظَرَ إلى الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوْبِهَا، مُضَمِّنَاً:

وغَزَالٍ غَازَلَ الشَّمْسَ وقَدْ وقَفَتْ فَوْقَ ثَنِيَّات الأصِيْل
فَتَعَوَّضْنَـاهُ مِنْـهَا بَـدَلاً وتَفَارَقْنَا على وَجْهٍ جَمِيْل[2]

ومِنْهُ قَوله غير مُضَمِّن:

وذِي دَلاَلٍ حُسْنُـهُ وَافِـرٌ تُقَصِّرُ الأوْصَافُ عَنْ كُنْهِهِ
رَنَا مِنَ الشَّمْسِ وقَـدْ غَرُبَتْ بِفَاتِـرِ اللَّحْظِ إلى شَبَـهِهِ
فَفَوَّضَتْ في الحُسْنِ مِنْ بَعْدِهَا ولاَيَـةَ العَهْـدِ إلى وَجْهِهِ

ومِنْهُ قَوله مُضَمِّنَاً[3]:

ورُبَّ ظَبْـيٍ مُخْضَرٌّ شَارِبُـهُ رَطْب حَوَاشِي اللّمَى مُوَرَّدِهَا
قَالَ وشَمْسُ الأصِيْلِ قَدْ وقَفَتْ على ثَنَايَا الأصِيْـلِ تُنْشِدُهَا
كَعَاشِقٍ سَارَ عَنْ هَـوَاهُ فَفِي مُقْلَتِـهِ دَمْعَـةٌ يُـرَدِّدُهَا
قِفَـا بِهَا قَلِيْـلاً علـيَّ فَلا أقَـلَّ مِنْ نَظْـرَةٍ أزَوِّدُهَـا

ومِنْهُ قَوله:

نَعِسَ الحَبِيْبُ فَقِيْلَ مَاذَا شَانَهُ فَأجَابَـهُم بالحَاجِبِ المَقْرُوْن
ونَظْرَةٌ أشَرْت، وطَرْفٌ أدْعَجٌ كَالنُّوْنِ فَوْقَ العَيْنِ تَحْتَ السِّيْن

فَهَؤلاَءِ أعْيَان كُتَّاب المَشَارِقَةِ مِمَّنْ مَاتَ وفَاتَ، وبَقِي مِنْهُ مَا يَنْشُـرَ العِظَـامَ الرُّفَـات، وأكْثَرَهُم قَدْ جُهِلَ قَبْرهُ وفَنِي، ومَا فَنِيَ ذِكْرُهُ ولا بِرُّهُ، خَلاَ عَمِّي الصَّاحب شرف الدّين

(1) سقطت من (ص).

(2) ورد البيتان في الدّرر الكامنة: 283/2.

(3) هذه الأبيات مضطربة الوزن جميعها.

أبي محمَّد عبد الوهاب[1] -رحمه اللهُ- فَإنَّني ذَكَرْتُهُ في كِتَاب: (فواضل السّمر في فضائل آل عمر)، إذْ لم يَكُنْ بُدٌّ مِنْ ذِكْرِه هُنَاكَ مع أقْرِبَائِهِ وسَلَف أهْل بَيْتِهِ وآبَائِهِ، وكَذَلِكَ والدِي -تَغَمَّدَهُ اللهُ برَحْمَتِهِ- وإنْ كَانَ دُوْنَ أخِيْهِ قَدْرَ مَقَالٍ لا مَقَام، ودُرّ نِظَامٍ لا انْتِظَام، وسَيَأتِي ذِكْرُ جَمَاعَةٍ مِنْ أهْلِ هَذَا البَيْتِ في الكِتَابِ المَذْكُوْرِ، ومِنْهُ يُعْرَفُ خَبَرُ كُلّ مَعْرُوْف غَيْرَ مَنْكُوْر، على إنَّني بشَهَادَةِ اللهِ لآنَفُ لي ولِسَلَفِي أنْ نَنْحَازَ إلى هَذِهِ الفِئَةِ أو نُلِمَّ كَرًى بعِيُوْنِهَا المُغْفِيَةِ، ولله المَعَرّي[2] حَيْثُ يَقُوْلُ:

دَعِ اليَرَاعَ لِقَوْمٍ يَفْخَرُوْنَ بِهِ ... وبالطِّوَالِ الرُّدَيْنِيَّاتِ فَافْتَخِرِ
فَهُنَّ أقْلامُكَ اللاَّتِي إذا كَتَبَتْ ... يَوْمَاً أتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ[3]

فَأمَّا الأحْيَاءُ بالجَانبِ الشَّرْقِيّ مِمَّنْ يُطْلَقُ عليهِ هَذَا الاسم بالاسْتِحْقَاقِ فَبَقِيَّة.

ومِنْهُم: زَيْن الدّين الصّفَدِي[4]، أبو حَفص عمر بن داود بن هارون[5] بن يوسف الحارثيّ، مِنْ بَيْتِ قَضَاء وخَطَابَةٍ بِبِلاَدِ صَفَد[6] والسَّاحِلِ مِنْ زَمَانِ الفُتُوْحِ، وهُمْ أهْلُ قُرًى لا يُغْلَقُ بَابُهم المَفْتُوْح، وفِيْهِم بنين[7] مَنْ يُضَيِّفُ الوَارِدَ والصَّادِرَ، ويَطِيْفُ كَرَمُهُ بالعَاجِزِ والقَادِرِ، على قِلَّةِ يَسَارٍ، وخلَّةِ إعْسَار.

وبَرَعَ هَذَا الرَّجُل فيهم وتَأدَّبَ، وتَذَهَّبَ أدَبُهُ وتَهَذَّب، وأتْقَنَ عِلْمَ العَرَبِيَّةَ، وتَمَّ لَهُ تَمَامَ الفَضَائِلَ الأدَبِيَّة إلى فِقْهٍ دَرَسَهُ، وفَصْلٍ نَوَّعَهُ وجَنَّسَهُ، وعِلْم مَعْقُوْلٍ أدْرَكَهُ بِمُجَرَّد التَّصَوّر، ووازِع إيْمَانٍ مَنَعَهُ فيهِ مِنَ التَّهَوّر، واطِّلاَعٍ أشْرَفَ مِنْ بِقَاعِهِ، وأطَلَّ عليهِ مِنْ شَرَفِ ارْتِفَاعِهِ، كُلُّ هَذَا إلى ذَكَاءٍ يَتَدَفَّقُ سَيْلُهُ، ويُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ النُّجُوْم سُهَيْلُهُ، وتَفَرَّدَ

---

(1) هو عبد الوهاب بن فضل الله العمري القرشيّ، شرف الدّين (623-717هـ) كاتب مترسّل، مصريّ خدم الملك الأشرف والملك النّاصر، وسيف الدّين تنكز، نقله الملك النّاصر إلى كتابة السّرّ في دمشق فتوفي بها. انظر: (النّجوم الزّاهرة: 240/9، وهو فيه ابن المجلّي، والدّرر الكامنة: 42/3، وفوات الوفيات: 421/2، والأعلام: 185/4).

(2) سبق التّعريف به.

(3) ورد البيتان في شروح سقط الزّند: 156/1، بلفظ: "إذا كتبت مجداً" بدل: "إذا كتبت يوماً".

(4) هو القاضي زين الدّين أبو حفص الصّفدي (693-749هـ): كاتب الإنشاء بالشّام ومصر، أصله من نين قرية من مرج بني عامر من صفد، كان كاتباً ذكيّاً، فاضلاً سريّاً، توفي بالقاهرة بعد مرض طويل قاسى منه شدّة،...انظر: (أعيان العصر: 610/3، والدّرر الكامنة: 241/3، وتذكرة النّبيه: 117/3).

(5) في الأصل: "هرون".

(6) بلد في الجليل الأعلى على مسيرة ثلاثين ميلاً شرقيّ عكّا، شمال شرقيّ بحيرة طبريّة وعلى ارتفاع 1600 قدم فوق سطح البحر. (دائرة المعارف الإسلاميّة: 215/14).

(7) نين: قرية تقع في جنوب شرق النّاصرة، شمال شرق العفولة وشمال الدّهى. (معجم المواقع الجغرافيّة في فلسطين: 205).

بمَعْرِفَةِ التَّنْفِيْذِ للمَهَمَّاتِ قَلَّ مَنْ يُحْسِنُهَا، أو يُحِيْرُ جَوَابَاً حَيْثُ يَنْطِقُ أَلْسُنَهَا، هَذَا مع خَطٍّ كَأَنَّمَا أُلْحِفَ جَنَاح الطاووس[1]، أو تَلألأتْ تَحْتَ جُنْحِهِ أَشِــعَّةُ الشُّــمُوْسِ، وحُسْــنِ مُصَاحَبَةٍ تَطْمَئِنُّ بهَا النُّفُوْس، ومُوَاظَبَةٍ على عُلاً يَسُوْدُ بهَا ويَسُوْسُ، صَحِبْتُهُ مِنْ قَدِيْــمٍ، وعَرَفَهُ أوْلِيَاءُ الأمْرِ، وتَنَبَّه ذِكْرُهُ ثُمَّ رَقَد، وهَبَّ لَهَبُ صِيْتِهِ ثُمَّ خَمَد، وجَرَى مَاءُ حَظِّــهِ يَتَدَفَّقُ ثُمَّ جَمَد، ورُتِّبَ في كِتَابَةِ الدَّرجِ[2] في عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ المَمَالِك في أقْرَبِ مُدَّة مِــنَ الزَّمَان، واشْتُهِرَ برَجَاحَةِ العَقْلِ والكِتْمَان، ووفُوْرِ الفَضْلِ والأدَب، ثُمَّ كَتَــبَ الإنْشَــاءَ بدِمَشْقَ ثُمَّ بمصرَ، فأنْشَأ غُرَّ التَقَالِيْدِ، ورَقَمَ بُرُوْدَهَا، ونَظَمَ مَا اسْتَجَدَّتْ مِنْهُ أجْيَادُ الحِسَـان عُقُوْدَهَا، وحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِّ المَقَامِ الشَّرِيْفِ، وكَانَ عِنْدِي مَوْضِعَ الثِّقَةِ، وقَدَّمْتهُ لأهْلِيَّتِهِ ثُــمَّ بَعْدَ أنْ رَفَعْتُ ذَلِكَ الشِّعَار، وخَلَعْتُ ذَاكَ[3] الرِّدَاءَ المُعَارَ، وقُلْتُ: "المَوْت ولا العـــار"[4]، لَبثَ قَلِيْلاً ثُمَّ تَبِعَتْهُ عَوَادِي[5] الضَّرَّاء، وروَّعَتْهُ في وَسَطِ السَّرَّاء، ثُمَّ كَانَ في صَفَــد بَيْــنَ قَوْمِهِ، إلاَّ أنَّهُ لا يَجدُ قُوْتَ يَوْمِهِ، وبَقِي حَيَّاً مَيْتَاً لا يَمْلِكُ بَيْتَاً، ثُمَّ انْفَرَجَتْ حَلَقَةُ ضَائِقَتِهِ، وعَادَتْ لَوَامِعُ شَارِقَتِهِ، وفُسِحَ لَهُ في سُكْنَى دمشقَ فَعَادَ إلى صُدُوْرِ مَجَالِسِهَا، ثُمَّ كَتَبَ في دِيْوَانِ الإنْشَاءِ بهَا، وحَلَّ مَفَاخِرَ رُتَبِهَا، فَتَبَلَّلَ عُوْدُهَا بأنْدَائِهِ، وأشْرَقَتْ سُعُوْدُهَا باسْتِظْهَارِهِ على أعْدَائِهِ، ثُمَّ طُلِبَ إلى مصرَ، ووَقَّعَ بالدِّسْتِ[6]، وهو الآنَ جَمَــال الأوَان، وكَمَــال الدِّيْوَان، وبيَدِهِ الأزِمَّة، وإليهِ الأمُورُ المُهِمَّة، وفَضْلُهُ يَسْتَحِقُّ التَّتِمَّةَ.

ومِنْ نَثْرِهِ قَوله في وَرَقَةٍ كَتَبَهَا إلى وَالِدِي: "ويُنْهِي إنَّ إحْسَانَ مَوْلانَا وَصَلَ إلى ذَلِــكَ الفَقِيْرِ[7] الصَّالِحِ الّذي مِنْ قَرْيَةِ نِين، وهي قَرْيَةُ المَمْلُوْكِ الّتِي أخرَجَتْهُ، وإنَّمَا خَدَمَتْهُ للبَيْـتِ العُمَرِيِّ، هي الّتِي خَرَّجَتْهُ، وإلى طَبَقَاتِ النَّاسِ دَرَّجَتْهُ، وقَدْ بَقِي يَعُوْزُهُ كِتَابٌ كَرِيْــمٌ إلى مَشَدِّ صَفَد،نَظَرَاً للكِتَابِ[8] الكَرِيْمِ الّذي صَارَ في يَدِهِ إلى نَائِبهَا، والمَمْلُوْكُ يَسْأَلُ الصَّدَقَة

(1) في الأصل: "الطاوس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(2) سبق الإشارة إليه.

(3) في (ص): "ذلك".

(4) قال النّجم هذا مثل وليس بحديث، ويعارضه ما روي عن الحسن: "العار خير من النّار"، انظر: (كشف الخفاء: 325/2).

(5) في (ص): "عوايدي".

(6) سبق الإشارة إليه.

(7) في الأصل و(ص): "الفقه"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) في الأصل: "لكتاب"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

عليهِ بالمَطْلُوْب، وأنْ يَكُوْنَ كِتَاباً حَسَناً يُعِيْرُهُ مَوْلاَنَا سَمَاحَهُ وكَرَمَهُ وقَلَمَهُ، ويُلْحِفُهُ[1] جَنَاحَ جَاهِهِ، وكَلِمَةُ صَدَقَةً[2] على المَمْلُوْكِ دُوْنُهُ، ويَداً يَقْبَلُهَا يُقَبِّلُهَا مُمْنِنَة غير مَمْنُوْنَةٍ، والوَحَا الوَحَا، وقَدْ ضَجِرَ المَمْلُوْكُ وهو استَحَى، واللهُ يَرْفَعُ دَرَجَةَ مَوْلاَنَا حتَّى يَكُوْنَ على الكَوَاكِبِ مُسْتَفْتِحاً، ولِنَظَرِهِ في حَدِيْقَةِ المَجرَّة مُنَزِّهاً، وبعَرْفِ نَرْجِسِهَا مُتَرَنِّحاً".

ومِنْهُ قَوله في تَهْنِئَةٍ بعَوْدِ الرِّكَابِ السّلْطَانيّ[3] مِنَ الحَجِّ: "وجَمِيْعُ الحَجِيْجِ في سَنَتِهِم الوَاحِدَةِ بَيْنَ حِجَّتَيْنِ، وكُتِبَ لِمَنَاسِكِهِم بِيُمْنِهِ أجْرَ مُصَلِّي القِبْلَتَيْنِ[4]، وتَمَّ لِتَوَجُّهِهِم بأنْوَارِهِ الهُدَى والنُّوْر، وحَصَلُوا مِنْ صَفْقَتِهِ الرَّابحَةِ على تِجَارَةٍ لَنْ تَبُوْرَ[5]، ووَقَاهُم لَفْحَ الهَجِيْر، تَطَوَّفهُم بالكَعْبَتَيْنِ ذَاتِ المَقَامِ وظِلِّهِ[6]، وأمَّنَهُم العُقْبَى تَمَسُّكَهُم بالعُرْوَتَيْنِ[7]، ومِنَ البَيْتِ العَتِيْقِ[8] وفَضْلِهِ، وعَشُوا إلى ضَوْئَيْنِ مِنْ نَارِهِ الَّتِي هي أُمُّ القُرَى ومَكَّةَ المُسَمَّاة في الذِّكْرِ القَدِيْمِ أُمّ القُرَى[9].

فَهَذِهِ المُهَاجَرَةُ الَّتِي جَدَّدَت السُّنَّةَ بِمُحَمَّدِهَا، والمُثَابَرَةُ الَّتِي أعْلَنَتِ الألْسِنَةَ بِمَدْحِ سُؤددهَا، وهو الجَدِيْرُ بأنْ يُوَفِّيْهَا مِنْ اسْتِبْشَارِهِ وشُكْرِهِ أكْمَلَ وَظِيْفَة، وأنْ يُقَدِّرَ مَوْقِعَهَا حَقَّ قَدْرِه، وإنْ كَانَ مِمَّا لا يُطِيْقِ الأُمَّة تَكْلِيْفَه".

ومِنْهُ قَوله وقَدْ أهْدَى إليهِ صَاحِبٌ لَهُ[10] طَبَقَ مشمش مع غُلاَمٍ مَلِيْحٍ: "وَصَلَ البِرُّ الَّذي زَادَ على مُنْتَهَى الطَّلَبِ، وأشْهَدَ النَّوَاظِرَ بَيْنَ يَدَي قَضِيْبِ البَانِ كُرَاتِ الذَّهَبِ، وجَاءَ

---

(1) في (ص): "وتلحقه". (2) سقطت من (ص).

(3) سبق الإشارة إليه.

(4) من قول رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه. (سنن ابن ماجة: كتاب الإقامة: 451/1).

(5) من الآية: 29 من سورة فاطر:﴿يَرْجُوْنَ تِجَارَةً لَنْ تَبُوْرَ﴾.

(6) في الأصل و(ص): "وطله".

(7) من الآية: 256 من سورة البقرة: ﴿فَمَنْ يَكْفُر بالطَّاغُوْتِ ويُؤْمِنُ باللهِ فَقَدْ استَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوثْقَى﴾.

(8) البيت العتيق: اختلفت الرّوايات في تسميته بالبيت العتيق، وفي التّنزيل:﴿وليطّوفوا بالبيت العتيق﴾ وفي حديث ابن الزّبير أنّ رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–، قال: "إنّما سمّى الله البيت العتيق لأنّ الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبّارٌ قطّ، والبيت العتيق بمكّة لقدمه لأنّه أوّل بيت وضع للنّاس، قال الحسن: هو البيت القديم، دليله قوله تعالى: ﴿إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً﴾، وقيل: لأنّه أُعتق من الغرق أيّام الطّوفان، دليله قوله تعالى:﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾، وهذا دليل على أنّ البيت رُفع وبقي مكانه، وقيل: إنّه أُعتق من الجبابرة ولم يدّعه منهم أحد، وقيل: سُمّي عتيقاً لأنّه لم يملكه أحد، والأولى أولى. (لسان العرب: عتق).

(9) أُمّ القرى: مكّة، شرّفها الله تعالى، لأنّ أهل القُرى يؤُمُّونها أيّ يقصدونها. (لسان العرب: قرا).

(10) في (ص): "وقد أهدى له صاحب طبق".

بالبَدْرِ وقَدْ اتَّسَقَ، والنّجُوْم وقَدْ رُكِّبَتْ في دَائِرَةِ الطَّبَق، فَبُهِتُّ لِدُنُوِّ صُوَرِ الكَوَاكِبِ مِنَ اللَّمْسِ، وتَسْيِيْرِ[1] القَمَرَ في مَنَازِلِ[2] الأرْضِ، وهو الّذي لا يَنْبَغِي أنْ تُدْرِكَهُ[3] الشَّمْسُ[4]، ثُمَّ تَأمَّلَ وتَمَلَّى، واسْتَجْلَى واسْتَحْلَى، وقَالَ شُكْرَاً للمُرْسِلِ والرَّسُوْلِ، ويَا حُسْنَ الحَامِلِ، ويا لَذَّةَ المَحْمُوْلِ! أهْلاً بِمَا لم أكُنْ أهْلاً لِمَوْقِعِهِ، ومَرْحَبَاً بِكَرَمٍ جَمَعَ بَيْنَ تَنَوّعِهِ وتَسَوّعِهِ، أيْنَ الأمَلُ مِنْ هَذِهِ الغَايَةِ؟ وكَيْفَ غَفَلَ الدَّهْرُ حتَّى يُبَاهِيَ في الإحْسَانِ إلى هَذِهِ النِّهَايَةِ، مَوْلَىً يَسْعَى إلى عَبْدِهِ، وغُصْنٌ يَجِيءُ بِثَمَرِهِ، تَمِيْسُ في أوْرَاقِهِ مِنْ بُرْدِه".

ومِنْهُ قَوله في ذِكْرِ الدَّوَاةِ، وقَدْ أرْسَلَهَا: "مُشْتَعِلَةٌ بالشَّيْبِ مَفَارِقُ رَأسِهَا[5]، مُسْتَعْدِيَةٌ على وَضْعِهَا الّذي انْتَزَعَ رُوْحَهَا باسْتِمْدَاد أنْفَاسِهَا، واسْتِمَالَ عليهَا مع الدَّهْرِ حتَّى عَكَسَ النَّقْبُ في رَوْعِهَا مِنْ قِرْطَاسِهَا، فَهْيَ بَيْضَاءُ إلاَّ أنَّ السَّوَادَ كَانَ أنْقَى لِسَمَائِهَا، ونَاجِيَةٌ عِنْدَهَا أنَّ الغَرَقَ أسْكَنُ لِرَوْعَتِهَا مِنْ لُجَّاتِهَا، وأمَلَهَا أنْ يُسَوِّدهَا يَدٌ لَكَ لا تُسَوَّدُ إلاَّ مِنَ النَقسِ[6]، وأنْ تُدِيْلَ لَها مِنْ سَالِبِ صَبْغَتِهَا وهو الطِّرْسُ فَيُطِلُّ لِسَانُ فَمِهَا وهو القَلَمُ يَمُجُّ على حَوَاشِيْهِ لُعَابَ الظَّلْمَاءِ في لَهَوَاتِ الشَّمْسِ".

ومِنْهُ قَوله في أمْرِ وَفَاء النِّيْلِ: "وذَلِكَ أنَّهُ عِنْدَ تَسْطِيْرِهَا ورَدَ المِثَالُ الشَّرِيْفُ يَتَضَمَّنُ نَبَأهُ سُطُوْرُهُ الّتي كَأنَّهَا جَدَاوِلُهُ، وإنَّهُ جَادَ لِمُؤمِّلِهِ[7] بنَفْسِهِ اتي لَيْسَ في يَدْهِ غَيْرهَا، فَكَأنَّ المَسْئُولَ لا شَكَّ سَائِلَهُ، ومَا أظُنّهُ إلاَّ حَيَّاً نَزَلَ دُوْنَ تِلْكَ الدِّيَار مَهَابَةً لِمَنْ حَلَّهَا مِنْ مَطَايَا الغَمَام، وأحَلَّهَا مَنْ أحَلَّهُ أنْ يُلِمَّ بِهَا رَكِبَاً، فَمَشَى على وَجْهِهِ إليها تَنَاهِيَاً في الإكْرَامِ، ولم يَزَلْ يَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهُ[8] ويَضُمّهُ[9] شَيْئَاً فَشَيْئَاً إلى أنْ أدْرَكَ آخِرُهُ أوّلَهُ، ووَارِدُهُ في كُلِّ سَاعَةٍ يَشْهَدُ بِنَجَاحِ رَأيِ الرَّائِدِ على التَّحْقِيْقِ، ومُخَلَّقهُ المُتَوَارِي بِحِجَابِ المَاءِ يُومِي بإصْبَعِهِ إلى حُسْنِ العَاقِبَةِ على أنَّهُ في حَالَةِ الغَرِيْقِ، ولو قَدِرَ على المَقَالِ لَظَهَرَ خَافِيْهِ، ونَطَقَ بِتَوْفِيَةِ

---

(1) في (ص): "وتسير".

(2) من الآية: 39 من سورة يس: ﴿والقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾.

(3) في الأصل: "يدركه"، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

(4) من الآية: 40 من سورة يس: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدرِكَ القَمرَ ولا اللَّيْل سَابِق النَّهَار﴾.

(5) من الآية: 4 من سورة مريم: ﴿واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبَاً﴾.

(6) في الأصل: "النفس"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(7) سقطت العبارة من (ص).

(8) من الآية: 38 من سورة يس: ﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(9) في (ص): "ويضمّ".

عَوَائِدِه، "وأنَّى يَنْطِقُ والمَاءُ مِلءُ فِيْهِ"[1]، حتَّى إذا تَكَمَّلَ سُمُوّ أمْوَاجِهِ حَالاً على حَـــــال، وتَنَوَّرَ أقَاصِي الأرْض مِنْ ثَنِيَّةِ المِقْيَاسِ[2]، فأدْنَاهَا النَّظَر العَال، لم يَمْلِكْ طَبْعَهُ السَّـــيَّال أنْ غَطَّى مَسَاوِيْهَا البَادِيَة، ورَأى طَمَاهَا إليهِ مع القُصُوْر عَنْهُ فَنَقَعَ بانْتِقَالِهِ إليهَا غُلَّةَ كَبْدِهَــــا الصَّادِيَة، وكَانَ لَهُ الفَضْلُ على الثَّرَى والوَرَى في ذَلِكَ المَسْعَى، وقَالَتْ ألْطَافُ اللهِ المُتَتَابِعَة: هَذَا المَاءُ وسَيَتْلُوْهُ المَرْعَى، وكَانَ هَوَاؤُهُ المُعْتَدِلُ على اعْتِلاَلِهِ عَدْلاً فَحَمَّلَ قَلْبَ كُلِّ غَدِيْرٍ مَا أطَاقَ، ولم يُبْقِ عَيْن بُقْعَةٍ كَانَتْ فَارِغَةً إلاَّ وكلّهَا عِنْدَ نَظْرَةِ الدَّمْعِ مَآق".

ومِنْهُ قَوله: "ويُنْهِي أنَّهُ لو أمْكَنَ دِفَاعَ القَضَاء، أو قَتْل غَرِيْم المَوْت المُتَقَاضي أخَذَ الفِدَا لحِمَى هَذَا المُحْتَرَم بأنْصَار الرِّجَالِ لا بِجَوَاري العِيُوْن المَحْزُوْنَة، وتَصَرَّفَتْ عَنْهُ المُهَج يَــد المَنُوْن بِبَذْلِ نُفُوْسِهَا المَصُوْنَة، فَقَدْ كَانَ واللهِ شَقِيْقَ الشَّمْسِ رِفْعَةً وهُدًى، ومُبَاري غُــرَّةَ البَدْرِ في النَّدَى، ورَسِيْلَ الغَيْثِ في النَّدَى، وإنْ أمْسَى الزَّمَانُ لَتَوَارَى شَخْصُهُ، آيَةُ لَيْلٍ مَـا مُحِيَتْ[3]، وظُلَّةُ غَيْمٍ رَأيْتُ عليهَا لَمْحَةَ بَارِق لَمَعَتْ ثُمَّ رَوِيَتْ.

فَلَعَهْدِي وهو بآيَةِ نَهَارِ حَيَاتِهِ المُبْصِرَة[4]، أحْسَنُ[5] اجْتِلاَءً[6]، وأبْهَى وأبْهَرُ بَيْنَ المَشَاهِدِ في المَعْنَى والصُّوْرَةِ رُؤيَةً ورِوَاءً، طُوْبَى[7] لَهُ حَلَّ في أمْنَعِ جِوَارٍ، وحَصَلَ على سَعَادَةٍ في دَار القَرَار يَفْرَحُ بِهَا مَنْ إرْث شَقْوَةِ الحُزْن في هَذه الدَّار.

والمَمْلُوْكُ مُنْذُ سَمِعَ نَعْتَهُ يَحْسِدُ صُمَّ الرِّمَاحِ، ويَتَرَدَّدُ مِنْ سَوَادِ مُقْلَتِهِ ودَمْعِهَا في ظُلْمَـــةِ بَاكٍ مِنْ فَقْدِ نُوْرِهَا على الصَّبَاحِ، ومَا أدْعُو[8] لِمَوْلاَنَا وَحْدَهُ إلى سُنَّةِ العَزَاء المَشْـــرُوْط، ولا أقُوْلُ لَهُ مَهْلاً لِيَذْهَبَ بِكَ فَرْطُ الجَزَعِ على أخِيْكَ مَذْهَبَ القُنُوْط، وإنَّمَا أُشْرِكُ نَفْسي مَعَهُ في التَّعْزِيَةِ والتَّسْلِيَةِ، وأتَجَلَّدُ وإنْ كَانَ لا جَلَدَ على نُفُوْذِهِ هَذِهِ الرَّمْيَة المُصْمِيَة، فأتَعَلَّلُ

---

(1) من قول بعض الشّعراء وقد عوتب على قلّة كلامه:

قالت الضّفدع قــولاً فسّرته الحكماءُ

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

انظر: (مناهج الفكر: 251/2، وحياة الحيوان الكبرى: 342/1).

(2) انظر حول مقياس النّيل: (صبح الأعشى: 325/3-329).

(3) من الآية: 12 من سورة الإسراء:﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

(4) من الآية: 12 من سورة الإسراء:﴿وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

(5) مكرر في الأصل.

(6) في (ص): "اجتلا".

(7) في (ص): "ورداء طوى".

(8) في الأصل: "أدعوا".

مَرْكُومَة، أو لِثَامٍ على حَنَكٍ، أو زَوْرَقٍ مِنْ وَرَق حُمُولَتُهُ مِنْ عَنْبَرِ الحَلَكِ[1]، أو حَجَلٍ نُزِع مِنْ سَاق، أو رَوقٍ رَاجِع مِنَ الأَوْرَاق، أو مَا انْحَلَّ مِنَ الخَصْرِ مِنَ النِّطَاق، أو وَقْف مِـــنْ عَاج، أو صَدْعٍ فِي زُجَاج، أو جَدْوَل مُنْعَطِف، أو قُفْلٍ فِي فَلاَة قَدْ حُذِف، أو لُبَّةِ فُؤَاد، أو غُصْنٍ أَثْقَلَهُ الثَّمَرُ فَنْآدَ وعَقَدَ سَمَاهُ بأَرْضِهِ أَوْ كَادَ، أو ثَغْرَة فِي سُوْرٍ، أو فَمِ قَدَحٍ مَكْسُوْرٍ، أو نَوَى مَحْفُور، أو فَخٍّ مَنْصُوْب على طُوْلِ الدَّهْرِ، أو عِرْقٍ مَغْرُوْس، أو بَعْض مَا فِي رِيْشِ الطَّاوُوسِ[2] مِنَ المَنْقُوْشِ، أو حَلَقَةٍ مَنْقُوْصَةٍ، أو أُذْن رِيْمٍ مَقْصُوْصَةٍ، أو ظَفِيْرَة مَعْقُوْصَةٍ، أو خَاتِمٍ زَالَ فَصَّهُ فَفغَر، أو مَا انْدَاحَ مِنْ رَمْيَةٍ فِي صَفْحَةِ المَاءِ بِحَجَر، أو طَيَّةٍ مِنْ أَعْكَـــان[3]، أو سُرَّةٍ مُحَقَّقَةٍ فِي كَشْحٍ رَيَّان، أو ذُؤَابَةٍ مَرْدُوْدَة، أو حزَّة مِنْ بِطِّيخَةٍ مَقْدُوْدَة، أو خَيْزَرَانَةٍ مُلْتَقِيَةٍ غير مَعْقُوْدَة، أو قَوْسٍ مَحْنِيِّ القرَى، أو عُرْوَة مَفْكُوْكَةٍ مِنَ العُرَى، أو فِتْرٍ مَرْفُـــوْع، أو طَيْلَسَان[4] مُقَوَّر مَقْطُوْع، أو قَبْضَةِ إِبْرِيْقٍ مَخْلُوْعَةٍ، أو آلَةٍ للطِّيْب مَصْنُوْعَـــةٍ، أو يَـــدٍ الْتَفَّتْ على عِنَاقِ حَبِيْب، أو شَعْرَة مَشِيْبٍ فَضُلَتْ مِنْ خَضِيْب، أو مَا أَحَاطَ مِنَ الإِكْلِيْـــلِ بالجَبِيْنِ، أو مِحْرَاب لِبَعْضِ المُصَلِّيْنَ، أو سَالِف تَحْسِيْن، أو مَشَقَّةِ قَاف أو سِـــيْن، أو مَـــا انْدَفَعَ فِي جُؤجُؤِ السَّفِيْنِ، أو أَحَد الجَفْنَيْنِ، أو عِذَارٌ حَوْلَ الخَدَّيْنِ أو رَأْس مِنْ كِتَابَةِ صَاد لم يَلْتَحِمْ، أو عينٍ أو دَالٍ مُنْقَلِب، أو طَاءِ مُنْفَصِلِ الطَّرَفَيْنِ سَقَطَ أَلِفهُ المُنْتَصِـــب، أو مِبْسَـــم مَثْقُوْب، أو تَعْرِيْقَة جِيْمٍ مَكْتُوْب، أو عَقْرَب شَائِلَة، أو شُعْلَة نَارٍ لَعِبَتْ بِهَا الرِّيْحُ الحَائِلَـــة فَهِيَ مَائِلَة، أو حَيَّة مُلْتَوِيَة، أو صَوْلَجَان[5] مَقْصُوف لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى الحَنِيَّة، أو تُرْقُوَة بَـــدَا عَظْمُهَا، أو طَارَة غَرَضٍ حُرِقَ هَبَاتُهَا سَهْمُهَا، أو فَلَكَة مِغْزَل[6] مُشْتَطَاه، أو دَفٌّ أَمْسَكَتْ كَفٌّ سَوْدَاء على أَعْلاَهُ، أو مَا تَحْتَ تَنَفُّسِ المِرْآة، أو قَنْطَرَة مَنْكُوْسَةِ الوَضْعِ فِي البُنْيَان، أو طَبَقٍ قَائِمٍ أُخِذَ مِنْ حَافَتِهِ شَيْءٌ فَبَان، أَوْ غُرَّة فِي أَدْهَمٍ مِنَ

(1) من قول ابن المعتزّ، الدّيوان: 591/2:

وانظر إليه كزورق من فضّة قد أثقلته حمولة من عنبر

(2) في الأصل: "الطاوس".

(3) العُكَنُ والأعْكَان: الأطواء في البطن من السِّمَن. (لسان العرب: عكن).

(4) الطّيلسان: كساء مدوّر أخضر لا أسفل له، لحمتهُ أو سُدَاه من صوف، يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ وهو من لبـــاس العجم. (كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 113).

(5) الصَّولج، والصَّولجانه: العود المعوّج. (كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 109).

(6) فلكة المغزل: معروفة، سُمّيت لاستدارتها. (لسان العرب: فلك).

الخَيْلِ صَانَعَتْ بهَا الشَّمْسُ عَنْ نَفْسهَا لِخَاطِفِ اللَّيْلِ[1]، أو رِدَاء أسْبَلَهُ الشَّـــرْقُ فَكَـــفَّ الغَرْبُ مِنْهُ الذَّيْلَ، أو صَعْدَة أو مَكَان وَرَقَةٍ مِنْ وَرْدَة، أو قُفْل على تَجْلِيْـــد، أو إحْـدَى المُطِيْفِيْنَ بالوَرِيْدِ، أو لَبَب مُرَكَّب، أو كُوْرٌ مُرَتَّب، أو قَتَبٌ مُجَرَّد، أو سَرْجٌ مُؤكَّـــد، أو قَرَبُوس[2] مِنْهُ مُفْرَد، أو وَاحِدَةٌ مِنْ خَشْكَنَان[3]، أو حَدَقَةٌ نَجْلاَءُ مِنْ إنْسَان، أو طَعْنَة مَيَّلَهَا بِسِنَان، أو سَيْف لاَنَ في يَمِيْنِ ضَارِبٍ، أو مَطْرَح القِلاَدَة مِنْ تَرَائِب الكَاعِب، أو المَمْلُـوك مِمَّا شَفَّتْهُ الأشْوَاقُ، وصَنَعَتْهُ بِهِ عَوَادِي الفِرَاق، أو مَاجِدَة في خَدِه الدَّمْع المُهْرَاق.

وكَانَ للنَّاسِ اشْتِغَالٌ باسْتِقْبَالِ الهِلاَل، وقَلْبُ المَمْلُوْكِ في اشْتِغَال مِمَّـــا عِنْـدَهُ مِـنَ البَلْبَال[4]، ومِنْ ضَنَى جَسَدِهِ البَال، وحَالَتِ الأحْوَالُ ومَا اسْتَحَالَ، وبَاتَ وطَرْفُهُ يَتَمَلَّـى مِنَ المُشَرَّف الكَرِيْمِ خَطَّاً مَا لَهُ مِثَال، وتَأمَّلَ مِنْهُ لَفْظَاً بِمَعَانِيْهِ تُضْرَبُ الأمْثَـال، وتَقَلَّـب وجْهِهِ في أُفْقِهِ الدَّال على وِدٍّ صَحَّ، فَلَيْسَ بِهِ اعْتِلاَل".

ومِنْهُ قَوله: "وعَلِمْنَا مَا ذَكَرَهُ مِنْ أمْرِ الصَّقْر[5] الَّذي وقَعَ لَهُ، ومَا لَحَظَــهُ فِيْــهِ مِـنَ القَبُوْلِ، فَأرْسَلَهُ وحَمَلَهُ إلى حَيْث حَمَلَهُ، ووَصَلَ وَقَدْ طَرَّزَ رُقُومَ المَحَاسِنِ حُلَلَهُ، وزَانَتْـــهُ بدِيْبَاجَةٍ مُكَمَّلَةٍ، وحِلْيَةٍ مُكَلَّلَةٍ، خَالِصَاً كَالذَّهَب، مُتَوَقِّدَاً كَشَرَارَة لَهَب، مُوَشَّى الصَّـــدْرِ كَمَا طَفَتْ على الكَأسِ فَوَاقِعُ الحَبَب، أو كَرَوْضَةٍ مِنْهَا مَا لم يَخْرُجْ مِنَ الأكْمَام، ومِنْهَا مَا هَبَّ مع النَّسِيْمِ حِيْنَ هَبّ، حَسَنُ الاسْتِعْدَاد للتَّدْرِيْب مُدْرِكَاً، فَإذا دُعِي يُجِيبُ مُظَفَّـــرَاً كَجدِّ مُهْدِيْهِ، فَلاَ يُجِيْبُ وقَدْ قَبِلْنَاهُ تَبَرُّكَاً بِمَا يُهْدِيْهِ، واشْتَغَلْنَا بِهِ اشْتِغَالاً حَقَّقَ مَا لَحَظَــهُ فيهِ مِنَ القَبُوْل فيهِ.

ورَفَعْنَاهُ مِنْ يَدِنَا الشَّرِيْفَةِ إلى رُتْبَةٍ لاَ يَصِلُ مَعَهَا وإنْ كَانَ يُعِيْرهَا بَنِيْهِ[6]، وقَدَّمْنَاهُ على مَا عِنْدَنَا مِنَ الجَوَارِحِ على كَثْرَة عَدَدِهَا، وغَزَارَة مَدَدِهَا كَتَقَدُّمِ المَقَامِ على المُلُوْك الصَّائِلَـــةِ في عَدِيْدِهَا وعُدَدِهَا، فَلَو رَآهُ ولَهُ حَلاَوَة الالْتِفَات تَشَوَّف الدِّيَم، وفي طَلاَوَة الإنْصَات دِلَّ

---

(1) في (ص): "اليل".

(2) القربوس: حنو السّرج. (كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 124).

(3) خشكنان: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، وتُملأ بالسّكّر واللّوز أو الفستق وتُقلى، وهي كلمة فارسيّة، وتعني الخبز اليابس. (المصطلح العربي: 50/1).

(4) البلبال: شدّة الهمّ والوسواس في الصّدور وحديث النّفس. (لسان العرب: بلل).

(5) انظر ما كتبه القلقشندي حول الصّقور: (صبح الأعشى: 64/2 وما بعدها).

(6) وردت في الأصل و(ص) بلا تنقيط، وقد أثبتنا ما يستقيم به المعنى.

الأغْيَدَ الرَّحِيْمِ، وإلى إعْرَاضِ مُرْسِله تَشَوُّفَ الوَالِه إذا ظَلَّ يَهِيْم، وإصَابَةِ البَـاعِ المُسْـتَفِيْدِ بالسَّهْمِ المُسْتَقِيْم، وعلى الصَّيْدِ حِرْصِ الغَرِيْمِ على الغَرِيْم، وفي طَلَبِهِ سوْرَةَ الظَّالِمِ وثَـوْرَةَ الظَّلِيْم، إنْ أُعْطِي الكُمَّةَ[1] فحَلِيْم، "وإنْ كُشِفَ عَنْهُ غِطَاؤهُ فَبصَرُهُ حَدِيْـد"[2]، ورأيُـهُ حَكِيْم، فاقْتَرَب فيَدٌ تُطْلِقهُ وأُخْرَى تحْتَطِب.

وسَابَقَ يُحصِّلُ مَا يَجْتَذِبُ ويَجْتَلِب، وسَائِقاً يَقِدُّ ثِقَةً بعَوَائِدِه ولا يرْتَقِب، يَهْفُو بقَوَادِمَ أقْوَى مِنْ قَوَائِمِ وعَزَائِم على النُّجْحِ عَلائِم، كَأَنَّهُ كَبِيْرُ قَوْم، أو مُمْسِكٌ لِصَوْم، يَغْفُو عَمَّا[3] كَسَرَهُ، ويَعُفُّ عَنْ شَرَه، إذا افْتَرَسَ حَرَس، وإذا أخْزَرَ[4] خَرَزَ[5]، وإذا أدْرَكَ تَرَك، ولَكِـنْ مِنْ مَخَالِبِهِ في شَرَك، كَأَنَّهُ[6] يَعْرِفُ التَّحْلِيْلَ فَيُبْقِي للتَّذْكِيَةِ، أو يُحِبُّ الثَّنَاءَ فَيَعْمَل علـى التَّزْكِيَةِ، حتَّى إذا أدَّى الأمَانَةَ[7]، وقَضَى إدْمَانَهُ، وسَطَا في صِيَانِهِ، تَنَحَّى جَانِباً، وانْتَحَـى مُجَانِباً، واحْتَشَمَ هَايِباً، وانْطَوَى عل الطَّوَى، وأعْرَضَ مَعَ الخَوَى على مَا حَـوَى، فـإذا أبَاحَهُ مُحَصِّلُهُ مِمَّا يَأكُلُهُ، وأطْلَقَهُ عَمَّا أوْثَقَهُ، وحَكَى مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا صَادَ بَأسُهُ باقْتِصَـاد، كَانَ عليهِ رَقِيْباً بمِرْصَاد[8]، وتَنَاوَلَ قَدْرَ الحَاجَةِ بشَهْوَةٍ مُهَاجَة، ورَجَعَ إلى الكُمَّةِ بطَـرْفٍ غَضِيْض، وبَطْشٍ غيرَ مَهِيْض، وثَبَات بَعْدَ وثَبَات، كَطَرْفَي نَقِيْض، نَصُرَهُ ثُمَّ[9] تُصَرِّفُهُ بَيْـنَ أيْدِيْنَا في صَيْدِه، وحُسْنِ تَلَقُّفِهِ لِمَا يَعِنّ لَهُ بلَبَاقَةٍ كَيْدِه ورَشَاقَةِ أيْدِه، ولا يُثْنِي عليهِ ثَنَاءَ مَنْ نَهَبَ سَعْيُهُ، ورَامَ وَرَمَى فَتَمَّ مُرَامُهُ، وصَحَّ رَمْيُهُ.

ونَحْنُ نَشْكُرُ مَكَارِمَهُ الَّتِي مَلأَتِ الحَقَائِقَ والحَقَائِبَ، ومَدَّتْ عَصَائِبَ جُنُوْدٍ وجُـوْدٍ يَتْبَعُهَا مِنَ الطَّيْرِ والعُفَاةِ عَصَائِب[10].

---

(1) الكُمَّة: كُلُّ ظَرْف غَطَّيْتَ به شيئاً وألبسته إيَّاه فصار له كالغلاف. (لسان العرب: كمم)، الغطاء الَّذي يُوضع على رأس الصَّقر.

(2) من الآية: 22 من سورة ق:﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ﴾.

(3) في (ص): "كما".

(4) الخزر: كسر العين بصرها خِلقة، وقيل: هو ضيق العين وصغرها، وقيل: هو النّظر الَّذي كأنّه في أحد الشّقّين. (لسان العـرب: خزر).

(5) الخرز: فُصُوص من حجارة واحدهما خرزة. (لسان العرب: خرز).

(6) سقطت من (ص).

(7) من الآية: 283 من سورة البقرة:﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.

(8) من الآية: 14 من سورة الفجر:﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، والآية: 1 من سورة النّساء:﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيْبًا﴾.

(9) سقطت من (ص).

(10) من قول النّابغة، الدّيوان: 46:

إذا ما التقى الجمعان حلّق فوقهم　　عصائب طير تهتدي بعصائب

ومِنْ نَظْمِهِ قَوله:

أَقُوْلُ وقَدْ سَأَلْتُ قَصَاصَ قَتْلِي　　فَقَامَ لَهَا الكَرَى بالاعْتِذَارِ
كَفَانِـــي مَنْ "تَوَفَّكُم بِلَيْـــلٍ　　ويَعْلَمُ مَـــا جَرَحْتُم بالنَّهَارِ"[1]

ومِنْهُ قَوله:

ومَا مِثْـــلُ هَذَا اليَوْمِ يَخْلِف دُرَّهُ　　فَيُخْلِفُهُ بالـــدُّرِّ بِيْـــض الغَمَائِمِ
وقَـــدْ عَكَسَ التَّشْبِيْه فيهِ فَعِهْنُهُ[2]　　جِبَال لِصَلَعِ الأَرْضِ مِثْل العَمَائِمِ

ومِنْهُ قَوله، وقَدْ أُهْدِي إليهِ حُلْوَاً[3]:

ولَمَّـــا جَاءنـــي مِنْـــكَ افْتِقَادٌ　　حَلاَ فَحَكَى ثَنَاكَ حِيْنَ يَجْرِي
حَصَلْتُ بِمَا أَتَى وحَصَّلْتَ مِنِّي　　على الحُلْوَيْـــنِ مِنْ بِـــرٍّ وشُكْرِ

ومِنْهُ قَوله:

أَتَى زَيْدٌ إلى الحَمَّامِ يَثْنِي　　مَعَاطِفَهُ كَمَا مَالَ الرُّدَيْنِي
فَكَانَ المَاءُ وهو عليهِ جَارٍ　　يُرِيْنَا لؤلؤاً فَـــوْقَ اللُّجَيْنِ

ومِنْهُ قَوله:

ولَمَّا أَرَادَ الصَّبُّ خَطَّاً تَسَابَقَتْ　　مَدَامِـــعُ عَيْنَيْـــهِ تُحَـــاوِلَ مَحْوَه
كَـــأَنَّ بِعَيْنَيْهِ مِنَ الخَـــطِّ غَيْرَة　　على وَجْهِ مَحْبُوْبِي إذا سَارَ نَحْوَه

ومِنْهُ قَوله مِمَّا يَكْتُبُ على عِصَابَةِ ذَهَبٍ لامْرَأةٍ حَسْنَاء:

تَأَمَّـــلْ هَذِهِ الوَجنَاتِ تَزْهَـــى　　وقَدْ حَلَّى تَحَلِّيْهَا الدَّلاَلُ
تَرَى شَمْسَ الضُّحَى مِنْهَا ومِنِّي　　يُتَوِّجُهَا على الرَّأْسِ الهِلاَلُ

ومِنْهُ قوله[4]:

أَنْزَلْتُ مَنْ أَهْـــوَاهُ في مُقْلَتِي　　صَوْنَاً لَهُ مِنْ أَعْيُنِ الحَسَدِ
فَجَاءَ قَلْبِي مِنْ طَرِيْقِ الكَرَى　　يَسْرِقُهَا مِنْـــهَا فَلَمْ تَرْقُدِ

---

(1) من الآية: 60 من سورة الأنعام: ﴿وهو الّذي يَتَوَفَّاكُم باللَّيْلِ ويَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بالنَّهَارِ﴾، وورد البيت في الغيث المسجم: 356/1، والكشكول: 482، منسوباً لشهاب الدّين أحمد الأمشاطي، وروايته:

تبارك من توفّاكم بليلٍ　　ويعلمُ ما جرحتم بالنّهار

(2) من الآية: 9 من سورة المعارج: ﴿وتَكُوْنُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ﴾، انظر: الآية: 5 من سورة القارعة، والعهن: الصُّوف المصبوغ ألوانـاً. (لسان العرب: عهن).

(3) سقطت من (ص).

(4) ورد البيتان في تذكرة النّبيه: 117/3، بلفظ: "أسكنت" بدل: "أنزلت"، و "يسرقه" بدل: "يسرقها".

ومِنْهُ قَوله:

تَبَسَّـــمَ ثَغْرُهَـــا والخَـــالُ يَبْـــدُو   عليهِ كَقَلْبِ ضَمْآن إليهِ
فَقُلْتُ: الصُّبْحَ، قَالَتْ: كَيْفَ يَأتِي   ولَيْلُ الخَالِ بَوَّابٌ عليهِ؟

وكَتَبَ إليَّ:

إنَّا لَتَملُكنَــا مِــنْ هَيْبَــةٍ حَرَسٌ   في حَيِّكُم وعَلَيْنَــا مِنكُم حَرَسُ
وإنْ خَلَوْنَا وخِلْنَا وحَشَةً عَرَضَتْ   عُــذْنَا بأسمَائِكُم فاعْتَادَنَا الأنْسُ
فَنَحْنُ مِنْكُم وفِيْكُم لا يَــزَالُ لَنَا   مِنْ غَيْرِهِ حَرَسٌ مِنْ هَيْبَــةِ خَرَسُ
حَالان في حُبِّــكُم مَا حَالَ بَيْنَهُمَا   عَهْدُ الهَــوَى وعليكم لَيْسَ تَلْتَبِسُ
وهَلْ عَلِمتُم وحُكْمُ الحَالِ وَاحِدَةٌ   أنَّا على النَّــأي للأذْكَارِ نَختَلِسُ
إذا مَرِضْنَــا تَدَاوَيْنَــا بِذِكْرِكُم   ونَتْرُكُ الــذِّكْرَ إجْــلالاً فَنَنْتَكِسُ
ومَنْ لَنَــا لَوْ لَثَمْنَــا تُرْبَكُم فيهَا   شِفَاء أكْبَــادِنَــا والبرءُ يُلْتَمَسُ
أرْضٌ لَهَا قَبَسٌ مِنْ نُوْرِكُم وكَذَا   مِنْ وَطْءِ أقْدَامِكُم يَنْدَى لَهَا اليَبَسُ
نَفْــدِيْكُم أنْفُسَ مِنَّــا تُحِبُّــكُم   حَيَاتُهَــا مِنْــكُم في مَوْتِهَا نَفَسُ

فَكَتَبْتُ إليهِ:

مَرَّتْ على عَجَلٍ والرَّكْبُ مُحْتَبَسٌ   فَمَا شَكَكْتُ بِهَا والأمْرُ مُلْتَبِسُ
وبَانَ بَانُ الحِمَى[1] واهْتَزَّ إذْ خَطَرَتْ   ولاَحَ ضُوءُ هِلاَلٍ أو بَدَا قَبَسُ
وفَــاحَ مِنْ مِسْكِ دَارِيْنَ لَنَا سِحْرَاً   نَشْرُ الخَمَائِــلِ إلاَّ أنَّــهُ نَفَسُ
وبِتُّ واللَّيْــلُ[2] يَرْمِيْنِــي بِأنْجُمِهِ   مِثْلَ العُيُــوْنِ ومِنْهَا أعيُن نُعُسُ
فَقُمْتُ في غَفْلَــةِ النُّــوَّامِ أشْرَبُــهَا   صَرْفَاً مِنَ الرَّاحِ إلاَّ أنَّهَا لَعَسُ
ومَا تَوَهَّمْتُ أنَّ اللَّيْــلَ[2] مُنْصَــرِمٌ   حَتَّى تَجَرَّدَ مِنْ جِلْبَابِهِ الغَلَسُ
وافَتْ تُــذَكِّرُ بالعَهْــدِ القَدِيْمِ وَمَا   نَسِيْتُهُ وهو لي في وَحْشَتِي أنْسُ
ثِقِــي سُلَيْمَــى بِــودٍّ لا يُغَيِّــرُهُ   نَأي الدِّيَارِ ولا يُذْكِي لَهُ الحَدْسُ
بَلْ مَا تَجِنِ جَوَىً مِنْهُ القُلُوْبُ ولا   يُبْــدِي هَوَاهُ ومِنْهُ الجَمْرُ يُقْتَبَسُ

---

(1) في (ص): "الحما"، وقد سبق الإشارة إليه.

(2) في (ص): "اليل".

يَا جيْــرَةَ القُدْسِ مَا قَلْبــي كَصَخْرَتِهِ وَلَيْسَ لي عَيْــن سِلْوَان فَتُلْتَمَسُ
لم تَعْتَقِــدْ[1] بَعْدَكُــم واللهُ يَعْلَــمُ ذَا إلاَّ الوَفَاء لَكُم والحُــرُّ يَحْتَرِسُ
قَولُ ابن زَيْدون[2] مِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ في بِنْتُم وبِنَّا وسَوْفَ البَيْــن يَنْعَكِسُ
عَتَبَــاً وصُلْحَاً ولا يَــدْري بِنَا أحَدٌ والودُّ يَبْــرأُ أحْيَــانَاً ويَنْتَكِسُ
نَسُــرُّ عَاذِلَنَــا لا كَــانَ عَاذِلُنَــا وكَانَ أفْصَح نُطْقَ العَاذِلِ الخَرَسُ

ومِنْهُم: خليل بن أيبك الصّفدي[3]، أبو الصَّفَا، صلاح الدِّين، هو خلِيْلي الّذي أُنَــادي، وصَاحِبي إذا شُكِرَتْ الأيَدي، والّذي أُنادي مِنْهُ خَلِيْلَ الصَّفَا، وصَدِيْقَ الوَفَــا، والّــذي أَرْضَاني عن صَنِيْعِ اللَّيَالي لما أَتَاني بِنُجُوْمِهَا قَلِيْلاً، والّذي لم أُخَالِلْ سِوَاه، إلاَّ قُلْتُ:﴿لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنَاً خَلِيْلاً﴾[4]، والّذي صَحِبْتُ أَنَا الصَّفَا مِنْ وِدِه الّذي لَمْ تَشُــبْهُ الشَّــوَائِبُ، والخَلِيْلُ إلاَّ أَنَّهُ كَانَ لأحَمَدَ أَكْثَر مِمَّا كَانَ ابْنُهُ في النَّوائِبِ، والّذي عَاقِدِي مِنْــهُ خَلِيْــلُ صِدْق، فَمَا ذَمَمْتُ[5] لَهُ ذِمَامَاً، وأوْقَدَ لي مِنْ حَمِيَّتِهِ نَاراً خَلِيْلِيَّة "كَانَتْ بَرْدَاً وسَــلاَمَاً"[6] مُوْسَوِيَّة، فَلِهَذَا مَا تَرَكَتْ ظَلاَمَاً، والّذي لم يَزَلْ يُرْشِدُ مِنْ خَاطِرِي مُضَلَّلاً، ويُرِيْنِــي في صَفَائِهِ مَا أَرَدْتُ مُمَثَّلاً، ويُغْنِيْني أَنْ أَقِفَ عِنْدَ سِوَى تَصَانِيْفِهِ، وأقُوْلُ: "خَلِيْلَيَّ[7] هَذَا رَبْــعُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ"[8]، ومَلأَ مَسْمَعِي[9] بِأَدَبِهِ حَتَّى قُلْتُ: يَكْفِيْكُمَا. وأغْنَى نَاظِري بِكُتُبِهِ،

(1) في (ص): "لم يعتقد".

(2) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ الأندلسيّ القرطبيّ، الشّاعر المشهور،...انظر: (وفيــات الأعيان: 139/1، والمغرب: 63/1، والذّخيرة: 289/1/1)، ويشير إلى قول ابن زيدون، الدّيوان:9:

أضحى التّنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

(3) هو خليل بن الأمير عزّ الدّين أيبك بن عبد الله الألبكيّ، ولد سنة 696 أو 697هـ، بمدينة صفد بفلسطين، وهو مــن أصــل تركيّ، كان أديباً، كاتباً، شاعراً،...مات بالطّاعون في شوال سنة 764هـ، ودفن بمقابر الصّوفيّة بدمشق،000انظر: (طبقــات الشّافعيّة الكبرى: 5/10، والدّرر الكامنة: 176/2، والمنهل الصّافي: 241/5، والبداية والنّهاية: 318/14، والبــدر الطّــالع: 243/1، وذيول العبر: 134/1، والسّلوك: ق87/3/1، وشذرات الذّهب: 200/6، وفــهرس الفــهارس: 711/2، ومفتــاح السّعادة: 236/1، والنّجوم الزّاهرة: 19/11، وأنوار الرّبيع: 126/1، وتذكرة النّبيه: 268/3، ودائرة المعــارف الإســلاميّة: 219/14).

(4) من الآية: 28 من سورة الفرقان، وممّا نظم فيه قول أبي تمام، الدّيوان: 296/2:

ذاك الّذي إن كان خلّك لم تقل يا ليتني لم أتّخذه خليلا

(5) في (ص): "ذمت".

(6) من الآية: 69 من سورة الأنبياء:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُوْني بَرْدَاً وسَلاَمَاً على إبراهيمَ﴾.

(7) سقطت من (ص).

(8) صدر بيت كثيّر عزّة، الدّيوان: 75، وعجزه : "قلوصيكما ثمّ ابكيا حيث حلّت". (9) في (ص): "سمعي".

فَقُلْتُ: "خَلِيْلَيَّ هَيَّا بَارَكَ اللهُ فِيْكُمَا"[1].

وقَرَّرْتُ لَهُ وأقْرَرْتُ أنَّهُ إمَامُ المُحْسنيْنَ، وبَايَعْتُهُ واتَّبَعْتُهُ وأنَا مِنَ المُوْقِنِيْنَ، وبَسَطْتُ يَدِي فَبَايَعْتُ مَلِكَ البُلَغَاءِ، خَلِيْل أَمِيْر المُؤمِنِيْنَ، ورَتَعْتُ فِي مَزَادِ تَصَانِيْفِهِ أسْتَزِيْدُهَا، وقَنِعْتُ بِمُذَكَّرَاتِهِ، و لم أقُلْ: "خَلِيْلَيَّ هَلْ مِنْ رَقْدَةٍ أسْتَعِيْرُهَا"[2].

أُقْسِمُ باللهِ وهو آكَدُ الأيْمَانِ، وأوْثَقُ مَا يَقِفُ مَعَهُ أَهْلُ الإيْمَانِ، مَا إنْ رَأيْتُ مِنْهُ أَدَب، ولا مَعَ عَنَاهُ عن التَّحْصِيْلِ أدْأب، ولا أَظُنُّ مِثْلَهُ أجْمَع المدحة وأبْدَه، وأخْبَارُ أُمَمٍ بَاقِيَةٍ وبَائِدَةٍ لَدَيْهَا وَاقِدَة، ولا مُقَل الفَرَاقِد عن التَّطَلُّعِ إلى هَذَا، ومَا كَسَا الزَّمَانُ مِثْلَهُ ثَوْبَيْهِ، ولا حَمَلَ الوُجُوْدَ حَفِيًّا شَبَهَهُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، فهو مُحَدِّثٌ يُحَدِّثُ بالصَّحِيْحِ، وتُرْوَى عَنْهُ العَجَائِبَ والمَعْرُوْفَ وكُلُّهُ غَرَائِب، كَمْ قَالَ، وكَمْ أَلْجَمَ الحَصْرُ كُلَّ لَسْنٍ، وقَامَ بالسُّنَّةِ وكُلّ سَنَدِهِ عَلِيّ، وحَدِيْثُهُ حَسَن، هَذَا على إنَّهُ حَامِلُ فِقْهٍ لا يُنْقَلُ إلى أوْعَى مِنْهُ، ومُتْقِنُ عِلْمٍ لا يُؤخَذُ القَدِيْمُ والحَدِيْثُ إلاَّ عَنْهُ، نَعَم.

وأنْعِمْ بِهِ مِنْ مُؤرِّخٍ يُنْشِئُ[3] الأُمَمَ، ويَنْشُرُ الرِّمَمَ، ويُنْشِدُ ضَوَالَّ الأنْبَاءِ وقَدْ أمَاتَهَا البكم، وأقْبَرَهَا الصَّمُّ، فَشَقَّ أَصْدَافَ اللّحُوْدِ عن دُرَرِهِم، وكَشَطَ جِلْدَ الدَّهْمَاءِ عَنْ غُرَرِهِم وأوْجَدِهِم.

فَمَا كَتَبَ مِنَ التَّارِيْخِ وُجُوْدَاً ثَانِيَاً، فَأقَامُوا بِهِ أَرْوَاحَاً، وسُئِلُوا فَقَالُوا فِصَاحَاً سَاقَهُم في تَارِيْخِهِ، فَكَأنَّمَا قَامُوا في صَعِيْدٍ[4] وَاحِدٍ لَدَيْهِ، وأتَى بِهِم مِنْ عَهْدِ آدَمَ وهَلُمَّ جَرَّاً[5] إليهِ أجَلْ، وهو أجَلُّ كَاتِبٍ تَخْضَعُ لِطُرْسِهِ مَهَارِقُ[6] السَّحَائِب، ويَخْشَعُ لِقَلَمِهِ سَيْفُ البَرْقِ

(1) صدر بيت لابن شُهيد في ديوانه: 82، وروايته:

خليليّ عُوجا بارك الله فيكما بدارهما الأولى نُحيِّ فِناءها

وورد في البداية والنّهاية: 164/2 بيت بلا عزو، وروايته:

خليليّ عُوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند بأرضكما قصدا

(2) لم أقف على تتمّة البيت، وإنّما وقفت على معنى لعلّه قريب منه، وهو بيت لعبد الله بن معمّر القيسي، وروايته:

خليليّ إنّي قد عشيت من البُكا فهل عند غيري عبرةٌ أستعيرها

انظر: (منازل الأحباب ومذاهب الألباب: 53).

(3) في الأصل: "ينسى"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(4) الصّعيد: الموضع العريض الواسع. (لسان العرب: صعد).

(5) معنى هذا القول: "سيروا على هيّنتكم، ولا تشقّوا على أنفسكم وركابكم: وأصل الجرّ أن تترك الإبل والغنم ترعى وتسير. (جمهرة الأمثال: 355/2).

(6) المهارق: جمع مُهْرَق، وهو الصّحيفة البيضاء يكتب فيها، فارسيّ معرب. (لسان العرب: هرق).

المَسْنُوْن، ويَسْقُطُ قَلْبُهُ الوَاجِبُ، وأَضَاءَ أَيْضَاً لَهُ نُوْرَ حِكْمَةٍ يَغْلِبُ فَجْرُهَا الطَّالِعُ مَشَارِقَ الأَنْوَارِ، ويُغِلُّ فِكْرُهَا السَّابِقُ يَدَ القَيْرَوَانِي"[1]، إنْ نَظَمَتْ أَبْكَارَ الأفْكَارِ، ويَذْهَبُ التَّحْصِيْلُ ولَيْسَ مِنْ بَدْرِهِ المُنِيْرِ درهَم، ولا مِنْ شَمْسِهِ المُشْرِقَةِ دِيْنَار، ويَنْبُو دُوْنَهُ مِضْرَبُ السَّيْفِ، ولَوْ أنَّ الآمِدِي"[2] ذَا الفَقْرِ ذُو الفَقَارِ[3].

فَأَمَّا ابن سَنَاء[4] فَتَخْفَى فِي طَيِّ البُرُوْقِ إشَارَتُهُ، والرَّازِي[5] يَرْزَأُ كُتُبَهُ وتَجِفُّ فِي لِسَانِ القَلَمِ عِبَارَاتُهُ، وقَلَّ إنْ وجدَ فِي عِلْمِ إقْلِيْدِس[6] مِثْلَهُ مَنْ يَحِلُّ إشْكَالَهُ، ويَحِلُّ إشـــكاله[7]، ويَغْدُو مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ الافلودي[8] للأَرْضِ مُقَسِّمَاً، ولِمَقَادِيْرِ الكَوَاكِبِ مُتَوَسِّمَاً، بَـــلْ لَـــو وَصَلَ إلى ابن واصل[9] عِلْمُهُ لَقَنَعَ بِمَا فَضُلَ، أو ابن العَديم جمال الدّين[10] مَا عَدِمَ مَا تَعَنَّـى إِلَيهِ، ومَا وَصَلَ[11].

وكُلُّ هَذَا عَوَّلَهُ على أَدَبِهِ الَّذِي هو أَغَضُّ مِنْ وَرَقِ النَّبَاتِ، وأَحْسَنُ مِنْ تَذْهِيْبِ الحَيَاءِ فِضَّةَ خُدُوْدِ البَنَاتِ، بِقَرِيْحَةٍ أَصْفَى[12] مِنَ المَاءِ، وأَوْرَى مِنْ النُّجُوْمِ فِي الظَّلْمَاءِ، وأَغْرَبَ

---

(1) هو محمّد بن سعيد، شاعر وكاتب مترسّل، توفي بإشبيلية سنة 460هـ،...انظر: (الـــوافي: 97/3، وفـــوات الوفيـــات: 359/3، والأعلام: 138/6).

(2) الآمدي: هو الحسين بن سعد بن الحسين الآمدي، أبو عليّ (ت: 444هـ): لغويّ من الشّعراء، ولد ونشأ بآمد، وانتقل إلى بغداد والشّام، واستوطن أصبهان، وتوفي فيها. (معجم الأدباء: 1735/4، ودائرة المعارف الإسلاميّة: 618/2).

(3) ذو الفقار: كان اسم سيف النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- ذا الفقار، وقد سُمّي بذلك لأنّه كانت فيه حُفَرٌ صِغار حِســـان، ويقال للحفرة فُقْرة وجمعها فُقَر. ((لسان العرب: فقر)، وخزانة السّلاح: 26).

(4) هو هبة الله بن جعفر، شاعر من النّبلاء، كتب في ديوان الإنشاء بمصر، وتوفي فيها سنة 608هـــــ،...انظـــر: (شـــذرات الذّهب: 35/5، ووفيات الأعيان: 61/6، والرّوضتين: 223/1، وثمرات الأوراق: 355، والأعلام: 71/8).

(5) هو أحمد بن فارس أبو الحسين الرّازي، كان إماماً في علوم شتّى وخصوصاً اللّغة،...انظر: (يتيمة الدّهر: 397/3، والبدايـــة والنّهاية: 358/11، وشذرات الذّهب: 132/3).

(6) هو صاحب جو مطريا، ومعناه الهندسة، وهو إقليدس بن نوقطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة، المبرز فيها. (الفهرســـت: 325).

(7) في الأصل و(ص): "اسكاله".

(8) لم أقف له على ترجمة في المصادر الّتي رجعت إليها.

(9) هو محمّد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل (604-697هـ): مؤرّخ، عالم بالمنطق والهندسة والأصوليين، من فقـــهاء الشّافعيّة،...انظر: (بغية الوعاة: 108/1، ونكت الهميان: 250، والأعلام: 133/6، ودائرة المعارف الإســـلاميّة: 299/1). من هنا سقط من (ص).

(10) هو عمر بن أحمد بن هبة ابن أبي جرادة (586-666هـ): مؤرّخ، محدّث، من الكُتّاب، ولد بحلب، وتوفي بالقاهرة، مـــن كتبه: "بغية الطّلب في تاريخ حلب"،...انظر: (فوات الوفيات: 126/3، وأعلام النّبلاء: 254/2، والأعلام: 40/5).

(11) إلى هنا انتهى السّقط من (ص).

(12) في (ص): "أصفا".

مِنْ عَنْقَاء[1]، وأطْرَبَ مِنْ وَرْقَاء[2].

وكَتَبَ الإنْشَاءَ مِصْرَاً وشَامَاً، فَكَتَبَ وجَرَتْ معهُ القَرَائِحُ، إلاَّ أنَّهَا السَّوَابِقُ فَكُبَتْ، وطَابَ بِهِ الوَادِيَان، وطَالَ النَّادِيَان، وقَلَّدَ المَمَالِكَ مَا هو أعْلَقُ بهَا مِنْ أطْوَاقِ الحَمَائِمِ[3]، وأعْبَقُ مِنْهَا جُنُوْبُ الغَمَائِمِ، ولَهُ التَّصَانِيفُ الكَثِيْرَةُ الكَبِيْرَةُ بِنفْسِها الأبْكَار، الّتِي مَا آوَتْ إلاَّ سُرَادقَ نَفْسِهَا.

ومِمَّا كَتَبَ لي مِنْ نَثْرِه، وأتْبَعَهُ مِنْ شِعْرِه، قوله مِنْ ذَلِكَ كِتَاب كَتَبَهُ بِشَارَةً بوَفَاءِ النِّيْلِ، وهو: "-ضَاعَفَ اللهُ [تَعَالى][4] نِعْمَةَ الجَنَابِ العَالِي[5]، وسَرَّ نَفْسَهُ بأنْفَسِ بُشْرَى، وأسْمَعَهُ مِنْ أنْبَاءِ[5] الهَنَاءِ "كُلّ آيَةٍ أكْبَرُ مِنَ الأخْرَى"[6]، وأقْدَمَ عليهِ مِنَ المَسَارِّ مَا يَتَحَرَّزُ نَاقِلُهُ ويَتَحَرَّى، وسَاقَ إليهِ كُلَّ طَلِيْعَةٍ إذا تَنَفَّسَ صُبْحُهَا[7] تَفَرَّقَ اللَّيْلُ[8] [الهَمّ][9] وتَفَرَّى[10]، وأوْرَدَ لَدَيْهِ مِنْ أخْبَارِ[11] الخِصْبِ مَا يَتَبَرَّمُ بِهِ مَحَلُّ المَحْلِ ويَتَبَرَّى[12].

هَذِهِ المُكَاتَبَةُ إلى الجَنَابِ العَالِي[13] تَخُصُّهُ بِسَلاَمٍ يَرِقُّ[14] كَالمَاءِ انْسِجَامَاً، ويَرُوْقُ كالزَّهْرِ ابْتِسَامَاً، وتُتْحِفُهُ بِثَنَاءٍ يَجْعَلُ المِسْكَ لَهُ خِتَامَاً[15]، ويَضْرِبُ[16] لَهُ علَى الرِّيَاضِ النَّافِحَةِ خِيَامَاً، ونَقُصُّ[17] عليهِ مِنْ نَبَأ[18] النِّيْلِ الّذي خَصَّ [اللهُ][19] البِلاَدَ[20] المصريَّة

---

(1) العنقاء: طائر ضخم ليس بالعقاب، وقيل: العنقاء المغرب كلمة لا أصل لها، يقال: إنّها طائر عظيم لا تُرى إلاّ في الدّهور ثمّ كثر ذلك حتّى سمّوا الدّاهية عنقاء مغرباً ومغربة. (لسان العرب: عنق).

(2) الورقاء: الحمامة للونها، والوُرقة: سواد في غُبْرة، وقيل: سواد وبياض كدخان الرِّمث. (لسان العرب: ورق).

(3) طوق الحمامة: سبق الإشارة إليه.

(4) النّص ورد في صبح الأعشى: 310/4، مع اختلاف في الرّواية، زيادة وردت في أعيان العصر: 623/3.

(5) سقطت من حسن المحاضرة: 369/2، وأعيان العصر: 623/3.

(6) من الآية: 48 من سورة الزّخرف: ﴿ومَا نُرِيهُم مِنْ آيَةٍ إلاّ وَهِيَ أكْبَرُ مِنْ أخْتِهَا﴾

(7) من الآية: 18 من سورة التّكوير:﴿والصّبح إذَا تَنَفّسَ﴾، في أعيان العصر: 623/3: "صبحها".

(8) في (ص): "اليل"، وفي أعيان العصر: "ليلُ".

(9) زيادة وردت في أعيان العصر.

(10) تفرّى: تشقّق. (لسان العرب: فرا).

(11) في حسن المحاضرة، وأعيان العصر: "أنباء".

(12) في أعيان العصر: "ويتبرّا".

(13) في أعيان العصر: "إلى المجلس العالي".

(14) في حسن المحاضرة: "يُرى".

(15) من الآية: 26 من سورة المطففين: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافس فلتنافسون﴾، في أعيان العصر: 623/3: "جعل المسك له ختاماً".

(16) في حسن المحاضرة: 369/2، وأعيان العصر: 623/3: "وضرب".

بِوِفَادَةِ وَفَائِهِ، وأغْنَى بِهِ(1) قَطْرَهَا عن القَطْرِ فَلَم تَحْتَجْ إلى مَدِّ كَافَّةِ وَفَائِهِ، ونَزَّهَهُ عن مِنَّةِ الغَمَامِ الّذي إنْ جَادَ فَلاَ بُدَّ مِنْ شَهْقَةِ رَعْدِهِ، ودَمْعَة بُكَائِهِ، فَهْي الأرْضُ(2) الّتِي لا يُذَمُّ للأمْطَارِ في جَوِّهَا مَطَارٌ، ولا يُزَمُّ القِطَارُ(3) في بُقْعَتِهَا قطارٌ(4)، ولا تُرْمِدُ الأنْوَاءُ فيهَا عيُونَ النَّوَّارِ، ولا تَشِيْبُ بالثُّلُوْجِ [فيها](5) مَفَارِقَ الطّرْقِ ورؤوس(6) الجِبَالِ، ولا تَبِيْتُ البُرُوْقُ سَاهِرَةً لِمَنْعِ العيُوْنَ مِنْ تَعَهُّدِ الخَيَالِ(7)، ولا تُفْقَدُ فيهَا حُلَى النّجُوْمِ لانْدِرَاجِ اللّيْلَةِ تَحْتَ السُّحْبِ بَيْنَ اليَوْمِ وأمْس، ولا يَتَمَسَّكُ [في سنائها](8) المَسَاكِيْن في شِتَائِهَا(9) كَمَا قِيْلَ بِحِبَالِ الشَّمْسِ، وأيْنَ أرْض يُخْمَدُ(10) عَجَاجُهَا(11) بالبَحْرِ العَجَاجِ(12)، وتَزْدَحِمُ في سَاحَاتِهَا(13) أفْوَاجُ الأمْوَاجِ مِنْ أرْضٍ لا تَنَالُ السُّقْيَا إلاّ بِحَرْبٍ لأنَّ القَطْرَ سِهَامٌ، والضّبَابُ عَجَاجٌ قَدْ انْعَقَدَ، ولا يَعُمُّ الغَيْثُ بِقَاعَهَا لأنَّ السُّحْبُ لا تَرَاهَا إلاَّ بِسِرَاجٍ [من](14) البَرْقِ إذا اتَّقَد.

فَلَوْ خَاصَمَ النِّيْلُ مِيَاهَ الأرْضِ لَقَالَ: عِنْدِي قُبَالَةَ كُلِّ عَيْنٍ إصْبَع(15)، ولو فَاخَرَهَا

- (17) في أعيان العصر: 623/3: "وتقصّ".

(18) من الآية: 101 من سورة الأعراف:﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾، انظر: الآية: 13 من سورة الكهف، والآية: 99 من سورة طه، في حسن المحاضرة: 369/2: "من أنباء".

(19) زيادة وردت في حسن التّوسل: 369/2، وأعيان العصر: 623.

(20) في أعيان العصر: "الدّيار".

(1) سقطت من أعيان العصر.

(2) في أعيان العصر: 624/3: "البلاد".

(3) في حسن المحاضرة، وأعيان العصر: "للقطّار".

(4) في حسن المحاضرة: "في نفعها قطار".

(5) زيادة وردت في أعيان العصر.

(6) في الأصل: "وروس"، وقد أثبتنا ما ورد في أعيان العصر.

(7) سقطت من حسن المحاضرة: 369/2.

(8) زيادة وردت في حسن المحاضرة.

(9) سقطت من حسن المحاضرة.

(10) في حسن المحاضرة: "يَخُدُّ".

(11) العجاج: الغبار، وقيل: هو من الغبار ما ثوّرته الرّيح، واحدته عجاجة. (لسان العرب: عجج).

(12) البحر العجاج: الّذي تسمع لمائه عجيجاً أيّ صوتاً. (لسان العرب: عجج).

(13) في (ص): "سحاتها".

(14) زيادة وردت في أعيان العصر: 624/3.

(15) سبق الإشارة إليه ضمن مقياس النّيل.

لَقَالَ: أنْتَ بالجِبَالِ أثْقَلُ، وأنَا بالمَلَقِ أطْبَعُ، والنِّيْلُ لَهُ الآيَاتُ الكُبَرُ[1]، وفيهِ العَجَائِبُ والعِبَرُ، مِنْهَا وجُوْدُ الوَفَاءِ عِنْدَ عَدَمِ الصَّفَاءِ، وبُلُوْغُ الهَرَمِ، إذ[2] احْتَدَّ واضْطَرَمْ، وأمِنَ[3] كُلُّ فَرِيْقٍ إذا قَطَعَ الطَّرِيْقَ، وفَرِحَ قُطَّانُ الأوْطَانِ إذا كُسِرَ، وهو[4] كَمَا يُقَالُ سُلْطَان. وهو أكْرَمُ مُنْتَمَى، وأشْرَفُ مُنْتَدَى[5]، وأعْذَبُ[6] مُجْتَنَى، وأعْظَمُ مُجْتَدَى، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ وبَرَاءتِهِ مع الزِّيَادَةِ مِنْ نَقَائِصِهِ.

وهوَ أنَّهُ في هَذَا[7] العَامِ المُبَارَكِ جَذَبَ البِلاَدَ مِنَ الجَدْبِ، وخَلَّصَهَا بِذِرَاعِهِ، وعَصَمَهَا بِخَنَادِقِهِ الَّتِي لا تُرَاعُ مِنْ تِرَاعِهِ، وحَصَّنَهَا[8] بِسَوَارِي الصَّوَارِي [تَحْتَ قُلُوْعِهِ][9] ومَا هِيَ إلاَّ عَمَدُ قِلاَعِهِ، ورَاعَى الأدَبُ بَيْنَ أيْدِيْنَا الشَّرِيْفَةِ بِمُطَالَعَتِنَا [الشَّرِيْفَةِ][10] كُلَّ يَوْمٍ بِخَبَر[11] قَاعِهِ في رُقَاعَةٍ حَتَّى إذا أكْمَلَ السِّتَّةَ عَشر ذِرَاعًا، وأقْبَلَتْ سَوَابِقُ الخَيْرِ[12] سِرَاعًا[13]، وفَتَحَ أبْوَابَ الرَّحْمَةِ بِتَغْلِيْقِهِ، وجَدَّ في طَلَبِ تَخْلِيْقِهِ، وتَضَرَّعَ بِمَدِّ ذِرَاعَيْهِ[14] إلينا، وسَلَّمَ عِنْدَ الوَفَاءِ بِأصَابِعِهِ علينا، ونَشَرَ عَلَمَ سِتْرِهِ، وطَلَبَ لِكَرَمِ طِبَاعِهِ جَبْرَ العَالَمِ بِكَسْرِهِ.

(1) من الآية: 35 من سورة المدّثر: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾.

(2) في حسن المحاضرة: 369/2، وأعيان العصر: 624/3، وعصر سلاطين المماليك: 323/6: "إذا".

(3) في أعيان العصر: "وأمْنُ".

(4) في أعيان العصر: "والماء".

(5) في حسن المحاضرة: 370/2: "وهو أكرم منتدى"، وسقطت منه: "منتمى وأشرف"، وفي عصر سلاطين المماليك: 323/6: "وهو أكرم وأعذب مجتنى وأعظم مجتدى".

(6) في حسن المحاضرة: "أعزب مجتبى".

(7) في أعيان العصر: "وهو أنّه في ذا العالم".

(8) في حسن المحاضرة: "وحضّها".

(9) زيادة وردت في حسن المحاضرة، وأعيان العصر، والقلوع: جمع قلع وهو شراع السّفينة. (لسان العرب: قلع).

(10) زيادة وردت في أعيان العصر.

(11) في حسن المحاضرة: 370/2: "بحر".

(12) في أعيان العصر: "الخيرات".

(13) ورد في شرح المقامات للشريشي: 416/3: "أنّ الوفاء إذا بلغ ستّ عشرة ذراعاً فصاعداً؛ يستحقّ به السّلطان خراجه، وعليها تُعطى البشارة للّذي يراقب الزّيادة في كلّ يوم، ويعلم بها مياومة، وإن قصّر عن ستّ عشرة فلا يجيء لذلك السّلطان في ذلك العام، ولا خراج إلاّ ما يعول عليه،..." وفي نهاية الأرب: 263/1: "وكان منتهى زيادته قديماً ستة عشر ذراعاً، والذّراع أربعة وعشرون إصبعاً، بمقياس مصر، فإن زاد عن ذلك ذراعاً واحد، زاد في الخراج مائة ألف دينار، لما يروي من الأراضي العالية".

(14) في أعيان العصر: 625/3: "فرج".

(15) في حسن المحاضرة: 370/2: "ذراعه".

فَرَسَمْنَا بأنْ يُخلَّق، ويُعَلَّم تَارِيْخَ هَنَائِهِ ويُعلَّق، فَكُسرَ الخَلِيْجُ وقَدْ كَادَ يَعْلُوْهُ فَــوْجُ[1] مَوْجِهِ، ويُهِيْلُ كَثِيْبَ سَدِّهِ هَوْلُ هَيْجِهِ، ودَخَلَ يَدُوسُ "زَرَابِيَّ الدُّوْرِ المَبْثُوْثَةِ"[2]، ويَجُــوْسُ خِلاَلَ الحَنَايَا كَأنَّ لَهُ فيهَا خَبَايَا مَوْرُوْثَة.

ومَرَقَ كالسَّهْمِ مِنْ قِسِيِّ قَنَاطِرِه المَنْكُوْسَة، وعَلاَ زَبَدُ حَرَكَتِهِ ولولا[3] ظَهَرَتْ في بَاطِنِهِ مِنْ بدُوْرِ أُنَاسِهِ[4] أشِعَّتُهَا المَعْكُوْسَة، وبَشَّرَ "بركةَ الفيل"[5] بِبَرَكَةِ الفَال، وجَعَلَ "المجنونة"[6] مِنْ تَيَّارِه المُنْحَدِرِ في السَّلاَسِلِ والأغْلاَل، ومَلأ أكُفَّ الرَّجَاء بأمْوَالِ الأمْوَاه، وازْدَحَمَتْ في عِبَارَةِ شُكْرِهِ أفْوَاجُ الأفْوَاه[7]، وأعْلَمَ الأقْلاَمَ بِعَجْزِهَا عمَّا يَدْخُلُ مِنْ خَرَاجِ البِلاَدِ، وهَنَّأتْ طَلاَئِعُهُ بالطَّوَالِعِ الَّتِي نَزَلَتْ بَرَكَاتُهَا مِنَ اللهِ تَعَالى[8] على العِبَاد.

وهَذِهِ عَوَائِدُ الألْطَافِ الإلَهِيَّةِ بِنَا الَّتِي لم نَزَلْ نَجْلِسُ على مَوَائِدِهَا، ونَأخُذُ مِنْهَا مَــا نَهَبُهُ لِرَعَايَانَا مِنْ فَوَائِدِهَا، ونَخُصُّ[9] بالشُّكْرِ قَوَادِمَهَا، فَهْي تَدُبُّ حَوْلَنَا وتَدْرُج، ونَخُــصُّ قَوَادِمَهَا بالثَّنَاءِ والمَدْحِ [والحَمْدِ][10] فَهْي تَدْخُلُ إلينَا وتَخْرُج.

فَلْيَأخُذْ الجَنَابُ العَالِي حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ[11] البُشْرَى الَّتِي جَادَتْ[12] بالمَنِّ والمَنْحِ، وانْــهَلَّتْ أيَادِيْهَا المُغْدِقَةِ[13] بالسَّحِّ والسَّفْحِ، ولْيَتَلَقَّاهَا بِشُكْرٍ يُضِيءُ بِهِ في الدُّجَى[14] أدِيْــمَ الأُفْــق، ويَتَّخِذُهَا عِقْدًا تُحِيْطُ[15] مِنْهُ بالعُنُقِ إلى النُّطْق.

---

(1) في أعيان العصر: 625/3: "فرج".

(2) من الآية: 16 من سورة الغاشية:﴿وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة﴾.

(3) في حسن المحاضرة: 370/2، وأعيان العصر: "ولولاه".

(4) في حسن المحاضرة: "إنائه".

(5) بركة الفيل: بركة عظيمة متّسعة جنوبي سور القاهرة، عليها الأبنية العظيمة المستديرة. (صبح الأعشى: 408/3).

(6) المجنونة: هي الجزيرة المعروفة بحليمة، قال المقريزي: وهذه الجزيرة خرجت في سنة 747هـ ما بين بولاق والجزيرة الوسطى، سمّتها العامّة بحليمة وأقام أهل الخلاعة والمجون هناك وتمتّكوا بأنواع المحرّمات. (خطط المقريزي: 187/2).

(7) في الأصل: "الأفوله"، وقد أثبتنا ما ورد في حسن المحاضرة: 370/2، وأعيان العصر: 625/3.

(8) سقطت من حسن المحاضرة، وأعيان العصر، وفيه: "عزّ وجلّ".

(9) في أعيان العصر: "ويخصّ".

(10) زيادة وردت في حسن التّوسل وأعيان العصر.

(11) سقطت من أعيان العصر.

(12) في حسن المحاضرة: "جاءت".

(13) في أعيان العصر: "الغدقة".

(14) في أعيان العصر: "الدّجا".

(15) في أعيان العصر: "يحيط به من العنق".

ولْيَتَقدَّمْ الجَنَابُ العَالي بأنْ[1] لا يُحرِّكَ المِيْزَانَ في هَذِهِ البُشْرَى بالجِبَايَةِ لِسَانُهُ، ولْيُعْطِ كُلَّ عَامِلٍ في بِلادِنَا بِذَلِكَ أمَانَة، ولْيَعْمَلْ بِمُقْتَضَى هَذَا المَرْسُوْمِ [الشَّرِيْفِ][2] حَتَّى لا يُرَى في إسْقَاطِ الجِبَايَةِ خِيَانَة.

واللهُ تَعَالَى[3]-يُدِيْمُ الجَنَابَ العَالي لِقَصِّ الأنْبَاءِ الحَسَنَةِ عليهِ، ويُمَتِّعُهُ بِجَلاءِ عَرَائِسِ التَّهَاني والأفْرَاحِ لَدَيْهِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ[4] [إنْ شَاءَ اللهُ تعالى][5].

ومِنْ ذَلِكَ جَوَاب كَتَبَهُ عن النَّائِبِ بالشَّامِ إلى المَلِكِ الأفْضل صَاحِب حماة[6]، وقَدْ أرْسَلَ مشمشاً كَافُورِيَّاً: "-لا زَالَ إحْسَانهُ كَالعَلَمِ المَشْهُورِ، وجُوْدهُ المَنْظُوْم يَهْدِي مِنْ الثَّمَرَاتِ مَا هو كاللؤلؤ المَنْثُور، وبِرُّهُ يُتْحِفُ بمَا هو كالشَّهْدِ في الطَّعْمِ واللَّوْنِ، وكالنَّجْمِ في الشَّكْلِ والنَّوْرِ، وكَرمهُ يَتَضوَّعُ نَشْرَاً، وكَيْفَ لا وقَدْ جَادَ بِمَا يُنْسَبُ إلى الكَافُور.

ويُنْهِي ورود المُشَرَّفَةِ العَالِيَةِ قَرِيْنَ مَا أنْعَمَ بِهِ مَوْلانَا مِنْ المشمشِ الكَافوريِّ فَوَقَفَ عليها، وقَابَلَ إحْسَانَهُ بِشُكْرٍ يُشْرِقُ نُوْرَاً، وثَنَاء يُدِيْرُ على الأسْمَاعِ "كَأسَاً كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوْرَاً"[7] ووَاجَهَ جُوْدَهُ بِحَمْدٍ يَتْلُوْهُ مِنْهُ وَجْهُ الرَّوْضِ بِمَنْثُوْرِهِ، وتَجِدُ الألْسِنَةُ لِمَنْظُوْمِهِ لَذَّةً تُنْسِي الأسْمَاعَ مَا قَالَهُ أبو الطَّيِّبِ[8] في كَافُوْرِهِ[9]:

ومَتَّعَ نَاظِرَهُ بِتِلْكَ الكَوَاكِبِ الَّتي اتَّسقَتْ مِنَ العلب في أفْلاكِ
وتَنَسَّقَتْ كالدُّرَرِ ومَا لَهَا غَير حُسْنِ الرَّصْفِ أسْلاكِ

وتَأمَّلهَا وهي كُرَات بِلُّوْرٍ اكْتَنَفَهَا الأصِيْلُ والشَّفَقُ، ورُكِّبَتْ حِيْنَ مَلأتْ الصُّدُوْرَ "طَبَقَاً

---

(1) في حسن المحاضرة: 370/2: "بألاّ".

(2) زيادة وردت في أعيان العصر: 626/3.

(3) سقطت من حسن المحاضرة: 371/2.

(4) سقطت : "بمنه وكرمه" من حسن المحاضرة.

(5) زيادة وردت في أعيان العصر: 626/3.

(6) هو تقيّ الدّين أبو سعيد عمر بن نور الدّولة شاهنشاه بن أيّوب صاحب حماة، وهو ابن أخي السّلطان صلاح الدّين،...انظر: (وفيات الأعيان: 456/3، والنّجوم الزّاهرة: 113/6، وشذرات الذّهب: 289/4، وسير أعلام النّبلاء: 202/21).

(7) من الآية: 5 من سورة الإنسان:﴿إنَّ الأبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾.

(8) سبق التّعريف به.

(9) هو كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك، كان عبداً حبشيّاً، اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة 312هـ، فنسب إليه وأعتقه ملك مصر سنة 355هـ، توفي بالقاهرة سنة 357هـ، وقيل دفن بالقدس. نظر: (شذرات الذّهب: 21/3، والبداية والنّهاية: 281/11، ومرآة الزّمان: ق1/ج129/1، والأعلام: 216/5).

على طَبَق"[1]، فَأكْرِمْ بِهَا هَدِيَّةً كَانَتْ لِحلَلِ الأشْجَارِ أزْرَاراً، وِلجَنَّـــاتِ الأوْرَاقِ نَـــاراً، كَيْفَ[2] مَكَّنَتْ فُرُوعُهَا يَدَ قَاطِفِهَا مِنَ السَّلْبِ؟! وكَيْفَ أقْبَلَتْ في حُلَّةِ الرَّوْعِ والوَجَـــلِ وهي طَيِّبَةُ القَلْبِ، كَأنَّهَا لم تَكُنْ لِقِسيِّ الغُصُوْنِ بَنَادِق، ولا في رُقَعِ الأوْرَاقِ بَيَاذِق[3]، فاللهُ يَشْكُرُ لِمَولاَنَا هَذَا الإحْسَانَ العلْويَّ الّذي جَادَ بالنَّجْمِ زَهْرَاً، والجُوْدُ الرَّوْضِيّ الّذي مَلَّـــى العيُوْنَ حُسْنَاً، ومَلأ الصُّدُوْرَ دراًّ، وأدَامَ اللهُ أيّامَهُ الّتي تَسْبِقُ فيهَا الغَرَائِـــبُ وتَسْـتَبِقُ إلى مَكَارِمِهَا الرَّغَائِبُ بِمنِّهِ وكَرَمِهِ.

ومِنْ ذَلِكَ جَوَابٌ كَتَبَهُ إليهِ أيْضاً وقَدْ أهْدَى إليهِ رُخَاماً مُلَوَّنَاً: "ويُنْهِي وصُوْلَ الرُّخَامِ المُلَوَّنِ الّذي فَتَحَ بِهِ عَيْنَ هَذِهِ المُلَوَّنَةِ[4]، وأهْدَى إلى رَوْضِهَا الذَّاوِي أزْهَارَهُ المُلَوَّنَـــةِ، ولا غَرْوَ فَإنَّ العُيُوْنَ تُوْقِظُهَا الشُمُوْسُ بالأشِعَّةِ مِنَ المَنَامِ، والأزْهَارُ تُوْجَدُ بالرِّيَاضِ مِنْ وجُـــوْدِ الغَمَامِ، ولو لم يَكُنْ كَرَمُ مَوْلاَنَا سَحَابَاً؛ لَمَا جَادَ بألْوَانِ قَوْسِ قُزَحٍ[5]، ولو لم يَكُنْ عُلُـــوُّه كالشَّمْسِ لَمَا انْبَعَثَتْ عنهُ أنْوَارٌ تَلَهَّبَ شُعَاعُهَا في هَذِهِ الدَّارُ وقَدَحَ.

وتَحَاشَى المَمْلُوْكُ تَشْبِيْهِ ذَلِكَ بالزَّهْرِ، فَإنَّ هَذَا أبَدَاً يَانِعٌ، وذَلِكَ يَؤُولُ إلى الذّبُـولِ، أو التَّمْثِيْلِ بالأشِعَّةِ، فَإنَّ هَذَا أبَدَاً مُشْرِقٌ، وذَاكَ بِذَهَابِ تِبْرِهِ يَحُولُ ويَزُوْلُ.

وهَذِهِ مُعْجِزَةُ كَرَمِ لِمَوْلاَنَا، فَإنَّ رِيْشَ الطَّاووسِ[6] صَارَ لَهُ جَلْمَدَاً، وقَوْسَ السَّــحَابِ تَجَسَّدَ لَهُ على طُوْلِ المَدَى، فَلَو نَاظَرَهُ مُبَاهٍ بِمَحَاسِنِهِ لَكَانَ لَهُ الفَخْرُ، ولو حَاوَلَتِ المِيَاهُ أنْ تُبْلِيْهِ لَمَا بَالَى بِمَا لَهَا عليهِ مِنَ الزَّخَرِ، ولو أجْرَتْ دُمُوْعَهَا عليهِ لَهَا لا تَبْك، فَمَا كُلُّ بَـــاكٍ خَنْسَاء[7] ولا كُلُّ جَمَادٍ صَخْرٌ[8]! ولو رَأتْهُ العيُوْنُ لَسَبَّحَتِ الألْسُنَ مَنْ رَاحَ لَهُ صَانِعَاً،

(1) من الآية: 19 من سورة الانشقاق: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.

(2) في (ص): "وكيف".

(3) بياذق: كلمة فارسيّة مُعْربة تعني قطع الشّطرنج. (لسان العرب: بذق).

(4) في الأصل: "المكوّنة"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(5) قوس قزح: قوس يظهر في الجوّ من حمرة وخضرة، وقد ورد النّهي عن تسميته قوس قزح، وتسميته قوس الله، لأنّ قـــزح اســـم للشّيطان. قال الحكماء: والسّبب فيه أنّ الهواء إذا صار رطباً بالمطر مع أدنى صقاله صار كالمرآة، والمحاذي له إذا كان الشّـمس في قفاه يرى الشّمس في الهواء كما يرى في الشّمس المرآة، ويشتبك ذلك الضّوء بالبخار الرّطب فيتولّد منه هذا القوس. (كشـــف الخفاء: 358/2، وصبح الأعشى: 193/2).

(6) في الأصل و(ص): "الطاوس".

(7) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشّريد، أشهر شواعر العرب وأشعرهنّ من أهل نجد،...انظر: (مسالك الأبصار: 37/14، والوافي: 388/9، والأغاني: 55/15، والأعلام: 86/2).

(8) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشّريد الرّياحي السُّلمي (-نحو 10 ق0هـــ) أخو الخنساء، كان من فرســـان بـــني سُـــليم وغُزاتهم. (الأغاني: 55/15، ونهاية الأرب: 366/15، والأعلام: 201/3).

ولو أرادَ بَلِيْغٌ أنْ يَقُوْمَ بِحقِّهِ وَصْفاً لَوجَدَهُ مَانعاً، واللهُ يَشْكُرُ لِمَوْلاَنَا هَذَا الإحْسَانَ المَدِيْدَ الوَافِرَ، والفَضْلَ الأفْضَلِيّ الّذي أنْبتَ في الرَّوْضِ أزاهِرَ.

ومِنْ ذَلِكَ مَقَامَةٌ أنْشَأهَا في الحَرِيْقِ الّذي اتَّفَقَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ أرْبَعِيْنَ وسَبْعَمِئَة[1]، وسَمَّاهَا: "رَشْفُ الرَّحِيْقِ في وَصْفِ الحَرِيْقِ"[2]، وهي: "حَكَى شُعْلَة ابنُ أبي لهب عن أبي الزّناد شهاب أنّهُ قَالَ:

لَمْ تَزَلْ أُذْني مُتَشَنِّفَةً[3] بأوْصَافِ دِمَشْقَ، مُتَلَذِّذَةً بِمَا للأقْلاَمِ[4] في ذِكْرِ مَحَاسِنِهَا مِنَ التَّعْلِيْقِ والمَشْقِ[5]، حَتَّى رَأيْتُ الحَزْمَ شَدَّ[6] الكُوْرَ[7] إليهَا والحُزُمَ[8]، فَأزْمَعْتُ السَّيْرَ، ولم أزْجرِ[9] الطَّيْرَ، وقَطَعْتُ أدِيْمَ الأرْضِ بالسَّيْرِ، ورَكِبْتُ إليهَا مَطَا الشَّوْقِ قَبْلَ مَطَايَا[10] السَّوْقِ، ولم يَتَلَفَّتِ القَلْبُ إلى الوَطَنِ، ولا حَنَّ النَّجِيْبُ[11] إلى العَطَنِ[12]، حتَّى بَلَغْتُهَا بَعْدَ مُكَابَدَةِ السُّرَى، وإثَارَةِ العَجَاجِ مِنَ الثَّرَى، فَلَمَّا حَلَلْتُ مَغْنَاهَا وجَدْتُهَا:

بَلَدٌ[13] أعَارَتْهُ الحَمَامَةُ طَوْقَهَا ... وكَسَاهَا حُلَّةَ رِيْشِهِ الطَاووسُ[14]
وكَأنَّمَا الأنْهَارُ فيهِ سُلاَفَةٌ ... وكَأنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كؤوس[15]

---

(1) في (ص): "سبع ماية".

(2) سبق أن نُشر نصّ المقامة، بتحقيق ودراسة سمير الدّروبي في مجلّة "البلقاء" الصّادرة عن جامعة عمان الأهليّة، المجلّد الثّالث، ع1، ذو القعدة 1415هـ/نيسان 1995م، ص: 77وما بعدها.

(3) متشنّفة: أي لابسة للشّنف، والشّنف: الّذي يلبس في أعلى الأذن، والقرط الّذي يلبس في أسفلها، وقيل: الشّنف والقرط سواء. (لسان العرب: شنف).

(4) في الأصل و(ص): "الأقلام" وقد أثبتنا ما يستقيم به الوزن.

(5) المشق: السّرعة في الكتابة، ويقال: قلم مَشّاق: سريع الجري في القرطاس، ومشق الخطّ يمشقه مشقاً: مدّه، وقيل: أسرع فيه. (لسان العرب: مشق).

(6) في الأصل: "سدّ"، وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(7) الكور: رحل النّاقة. (لسان العرب: كور).

(8) الحُزُم: جمع حزام، والحزام للسّرج والرّحل. (لسان العرب: سرج).

(9) الزّجر للطّير هو: "التّيمن والتّشاؤم بها والتّفاؤل بطيرانها كالسّانح والبارح، وهو نوع من الكهانة والعيافة. انظر: ((لسان العرب: زجر)، ومجمع البلاغة: 821/2، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: 307/2).

(10) المطايا: جمع مطيّة وهي النّاقة الّتي يركب مطاها أو البعير يمتطى ظهره. (لسان العرب: مطا).

(11) النّجيب: القويّ الخفيف السّريع من الإبل. (لسان العرب: نجب).

(12) العَطَن للإبل: كالوطن للنّاس، وقد غلبَ على مبركها حول الحوض، والجمع أعطان. (لسان العرب: عطن).

(13) في الأصل: "بلداً"، وأثبت ما ورد في (ص).

(14) في الأصل و(ص): "الطاوس".

(15) البيتان لابن اللّبانة الأندلسي (شعر ابن اللّبانة: 55، وخريدة القصر/قسم شعراء الأندلس والمغرب: 138/2، -

"فَألقَيْتُ العَصَا"[1] في سَاحَتِهَا، وألفَيْتُ زَوَالَ التَّعَبِ في مُصَافَحَةِ رَاحَتِهَا، فَمَا سِـرْتُ إلى رَوْضٍ إلاَّ وأجْلَسَني مِنَ النَّرْجِسِ على أحْدَاقِهِ، وقَامَ السَّرْوُ مِنَ السُّرُورِ بَيْنَ يَـدَيَّ علـى سَاقِهِ، وجَرَى المَاءُ في خِدْمَتِي لِكَرَمِ أخْلاَقِهِ، وظَلَّلَني الدَّوْحُ لِطِيْبِ أعْرَاقِهِ، ومَدَّ الغُصْنُ لي سُتُوْرَ أوْرَاقِهِ، وغَنَّى لي الحَمَامُ على عُوْدِه، ولو تَأنَّى أو تَأبَّى جَرَّهُ بأطْوَاقِهِ[2].

قَالَ: فَشَفَيْتُ سَقَمِي بَنَسِيْمِهَا العَلِيْلِ، واسْتَرْوَحْتُ إلى مَا نَقَلَهُ عن بَانِه[3] وبَنَفْسَجِهِ لا إلى مَا يَتَحمَّلُهُ مِنَ الإذْخِرِ[4] والجَلِيْلِ[5]، وخِلْتُ أنَّهُ بلُطْفِ مَسِّهِ يَلِيْـنُ لَـهُ الجَنْـدَلُ[6]، وجُنِنْتُ[7] بعَرْفِهِ[8] المَنْدَلِيّ، ومَا رَأى النَّاسُ مِنْ جُنٍّ[9] بالمَنْدَلِ[10]، وبَرَّدَتْ بأنْفَاسِـهِ حَـرَّ الصَّبَابَةِ والجَوَى، وقُلْتُ:

أضْحَى نَسِيْمُ دِمَشْقَ حَيَّاهَا الحَيَا ... يَمْشِي الهُوَيْنَا في ظِلاَلِ حِمَاهَا
فَكَأنَّـهُ مِنْ مَائِهَا وهِضَـابِهَا ... مَا دَاسَ إلاَّ أعينـاً وجِبَاهَا[11]

- والمغرب في حلى المغرب: 466/2)، وهما لابن حمديس الصّقلّي، ديوانه: 553، مع اختلاف في بعض الألفاظ، ووردا في (تذكـرة النّبيه: 197/3 بلا عزو، وفي غرائب التّنبيهات: 168 مع اختلاف في بعض الألفاظ).في الأصل: "كوس"، وقد أثبت ما هو أولى.

(1) من قول ينسب لمعقّر بن حمار البارقي، (المؤتلف والمختلف: 127و128، وورد بلا عزو في وفيـات الأعيـان: 234/1و475، 154/3)، وروايته:

فألقت عصاها واستقرّت بها النّوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

(2) طوق الحمامة: الخضرة أو الحمرة المحيطة بعنقها. (طوق الحمامة: 20).

(3) البان: شجر يسمو ويطول كالأثل في استواء، أوراقه هدب، وثمرته تشبه قرون اللوبياء، وفيها حبّ إذا انتهى انفتق وانتـشر منـه حبّ أبيض، ومنه يستخرج دهن البان. (المعتمد في الأدوية المفردة: 17).

(4) الإذخر: حشيش طيّب الرّائحة، يسقف بها البيوت فوق الخشب. (لسان العرب: ذخر).

(5) الجليل: الثّمام حجازيّة، وهو نبت ضعيف يحشى به خَصاص البيوت، واحدته جَلِيلة، أنشد أبو حنيفة لبلال:

ألاَ ليت شعري! هل أبيتنّ ليلة ... بفَجٍّ، وحَولي إذخر وجليل؟

وقيل: هو الثّمام إذا عظم، والجمع جَلائل. (لسان العرب: جلل). والثُّمام: نبت معروف في البادية ولا تجهدُه النَّعَم إلاّ في الجُدوبـة. (لسان العرب: ثمم).

(6) الجندل: الحجارة. (لسان العرب: جندل).

(7) في (ص): "وجنبت".

(8) المعنى مأخوذ من قول الشّاعر سيف الدّين بن المشدّ (خزانة الأدب وغاية الأرب: 476):

مسكيّةُ الأنفاس تملي الصّبا ... عنها حديثـاً قطّ لم يملل
جننت لـما أن سرى عرفها ... وما نرى من جُنّ بالمندل

(9) في الأصل: "حسن"، لعلّه تحريف وقد أثبتنا ما ورد في (ص).

(10) المندل: عود طيّب الرّائحة منسوب إلى مَندل وهي مدينة بالهند. (المختار من شعر بشار: 97-98).

(11) البيتان لصلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي. (الغيث المسجم: 113/1، ونصرة الثّائر: 210، وخزانة الأدب لابـن حجّـة: 162/2).

وقَطَعْتُ بِهَا زَمَنَاً أَلَذُّ مِنْ وِصَالِ الحَبِيْبِ، وأَشْهَى إلى النَّفْسِ مِنَ التَّشَفِّي بأذى الرَّقِيْــبِ[1]، فَلاَ أَبْعَدَ اللهُ مَا في بَسَاتِيْنِهَا مِنْ شَجَرَاتِ[2]، ولا قَدر[3] الكُسُوف على مَا فيهَا مِنْ كَوَاكِبِ الثَّمَرَاتِ، ولا دَكَّ هَضَبَاتِ أَزْهَارِهَا الّتِي تَضَوَّعَ بَطْنُ[4] نَعْمَان[5] بريَّاهَا لا بِمَنْ مَشَى بِهِ مِنَ الخفَرَاتِ فإنَّهَا:

شَوَّقَتْنَا إلى الجِنَان فَزِدْنَا   في اجْتِنَابِ الذُّنُوْبِ والآثَام[6]

قَالَ: ولازَمْتُ جَامِعَهَا الّذي تَحَيَّرَتِ العُقُوْلُ في تَكْوِيْنِهِ وكُنْهِهِ وَحُسْنِهِ الّذي لم يَكُنْ فيــهِ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لم تَقَعْ العَيْنُ على شَبَهِهِ، ولله درّ مَنْ نَظَمَ فيهِ[7] حِيْنَ قَالَ فيهِ[8]:

دِمَشْقُ لَهَا مَنْظَرٌ رَائِقٌ   وكُلٌّ إلى وَصْلِهَا[9] تَائِقُ
وكَيْفَ يُقَاسُ بِهَا بَلْدَةٌ   أَبَى اللهُ والجَامِعُ الفَارِقُ

فَإِنَّهُ يُوْقِظُ النَّائِمَ، بِحُسْنِ رُخَامِهِ القَائِمِ، وتَجْلُو بَهِيْمَ الدُّجَى حِصَّةَ الفَجْرِ مِنْ حُصَّــةِ[10]، وتَرْوِي لَكَ زَخْرَفَتُهُ حَدِيْثَ الحُسْنِ[11] بِفَصِّهِ[12]، كَمْ زَهَرَتْ فيهِ لَيْلَةُ النَّصْفِ[13] مِنْ

---

(1) انظر عن الرّقيب وما قيل فيه من أشعار : (الزّهرة: 1/146-154).

(2) من قول الشّاعر: إذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولا جنى   فأبعدكنّ الله من شجرات

انظر: (مجمع البلاغة: 1/410، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء: 2/555).

(3) في مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: "أقدر".

(4) المعنى مأخوذ من قول: محمّد بن عبد الله بن نمير الثّقفي في زينب أخت الحجّاج بن يوسف الثّقفي:

تضوّع مسكاً بطن نعمان إن مشت   به زينب في نسوة عطرات

انظر: (العقد الفريد: 5/324، والكامل: 2/628-629، ونهاية الأرب: 4/272، ومجمع البلاغة: 2/624، والمختار من شعر بشّــار: 116).

(5) نعمان: وادٍ قرب مكّة، أو قريب من الفرات على أرض الشّام قريب من الرّحبة، أو قرب الكوفة من ناحيــة الباديــة. (معجــم البلدان: 5/293-294).

(6) البيت للبحتري، الدّيوان: 3/2006.

(7) في الأصل: "ولله من نظم درّ فيه"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) البيتان بلا عزو في: مطالع البدور: 2/288، ونسبا إلى صلاح الدّين الصّفدي في: نفحات الأزهار: 193.

(9) في مطالع البدور: 2/288: "حسنها".

(10) الحصُّ: بمعنى الورس، ويقال: هو الزّعفران. (لسان العرب: حصص)، ولعلّ المقصود هنا الرّخام الملوّن. انظــر: (مســالك الأبصار: 1/185و196، رحلة ابن جبير: 240).

(11) يقول الثّعالبي في ثمار القلوب: 525: "مسجد دمشق: هو أثر بني أميّة المضروب به المثل في الحسن...حتّى تنــاهى حســنه وتكاملت جلالته فصار من عجائب أبنية الدّنيا الأربع، وما رأى الرّاءون ولا سمع السّامعون بأحسن ولا أجلّ منه".

(12) الفصّ: فصّ الأمر أو الشّيء: أصله وحقيقته وكنهه. (لسان العرب: فصص)، يقول ابن بطّوطة في رحلته: 1/103: "وزيّــن هذا المسجد بفصوص الذّهب المعروفة بالفسيفساء، تخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحسن".

(13) لعلّه يقصد ليلة النّصف من شعبان.

ذُبَالِهِ[1]، هي نَجْمٌ تَوَقَّد، وكَمْ دَارَ بِهِ دُولَابٌ كَانَتْ قَنَادِيْلُهُ[1] تَدُوْرُ مِثْل الفَرْقَد، وكَمْ طَلَعَ فِي سَمَاءِ صَحْنِهِ مِنْ ثُرَيَّا، وكَمْ تَمَنَّى القَمَرُ لو كَانَ بَيْنَ نُجُوْمِهِ فَمَا اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ ولا تَهَيَّا، وكَمْ جَلَيْت عَرُوْسهُ فِي عُقُوْد وقُوْد[3]، وكَمْ تَمَتَّعَتِ الأبْصَارُ فيهِ بوجُوهٍ تُخجلُ البَدْرَ فِي لَيَالِي السُّعُوْد[4]، وكَمْ فيهِ مِنْ عَمُوْدٍ قَامَ على قَاعِدَة، وكَمْ بِهِ مِنْ مَنْجُوْرٍ[5] كَغُصُوْنِ أوْجهِ العَجَائِزِ وأوْزَارِهِ[6] نَاهِدَةٌ، وكَمْ مِنْ أعْطَافِ رؤيَتْ[7] فِي صَحْنِهِ[8] مَائِدَةٌ، وكَمْ مِنْ طَائِرٍ لِرَفْعِ نَسْرِهِ[9] مَخْفُوض، وكَمْ حُسْن بِنَاءٍ عِنْدَ بِنَائِهِ يُعْرَبُ أنَّهُ مَرْفُوض، كَمْ أظْهَرَت الصُّنَّاعُ فيهِ بَدَائِعَ لا يَدَّعِيْهَا غَيْرُهُم ولا يَتَعَاطَى، وكَمْ أبْرَزُوا فيهِ مِنْ مُعْجِزٍ؛ لأنَّهُم جَعَلُوا الحِجَارَةَ أوْرَاقًا، والرُّخَامَ[10] أخْيَاطًا.

قَدْ عَمَّرَ اللهُ تعالى[11] أوْقَاتهُ بالذِّكْرِ، وأرَاحَ قَلْبَ مَنْ يَرَاهُ مِنَ الهَمِّ، وأرَاحَ[12] عنهُ الفِكْرَ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأيْتُ مَجْمُوعه المُخْتَار، وأنَّ العيُوْنَ تَوَدُّ لو نُسِجَ لَهُ مِنْ شَعْرِ جُفُوْنِهَا أسْتَار، قُلْتُ[13]:

تَقُوْلُ دِمَشْقُ إذ تُفَاخِرُ غَيْرَهَا ... بِجامِعِهَا[14] الزَّاهي البَدِيْعِ المُشَيَّدِ

---

(1) في الأصل و(ص): "دبالة"، وأثبت الصّواب، لأنّ الذّبالة الفتيلة الّتي تسرج. (لسان العرب: ذبل).

(2) انظر: مسالك الأبصار: 194/1، 197.

(3) في (ص): "وفود".

(4) السّعود: الكواكب الّتي يقال لكلّ واحد منها سعد كذا. (لسان العرب: سعد).

(5) المنجور: من النّجر، وهو عمل النّجار ومنحته. (لسان العرب: نجر).

(6) الأزرار: الخشبات الّتي يدخل فيها رأس عمود الخباء. (لسان العرب: زرر)، والمراد هنا أعمدة المسجد. انظر: (مسالك الأبصار: 188/1).

(7) في الأصل: "رويت"، وقد أثبتنا ما هو أولى.

(8) وصف ابن بطوطة في رحلته: 104/1 صحن المسجد الأمويّ قائلاً: "وسعة الصّحن مائة ذراع، وهو من أجمل المناظر وأتمّها حسناً، وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا، فمن قارئ ومحدّث".

(9) يقول ابن بطوطة في رحلته: 104/1: "...وهي تقلّ قبّة الرّصاص الّتي أمام المحراب، المسمّاة بقبّة النّسر، كأنّهم شبّهوا المسجد نسراً طائراً والقبّة رأسه وهي من أعجب مباني الدّنيا"، انظر: (رحلة ابن جبير: 237، ومسالك الأبصار: 106/1).

(10) انظر: (مسالك الأبصار: 185، 192-195، والدّارس في أخبار المدارس: 33382/2، 3394-396، 408 للاطّلاع على ما وصف به جمال رخام المسجد الأموي.

(11) سقطت من (ص).

(12) في (ص): "وأراج"، وهو تحريف.

(13) البيتان لصلاح الدّين الصّفدي، أنظر: (خزانة الأدب لابن حجّة الحموي: 307، ونزهة الأنام: 46-47، والغيث المسجم: 125/1).

(14) في نزهة الأنام، وخزانة الأدب: "بمعبدها"، وفي خزانة الأدب: "الرّفيع" بدل: "البديع".

جَرَى لِتَنَاهِي[1] حُسْنُهُ كُلُّ جَامِعٍ[2] "وَمَا قَصَبَاتُ[3] السَّبْقِ إلاَّ لِمِعْبَدِي"[4]

قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وقَدْ وَرَدْنَا حِمَى المَضَاجِعِ، ودَخَلَ ضَيْفُ الطَّيْفِ علـــى مُقْلَـةِ الهَاجِعِ، وإذا بالأَصْوَاتِ تَعِجُّ، والدَّعَوَاتِ تَلِجُ أبْوَابَ السَّمَاءِ وتَلِجُّ:

فَلَو نَشَدَتْ نَعْشَاً هُنَاكَ بَنَاتُهُ[5] لَمَاتَ و لم يُسْمَعْ لَهَا صَوْتُ مُنْشِدِ[6]

فَسَأَلْتُ[7] عَنِ[8] الخَبَرِ مِمَّنْ عَبَرَ[9]، فَقَالَ: إنَّ الحَرِيْقَ وقَعَ قَرِيْبَاً مِنَ الجَـــامِعِ، وانْظُــرْ إلى سَبِيْجِ[10] الجَوِّ كَيْفَ انْتَشَرَتْ فيهِ عَقَائِقُ[11] اللَّهَبِ اللامِعِ، فَبَادَرْتُ إلى صَحْنِهِ والنَّاسُ فيــهِ قِطْعَةُ لَحْمٍ[12]، والقُلُوبَ ذَائِبَةٌ بِتِلْكَ النَّارِ كَمَا يَذُوبُ الشَّحْمُ، ورَأَيْتُ النَّارَ وقَدْ نَشَـرَتْ في حِدَادِ الظَّلْمَاءِ[13] مُعَصْفَرَاتِ عَصَائِبِهَا[14]، وصَعَدَتْ إلى عِنَانِ[15] عَذَبَاتِ ذَوَائِبِهَا.

ذَوَائِبُ لَجَّتْ في عُلُوٍّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ ثَأْرَاً عِنْدَ بَعْضِ الكَوَاكِبِ[16]

---

(1) في خزانة الأدب: 307، والغيث المسجم: 125/1: "ليباهي"، وفي مطالع البدور: 289/2: "للتهاني".

(2) في خزانة الأدب، ونزهة الأنام: "معبد".

(3) في الأصل: "قصبا"، والزيّادة وردت من (ص)، وخزانة الأدب، والغيث المسجم، ونزهة الأنام، ومطالع البدور.

(4) في (ص): "لمعيدي"، وهو تحريف، وفي خزانة الأدب، ونزهة الأنام، ومطالع البدور: "لمعبد"، وعجز البيت من قول الشّاعر:

أجاد طويس والسّريجي بعده وما قصبات السّبق إلاّ لمعبد

انظر: (صبح الأعشى: 320/2)، أو قول أبي تمام، الدّيوان: 433/1:

محاسن أصناف المغنّين جملة وما قصبات السّبق إلاّ لمعبد

ومعبد: هو معبد بن وهب، وقيل: ابن قطني مولى ابن قطن،...غنّى معبد في آيّام بني أميّة في أوائلها، ومات في آيّام الوليد بـــن يزيـد بدمشق سنة 126هـــ. انظر: (نهاية الأرب: 264/4، والأغاني: 61/1، وتاريخ الإسلام (حوادث سنة 126هـــ)، والأعلام: 264/7).

(5) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعش لأنّها مربّعة، وثلاث بنات. (لسان العرب: نعش)، وفي (ص): "له" بدل: "لها".

(6) لم أقف على البيت في المصادر الّتي رجعت إليها.

(7) بدأت القطعة الصّغيرة الّتي أوردها العمري في هذه المقامة. انظر: مسالك الأبصار: 1 /148و149.

(8) سقطت من مسالك الأبصار.

(9) في مسالك الأبصار: "غبر".

(10) في الأصل و(ص): "نسج"، وفي مسالك الأبصار: 148/1: "سبح"، وأثبت ما هو أولى، والسّبج: كساء أو بردة فيها سواد وبياض. (لسان العرب: سبج).

(11) عقائق: جمع عقيقة، وهو خرز أحمر تتّخذ منه الفصوص. (لسان العرب: عقق).

(12) انظر: الوافي بالوفيات: 327/1.

(13) في مسالك الأبصار: 149/1: "الظّلام".

(14) في مسالك الأبصار: "ذوائبها".

(15) سقطت من مسالك الأبصار.

(16) البيت لأبي تمام، الدّيوان: 283/1، بلفظ: "مكارم لجّت في علو"، وفي صبح الأعشى: 225/14: "فعال تمادت في علـــو"، وفي مجمع البلاغة: "معال تمادت في العلو كأنّما"، وفي (ص): "تحاول ناراً" بدل: "ثأراً".

وعَلَتْ في الجوِّ كأنَّهَا أعْلامُ مَلائِكَةِ[1] النَّصرِ، وكَانَ الوَاقِفُ في المَيْدَان يَرَاهَا وهي ﴿ترْمِي بشَرَرٍ كَالقَصْرِ﴾[2]، فكَم زُمَرٍ[3] أضْحَتْ لِذَلِكَ الدُّخَان جَاثِيَة، وكَم نَفْسٍ كَانَتْ في النَّازِعَاتِ وهي تَتْلُو:﴿هَلْ أتَاكَ حَدِيْثُ الغَاشِيَةِ﴾[4].

ولم تَزَلْ النَّارُ تأكُلُ مَا يَلِيْهَا، وتُفْنِي مَا يَسْتَفِلهَا ويَعْتَلِيْهَا، إلى أنْ ارْتَقَتْ[5] إلى الْمِأْذَنَةِ الشَّرْقِيَّةِ، ولَعِبَتْ ألْسِنَتُهَا المُسْوَدَّةُ في أعْرَاضِ أخْشَابهَا النَّقِيَّةِ، وثَارَتْ إليهَا مِنَ الأرْضِ لأخْذِ الثَّأرِ، وأصْبَحَ صَخْرُهَا، كمَا قَالَتِ الخَنْسَاءُ: "كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نَارُ"[6] فَنُكِّسَتْ، وكَانَتْ للتَّوْحِيْدِ سَبَّابَة، ولِمَعْبَدِهَا شِبَّابَة[7]، وابْتُلِي رَأسُهَا مِنْ الهَدْمِ والنَّارِ بشَقِيْقَة[8]، وأدَارَ الحَرِيْقُ على دَائِرِهَا رَحِيْقَهُ:

وبالأرْضِ مِنْ حُبِّهَا صُفْرَةٌ فَمَا يَنْبتُ الرَّوْضُ إلاَّ بَهَارَا[9]

وتَرَقَّى إليهَا أولُوا العَزْمِ مِنَ النَّظَّارَةِ، وصَبَرُوا على النَّارِ والشَّعَثِ[10] بَعْدَ النَّعِيْمِ والنَّضَارَةِ، وكَادَتْ نَارهَا تكُوْنُ كَنَارِ القِيَامَةِ[11] ﴿وقُوْدُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[12]، هَذَا وبَنَفْسَجُ الظَّلامِ يَذْوِي، ونَيْلوفر[13] النَّار يَشبُّ على المَاءِ ويَقْوَى، حتَّى نَثَرَتْ غُصُون ذَوَائِب النَّارِ [جُلَّنَار][14] شَرَرِهَا في النَّواحي، وظَنَنَّا الدُّخَانَ رَوْضَةَ مَوْسَن تَخَلَّلَهَا[15] نَرْجس وأقَاحِي،

---

(1) في مسالك الأبصار: 149/1: "ملئكة".

(2) من الآية: 32 من سورة المرسلات.

(3) في (ص): "زمن" وهو تحريف، والزّمر: الجماعات. (لسان العرب: زمر).

(4) من الآية: 1 من سورة الغاشية.

(5) في مسالك الأبصار: "ارتفعت"، وفيه : "المنارة" بدل: "المأذنة".

(6) من قول الخنساء، الدّيوان:386:

أغرّ أبلج تأتمّ الهداة به كأنّه علم في رأسه نارُ

(7) في مسالك الأبصار: "سبابة"، وقد أثبت ما هو أولى.

(8) ذكر القوصوني في قاموس الأطبّاء: 304/1-305: "أنّ الشّقيقة وجع في أحد شقيّ الرّأس، ويهيج دواراً غالباً وهيجاناً شديداً لأدنى سبب، وسُمّيت شقيقة لاختصاصها بشقّ، وإنّما خصّت به لأنّ الرّأس منقسم بالغشاء الغليظ إلى قسمين،...".

(9) البيت لسليمان بن الخضر الطّائفي، انظر: دمية القصر: 87/1، ومسالك الأبصار: 149/1، وفيهما: "فما تنبت الأرض".

(10) الشّعث: تفرّق الأمر، والشّعث: المغبر الرّأس، المنتّف الشّعر، والمراد هنا الدّخان المتصاعد. (لسان العرب: شعث).

(11) في الأصل و(ص): "القيمة"، وقد أثبت ما هو أولى.

(12) من الآية: 24 من سورة البقرة.

(13) في (ص): "ولينوفر"، وهو تحريف، وأثبت ما هو أولى، والنّيلوفر: ريحان ينبت في المياه الرّاكدة، وهو فارسي معرب. (قاموس الأطبّاء: 333/1، (القاموس المحيط: نفر).

(14) زيادة وردت في مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: 104، والجلّنار: زهر الرّمان، وهو معرب. (القاموس المحيط: جلنر).

(15) في (ص): "نوجس وأقاحي وقعد الدّخان".

وعَقَدَ الدُّخَانُ سَمَاءً أخرى، وأطْلَعَ الشَّرَارُ فيهَا كَوَاكِبَ زُهْرًا، وكَانَ أهْلُ دمشق دَعُـوا طَارِقَ النِّيْلِ والفرات لِيَقْرى، وخَافُوا ضَلاَلَهُ، فَرَفَعُوا لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الظَّلْمَاءِ ألْوِيَةً حُمْرًا إلى أنْ أتَاهَا البَحْرُ[1]، لا زَالَ نَصْرُهُ عَجَاجًا[2]، ولا بَرِحَتْ سُيُوفه تُكَاثِرُ البحَارَ أمْوَاجًا، فانْكَشَفَتْ لَمَّا أنْ رَأت مِنْ وَجْهِهِ ﴿سِرَاجًا وهَّاجًا﴾[3]، وطُفِيَت لَمَّا أنْ رَأت جُوْدَهُ عَذْبًا فُرَاتًا، وبَأسَهُ مِلْحًا أُجَاجًا[4]، وكَاثَرَهَا بِهِمَمِ أُمَرَائِهِ، فَأحْكَمَ إخْمَادَهَا، وتَلَقَّى بِصَدْرِهِ مِنْ خَطْبِ الزَّمَانِ مَا دَهَى.

ولَمَّا طَلَعَ فِي رَوْضِ السَّمَاءِ يَاسَمِيْنُ النَّهَارِ، وعَادَ إهليلجاً[5] مَا رُؤى بِاللَّيْلِ مِنَ الجُلَنَارِ، وقَفَ النَّادِبُوْنَ على الرُّسُوْمِ ورأوا صُنْعَ النَّارِ الَّتِي عَكَسَتْ نَارَ الآخِرَةِ "فَكَانَ لِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهَا جُزْءٌ مَقْسُوم"[6]:

فَلَم يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيْبُنَا ... ولا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الجَوَى كَيْفَ نَسْألُ[7]

وأصْبَحَ بَابُ السَّاعَاتِ[8] وهو مِنْ آيَاتِ السَّاعَةِ، وخَلَتْ مَصَاطب[9]، الشُّهُودِ مِنْ

---

(1) المقصود هنا نائب الشّام الأمير سيف الدّين تنكز الّذي كان نائباً لدمشق مدّة 28 سنة،...انظر: (أعيان العصر: 143-145، ولاة دمشق في عهد المماليك: 156-179).

(2) العجيج: الصّياح ورفع الصّوت والجلبة، ويقال: نهر عجاج: كثير الماء، والمراد هنا كثرة انتصاراته، واشتهار أمرها. (لسان العرب: عجج).

(3) من الآية: 13 من سورة النّبأ.

(4) الأجاج: شديد الملوحة. (لسان العرب: أجج).

(5) في الأصل و(ص): "أهليجاً"، لعلّه تحريف، والإهليلج: نبت وهو فارسيّ معرب. انظر: (قاموس الأطبّاء: 102/1، وفي كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة: 157: "عقير من الأدوية".

(6) من الآية: 44 من سورة الحجر:﴿ولَهَا سَبْعَةُ أبْوَاب لِكُلِّ بَاب مِنْهُم جزءٌ مَقْسُوم﴾.

(7) البيت بلا عزو في الوافي: 394/6، ومسالك الأبصار: 269/12، وفيه: "الأسى" بدل: "الجوى".

(8) في الأصل: "السّاعا"، والزّيادة وردت من (ص)، ورد في رحلة ابن بطّوطة: 107/1: "أنّ باب السّاعات، غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طبقات صغار مفتّحة، لها أبواب على عدد ساعات النّهار، والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصّفرة، فإذا ذهبت ساعة من النّهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً والظّاهر الأصفر باطناً، ويقال أنّ بداخل الغرفة من يتولّى قلبها بيده عند مضي السّاعات"، وذكر ابن شدّاد في الأعلاق الخطيرة: 73: "إنّما سُمّي باب السّاعات لأنّه كان هناك بنكام (آلة لحساب ساعات اللّيل والنّهار) السّاعات، يُعلم بها كلّ ساعة تمضي من النّهار، عليها عصافير من نحاس وغراب وحيّة من نحاس، فإذا تمّت السّاعة خرجت الحيّة، فصفّرت العصافير، وصاح الغراب وسقطت حصاة، انظر: (مسالك الأبصار: 194/1، 198، ورحلة ابن جبير: 243، والدّارس في تاريخ المدارس: 387/2، وتاريخ دمشق: 47/2).

(9) المصاطب: جمع مصطبة، والمصطبة: مجتمع النّاس، وهي شبه الدّكان يجلس عليها. (لسان العرب: صطب). وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته: 107/1: "وفي الرّحبة المتّصلة بالباب الأوّل (باب المسجد الأمويّ) دكاكين لكبار الشّهود ومنها دكان للشّافعيّة، وسائرها لأصحاب المذاهب، يكون في الدّكان منها الخمسة والسّتة من العدول، والعاقد للأنكحة من قبل القاضي"، انظر: (ثمرات الأوراق: 392).

السُّنَّةِ والجَمَاعَة، وعَادَتْ الدَّهْشَةُ[1] وقَدْ آلَ أَمْرُهَا إلى الوَحْشَةِ، وحُسْنها البَدِيْع وقَدْ ثَلَّتْ النَّارُ عَرْشَهُ، وكَأَنَّ لم أَرَ بِهَا سَمِيْرَاً، ولا شَاهَدْتُ مِنْ بنَائِهَا وقِمَاشِهَا﴿جَنَّةً وحَرِيْراً﴾[2]، قَدْ سَلَّطَ اللهُ عليهَا النَّارَ الَّتِي مَا لَهَا رَدَّة، وأحْرَقَ أَزْهَار ثِيَابِهَا المُلَوَّنَةِ بوَرْدِه[3]، ونَظَرْتُ إلى الوَرَّاقِيْنَ[4] وقَدْ زَالَ مَا بِهَا مِنَ الطَّرَائِفِ، وطَافَ عليهَا مِنَ الدُّثُوْرِ والخَرَاب طَائِفٌ، فَيَا ضَيَاع أَوْضَاعِهَا المُكَوَّنَةِ، ويَا سَوَاد وجُوْهِ أَوْرَاقِهَا المُلَوَّنَةِ، ولَمَحْتُ اللَّبَادِيْنَ[5] وقَدْ صَارَتْ ﴿كَالعِهْنِ المَنْفُوْشِ﴾[6] ومُحِيَتْ بأَيْدِي النَّار سُطُوْرَ كُلِّ خَاتِمٍ مَنْقُوْش.

وأَصْبَحَ أَهْلُهَا كَالحَمَائِمِ تَنُوْح[7] على أَقْفَاصِهَا، وتَوَدُّ اللآلئُ أَنَّهَا لم تَخْرُجْ إليهم مِنْ مَغَاصِهَا، فَمَا مِنْهُم إلاَّ رَبُّ نِعْمَةٍ سُلِبَتْ، أَصْبَحَ بَعْدَ الجَدِيْدِ في خَلَقٍ، أو غَنِيّ أَمْسَى بَعْدَمَا ضَمَّ قَفَصَهُ[8] يكْدى في الحَلْق، وكَادَتْ الخَضْرَاءُ[9] تَذْهَبُ بالنَّار الحَمْرَاء.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ الأَطْلاَلَ الدَّاثِرَة، ونَسْخَ[10] هَاتِيْكَ الظِّلاَل المُتَّصِلَةِ بالهَاجِرَةِ وخطُوْطَهَا، وزَوَايَاهَا كَيْفَ أحَاطَ بِهَا سُوءُ الدَّائِرَة[11].

قُلْتُ عِنْدَ مُشَاهَدَة تِلْكَ الحَال في الحَال:

حَرِيْقُ دِمَشْقٍ قَــدْ بَدَا لِعِيَانِــي لِيُظْهِرَ لي عِنْدَ البَيَان مَعَانِي

---

(1) الدّهشة: "قيسارية تجارية كانت داخل جيرون شرقي باب الجامع الأموي الشّرقي، هناك دهشة ثانية كانت غربي الجامع الأموي أو قبلية لجهة الغرب. (القلائد الجوهريّة: 127/1-حاشية: 1)، وذكر ابن المبرد في نزهة الرّفاق: 22: "سوق الدّهشة شرقي الجامع الأموي، يباع فيه آلات النّساء من الثّياب النّفيسة ونحوها".

(2) من الآية: 12 من سورة الدّهر.

(3) أي كلون الورد. انظر: (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: 314).

(4) الورّاقين: أي سوق الورّاقين الّذين يبيعون الكاغد والأقلام والمداد، وكانت قريبة من المسجد الأموي، انظر: (رحلة ابن بطوطة: 107/1، والبداية والنّهاية: 74/14، ونزهة الرّفاق: 22).

(5) أشار ابن سبط الجوزي في مرآة الزّمان: ق1/ج270/8: إلى حريق باب اللبّادين وباب السّاعات سنة 562هـ، واللّبادين: سوق قرب المسجد الأموي تباع فيه الكتب والعطور. انظر: (نكت الهميان: 220، والوافي: 266/4، 349/5، والبداية والنّهاية: 74/14و136).

(6) من الآية: 5 من سورة القارعة.

(7) في (ص): "تتوج"، وهو تحريف.

(8) في (ص): "ففصه"، وهو تحريف.

(9) الخضراء: يقول ابن بطوطة في رحلته: 106/1: "سماط الصّفارين: سوق عظيمة ممتدّة مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق، وبموضع هذه السّوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان ودور قومه وكانت تسمّى الخضراء، فهدمها بنو العبّاس، وصار مكانها سوقاً"، انظر: (رحلة ابن جبير: 242).

(10) في (ص): "نسيج"، وهو تحريف.

(11) من الآية: 98 من سورة التّوبة:﴿عَلَيْهِم دَائِرَة السُّوءِ﴾، انظر: الآية: 6 من سورة الفتح.

غَدَتْ نَارُهُ في الجَوِّ تَعْلُــو وتَرْتَقِــي كَأنَّ لَهَا عِنْــدَ النّجُوْمِ أمَــانِي
لَقَدْ ضَوّأ[1] الآفَــاقَ لاَمِــعُ بَرْقِهَا وَمَا كُلُّ بَرْقٍ شُمْتُهُ[2] بِيَمَانِي
وقَدْ كَادَ يَمْحُو آيَةَ اللَّيْلِ[3] ضَوْءهَا ويُبْــدِي نَهَاراً بَعْدَ ذَلِكَ ثَانِي
ونَالَتْ عنَــانَ الجَــوِّ حَتَّى رَأيْتُــهَا تُصَــرِّفُهُ[4] مِنْ تَحْتِــهَا بِعِنَان
وطَــالَتْ إلى نَهْرِ المَجَــرَّةِ في السَّمَا لِتَقْصدَ شَيَّ الحُوْتِ والسَّرَطَان
فَأبْصَــرَ أهْــلُ النِّيْــلِ لَمَّا تَرَفَّعَتْ نُجُــوْمَ شَرَارٍ في سَمَاءِ دُخَان
كَــأنَّ دُخَــانَ النَّارِ عَنْبَرُ[5] مَعْرَك وكُــلُّ شَرَارٍ فيهِ مِثْــلُ سِنَان
ولَو لَمْ تَكُنْ نَارَ الأعَادِي لَمَا غَدَتْ وحِنَّــاؤهَا بَــادٍ بكُــلِّ بَنَان
ولا صَبَغَــتْ بالزَّعْفَــرَانِ قَمِيْصَهَا سُرُوْراً ولا طَالَتْ بكُلِّ لِسَان

قَالَ: ومَا نَفضَ النَّاسُ غُبَارَ ذَلِكَ الهَدْمِ، ولا رَمَادَ ذَلِكَ الصَّدْعِ الشَّدِيْدِ الصَّدْمِ، حتَّى وقَــعَ بالمَدْرَسَةِ الأمِيْنيَّةِ[6] حَرِيْقٌ ثَانٍ، ودَهَمَتْ شَقْرَاءُ النَّارِ دَهْمَاءَ الظَّلاَمِ، و لم يُوْجَدْ لعِنَانهَا ثَانٍ، فَجَمَعَتْ بَيْنَ عَيْنِ الوَدَاعِ وسِيْنِ السَّلاَمِ، وكَانَتْ كَحُمَّى أبي الطَّيِّبِ: "فَلَيْسَ تَــزُورُ إلاَّ في الظَّلاَمِ"[7]، فيَا لِسُوْقِ الكِفْتِ[8] كَيْفَ بَادَ، وفَتَّتَ الأكْبَاد، عَلَكَتِ النَّارُ لُحْمَهُ، وكَسَــفَتْ نَجْمَهُ، أيْنَ بَأسُهُ الشَّدِيْد، ومَنَافِعُهُ الّتي لا تَبِيْد؟! سَكَتَ زُبَرُه[9] ورُفِعَ خَبَرُهُ.

ويا لِسُوْقِ الخِيَمِ[10] كَيْفَ ذَهَبَ، وعُدِمَ النَّصْرُ على الكَافِرِيْن "فَتَبَّتْ يَدَا أبي لَهَب" [11]

---

(1) في (ص): "ضوء".

(2) في الأصل و(ص): "سمته"، وهو تحريف، وشام البرق: نظر إليه. (لسان العرب: شيم).

(3) من الآية: 12 من سورة الإسراء:﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

(4) في الأصل: "يصرفه".

(5) في الأصل و(ص): "عنبرا".

(6) المدرسة الأمينيّة: بناها أمين كمشتكين (ت: 541هـ)ن وتقع قبلي الجامع الأموي، انظر: (الأعلاق الخطــيرة: 120، وتــاريخ مدينة دمشق: 74/2، والدّارس في تاريخ المدارس: 132/1).

(7) من قول المتنبّي، الدّيوان: 146/4:

وزَائراتي كأنّ بها حياءً فليس تزور إلاّ في الظّلام

(8) الكِفت: القدر الصّغير. (لسان العرب: كفت)، وذكر الصّفدي في ترجمته لعبد الرّحمن بن أيّوب المتوفّى سنة 733هـ أنّ دكانــه كانت في الكفتين، انظر: أعيان العصر: 93/2، لعلّ المقصود هنا سوق السّلاح الواقع قبلي الجامع الأموي، انظر: (نزهة الرّفــاق: 22، لعلّ المقصود به السّوق الّذي يتم به تكفيت(تطعيم) البرونز والنّحاس بالذّهب والفضّة. انظر: (العصر المماليكي في مصــر والشّام: 292).

(9) الزّبر: جمع زبرة، وهي القطعة من الحديد. (لسان العرب: زبر).

(10) لم أقف على ذكر له في المصادر الّتي رجعت إليها.

(11) من الآية: الأولى من سورة المسد.

لَقَدْ تَمَسَّكَتِ النَّارُ بِأطْنَابِهِ، وتَجَلَّدَ لَهَا والنَّارُ تَحْتَ ثِيَابِهِ[1]، وأمْسَى وكُلّ عَمُوْدٍ غُصْنُـــهُ مَهْصُورٌ[2]، وكُلّ خَامٍ وهو على البِلَى مَقْصُور، كَأنَّ الشَّاعِرَ قَدِيْماً تَخَيَّلَ مَا يَحْصَلُ لَـــهَا مِنَ الأُوَامِ[3] فَقَالَ: "سُقِيْتِ الغَيْثَ[4] أيَّتُهَا الخِيَام"[5].

ويا لِسُوْقِ القِسِيّ[6] كَيْفَ مُحِيَ مِنَ الوُجُوْدِ ونُسِي، لم يَبْقَ لِقَوْسٍ[7] قَلْبهَا ولم يعْطِـهَا لِبَارِيْهَا[8]، كَأنَّمَا كَانَ للنَّارِ عِنْدَ القِسِيّ أوْتَار، أو كَأنَّ نَسْخها كَانَ مُحَقَّقاً، فَجَاءهَا بِقَلَـمِ الطُّوْمَارِ[9]، أو كَأنَّ امْتِهَانَهَا كَانَ مُعَلَّقاً بِثُلثِ[10] اللَّيْلِ[11] بَعْدَمَا رَقَّتْ حَوَاشِيْهَا، ولم يَقَـــعْ عليها غُبَار.

فَكَم قسيّ تَوَفَّرَ مِنَ النَّارِ سَهْمُهَا، وعَظُمَ بوَهْنِهَا وهَمِّهَا، وأقَامَتْهَا النَّارُ بَعْدَمَا كَـــانَتْ حَنَايَا، وأفْنَتْ قَرْنَهَا ﴿ومَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ أو الحَوَايَا﴾[12] لَمْ تَبْطِشْ ولَهَا أيْدٍ، ولم تَهْرُبْ ولَهَا أرْجُل، ولم تَئِنَّ وهي مِرْنَان[13]، ولم تَدْفَعْ[14] الأذَى عن نَفْسِهَا ونَفْثِهَا يَقْتُل، ولم يَنْبَسِطْ لَهَا إلى الدَّفْعِ قَبْضَة، ولَمْ تَصِلْ إلى غَرَضٍ، ولم يَنْبِضْ لِعِرْقٍ وتَرِهَا نَبْضَة، قَدْ قَالَ لها

(1) في (ص): "نيابه"، وهو تحريف.

(2) مهصور: الهصر: عطف الشّيء الرّطب كالغصن وكسره، وقيل: هو عطفك أيّ شيء كان. (لسان العرب: هصر).

(3) الأوام: شدّة العطش. (لسان العرب: أوم).

(4) سقطت من (ص).

(5) من قول جرير، ديوانه: 278/1، وحسن التّوسل: 225:

متى كان الخيام بذي طلوح   سقيت الغيث أيّتها الخيام

(6) لم أقف له على ذكر في المصادر الّتي رجعت إليها.

(7) جاء في المثل: "أعط القوس باريها"، يقول الشّاعر:

يا باري القوس برياً لست تحسنها   لا تفسدنّها وأعط القوس باريها

انظر: (مجمع الأمثال: 345/2، وشرح مقامات الحريري: 240/1).

(8) في الأصل و(ص): "لباريها ربها"، وهي زيادة وتحريف.

(9) قلم الطّومار: يقول القلقشندي في صبح الأعشى: 54/3: "المراد بالطّومار الكامل من مقادير قطع الورق،...وهو المعبّر عنه في زماننا بالفرخة،...قلم جليل،...وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزّمن المتقدّم في أيّام بني أميّة فمن بعدهم".

(10) انظر: القلقشندي: صبح الأعشى: 61/3.

(11) في (ص): "اليل".

(12) من الآية: 146 من سورة الأنعام، في (ص): "ولّما" بدل: "وما".

(13) مرنان: يقال: قوس مُرن ومِرنان، من الرّنين وهو الصّوت الشّجي، وقال أبو حنيفة: أرنّتِ القوس وهو فوق الحنين. (لسـان العرب: رنن).

(14) في (ص): "تدافع".

لِسَانُ النَّارِ: هَلْ سَمِعْتَ بِهَذِهِ الحَادِثَةِ في مَلْحَمَةِ[1] ابن عقب، أو اتَّصَلَ بِنَاؤهَــــا بقَــوْسِ السَّحَابِ[2]؛ فَانْتَظِرْهُ وارْتَقِبْ، كَيْفَ غَفَلْتَ عن هَذِهِ[الحادثة][3] النَّازِلةِ[4] وأنْتَ عُدَّةُ قَــوْمٍ ﴿قَلِيْلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ﴾[5]؟! وكَيْفَ نِمْتَ ولا عَجَبَ لِمَنْ نَعِسَ وهو ذو قُرُوْنٍ؟!.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمَا في المُنَاجَاةِ، وتِكْرَارِ المُحَاجَاةِ[6]، إذ جَاءَ النَّارَ خَبَرُ مَالكٍ، وأشْرَفَ مَنْ زُهِيَتْ بِهِ الدُّوَلُ والمَمَالِكُ، فَجَاسَ خِلاَلَ ضِرَامِــهَا، ودَخَــلَ لَظَاهَــا فتَلَقَّتْــهُ "ببَرْدِهَــا وسَلاَمِهَا"[7] وتَتَبَّعَ أثَرَهَا الّذي آثَرَ اقْتِلاَعَهُ، واقْتَحَمَهَا فَتَعَلَّقَتْ إذْ تَأَلَّقَتْ في الجَوِّ، والفِــرَارُ قُدَّامَ المُلُوْكِ[8] طَاعَة، ولم يُرَ[9] تِلْكَ السَّاعَةَ أحَدٌ أقْرَبُ مِنْهُ إليهَا، ولا أسْلَطُ مِنْــهُ عليــهَا، وبَثَّ[10] في جِهَاتِهَا مَمَالِيْكَهُ وأمراءهُ[11] وصِغَارَ بَنِيْهِ وكُبَرَاءَهُ[12] فَهُم قَوْمٌ:

إذا رَكِبُوا زَادُوا[13] المَوَاكِبَ بَهْجَةً ... وإنْ جَلَسُوا كَانُوا صُدُوْرَ المَجَالِسِ[14]

---

(1) الملحمة: الوقعة العظيمة القتل. (لسان العرب: لحم)، ويبدو أنّ لفظة ملحمة كانت تعني في عصر الصّفدي الإخبــار بمــا سيكون من الحوادث، انظر: (الوافي بالوفيات: 164/3) وملحمة ابن عقب: وهو يحيى بن عقب معلّم الحسن والحســين- رضي الله عنهما-منظومة لأمية أوّلها:

رأيت من الأمور عجيب حالٍ ... لأسباب يسطرها مقالي

انظر: (كشف الظّنون: 1818/2).

(2) ذكر الثّعالبي في ثمار القلوب: 24-25: "قوس الله، وهي الّتي يقال لها قوس قُزح، ويشبه بها مــا يقــلّ لبثــه ولا يــدوم مكثه،...وقد سمّاها الوأواء الدّمشقيّ قوس السّماء،...وسمّاها سيف الدّولة الحمداني قوس السّحاب في قوله من جملة أبيات:

تُطرِّزها قوس السّحاب بأحمرٍ ... على أصفر في أخضر إثر مُبيضٍّ

(3) زيادة وردت في مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: 110.

(4) النّازلة: الشّدّة من شدائد الدّهر تنزل بالنّاس. (لسان العرب: نزل).

(5) من الآية: 17 من سورة الذّاريات.

(6) المحاجاة: يقال: "حاجيته مُحاجاة وحجاءً: فاطنته فحجوته، وبينهما أُحجية يتحاجون بها. (لسان العرب: حجا)، والمراد هنا توقّع سبب النّار.

(7) من الآية: 69 من سورة الأنبياء:﴿قُلْنَا يَا نَار كُوْنِي بَرْدَاً وسَلاَمَاً على إبراهيم﴾.

(8) كان النّاس في دمشق يسمّون سيف الدّين تنكز نائب دمشق في ذلك الحين بملك الأمراء. انظر: (رحلــة ابــن بطوطــة: 110/1).

(9) سقطت من (ص).

(10) في (ص): "ونب"، وهو تحريف.

(11) في الأصل: "وأمراه"، وفي (ص): "وامراوه".

(12) في الأصل و(ص): "وكبراه".

(13) في الأصل: "ازدادوا"، والمثبت هنا ما ورد في (ص) والتّحفة البهيّة: 46.

(14) ورد البيت بلا عزو في التّحفة البهيّة والطّرفة الشّهيّة: 46.

فَلَمْ يُرَ أسْهَلُ مِنْ خُمُودهَا، ولا أسْرَعُ مِنْ إبْطَالِ حَرَكَتِهَا وجُمُوْدهَا، ونَصَـــرَ -أعَـزَّ اللهُ أنْصَارَهُ- هَذِهِ المِلَّة المُحَمَّدِيَّة، وحَازَ بِهَذِهِ المَنْقَبَةِ الكَرَامَةَ الأحْمَدِيَّة[1]، ولَمَّا رَأيْتُ "مِسْــكَ هَذَا الخِتَامِ"[2]، و "أنَّ الجَيْشَ تَعَالَى وانْحطَّ القَتَامُ"[3] قُلْتُ:

جَاءَ لِيطْفِـي النَّارَ مَنْ اسْمُهُ ... بَحرٌ فَأخْفَى زَنْدَهَا الوَارِي

ومَنْ يَكُنْ بَحْرَاً فَلاَ غَرْوَ أنْ ... تطفـى لَظَـى مِنْـهُ بتَيَّارِ

وقَـامَ فِي اللهِ لِـدَفْعِ الأذَى ... مُؤَيَّـدَاً بالقَـدرِ الجَبَّـارِ

وغَيْرُ بَـدْعٍ أنْ يُرَدَّ الرَّدَى ... بِمُرْهَـفِ الحَدَّيْـنِ بَتَّـارِ

لأنَّـهُ سَيْـفٌ ولم يُدَّخَـرْ ... إلاَّ لِخَطْـبِ طَـارِقٍ طَارِ

واقْتَحَمَ النَّـارَ بِوَجْهٍ حَكَى ... بَدْرَ الدُّجَى إذْ لاَحَ للسَّارِي

فَانْظُرْ إليهِ وهو في وَسْطِهَا[4] ... تُشَاهِـدُ الجَنَّـةَ فِي النَّـارِ

قَالَ: ولم يَزَلْ النَّاسُ مِنْ أمْرِ هَذِهِ النَّارِ في قَلَقٍ وحَدْسٍ نَفَى عن قُلُوْبِهِم القَـــرَارَ، ورَمَـى جُفُوْنَهُم بالأرَقِ، وحَنَقَ تَوَدُّ "الصَّبْحِ لو تَنَفَّسَ"[5] والفَجْرُ مَعَهُ لو انْفَلَقَ[6]، حتَّى أظْـهَرَ اللهُ تَعَالَى أنَّ النَّصَارَى قَصَدُوا الجَامِعَ بذَلِكَ، وتَخَيَّلُوا أنَّ النَّارَ تَلْعَبُ في[7] جَوَانِبِ دمشق ومَـا النَّاسُ "إلاَّ هَالِكٌ وابنُ هَالكٍ"[8]، وتَوَهَّمُوا أنَّ فَعْلاَتِهم المَذْمُوْمَة[9] تُغَطِّي مَسَاوِيْهَا اللَّيَـالي الحَوَالِكُ، فِعْلَ مَنْ صَوَّرَ الصُّوَرَ بِيَدِهِ وعَبَدَهَا، وكَفَرَ بالوَحدانيَّةِ وجَحَدَهَا، وعَكَفَ على

---

(1) الأحمدية: نسبة للمتصوّف أحمد بن عليّ الرّفاعي (ت: 578هـ)، والرّفاعيّة طائفة كبيرة من طوائف المتصوّفة، وكانوا يـأكلون الحيّات، ويدخلون النّيران المشتعلة، ويلبسون أطواق الحديد في أعناقهم، وقد أنكر عليه ابن تيمية ذلك، وألَّــف في كشـف أحوالهم كتاباً سمّاه بـ: "كشف حال المشايخ الأحمديّة وأحوالهم الشّيطانيّة. انظر: (السّلوك: ق1/ج16/2، وأعيان العصــر: 70/1، ومجموع فتاوى ابن تيمية: 446/11-475، والإلمام بالأعلام: 234/5، والأعلام: 174/1).

(2) من الآية: 26 من سورة المطففين:﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَس المتَنَافِسُون﴾.

(3) من قول المتنبّي، الدّيوان: 72/4:

ولو لم يَعْلُ إلاّ ذو مَحلّ ... تعالى الجيش وانحطّ القتامُ

(4) في مقامة رشف الرّحيق: 112: "سطحها".

(5) من الآية: 18 من سورة التّكوير:﴿والصُّبْحِ إذَا تَنَفَّس﴾.

(6) انفلق: انشقّ. (لسان العرب: فلق).

(7) سقطت من الأصل، والزّيادة من (ص)، وسقطت "أن"، من (ص).

(8) من شعر أبي نواس، الدّيوان برواية الصّولي: 983:

ألاَ كلُّ حَيٍّ هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق

(9) في الأصل و(ص): "الذّمومة"، لعلّه تحريف، وأثبت ما هو أولى.

الخِيَانَةِ والجِنَايَةِ[1]، واعْتَمَدَ على عَقْلٍ أدَّاهُ إلى أنَّ الوَاحِدَ تَعَالى ثَلاثة، فَتَهَيَّبَ بَعْضُ النَّاسِ "رَمْيَهُم بهَذَا الحَجَرِ"[2] وأعْظَمُ نِسْبَةَ هَذَا الفِعْلِ إليهِم وفَخَر، وخَوَّفَ بانْتِصَارِ الفِرَنْجِ لأهْلِ مِلَّتِهِم، وإزَاحَةِ عِلَّتِهِم، وكَشْفِ غُمَّتِهِم، والأخذِ بِثَأرِ رِمَتِهِم[3]، فَقَالَ[4]: مَنْ صَدَقَ في إيْمَانِهِ وكَانَ مِنْ أنْصَارِ الإسلامِ وأعْوَانِه:

أعُبَّادَ المَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي   ونَحْنُ عَبِيْدُ مَنْ خَلَقَ المَسِيْحَا

فَمَا كَانَ إلاَّ أنْ صَمَّمَتْ العَزَمَاتُ السَّيْفِيَّةُ[5]، وعَمَّتْ بإحْسَانِهَا الشَّامِلِ حتَّى خَلَّصَتِ النُّفُوسِ البَرِيَّةِ مِنْ هَذِهِ البَرِيَّةِ، وأيْقَظَتْ عَيْنَ حَزْمِهَا الرَّاقِدَة، "واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً"[6]، ورَسَمَ بإمْسَاكِ مَنْ أبْرَمَ هَذَا الأمْرَ وحَرَّرَهُ، وبَيَّتَ[7] على فِعْلِهِ وقَرَّرَهُ، فَأقَرُّوا بِمَا فَعَلُوا [غُمَّتهم][8]، ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا[9]، فَضُرِبُوا بِسِيَاطٍ كَشَطَتْ غِلَظِ[10] الغَلَطِ مِنْ جِلْدِهِم، وأوْهَنَتْ قُوَى شَجَاعَتِهِم وجَلَدِهِم، كَمْ فيهم مِنْ أسودِ اللِّمَّةِ[11] فَتَقَ جِلْدَهُ الشَّيْبُ، وَخَط[12] وخَطَهُ[13] على جَنْبِهِ مَا كَانَ مَخْبُوءاً لَهُ في الغَيْبِ، وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ يُوَبِّخُ بَعْضاً فِيْمَا أشَارَ ويَتَبَرَّمُ هَذَا إذْ يَتَبَرَّأُ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الآثَارِ، ويَتَسَابُّوْنَ فِيْمَا بَيْنَهُم ﴿إنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ

---

(1) رسمت في الأصل: "الخانة"، وفي (ص): "والخيانة".

(2) يقول الزّمخشري في أساس البلاغة: 155: "ومن المجاز: رُمي فُلان بحجره إذا قُرِنَ بِمِثْلِهِ"، والمراد هنا اتّهامهم ونسبة فعل الحريق إليهم.

(3) الرِّمة: العظام البالية، والجمع رمم. (لسان العرب: رمم).

(4) هو أبو العلاء المعريّ، وقد سبق التّعريف به، (شروح سقط الزّند: 246/1)، وقد عقّب التّبريزي على هذا البيت قائلاً: "قيلت هذه القصيدة وملك الرّوم قد خرج إلى أرض المسلمين، وخاف النّاس الّذين قربُوا منه، فرحلوا عن أوطانهم والمعنى أنا لا يُحسن بنا ونحن عبيد الله أن نفرق من عُبّاد المسيح".

(5) المراد سيف الدّين تنكز نائب دمشق.

(6) من قول عمر بن أبي ربيعة، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 321:

واستبدّت مرّة واحدة   إنّما العاجز من لا يستبدُّ

(7) في (ص): "وثبّت"، وبيّت الأمر: عمله ليلاً أو دبّره ليلاً. (لسان العرب: بيت).

(8) زيادة وردت في مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: 113.

(9) من الآية: 49 من سورة الكهف:﴿ووجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدَاً﴾.

(10) الغِلظ: ضدّ الرّقة في الخَلق والطّبع والفعل والمنطق والعيش، والغلظ: من الأرض الصّلب من غير حجارة. (لسان العرب: غلظ)، وفي (ص): "غلظ الغلط".

(11) اللِّمَّة: شعر الرّأس إذا كان فوق الوفرة، وقيل: إذا ألَمّ الشّعر بالمنكب فهو لِمّة، وقيل: إذا جاوز شحمة الأذن. (لسان العرب: لمم).

(12) الوَخط: هو فُشوّ الشّيب في الرّأس. (لسان العرب: وخط).

(13) وخَطَه بالسّيف: تناوله من بعيد. (لسان العرب: وخط).

تَخاصُمُ أهْلِ النَّارِ﴾[1].

ولَقَدْ قُلْتُ فيهم عِنْدَ التَّشَفِّي والانْكِفَا عن عِقَابِهِم بِمَا يَكُفُ الحَنَقَ ويَكْفِي:

حُرِثَتْ جُنُوبُهُم وشُقَّتْ أرْضُهَا   لَيْـــلاً فَجَـــادَ نَبَـــاتُهَا بِشَقِيْقِ[2]

وأُرِيْدَ تَأْرِيْخُ الحَرِيْقِ فَخَطَّهُ الــ   ــوالي[3] على أضْلاعِهِم بِعَقِيْقِ

ولَمَّا أُخِذَ سُحْتُ[4] أمْوَالِهِم، وصُرِفَ في إيْجَادِ مَا أعْدَمُوْهُ بِفِعَالِهِم، نَظَرَ في سُوْءِ مُنْقَلَبِـهِم ومَآلِهِم، وتَمَامِ المُقَابَلَةِ[5] على تَجْنِيْسِ[6] أعْمَالِهِم، ووَرَدَ المَرْسُوْمُ الشَّرِيْفُ[7] بِتَسْـمِيْرِهِم[8] على الجِمَالِ، وإظْهَارِ مَا لِهَذِهِ المِلَّةِ[9] القَاهِرَةِ مِنَ العِزِّ والجَمَالِ، فَقَضَى اللهُ تَعَالى فيهم أمْرَهُ، وجَعَلَهُم آيَةً لأهْلِ الصَّلِيْبِ وعِبْرَةً[10]، وأخْرَجُوا وطِبَاعُ الوَرَى علـى عَـدَمِ رَحْمَتِـهِم مَجْبُوْلَةٌ، وقَدِمُوا في حَلَقَةِ النَّاسِ[11]، فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم بِجَمَلٍ وستِّ فُحُوْلَةٍ، وأُقِيْمُـوا رُقَبَاءَ للشَّمْسِ كالحرباءِ[12]، فَلَيْسَ لَهُم مِنْ دُوْنِهَا سِتْرٌ مُنْسَبِلٌ، وتَنَوَّعَ النَّاسُ في شَتْمِهِم،

---

(1) من الآية: 64 من سورة ص.

(2) لم أقف على البيتين في المصادر الّتي رجعت إليها، وسقطت من (ص): "ليلاً".

(3) الوالي: هو محمّد بن بكتاش، كان مشدّاً بغزّة، ثمّ ولي مدينة دمشق، وعُرف بالأمانة والعفّة والصّلف، وفي أيّامه وقـع الحريـق بدمشق. انظر: (الوافي بالوفيات: 255/2).

(4) السّحت: هو ما خبث من المكاسب وحرم، كثمن الكلب والخمر والخنـزير. (لسـان العـرب: سـحت)، وفي القـرآن الكريم:﴿سَمَّاعُوْنَ للكَذِبِ أكَّالُوْنَ للسُّحْتِ﴾، سورة المائدة: 42و62و63.

(5) في (ص): "المقابلة"، وهو تحريف، والمقابلة: أعمّ من الطّباق، وذكر بعضهم أنّها أخصّ، وذلك أن تضع معاني تريد الموافقة بينـها وبين غيرها أو المخالفة فتأتي في الموافقة بما وافق، وفي المخالف بما خالف كقوله تعالى:﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدق بالحسـنى فسنيسّره لليسرى. وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾.

(6) التّجنيس والجناس والمجانسة بمعنى واحد. انظر: (جنان الجناس: 23، وحسن التوسل: 183).

(7) المرسوم الشّريف: وثيقة تكتب، ويعلم عليها السّلطان، وتكون بما يعمل في البلاد. (صبح الأعشى: 29/4، 58، 211/7).

(8) التّسمير: طريقة تعذيب في العصر المملوكي، وفيها: "يعرّى المحكوم عليه من الثّياب، ثمّ يربط إلى خشبتين على شـكل صليـب، ويطرح على ظهر جمل،...وربّما طيف بالمحكوم عليه،...على هذه الحال،...ثمّ يأتي السّياف فيضرب المحكوم عليه ضربـة بقـوّة تحت السّرة، تقسم الجسم نصفين من وسطه فتنهار أمعاؤه إلى الأرض. انظر: (السّلوك: ق2/ج404/1، حاشية رقم 1)، طومـلن باي آخر سلاطين المماليك بمصر: 209، تكملة المعاجم العربيّة: 141/6).

(9) سقطت من (ص).

(10) في (ص): "وغيره"، وهو تحريف.

(11) سقطت من مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق: 114.

(12) لعلّ المعنى مأخوذ من قول البحتري، الدّيوان: 10/1:

مستشرقاً للشّمس منتصباً لها   في أُخريات الجذع كالحرباء

أو قول ابن الرّومي، الدّيوان: 38/1:

ما بالها قـد حُسّنت ورقيبها   أبداً قبيـحٌ قُبّـح الرُّقباءُ

ما ذاك إلاّ أنّها شمس الضّحى   أبداً يكون رقيبها الحرباءُ

فَقَالَ: "أشْبَعْتُمُوْنَا سَبّاً ورُحْنَا بالإبِلِ"[1]:

أنْظُرْ إليهم في الجـذُوْعِ كَأنَّهُم قَـدْ فَرَقُوا يَرْمُوْنَ بالنِّشَاب
أو عُصْبَةٌ عَزَمُوا الرَّحِيْل فَنَكَسُوا أعْنَاقَهُم أسَفاً على الأحْبَاب[2]

وطِيْفَ بِهِم بَيَاضَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أُنْزِلُوا لِيُجْعَلَ كُلُّ سَطْلٍ[3] مِنْهُم دَلْوَيْن، فَجَرَّدُوا مِنْ ثِيَابِـهِم، وجُمِعَ شَمْلُ السُّرُوْر بتَمْزِيْق إهَابِهم:

سَاقَهُمُ البَغْـيُ إلى صَرْعَـةٍ لِلْحِيْنِ لم تَخْطُرْ على بَالِهِم
كَمْ أمَّلُوا المَكْرُوْهَ في غَيْرِهِم فَنَـالَهم مَكْرُوهُ آمَـالِهِم[4]

"وسَبَقَ السَّيْفُ فيهم العَذْلُ"[5]، وقَالَ: كُلُّ مُسْلِم لِمَصْرَعِهِم: "تَرَكْتَنِي أصْحَبُ الدُّنْيَا بـلا أمَلِ"[6]، وبَقِيَتْ أشْلاؤهُم طَرِيْحَةَ الحَفِيْرِ، وأُلْقُوا في ﴿جَهَنَّمَ وبِئْسَ المَصِيْر﴾[7].

ومِنْ شِعْرِهِ قَوله:

أدْعُوْكَ يَا مُوْجِدَ الأشْيَـاءِ مِنْ عَدَمٍ وصَانِعَ العَالَمِ العُلْويِّ والأرْضي
إنْ كُنْتَ تَعرضُ يَوْمَ الحَشْرِ لي عَمَلاً فَلاَ تُقَدِّرْ لَهُ طُوْلاً على عَرضِي[8]

وقوله:

يَا رَبِّ إنْ لم ألْقَ مِنْكَ الرِّضَا[9] عُمْرِي وحَاشَا[10] فَضْلَكَ الغَامِرِ
فَعِنْـدَ حَفرِ القَبْرِ لا تَنْسَنِـي يَا حُسْنَـهُ نَقْـداً مَـعَ الحَافِرِ

وقَوله:

يَقُوْلُ الفِكْرُ لي دَنَّسْتَ ثَوْبَ الشـ ـشبَابِ في غَدَاةِ الشَّيْبِ تَتْعَب

---

(1) جاء في المثل العربي: "أوسعتُهم سبّاً وأودوا بالإبل"، يضرب لمن لم يكن عنده إلاّ الكلام. انظـر: (مجمع الأمثـال: 426/3)، ورسمت: "سبا"، في الأصل، والمثبت ما ورد في (ص).

(2) البيتان بلا عزو في الوافي: 103/1، وبلفظ: "الفراق" بدل: "الرّحيل".

(3) السّطل: إناء من نحاس أو شبهه، له عروتان يستسقى به ويحمل به الزّاد. انظر: (قاموس ردّ العامّي إلى الفصيح: 260).

(4) لم أقف على البيتين في المصادر الّتي رجعت إليها، لعلّها من شعر الصّفدي.

(5) مَثَلٌ قاله ضبّة بن أدّ لما لامه النّاس على قتله قاتل ابنه في الحرم. انظر: (مجمع الأمثال: 97/2).

(6) من قول ابن نباتة السّعدي، الدّيوان: 208/1:

لم يُبقِ جُودكَ لي شيئاً أُؤَمِّلُهُ تركتني أصحب الدّنيا بلا أمل

(7) من الآية: 8 من سورة المجادلة. إلى هنا انتهت المقامة.

(8) البيتان وردا في نصرة الثّائر على المثل السّائر: 153، بلفظ: "لي" بدل: "له".

(9) في (ص): "الرّضى".

(10) في الأصل: "حاشى"، وقد أثبت ما ورد في (ص).

وقَوله[1]:

لِـــمَ لاَ أهِيْـــمُ بِمَصْرٍ وأرْتَضِيْهَا وأعْشَقْ
ومَا تَرَى العَيْنُ أحْلَى مِنْ مَائِهَا إنْ تَمَلَّقْ

وقوله[2]:

لَقَدْ رَأيْتُ بِمِصر مُذْ حَلَلْتُ بهَا عَجَائِبَاً مَا رَآهَا النَّاسُ في جيْلِ
تَسْوَدُّ في عَيْنِـــي الدُّنْيَا فَلَمْ أرَهَا تَبْيَضُّ إلاَّ إذا مَا كُنْتُ في النِّيْلِ

وقَوله[3]:

قَالُوا عَلاَ نِيْلُ مصر[4] في زِيَادَتِهِ حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الأهْرَامَ حِيْنَ طَمَا[5]
فَقُلْتُ: هَذَا عَجِيْبٌ في بِلاَدِكُمُ أنَّ ابنَ سِتَّة عَشر[6] يِبْلُغ الهَرَمَا

وقَوله[7]:

قَدْ زَادَ هَذَا النِّيْلُ[8] في عَامِنَا فَأغْــرَقَ الأرْضَ بإنْعَامِهِ
وكَـــادَ أنْ يَعْطِفَ مِنْ مَائِهِ عُرَىً على أزْرَارِ أهْرَامِهِ

وقوله:

قَدْ حَارَبَ الرِّيْحُ نِيْلَ مصر وعَضَّ مِنْ غَيْظِهِ الأصَابع
فَجَاءتْ الرِّيْـــحُ بانْـــزِعَاجٍ كسَّر مِنْ مَوْجِهِ الأضَالِع

وقوله:

وعَيْنٌ مَاؤهَا صَاف كَمِثْلِ الشَّمْسِ في الأوْجِ
ولم أرَ قَبْلَهَا عَيْنَـــاً حَوَاجبـــهَا مِـــنَ المَوْجِ

(1) ورد البيتان في الغيث المسجم: 76/2، وحلبة الكميت: 298، وحسن المحاضرة: 394/2، بلفظ: "ولم تر العين".

(2) ورد البيتان في مطالع البدور: 75/2، وحسن المحاضرة: 360/2، وعصر سلاطين المماليك: 351/7، بلفظ: "رأيت في أرض مصر" بدل: "لقد رأيت بمصر"، و "تسودّ عيني في الدّنيا"، بدل: "تسودّ في عيني الدّنيا".

(3) ورد البيتان في خزانة الأدب لابن حجّة الحموي: 163/2، والغيث المسجم: 76/2، والمخلاة: 464، بلفظ: "قالوا تعدّى" بدل: "قالوا علا"، وحلبة الكميت: 299، وحسن المحاضرة: 361/2.

(4) في (ص): "قالوا علا نيل في مصر في زيادته".

(5) في الأصل و(ص): "طمى"، وقد أثبت ما ورد في حلبة الكميت وعصر سلاطين المماليك: 363/7.

(6) في الغيث المسجم: 76/2: "ابن ستّ وعشرٍ".

(7) ورد البيتان في الغيث المسجم: 76/2، وحسن المحاضرة: 361/2.

(8) في (ص): "اعامنا" وهو تحريف.

وقوله:

رَكِبْتُ في البَحْرِ[يوماً][1] مع أخـــي أَدَب فقَالَ: دَعْني مِنْ قَال ومِنْ قِيْلِ
شَرَحْتُ يا بَحْرُ[2] صَدْرِي اليَوْم قُلْتُ[له][3] لا تُنكِرْ الشَّرْحَ يَا نَحْوِيّ للنِّيْلِ

وقوله:

لَكَ إنْ تَغَبْ شَخْصٌ وذِكْرٌ أصْبَحَا مَلَكَيْنِ في ذَاتِي وذَلِكَ لائِقُ
فَخِيَــامُ جَفْنِــي فَوْقَ ذَا مَضْرُوْبَةٌ ولِوَاءُ[4] قَلْبِي فَوْقَ هَذَا خَافِقُ

وقوله:

كَأنَّما اللَّيْـــلُ إذا مَـــا دَجَا وصَدَّ مِنْ قَلْبِي بِهِ مُعَرَّى
صَحِيْفَةٌ سَوْدَاءُ وشَخْصِي بِهِ مِنْ انْتِحَالِي أَلْفٌ صَفَرَا

وقَوله[5]:

أتَانِي وقَدْ أَوْدَى السُّهَادُ بنَاظِرِي يُمَزِّقُ جُنْحَ اللَّيْـــلِ بَارِقٌ فيه
فَقُلْتُ لَهُ: يا طَيِّبَ الأصْلِ هَكَذَا أخَذَتُ الكَرَى مِنِّي وعَيْنِي فيه

وقوله:

لَمَّا رَقَدْتُ أتَانِي[6] خَيَـــالُكَ بَغْتَـــةً فَغَـــدَا فُـــؤادِي خَـــافِقَاً يَتَمَوَّجُ
لو أنَّ صَحْبِي شَاهَدُونِي في الكَرَى والقَلْبُ يَرْقُصُ في الخَيَالِ تَفَرَّجُوا

وقوله:

ضَمَمْتُ خَيَـــالَكَ لَمَّا أَتَى وقَبَّـــلْتـــهُ قُبْـــلَـــةَ المُغْرَمِ
وقُمْتُ ومِنْ فَرْحَتِي باللّقا حَلَاوَةُ ذَاكَ اللَّمى في فَمِي[7]

وقوله:

عَجِبْتُ إذْ زَارَتْ على خِيْفَةٍ مَنْ أعْلَمَ لوَاشِي بِمَسْرَاهَا؟

(1) زيادة وردت في حسن المحاضرة: 361/2، وعصر سلاطين المماليك: 352/7، وفيهما: "في النّيل" بدل: "في البحر".
(2) في عصرْ سلاطين المماليك: "يا نيل".
(3) زيادة وردت في حسن المحاضرة وعصر سلاطين المماليك.
(4) في (ص): "كراء".
(5) ورد البيتان في نصرة الثّائر: 154، وخزانة الأدب للحموي: 161/2، وجاء في صدر البيت الثّاني: "فناديته يا طيّب الأصل".
(6) في نصرة الثّائر: 223: "أتى خيالك".
(7) ورد البيتان في الغيث المسجم: 243/1، وفي الكشكول: 346.

هَذَا فضُولٌ مِنْ نَسِيْمِ الصَّبَا   فَهْوَ الّذي يَنْقُلُ ريَّاهَا

وقوله:

قُلْتُ لَهُ: زُرْنِي فَلاَ بُدَّ أنْ يَدْرِي   بنَا الوَاشِي ويُغْرِي العَذُول
فَالرِّيْـــحُ مَـــا يُكتِّـــمُ سِرًّا ومَا   يَبْرَحُ ريَّاك يُعَانِي الفُضُول

وقوله:

قَالُوا وشَى الحِلْيُ بها إذْ مَشَتْ   إليكَ مِنْ قَبْلِ ابْتِسَامِ الصَّبَاحِ
فَقُلْتُ: لا خُلْخَالهَا صَـــامِتٌ   ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فُضُـــوْلَ الصَّبَاحِ

وقَوله:

عَلِمَ الوُشَاةُ بأنَّ رِيْقَ مُعَذِّبِي   رَاحٌ يُعِيْدُ[1] الصَّبَّ بَعْدَ هَلاَكِهِ
أمَّا أنَا لم يَبْـــدُ هَذَا مِنْ فَمِي   لَكِنَّ هَـــذَا مِنْ فضُوْلِ سِوَاكِهِ

وقوله:

يَقُولُ لَمَّا قُلْـــتُ هَـــذَا اللّمى[2]   أسْكَرَنِي لَمَّا تَرَشَّفْتُ فَاك
سِوَاكَ مَا ذَاقَ لَمَى[3] مِبْسَمِي   أسْتَغْفِرُ اللّهَ ذَكَرْتُ السّوَاك

وقوله:

إذَا شِئْتَ حِلْيِّكِ أنْ لا يَشِي   وقَدْ زُرْتَ في الحندسِ المُظْلِمِ
فرُدِّي السِّوَارَ مَكَانَ الوِشَاحِ   وخَلِّـــي سِوَارِكِ في المِعْصَمِ

وقوله:

قَـــالَ[4] لي لا تَفُهْ بِمَيْـــلِ قَوَامِـــي   إنَّ تَثَنّى واسْتُرْهُ خَوْفَ العُيُوْنِ
قُلْتُ [قل][5] للصَّبَا الّتِي قَدْ أشَاعَتْ   عَنْكَ هَذَا الحَدِيْثَ بَيْنَ الغُصُوْنِ

وقوله[6]:

أقُوْلُ يَا غُصْنُ هَلاَّ مِلْتَ نَحْوَ فَتَىً   فُؤادُهُ طَارَ حتَّى لَيْسَ يَألَفُهُ

---

(1) في الغيث المسجم: 451/1: "نُعيد".
(2) في (ص): "اللما".
(3) في (ص): "لوى"، وهو تحريف.
(4) في (ص): "قل".
(5) زيادة وردت في تمام المتون: 343.
(6) البيتان وردا في تمام المتون: 343.

فَقَالَ: مَنْ قَالَ: قَدِّي مِثْل غُصْنِ نَقَاً[1] قُلْتُ: النَّسِيْم الَّذي مَا زَالَ يَعْطِفُهُ

وقوله مُضَمِّنَاً:

أَقُولُ لِغُصْنِ البَانِ إِنْ كَانَ لم يَمِسْ قِوَامُكَ إلاَّ بالصَّبَا في التَّنَسُّمِ
فَعَارِضْ حَبِيْبِي[2] حِيْنَ يَثْنِي قَوَامَهُ وقَــفَ وقْفَــة قُدَّامَهُ تَتَعَلَّم

وقوله:

يُوْهِمنِي مِنْ لِيْنِ أعْطَافِهِ بأَنَّــهُ لم يَقِسْ يَوْمَــاً عليَّ
ويَخْدَعُ البَنْدَ إلى أنْ غَدَا يَرْبُطُهُ الخَصْرُ على غَيْرِ شيَّ

وقوله:

لم أنْسَهُ في رَوْضَــةٍ والطَّيْرُ يَصْدَحُ فَوْقَ غُصْنِ
فَأعلِّمُ الوُرْقَ البُكَا[3] ويُعَلِّــمُ الغُصْنَ[4] التَّثَنِّي

وقوله:

يَهْتَزُّ قَــدُّكَ لِيْنَاً وفي الحَشَا مِنْهُ غُصَّه
يَغِيْبُ عَنِّي حِيْنَاً وإنْ أتَى جَاءَ بِرَقْصَه

وقوله:

أيُّهَا الأهْيَــفُ الّــذي قَــدْ تَثَنَّى عطفهُ والتَوَى[5] مِنَ اللِّيْنِ غُصْنُه
لَكَ رِدْفٌ مِنْ وَافِرٍ وبَسِيْطٍ لا يُرَى في الرُّبَــا ولا الكُثْــبِ وَزْنُــه

وقوله[6]:

يَقُولُ رِدْفُ حَبِيْبِــي وعطفِــهِ المُتَثَنِّي
مَا أنْتَ يَا غُصْنُ قَدِّي ولا كَثِيْبُكَ وَزْنِي

وقوله[7]:

---

(1) في (ص): "نقى".
(2) في (ص): "جيدي".
(3) في الأصل و(ص): "البكى"، وأثبت ما ورد في الغيث المسجم: 463/2، وسلافة العصر: 573.
(4) في الغيث المسجم: 463/2، وأعيان العصر: 387/5، وسلافة العصر: 573: "البان".
(5) في الأصل و(ص): "واتوى"، لعلّه تحريف، وأثبت ما هو أولى.
(6) ورد البيتان في الغيث المسجم: 403/1، وخزانة الحموي: 126/2.
(7) ورد البيتان في أعيان العصر: 701/3.

لَقَدْ أضْعَفَني حُزْنــي   وضَاعَفَ خَالِقِي حُسْنَك
فَهَا أنَا لَمْ أزِنْ وَجْدِي   لأنِّـــي لَمْ أجِـــدْ وَزْنَك

وقوله:

ألْبَسْتُهَا مِنْ عِنَاقِـــي وهي نَائِمَةٌ   ثَوْبَاً يُزَرُّ بِلَثْـــمٍ غَيْرَ مُنْفَصِلِ
يا خَجْلَتَا في غَدٍ مِنْهَا إذا أخَذَتْ   مِرْآتَهَا ورأَتْ مَا أثَّرَتْ قُبَلي

وقوله:

يَا بَرْقع[1] بَلِّغْ رِسَالَتِي فَمَهَا   إنْ أنْكَرَتْني فَصِفْ لَهَا عِلَلِي
لأنَّ بَيْنِـــي وبَيْـــنَ مِبْسَمِهَا   لَيْـــلَة زَارتْ عَلامَـــة القُبَلِ[2]

وقوله:

قُلْتُ لَهُ إنَّ بَعِدْتَ عَنِّي   تَفضْوَلتْ بَيْننَا العَوَاذِلُ
أمَـــا تَرَانَا لَمَّا اعْتَنَقْنَا   مَا دَخَلَتْ بَيْننَا الغَلائِلُ

وقوله:

نَظَرْتُ إلى الرِّيَاضِ ولِي مَجَازٌ   يُؤدِّيْنِـــي إلى المَعْنَـــى الحَقِيْقِي
فَكَمْ أبْصَرْتُ مِنْ آسٍ تَبَدَّى   ومَا انْدَمَلَتْ جِرَاحَاتُ الشَّقِيْق

وقوله[3]:

عَذَارَكَ والطَّرْفُ يَا قَاتِلِي   يُحَاكِيْهُمَا الآسُ والنَّرْجِسُ
وقَـــدْ صَارَ بَيْنَهُمَا نِسْبَة   فَهَذَا يَـــدُبُّ وذَا يَنْـــعَسُ

وقَوله[4]:

إنَّ عَيْنِي مُذْ غَابَ شَخصُكَ عَنْهَا   يَأمُـــرُ السُّهْدُ[5] في كَـــرَاهَا ويَنْهَى
بِـــدِمُـــوْعٍ كَأنَّهُـــنَّ الغَـــوَادِي   لا تَسَلْ مَا جَرَى على[6] الخَدِّ مِنْهَا

(1) في الأصل: "برق"، وأثبت ما ورد في (ص).
(2) في (ص): "القبلي".
(3) ورد البيتان في الغيث المسجم: 9/2.
(4) ورد البيتان في نصرة الثائر: 154، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي: 25/1،156/2: بلفظ: "السّعد" بدل: "السّـــهد"، ووردا في أعيان العصر: 613/3، والمستطرف:25/2، 234/2.
(5) في تذكرة النبيه: 271/3: "وبنها".
(6) سقطت من (ص).

وقوله[1]:

أمَّـــلْتُ أنْ تَتَعَطَّفُوا بـــوِصَالِكُم   فَرَأَيْتُ مِنْ هُجْرَانكُم مَا لا يُرَى[2]
وعَلِمْتُ أنَّ بعَادكُم[3] لا بُدَّ أنْ   يَجْرِي لَهُ دَمْعِي دَمَاً وكَذَا جَرَى

وجَاءت[4] شَتْوَةٌ وَشَّعَتْ بُرُوْقُهَا حَاشِيَةَ السَّحَاب، وَوَشَّتْ لِمَمَ الجِبَال الشَّـــائِبَة تَوْشِـــيَةَ الخِضَاب، وهَدَرَت رُعُوْدُهَا الصَّائِلَةُ، وَوَفَّتْ عُهُوْدَهَا السَّابلَة، وتَوَالَتْ مُدَّةً لا تُكْشَطُ فيها سَمَاء، ولا يُكْشَفُ بأيَّامِ الثّلوجِ المُصْبِحَةِ ظَلْمَاء، ودَامَتْ أيَّاماً لا تَفْصِلُ[5] فِصَالَـــهَا عـــن سَحَائِب، ولا تُوَلِّدُ بُكْرَةَ يَوْم[6] إلاَّ وهي في طُفُوْلَتِهَا شَائِبَة النَّوَاصِي والذَّوَائِب، هَـــذَا ولا تُصْبِحُ صَبِيْحَة ضَاحِكَة إلاَّ ووَجْه الأرْضِ عَبُوس، ومِعْطَفُ السَّمَاءِ في لَبُوْس بؤس، وقَـــوْسُ السَّحَاب تَرْمِي بِقِسيٍّ مَا لها وتَر، وغُدُر الثَّلْجِ الصَّافِيَةِ كَالبَلُّوْر، وكُلُّهَا كَدَر، والسُّـــقُوْف قَدْ أرَّقَهَا المَطَرُ فَانْهَرَهَا، والطُّرْقُ قَدْ عَرَفَهَا اللَّثَقُ ونَكَرَهَا، والبَرْدُ قَدْ اشْتَدَّ كَلْبُـــهُ ولِـــهَذَا عَظَّ[7] جَمْدَةَ المَاءِ و لم يَشْتَفِ حَتَّى شَرِبَ العَذْبَ البَارِدَ مَمْزُوْجَاً بِمِثْلِ الدِّمَاء.

فَكَتَبْتُ إليهِ: "كَيْفَ أصبَحَ مَوْلانَا في هَذَا الشِّتَاءِ الّذي أقْبَلَ يُرْعِبُ مَقْدَمُهُ، ويُرْهِـــبُ تَقَدّمهُ، ويُرِيْبُ اللَّبِيْبُ مِنْ بَرْقِهِ المُوْمِضُ تَبَسُّمه.

وكَيْفَ حَالهُ مع رُعُوْدِهِ الصَّادِخَة، ورِيَاحهُ النَّافِخَة، ووجُوْه أيَّامِهِ الكَالِحَة، وسُرر لَيَالِيْـــهِ الَّتي لا تَبِيْتُ مِنْهَا بلَيْلَةٍ صَالِحَةٍ، وسَحَابُهُ وأمْوَاجُهُ، وجَلِيْدُهُ والمَشْيُ فَوْقَ زُجَاجِهِ، وتَرَاكُـــمِ مَطَرِهِ الحَثِيْث[8]، وتَطَاول فَرْعِ لَيْلِهِ الأثِيْثِ، ومَوَاقِدهُ السُّوْدُ[9] المَمْقُوْتَة، وذَائِبُ[10] جَمْـــرِهِ المُحْمَرُ[11]، وأهْوَنُ بِهَا[12] ولو أنَّ كُلَّ حَمْرَاءَ يَاقُوْتَة، وتَحَدَّر نَوْئهُ المُتَصَبّب، وتَحَيّر

(1) ورد البيتان في خزانة الأدب للحموي: 161/2، والكشكول: 420، وأعيان العصر: 383/5، ومطالع البدور: 40/1.
(2) في المستطرف: 234/2: "ما لا أرى".
(3) في المستطرف: "أن فراقكم".
(4) في الأصل: "جآت"، وقد أثبت ما هو أولى.
(5) في (ص): "لا تفصل سحائبها عن سحائب".
(6) سقطت من (ص).
(7) في الأصل: "عظى"، وقد أثبت ما هو أولى.
(8) في الوافي: 257/8: "الأنيث".
(9) سقطت من الوافي.
(10) في الوافي: "وذوائب".
(11) سقطت من الوافي.
(12) في الوافي: "به".

نَجْمُهُ المُتَصَوِّب، وكَيْفَ هو مع جَيْشِهِ الَّذي مَا أطَلَّ حَتَّى نَصبَ مَضَارِبَ غَمَامه، وظَلَّل الجَوُّ بِمِثْلِ أجْنحَةِ الفَوَاختِ[1] مِنْ أعْلامِهِ.

هَذَا على أنَّهُ عرى الأبْنِيَة وَحَلَّلَ الأبْنِيَةَ مِمَّا تَلَفَ [في][2] ذمَّةِ سَالِفِ الأشْتِيَةِ[3]، فَلَقَدْ[4] جَاءَ مِنَ البَرْدِ بمَا رَضَّ العِظَامَ وأنْخرَهَا، ودَقَّ فَخَّارَاتِ الأجْسَامِ وفَخَّرَهَا، وجَمَّدَ في الفَمِ الرِّيْقَ، وعَقَدَ اللِّسَانَ، إلاَّ أنَّهُ لِسَانَ المِنْطِيْق، ويَبَّسَ الأصَابِعَ حَتَّى كَادَتْ أغْصَانُهَا تُوْقِدُ حَطَبًا، وقَيَّدَ الأرْجُلَ فَكَانَتْ[5] لا تَمْشِي إلاَّ بتَوَقَّع عَطَبًا، وأتَى الزَّمْهَرِيْرُ بجُنُوْدٍ ما للقَوِيِّ بِهَا قِبَل، وحَمَّلَ الأجْسَامَ مِنْ ثِقَلِ الثِّيَابِ مَا لا يُعْصَمُ مِنْهُ مَنْ ﴿قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ﴾[6]، ومَدَّ مِنَ السَّيْلِ مَا استَبْكَى العُيُوْنَ إذا جَرَى، واجْتَحَفَ مَا أتَى عليهِ، وأوَّلُ مَا بَدَا الدَّمْعُ بالكَرَى.

فَكَيْفَ أنْتَ يَا سَيِّدي في هَذِهِ الأحْوَال؟ وكَيْفَ أنْتَ في مُقَاسَاة[7] هَذِهِ الأهْوَال؟ وكَيْفَ رَأيْتَ[8] مِنْهَا مَا شَيَّبَ بثَلْجِهِ نَوَاصِي الجِبَال، وجَاءَ مِنَ[9] البَحْرِ فَتَلَقَّفَ ثُعْبَانُهُ مَا ألْقَتْهُ هَرَاوَاتِ البُرُوْق مِنْ عِصِيّ[10]، وخُيُوْطِ السَّحَاب مِنْ جبَال؟ أمَّا نَحْنُ فَبَيْنَ أفْوَاجٍ مِنَ السُّحْبِ تَزْدَحِم، وفي رَأسِ جَبَلٍ لا يُعْصَمُ فيهِ مِنَ المَاءِ إلاَّ مَنْ رَحِم[11].

وكَيْفَ سَيِّدنَا مع مَجَامِرِ كَانُوْن، وشَرَارِ بَرْقِهَا القَادح، وهَمِّ ودَقِهَا الفَادحِ[12]، وقَوْسِ قُزَحِهَا المُتَلَوِّن، رَدَّ اللهُ عليهِ صَوَائِبَ[13] سِهَامِهِ، وبَدَّلَنَا[14] مِنْهُ بوَشَائِعِ حُلَلِ الرَّبِيْع

---

(1) الفواخت: جمع فاخته، وهي ضرب من الحمام المطوّق. (لسان العرب: فخت).

(2) زيادة وردت في الوافي: 257/8.

(3) في الوافي: "دمه سالف الاستيه"، وأثبت ما هو أولى.

(4) في (ص): "فقد".

(5) في الوافي: 258/8: "فلا تمشي".

(6) من الآية: 43 من سورة هود.

(7) في (ص): "مقاسات".

(8) في الوافي: "ترأيت".

(9) في الوافي: "وجاء بالبحر".

(10) من الآية: 45 من سورة الشعراء:﴿فَألْقَى مُوْسَى عَصَاهُ فَإذَا هي تَلْقَفُ مَا يَأفِكُوْنَ﴾، انظر: الآية: 117 من سورة الأعراف، والآية: 69 من سورة طه.

(11) من الآية: 43 من سورة هود:﴿قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِم﴾.

(12) في الوافي: "وهمٍّ وقدها الفادح".

(13) في (ص): "صواب".

(14) في الوافي: "وبدّل".

ونَضَارَةَ أيَّامِهِ، وجَعَلَ حَظَّ مَوْلاَنَا مِنْ لَوَافِحِهِ مَا يُذْكِيْهِ دهْنه مِنْ ضِرَامه، ومَنْ سَوَافِحِهِ مَا يُوَلِّده[1] فِكْرُهُ مِنْ تَوْأمِهِ[2]، وعَوَّضْنَا وإيَّاه مِنْهُ بالصَّيْفِ إذا أقْبَلَ[3]، وأرَاحَنَا مِنْ هَذَا الشِّتَاءِ ومَشْي غَمَامِهِ المُتَبَخْتِرِ بكُمِّهِ المُسْبَل.

فَكَتَبَ إليَّ[4] جَوَابَاً: "[يُقَبِّلُ الأرْضَ][5] ويُنْهِي وُرُوْدَ هَذِهِ الرُّقْعَة الّتي هي طِرَازٌ في حُلَّةِ الدَّهْرِ والحَدِيْقَةِ الّتي تُذَكِّرُ بزَمَنِ الرَّبِيْعِ[6]، ومَا تُهْدِيْهِ أيَّامُهُ مِنْ أنْوَاعِ الزَّهْرِ، فوَقَفَ مِنْهَا على الرَّوْضِ الّذي تَهَدَّلَتْ فُرُوْعُ غُصُوْنِهِ بالأثْمَارِ، ونَظَرَ مِنْهَا إلى الأُفُقِ الّذي كُلُّ[7] كَوَاكِبِهِ شُمُوْسٌ وأقْمَار، فَأنْشَأتْ لَهُ أطْرَابَهُ، وأعْلَمَتْهُ أنَّ قَلَمَ مَوْلاَنَا يَفْعَلُ بالألْبَاب مَا لا تَفْعَلُهُ نَغَمَاتُ[8] الشَّبَّابَة[9]، وأرْشَفَتْهُ[10] سُلاَفَاً كؤوسهَا الحرُوْف، وكُلُّ نُقْطَةٍ حَبَابَة.

وشَاهَدَ أوْصَافَ هَذِهِ الأيَّام المُبَارَكَة القُدُوْم المُتَّصِلَةِ الظَّلاَم، فَلاَ أوْحَشَ اللهُ مِنْ طَلْعَةِ الشَّمْس وحَوَاجب[11] الأهِلَّة وعيُوْن النّجُوْم، فَمَا لَنَا ولِهَذِهِ السَّحَائب السَّحَّابَةِ، والرّعُوْد الصَّخَّابَة، والبُرُوْق اللَّهَابة، والغَمَائِم السَّكَّابَة[12]، والثّلُوْج الّتي أصْبَحَتْ بحَصْبَائِهَا حَصَّابَة، والبَرْدُ الّذي أمْسَتْ إبَرهُ لِغُصُوْنِ الجِلُوْد قطَّابَة، والزُّمِيْتَا[13] الّتي لا تَرْوِي عَنْ أبي ذَرّ[14] إلاّ ويَرْوِي الغَيْثُ[15] عن أبي قِلاَبَة[16] كُلَّمَا أقْبَلَ فَحمَةُ ظَلاَم قَدَحَتْ فيها البَوَارِقُ

---

(1) في الوافي: 258/8: "يؤكده".

(2) في الأصل: "توامه".

(3) في الوافي: "والله يتقبّل".

(4) في أعيان العصر: 429/1: "فكتبت أنا الجواب".

(5) زيادة وردت في أعيان العصر.

(6) في أعيان العصر، والوافي: 258/8: "وحديقة ذكّرت بزمن الرّبيع".

(7) سقطت من الوافي.

(8) في الوافي، وأعيان العصر: "نغمة".

(9) في أعيان العصر: "الشبآبة".

(10) في (ص): "وارشقته".

(11) في الوافي: 259/8، وأعيان العصر: "وحاجب الهلال".

(12) روايتها في الوافي وأعيان العصر: "والغمائم السّكابة، والرّعود الصّخابة، والبروق اللّهابة".

(13) الزّميت: الحليم السّاكن، القليل الكلام، كالصّميّت. (لسان العرب: زمت).

(14) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد،... (-32هـ)، صحابيّ، قديم الإسلام، يضرب به المثل في الصّدق، وهو أوّل من حيّا رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- بتحيّة الإسلام،...انظر: (حلية الأولياء: 156/1، وطبقات ابن سعد: 165/4، الإصابة: 60/7، والأعلام: 140/2).

(15) في الوافي: 259/8: "العيب"، وفي أعيان العصر: 429/3: "وتروي الغيث".

[شَرَارَ][1] جَمْرَتِهَا، وكُلَّمَا جَاءَتْ سَحَابَةٌ كَحلاَءُ الجُفُوْن، رَجَعَتْ وهي مَرْهَـــاء[2] لِمَـــا أَسْبَلَتْ[3] مِنْ عَبْرَتِهَا، فَمَا هَذَا [شَهْرُ][4] طُوْبَة[5] إِنْ هَذَا إلاَّ جَبَلُ ثهلان[6]، وما هَذَا كَانُوْن إِنْ هُوَ[7] إلاّ تَنُّوْرُ الطُّوْفَان، فإلى [8] مَتَى قُطْنُ هَذِهِ الثُّلُوْجِ تُطْرَح على حُبَاب[9] الجِبَـــال؟ وإلى مَتَى تُفَاضُ دِلاَص[10] الأنْهَارِ[11]، وتَرْشُقُهَا قَوسُ قُزَح[12] بالنِّبَال؟ وإلى مَتَى يُشَـــقِّقُ[13] السَّحَابُ مَا لَهَا مِنَ الحُلَلِ والحُبَر؟ وإلى مَتَى تُرْسَلُ خيُوْطُ المُزْن مِنَ الجَوِّ وفي أَطْرَافِهَا علـــى الغُدْرَانِ إبر؟ وإلى مَتَى[14] تُجَمَّلُ عُيُوْن الغَمَام، وتُكَحِّلُهَا[15] البُرُوْقُ بالنَّارِ؟ وإلى مَتَى نَثَـــارُ هَذِهِ الفِضَّة، ومَا يُرَى للنَّجْمِ[16] مِنْ دِيْنَار؟ وإلى مَتَى نَحْنُ نَحْنُو على النَّارِ "حُنُوَّ المُرْضِعَات على الفَطِيْمِ"[17]، وإلى مَتَى تَبْكِي هَذِهِ المَيَازِيْب[18]:

= (16) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي (-104هـ)، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة، وكان من رجـــال الحديث الثّقات،...انظر: (تهذيب التّهذيب: 200/5، وحلية الأولياء: 282/2، وصفة الصّفـــوة: 158/3، والأعـــلام: 88/4)، وفي العبارة تورية.

(1) زيادة وردت في أعيان العصر: 429/3.

(2) في الوافي: 259/8: "رجعت مدّها" وهو تحريف، ومرهاء: عين مرهاء: خالية من الكحل. (لسان العرب: مره).

(3) في أعيان العصر: "أسبلته".

(4) زيادة وردت في الوافي وأعيان العصر، لعلّها سقطت من الأصل.

(5) طوبة: الآجُرَّة، شاميّة أو روميّة. (لسان العرب: طوب).

(6) جبل ثهلان: جبل ضخم بالعالية، وثهلان جبل في بلاد بني نمير، طوله في الأرض مسيرة ليلتين، به ماء ونخيل. (معجم البلـــدان: 88/2)، وبه قال امرؤ القيس، الدّيوان: 492/2:

"عقاب تدلّت من شماريخ ثهلان".

(7) في الوافي وأعيان العصر: "هذا".

(8) في الأصل: "الّتي"، وأثبت ما ورد في الوافي، وفي أعيان العصر: "وإلى متى".

(9) في أعيان العصر: "يُطرح على جباب".

(10) في الأصل: "دلاض"، وهو تحريف، والدّلاص: اللّين البرّاق الأملس. (لسان العرب: دلص".

(11) في أعيان العصر: 429/3: "الأمطار ويرشقها".

(12) سبق الإشارة إليه.

(13) في أعيان العصر: "تشقّق السّحاب وما لها من الحلل والحبر".

(14) في أعيان العصر: 430/3: "تجمد".

(15) في الأصل و(ص): "تلحها"، وهو تحريف، وقد أثبت ما ورد في الوافي.

(16) في أعيان العصر: "من النّجوم".

(17) عجز بيت تمامه: "حللنا دوحة فحنا علينا"، يعزى البيت للمنازي الكاتب، أحمد بن يوسف السّـــليكي (ت 437هـــ)، ويعزى كذلك إلى حمدونة بنت زياد. انظر: (وفيات الأعيان: 143/1).

(18) في الوافي: "وإلى متى تبكي المزاريب".

بُكَاء الأوْلِيَاء بِغَيْرِ حُزْنٍ   إذا استَوْلُوا[1] على مَالِ اليَتِيْمِ

وإلى مَتَى هَذَا البَرْقُ تَتَلَوَّى بُطُوْنَ حَيَّاتِهِ، وتَتَقَلَّبُ[2] حَمَالِيْقُ العُيُوْنِ الْمحْمَرَّةِ مِنْ أسْوَدِ غَايَاتِهِ؟ وإلى مَتَى يُزَمْجِرُ عَتَبَ[3] هَذِهِ الرِّيَاحِ العَاصِفَةِ؟ وإلى مَتَى يُرْسَلُ الزَّمْهَرِيْرُ أعْوَانًا تُصْبِحُ بِهَا حَلاَوَةُ الوُجُوْهِ[4] تَالِفَةً؟ أترى هَذه الأمْطَار تُقْلَبُ مِنْ أزْيَار[5]؟ أمْ ترى[6] هَذِهِ المَوَالِيْد تَنْتَهِي فيهَا الأعْمَار؟ كَمْ مِنْ جَلِيْدٍ[7] يَذُوْبُ لَهُ قَلْبُ الحَدِيْدِ، ويُرَى زُجَاجُهُ الشَّفَّافُ أصْلَبُ مِنَ الحَدِيْدِ، وكَمْ مِنْ وَحْلٍ[8] لا تَمْشِي هُرَيْرَةٌ فيهِ الوَحَى؟! وكَمْ مِنْ[9] بَرْدٍ لاَ "تَنْتَطِقُ فيهِ نؤوم[10] الضُّحَى"؟.

"اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنَا"[11]، لَقَدْ أضْجَرَنَا تَرَاكُمَ الثِّيَابِ، ومُقَاسَاةِ مَا لِهَذِهِ الرَّحْمَةِ مِنَ العَذَابِ، وانْجِمَاعِ كُلٍّ عن إلْفِهِ، وإغْلاَقِ بَابِ القِبَابِ.

وتَخَلَّلَ[12] الضَّبَابُ زَوَايَا البُيُوْتِ، والأطْفَالُ[13] ضَبَابُ الضَّبَابِ: كُلُّ ضَبٍّ مِنْهُم قَدْ لَزِمَ[14] بَاطِنَ نافِقَائِهِ، وقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ المَوْتَ بِدَايَةً بِدَائِهِ، قَدْ حُسِدَ على النَّارِ مَنْ أمْسَى

---

(1) في (ص): "استدلّوا".

(2) في أعيان العصر: 43/3: "وتقلب"، وفي الوافي: 259/8: "وتنقلب".

(3) في أعيان العصر: "غيث".

(4) في والوافي وأعيان العصر: "حلاوة الوجوه بها تالفة".

(5) في الوافي: "تقلب بالأزيار"، وفي أعيان العصر: "تقلب بالأذيار".

(6) سقطت من الوافي وأعيان العصر.

(7) في أعيان العصر سقطت : "من".

(8) في الوافي سقطت : "وكم من" وفيه: "ووحل".

(9) في الوافي وأعيان العصر سقطت: "وكم من"، وفيه: "وبرد".

(10) في الأصل: "نوم"، وأثبت ما ورد في الوافي، وهو من بيت لامرئ القيس، الدّيوان: 224/1:

ويُضحي فتيت المسك فوق فراشها   نؤوم الضُّحى لم تنتطق عن تفضّل

وفي شرح ديوان المتنبّي: 202/3: "نئوم".

(11) عن أنس قال: كان النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- يخطب يوم الجمعة فقام النّاس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله قَحَطَ المطر، واحمرّت الشّجر، وهلكت البهائم، فادع الله يسقينا، فقال: اللّهمّ اسقنا مرّتين، وأيم الله ما نرى في السّماء قزعة من سحاب، فنشأت سحابة وأمطرت، ونزل عن المنبر فصلّى، فلمّا انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة الّتي تليها، فلمّا قام النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- يخطب، صاحوا إليه: تهدّمت البيوت، وانقطعت السُّبُلُ. فادع الله يحبسها عنّا. فتبسّم النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- ثمّ قال: "اللّهمّ حوالينا ولا علينا"، فكشطت المدينة فجعلت تمطر حولها ولا تمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلى المدينة وإنّها لفي مثل الإكليل. (صحيح البخاري: 114/6).

(12) في أعيان العصر: "وتخلّل".

(13) في الوافي وأعيان العصر: "فالأطفال".

(14) في الوافي وأعيان العصر: "ألِفَ".

مُذْنِبًا وأصْبَحَ[1] عَاصِيًا، وتَمَنَّى أنْ يَرَى فَوَاكِهَ الجَمَرَاتِ[2] عُنَّابًا أوْ قَرَاصِيًا[3]، فَإنْ كَانَتْ هَذِهِ الأمْطَارُ تُكَاثِرُ فَضَائِلَ[4] مَوْلاَنَا فَيَا طُوْلِ مَا تَسْفَح، وإنْ كَانَتِ العَوَاطِفُ تَتَشَبَّهُ بِبَأسِهِ فَيَا طُوْل مَا تَلْفَح، وإنْ كَانَتِ البرُوْق تُحَاكِي ذِهْنَهُ المُتَسَرِّع، فَيَا طُوْل مَا تَتَألَّق، وإنْ كَانَتْ قَوْسُ قُزَح تَتَلَوَّنُ خَجَلاً مِنْ طُرُوْسِهِ فَيَا طُوْل مَا تَتَأنَّق[5]، وإنْ كَانَتِ الرُّعُوْدُ تَحْكِي[6] جَوَانِحَ أعَادِيْهِ[7] فَيَا طُوْلِ مَا تَفْهَق وتَشْهَق[8]، وإنْ كَانَتِ السُّيُوْلُ تَجْرِي وَرَاء جُوْدِه، فَيَا طُول مَا تَجْرِي على طُوْلِ المَدَى ومَا تَلْحَق[9].

والأوْلَى بهَذَا النَّوْءِ البَاكِي أنْ لا يُحَاكَى، والألْيَقُ بهَذَا الفَصْلِ المُبْغَضِ ألاَّ يَتَعَرَّض، "ورَحِمَ[10] اللهُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وكَفَى النَّاسَ شَرَّهُ"[11]، وتَحَقَّقَ أنَّ مَوْلاَنَا في هَذَا الوُجُوْدِ[12] نُدْرَة".

فَأجَبْتُهُ: "وقَفَ[13] لِمَوَاقِعِ القَلَمِ الشَّرِيْفِ، ووَقَفَ عليهِ، وتَيَمَّنَ بمُجَرَّدِ إقْبَالِهِ إليهِ[14] وقَبَّلَهُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بيَدَيْهِ، وعَدَّهُ لِجَلاَءِ المَرَّةِ لِمَا[15] أمَرَّهُ على عَيْنَيْهِ، [وشَكَرَهُ، وإنْ لم تَزَلْ حَقَائِبُ الشُّكْرِ مَحْطُوْطَةً لَدَيْهِ][16]، لا بَرِحَ الشَّهْدُ مِنْ جَنَى رِيْقِهِ المُعَلَّلِ، والطَّرَب بِكَأسِ

---

(1) في أعيان العصر: 431/3: "وأمسى".

(2) في الوافي: 260/8، وأعيان العصر: "الجنان".

(3) في الوافي وأعيان العصر: "وقراصيا"، قراصيا: شجرة مثمرة من الفصيلة الورديّة وتطلق في مصر على البرقوق الجفّف، وفي الشام تعرف بالخوخ المجفّف، لون ثمرها أزرق ضارب إلى السّواد.

(4) في أعيان العصر: "مكارم".

(5) في الوافي وأعيان العصر: "تتألّق".

(6) في الوافي وأعيان العصر: "تحاكي".

(7) في الوافي وأعيان العصر: "أعدائه".

(8) في (ص): "يتفهّق وتشهق"، وفي الوافي وأعيان العصر: "تشهق وتفهق".

(9) في الوافي وأعيان العصر: "فإنّها تجري طول المدى وما تلحق".

(10) في الوافي وأعيان العصر: "فرحم".

(11) سقطت العبارة من الوافي وأعيان العصر، وهو من قول الإمام عليّ-رضي الله عنه-: "رحم الله امرئ عرف قدره ولم يتعدّ طوره"، انظر: (غرر الحكم ودرر الكلم من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب).

(12) في الوافي وأعيان العصر: "في الجود".

(13) في (ص): "وقع".

(14) في الوافي: 260/8: "عليه".

(15) سقطت من الوافي.

(16) زيادة وردت في الوافي، والمعنى مأخوذ من قول نصيب بن رباح: (لباب الآداب: 169):

فعاجوا فأثنوا بالّذي أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

رَحِيْقِهِ المُحَلَّل، والتِّيْهُ وحَاشَاهُ مِنْهُ في سُلُوْكِ طَرِيْقِهِ المُذَلَّل، "والجُهْدُ ولو كلّف لا يَجِيءُ بمِثْلِ سَيْرِهِ المُذَلَّل"[1]، والسَّحَابُ لا يَطِيْرُ إلاَّ بجَنَاحِ كَرَمِهِ[2] المُبَلَّل، والرَّوْضُ لا يَبْرُز إلاَّ في ثَوْبِ زُخْرفِهِ[3] المُحَلَّل، والبَرْقُ لا يَهْتَزُّ إلاَّ في مِثْلِ[4] ردَائِهِ المُشَلَّل، والنَّصْرُ يَقْضِي لِمَوَاضِيْهِ على حَدِّ حسَامِهِ المُفلَّل، والفَجْرُ لولا بَيَانُهُ الوضَّاح لَمَا أرْشَدَ دَلِيْلُهُ[5] المُضَلَّل، والبَحْرُ لولا مَا عُرِفَ مِنْ عَبَابِهِ[6] الزَّاخِرِ لَمَا ذُمَّ على غزرِ[7] المَادَّة نوَالهُ المُقلّل، والفَخْرُ ولو شَمَخَ[8] بأنفِهِ لا يُنَافِسُ عُقْدَهُ المُوَشَّح، ولا يَتطَاوَل إلى تَاجِهِ المُكَلَّل، وفَهْمِهِ فَهَام "وعلّمهُ فَزَادَ صِقَالَ الأفْهَامِ"[9]، وقَصَّرَ عن مَعْرفَتِهِ[10] فمَا شَكَّ أنّهُ إلْهَام.

وانْتَهَى في[11] الجَوَابِ إلى وَصْفِ أنْوَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ المَاطِرَة ومَا مَوَّهَتْ بهِ السُّحْبُ مِنْ ذَهَبِ بَرْقِهَا، وفَتَلَتْهُ الأنْوَاءُ مِنْ خِيُوْطِ وَدْقِهَا، ونَفَخَتْ فيهِ الرِّيَاحُ مِنْ جَمْرِ كَانُوْنِهَا، وأظْهَرَتْ حَقِيْقَتَهُ[12] الرُّعُوْدُ مِنْ سِرِّ مَكْنُوْنِهَا، ومَا تَبثُّهُ[13] عَارِضَةُ ذَلِكَ العَارِضِ المُمْطِر الّذي هو أقْوَى مِنْ شَآبِيْبِهَا، وأوْقَى مِمَّا أرقتهُ السَّمَاءُ مِنْ جَلاَبِيْبِهَا، وأسْرَى مِنْ بَرْقِهَا المُوْمِضُ في غَرَابِيْبِهَا، وأسْرَعُ مِنْ سرى رِيَاحِهَا، وقَدْ جَمَعَتْ أطْوَاقَ السُّحْبِ، وأخَذَتْ بتلاَبِيْبِهَا.

وسَبَّحَ المَمْلُوْكُ مِنْ عَجَبٍ لِهَذِهِ البَلاَغَةِ الّتِي كَمُلَتِ الفَضَائِل، وفَضُلَتْ عن العِلْمِ وفي الرَّعِيْلِ الأوَّلِ عِلْمَ الأوَائِلِ، وفَضَّلَتْ مُبْدعهَا وحُقَّ لَهُ التَّفْضِيْل، وآتَتْهُ جُمْلَةَ الفَضْلِ وفي ضِمْنِهَا التَّفْضِيْل، وأنْطَقَتْ لِسَانَ بَيَانِهِ، وأخْرَسَتْ كُلَّ لِسَان، وأجْرَت قَلَمَ كَرَمِهِ،

---

(1) سقطت العبارة من الوافي: 260/8، في هذا الوضع، وجاءت بعد عبارة: "والبرق لا يهتزّ،...".

(2) في الوافي: "نعمائه".

(3) في الوافي: "تزخرفه".

(4) في الوافي: "مسبل"، لعلّه الصّواب.

(5) في الوافي: "ليله".

(6) في الوافي: "من عباب كرمه الزّاخر".

(7) في الوافي: "عرر".

(8) في الوافي: "وإن شمخ بأنفه".

(9) في الوافي: "واقتبسه فجلا الأوهام، ونظر فيه فزاد صقال الأفهام".

(10) في الوافي: "إدراكه".

(11) في الوافي: "فيه إليّ الجواب".

(12) في (ص): "حقيقة"، وفي الوافي: "وأظهرته حقيقة".

(13) في الوافي: "ينبته".

وأحْرَزَتْ كُلَّ إحْسَان، ونَشَرَتْ عَلَمَ عِلْمِهِ، وأدْخَلَتْ تَحْتَهُ كُلَّ فَاضِل، وأرْهَفَتْ شَبَا حَدِّه، وقَطَعَتْ بِهِ كُلَّ مُنَاظِر وكُلَّ مُنَاضِل.

وقَالَتْ للسَّحَاب إليكَ وقَدْ طَبَّقَ: إليكَ، فَإنَّ البَحْرَ قَدْ جَاءكَ(1)، وللنَّوْءِ وقَدْ أغْدَقَ: تَنَحَّ، فَإنَّ الطُّوفَان قَدْ ضَيَّقَ أرْجَاءكَ(2)، وللرَّعْدِ وقَدْ صَرَخَ: اسْكُتْ، فَقَدْ آنَ لِهَذِهِ الشَّقَائق أنْ تَسْكُتْ(3)، وللبَرْق وقَدْ نَسَخَ آيَةَ اللَّيْلِ: اسْتَدْرِكْ غَلْطَتَكَ لِئَلا تُبَكَّتْ، أمَا تَرَى هَذِهِ العُلُوْمَ الجَمَّةَ وقَدْ زَخَرَ بَحْرُهَا، وأثَّرَ في الألْبَاب سِحْرُهَا، وهَذِهِ الفَضَائِل وكَيْفَ(4) تفَنَّنَتْ فُنُوْنُهَا، وفَتَنَت عُيُوْنُهَا، وتَهَدَّلَتْ بالثَّمَرَات أفْنَانُهَا، وتَزَخَّرَتْ(5) بالمَحَاسِنِ جِنَانُهَا؟ وهَذِهِ الألْمَعِيَّةُ وكَيْفَ ذَهَبَتِ الأصَائِل، وهَذِهِ اللَّوْذَعِيَّةُ ومَا أبْقَتْ مَقَالاً لِقَائِل، وهَذِهِ البَرَاعَةُ الَّتي فَاضَتْ وكُلٌّ مِنْهَا سَكْرَانٌ طَافِح؟ وهَذِهِ الفَصَاحَةُ ومَا غَادَرَتْ بَيْنَ الجَوَانح؟ وهَذِهِ البَلاغَةُ الَّتي(6) سَالَتْ بأعْنَاق المَطِيِّ بِهَا الأبَاطِحُ؟ [وهَذِهِ الصِّنَاعَةُ وقَدْ اسْتُعِيْنَ عليهَا مِنْ أهْلِهَا بِصَالِح؟ وهَذِهِ الصِّيَاغَةُ ومَا تَاركُ فَنَّ الجَوَاهِرِ لَهَا إلاَّ رَابح](7)، وهَذِهِ الحِكَمُ البَوَالِغ، وهَذِهِ النِّعَمُ السَّوَابغ،[وهَذِهِ الدِّيَمُ الَّتي لا يَمْلأ حَوْضُهَا مِنْ إنَاء فَارِغ، وهَذِهِ الشِّيَمُ الَّتي لو تَنَكَّرَتْ ثُمَّ مُزِجَتْ بالفُرَات لَمَا سَرَتْ لِسَائِغ](7)، وهَذِهِ الهِمَمُ الَّتي تَرَقَّتْ بتَوجههَا إلى السَّمَاءِ فَكَشَفَتْ غَبَابَةَ عَارِضِهَا، وكَفَّتْ غِوَايَةَ البَرْق وقَدْ وَلَعَ وخَطَّ مَشِيْبَهُ بخَطِّ عَارِضِهَا، حَتَّى جَلاَّهَا وأضْحَاهَا، ﴿وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأخْرَجَ ضُحَاهَا﴾(8)، [ونَفَخَ رَمَادَ سَحَابِهَا المُنْجَلِي عَنِ اللَّهَب، وصَفَّحَ جَوَّهَا الفِضِّيِّ وسَمَّرَتْهُ الشَّمْسُ بالذَّهَب](9)، وجَلاَ صَدَأَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَنْ صَفْحَةِ(10) ذَلِكَ اليَوْمِ المشْمِسِ، وبَدَّلَ بِذَلِكَ الصَّحْوِ المطمعِ(11) مِنْ

---

(1) في الأصل: "جاك"، وأثبت ما هو أولى.

(2) في الوافي: 261/8: "قد حصر أرجاك".

(3) في الوافي: "أن تسلّت".

(4) مكرر في الأصل.

(5) في الوافي: "وزخرت".

(6) في الوافي: "وقد".

(7) زيادة وردت في الوافي.

(8) من الآية: 29 من سورة النّازعات.

(9) زيادة وردت في الوافي.

(10) في الوافي: 262/8: "صفيحة".

(11) في الأصل: "المطبع"، في الوافي: "في الضّوء المطمع"، وأثبت ما هو أولى.

ذَلِكَ الغَيْمِ المُؤيسِ[1]، [ونَقّى لازَوَرْدِ السَّمَاءِ مِنْ تِلْكَ الشَّوَائِبِ، ووقَى عَرْضَ ذَلِكَ النَّهَارِ اليَقِقِ مِنَ المَعَايبِ][2]، وأتْرَعَ غَدِيْرَ ذَلِكَ النَّهَارِ[3] خَالِصاً مِنَ الرَّنَقِ، وضَوَّعَ غَـيْرَ ذَلِـكَ الثَّرَى خَالِيَاً مِنَ اللَّثَقِ، وأطْلَعَ شَمْسَ ذَلِكَ اليَوْمِ يُوَشِّعُ جَانِبَ مَشْرِقِهَا، ويُوَشِّي بِذَائِـبِ الذَّهَبِ[4] رِدَاءَ[5] أُفْقِهَا، كَمَا قُلْتُ[6]:

كَأَنَّمَا اليَوْمِ وقَدْ مَوَّهَتْ مَشْرِقَهُ[7] الشَّمْسُ ولا جَاحِدُ
ثَوْبٌ مِنَ الشَّرْبِ ولَكِنَّهُ طُـرِّزَ مِنْـهُ كُمُّـهُ الوَاحِدُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ بَلْ ذَلِكَ بَشَّرَ ذَلِكَ البَشِيْرُ[8]، بَلْ المَلِكُ الكَرِيْمِ، وصَفِيْحَةُ وَجهِهِ المُتَهَلِّلِ الوَسِيْمِ، لا[9] بَلْ صَفِيْحَةَ عَمَلِهِ وصَفِيْحَةِ أمَلِهِ[10]، "وأنْمُوْذَج رَايةِ الثَّنَاءِ عليهِ، وصِنْوَ يَدِهِ البَيْضَـاء وصُنْعَ يَدَيْهِ"[11]، [وشَبِيْه لؤلؤة نِثَارِهِ، وغَيْر هَذَا مِنْ نَدَى أيَادِيْهِ البِيْضِ على إقْلالِ العِـدِّ أو أكَارِهِ][12].

فَللهِ[13] تِلْكَ اليَد المُقَبَّلَةِ، وللهِ تِلْكَ اليَد المُؤَمَّلَةِ، "وللهِ تِلْكَ المَوَاهِب"[14] المُجزَلَـةِ، ولله تِلْكَ الرَّاحَةُ الّتي لا يُقَاسُ [بِهَا الثُّرَيَّا ولا تَجيءُ الجَوْزَاءُ أنْملة][15] بأنْمُلَة، ولله[16] ذَلِكَ البَيَـانُ السَّاحِرُ، ولله ذَلِكَ اللِّسَانُ المُدَرَّبُ، وذَلِكَ البَحْرُ الزَّاخِرُ، ولله ذَلِكَ الإنْسَانُ الّذي

(1) في الأصل: "المونس"، وأثبت ما ورد في الوافي: 262/8.
(2) زيادة وردت في الوافي.
(3) في الوافي: "صباح".
(4) في الوافي: "اللّهب".
(5) في (ص): "رد"، وهو تحريف.
(6) في الوافي: "فقلت".
(7) في الوافي: "مشرقها".
(8) في الوافي: "بشر ذلك البشير".
(9) سقطت من الوافي.
(10) في الوافي: "وصبيحة".
(11) في الوافي: "وأنموذج إيثاره، وصنو يده البيضاء وآثاره".
(12) زيادة وردت في الوافي.
(13) في الوافي: "لله".
(14) سقطت العبارة من (ص).
(15) زيادة وردت في الوافي.
(16) في الوافي: "ولله ذلك النبيان السّاحر، وذلك البنان السّاحر، وذلك اللّسان المذرّب، والبحر الزّاخر، وذلك إلاّ لسان الّـذي طال باع علمه".

طَالَ بَاع عَمَلِهِ، وطَارَ فَأَوْقَدَ ضِرَامَ ذَلِكَ[1] الصَّحْوِ[2] شُعَاعَ فَهْمِهِ، وطَابَ جَنْــي ثَمَــرِه، وجَنَاب حلمهِ، وطَافَ الأرْضَ صِيتُهُ، ونَفَقَ كَاسِدَ الفَضَائِلِ باسْمِهِ[ولله لسَــيِّدٍ جَــاءَ بالفَضْلِ كُلِّهُ، وأَلّى بالأمْرِ على جُلِّهِ، واقْتَبَسَ مِنْ نُوْرِهِ وأَوَى إلى ظِلِّــهِ][3]، لَقَــدْ أَلْبَسَ المَمْلُوكَ رِدَاءَ الفَخَارِ، وعَرَّفَهُ العَوْمَ، وكَانَ لا يَطْمَعُ أنْ يُشَقُّ بَحْرُهُ الزَّخَّارِ، ومَحَا[4] عَنْــهُ صَبْغَ دجنَّة تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وفَرَّجَ عَنْهُ لِبَاسَ تِلْكَ السُّحُبِ، وقَدْ ضَمَّ عليهِ ذَيْلَهُ، وفَرَّقَ ذَلِــكَ النُّوْرَ المُعْتَلِجَ وقَدْ جَارَاهُ جَفْنُهُ، وأجْرَى مِثْلَهُ سُبُلَهُ[5]، وأطْلَقَ لِسَانَهُ مِنَ الاعْتِقَالِ، وأنْطَــقَ بيَانَهُ فَقَالَ، "وحَمَى لَهُ هَجِيْرَ الذَّكَاءِ فَقَالَ"[6]، [ووَفَّقَهُ في البَيَانِ ولولا تَوْفِيْقُهُ مَا نَطَــقَ][7]، ووَقَفَهُ ولولا إيْقَافُهُ لَهُ لَغَبَّرَ على آثَارِهِ في وَجْهِ مَنْ سَبَقَ، [وقَامَ وأقَامَ الحُجَّةَ على البُلَغَــاءِ، حَيْثُ لا يَجِدُ مِنَ القَوْلِ إلاَّ صِدْقَ. تَمَّتْ. فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا هَالَنِي، وعَلَّ عَقْلِــي وغَــالَنِي، عَدَلْتُ عَنِ النَّثْرِ فِرَاراً أَلُوْذُ بالنَّظْمِ، وقُلْتُ جَوَاباً][7]، فَكَتَبَ هو الجَوَابُ:

جَــاءَ الجَوَابُ يَرِفُّ مِنْــهُ فَوَاضِلا ... ويَرِفُّ في رَوْضِ البَيَانِ[8] خَمَائِلا

أغْرَقَت غُرَّ السُّحْبِ حِيْنَ وَصَفْتَهَا ... يَا مَنْ غَــدَا بَحْراً يَمُوْجُ فَضَائِلا

لَوْ لَمْ تَكُنْ يُمْنَــاكَ بَحْــراً زَاخِراً ... مَا أرْسَلَتْ تِلْكَ السُّطُوْرَ جَدَاوِلا

ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ الحَلالِ مَتَى تَشَا ... أخْرَجْتَــهُ فَيَعُوْدُ ضَرْبــاً دَاخِلا

مَــا إنْ جَــلا رَاوِيْــهِ بَحْرَ بَيَانِهِ ... إلاَّ وزَانَ مَشَاهِــداً ومَحَــافِلا

فَمَتَــى يَــرُوْمُ بِهِ اللَّحَاقُ مُقَصِّرٌ ... والنَّجْــمُ أقْــرَبُ مِنْ مَدَاهُ تَنَاوُلا

أبْــرَزْتَــهُ أُفُقَــاً فَكُــلُّ قَرِيْنَــةٍ ... بُــرْجٌ حَــوَى مَعْنَاهُ بَدْراً كَامِلا

فَكَأَنَّمَــا تِــلْكَ الحُرُوْفُ حَدَائِقٌ ... أمْسَتْ[9] مَعَانِيْهَــا تَصِيْحُ بَلابِلا

وكَــأَنَّ ذَاكَ الطِّــرْسِ خَدٌّ رَائِقٌ ... والسَّطْرُ مِنْــهُ غَدَا عِذَاراً سَائِلا

(1) سقطت من الوافي: 262/8.

(2) في الوافي: "اليوم المشمس".

(3) زيادة وردت في الوافي.

(4) في الأصل: "ومحى".

(5) في الوافي: " وقصّر من ذيلها، وقهقر من سيلها، وأخذ بعقيصتها، وغرّق في تيار النّهار سوداء ليلها".

(6) سقطت العبارة من الوافي.

(7) زيادة وردت في الوافي.

(8) في الوافي: 263/8: "النّبات".

(9) في (ص): "مست"، وهو تحريف، لعلّها: "أمست مغانيها".

مَهْــلاً أبَا العَبَّــاسِ قَــدْ أفْحَمْتَنِي وتَــرَكْتَنِــي بَعْــدَ التَّحَلِّــي عَــاطِلا

باللهِ قُــلْ لي عِنْــدَمَــا سَطَّرْتَــهُ هَلْ كُنْتَ تَحْسَبُ[1] أنْ تُجيبَ الفَاضِلا

أقْسَمْتُ لَــو جَارَاكَ[2] في إنْشَائِــهِ مَــا كَــانَ ضَــمَّ على اليَــرَاعِ أنَامِلا

حَرَّكْتُ مِنْــكَ حَمِيَّــةً عَدَوِيَّــةً مَلأتْ فضَــاءَ الطِّرْسِ مِنْــكَ جَحَافِلا

كَــمْ فيــهِ مِنْ لامِ كَلاَمَــةِ فَارِسٍ قَــدْ هَــزَّ مِنْ ألْفَاتِ[3] خَطِّكَ[4] ذَابِلا

هَلْ شِئْتَ أنْ تُنْشِي الجَوَابَ سَحَابَةً تَنْــدَى فَجَــاءَتْ مِنْــكَ سَيْلاً سَائلا

يَــا فَــارِسَ الإنْشَاءِ رِفْقَــاً بالّذي نَــازَلْتُــهُ يَــوْمَ التَّــرَسُّــلِ رَاجِــلا

لَوْ رَامَ أنْ يَجْــرِي وَرَاءكَ خُطْوَةً نَصَبَــتْ لَــهُ تِــلْكَ الحُرُوفُ حَبَائِلا

فَاحِبْسْ عنَانَكَ قَدْ تَجَاوَزْتَ المَدَى وتَرَكْتَ سَحْبَانَ[5] الفَصَاحَــةِ بَاقِلا[6]

والفَاضِــلَ[7] المِسْكِيْنَ أصْبَــحَ فَنُّهُ مِــنْ بَعْــدِ مَا قَــدْ رَاجَ فِيْنَــا خَامِلا

فَاسْلَــمْ لِتَبْلِيْــغِ النَّــفُوسِ مَرَامِهَا فالدَّهْــرُ في أثْــوَابِ فَضْــلِكَ مَاثِلا[8]

كَــمْ فِيْــكَ لِي أمَلٍ يَرُوْقُ لأنَّنِي أدْرِي بِأنَّــكَ لا تُــخَيِّــبُ آمِلا

وكَتَبْتُ أنَا الجَوَابَ إليهِ[9]:

وَافَى الكَمِيُّ بِهَا يَهزُّ مَنَاصِلاً ويَــرُومُ[10] صِبْغاً للشَّبِيْبَــةِ نَاصِلا

سَبَقَ الظَّلامُ بَهَارَ نَبَّهَ[11] لَيْلَهُ ولو أنَّهُ فِي الفَجْرِ حَلَّــى العَاطِلا

حَمْرَاء قَانِيَة يَذُوْبُ شُعَاعُهَا وتَرَى حَصَى اليَاقُوْتِ فِيْهَا سَائِلا

حَمْرَاء قَانِيَة تَحْتَ كؤوسِهَا وَقْــعَ الصَّوَارِمِ والوَشِيْجَ الذَّابِلا

---

(1) في الوافي: 263/8: "تزعم".

(2) في الوافي: "باراك".

(3) في (ص): "ألفاظ".

(4) في الوافي: "قدّك".

(5) سبق التّعريف به.

(6) سبق التّعريف به.

(7) المقصود به القاضي الفاضل، وقد سبق التّعريف به.

(8) في الوافي: 264/8: "مائلا".

(9) في الوافي: "فأجاب".

(10) في الأصل: "يرم"، وأثبت ما ورد في الوافي.

(11) في الوافي: "بها بزينة".

ذَهَبِيَّـــةً مَا عَرَقُ عَانَــةَ[1] كَرْمُهَا ... لَكِنَّهَا[2] كَفّ الكَرِيْــمِ شَمَائِلا

كَفّ كَمُنْبَجِسِ[3] النَّـــوَالِ كَأَنَّمَا ... دُفَــعِ السَّيُّـــوْلِ تُمَدُّ مِنْهُ نَائلا

كَــرَمٌ خَلِيْلِـــيٌّ يُمَــدُّ سِمَاطَـــهُ ... ويَشبُّ نَـــاراً للقِرَى وفَوَاضِلا

ولَهِيْـــبُ فِكْرٍ لـــو تَطِيْـــرُ شَرَارَةٌ ... مِنْــهُ لَمَا بَـــلَّ السَّحَابُ الوَابلا

يُـــذْكِي بِهِ فِي كُلِّ صُبْــحَةٍ قِرَّةٍ ... فَهْمَـــاً لِنِيْـــرَانِ القَرَائِـــحِ آكِلا

عَجَبَـــاً لَـــهُ مِنْ سَابِـــقٍ مُتَـــأخِّرٍ ... فَاتَ الأَوَاخِـــرَ ثُمَّ فَـــاتَ أوَائِلا

دَانُـــوْهُ فِي شَبَـــهٍ ومَـــا قِيْسُوا بِهِ ... مَـــنْ ذَا تُـــرَاهُ للغَمَامِ مُسَاجِلا

مَـــاثِـــلْ بِهِ البَحْرَ الخِضَـــمَّ فإنَّهُ ... لا يَـــرْتَضِـــي خُلْقَاً سِوَاهُ مُمَاثِلا

وَافَـــتْ عَقِيْلَتُـــهُ ولو بَـــدَا امرؤٌ[4] ... فيها اسْتَقَلَّ مِنَ البُـــرُوْجِ مَعَاقِلا

جَاءتْ شَبِيْـــه الخُوْدِ فِي حُلَلٍ لَهَا ... حُمْرٍ بِتَـــذْهِيْبِ الخُدُوْدِ لَهَا حُلَى[5]

قَـــدْ خُضِّبَتْ بِدَمِ الحَسُوْدِ أَمَا تَرَى ... أَثَـــرَ السَّوَادِ بِهَـــا عليـــهِ دَلائلا

حُلَلٌ على سَحْبَانِ تَسْحَبُ ذَيْـــلَهَا ... وتَجُـــرُّ مِنْ طَرْفِ الذيولِ الفَاضِلا

خَلَّتْ الهِلالَ يَلُـــوحُ طَلْـــعَ نِقَابِهَا ... حَتَّـــى نَضَتْ فَرَأَيْتُ بَدْرَاً كَامِلا

بِنْتُ القَرِيْحَةِ مَا وَنَتْ فِي خِدْرِهَا ... حُسْنُ المَلِيْحَةِ أنْ تَـــوَاصَلَ عَاجِلا

جَاءتْ تَصُوْغُ مِنْ العِنَاقِ أَسَاوِرَا ... لا بَلْ تَخُوضُ مِنَ السُّيُوْلِ خَلاخِلا

قَبَّـــلْتُهَا وأَعَـــدْتُ تَقْبِيْلِـــي لَهَا ... إنَّ المُـــتَيَّـــمَ لا يَخَـــافُ العَاذِلا

وَأَتَتْ وجَيْشُ النَّوْءِ مَرْهُوبُ السَّطَا ... مَـــلأَ الوجُـــوْدَ لَـــهُ قَنَا وقَنَابِلا[6]

والبَـــرْقُ مَشْبُـــوبُ الضِّرَامِ لأنَّهُ ... صَـــادَ الغَزَالَةَ حَيْثُ مَدَّ حَبَائِلا

وأَنْتَ[7] ورَأْسُ الطَّوْدِ يَشْكُو لِمَّةً ... قَـــدْ عُمِّمَتْ بالثَّلجِ شَيْبَاً شَامِلا

وكَـــأَنَّمَا نَثَرَتْ قُرَاضَـــةَ فِضَّةٍ ... أَيْدِي البُرُوْقِ وقَدْ حَرَقْنَ أنَامِلا

---

(1) اسم موضع وقد سبق الإشارة إليه.

(2) في الوافي: 264/8: "لكنّه".

(3) في الوافي: "لمنبجس".

(4) في الأصل: "امرء"، وأثبت ما هو أولى.

(5) في الوافي: "حمرٍ كنوّار الشّقيق مواثلا"، وفي (ص): "حُلا".

(6) في الوافي: 265/8: "قناً وقبائلا".

(7) في الوافي: "وافت"، لعلّها الصّواب، وفي (ص): "يشكوا"، وأثبت ما هو أولى.

مَلأتْ بِهِ كُلَّ الفَضَــاءِ فَلاَ تَرَى إلاَّ لُجَيْنَــاً جَــامِـدَاً أوْ سَائِلا
والأُفْــقُ كَالكَأسِ المُفَضَّضِ مِلؤُهُ صَهْبَــاءِ قَدْ عَقَدَتْ حَبَابَاً جَائِلا
أبْنَــاءُ[1] يَوْمٍ قَدْ تَقَهْقَرَ ضوءه وبَــدَا ذُبَــالاً في الأصَائِلِ نَاحِلا
والجَــوُّ مُنْخَرِقُ القَمِيْصِ كَأنَّهُ حَنَــقٌ يَقُدُّ مِنَ السَّحَابِ غَلاَئِلا
والسَّيْــلُ مُنْحَدِرٌ يَسِيْلُ[2] مُهَنَّدَاً إفْرَنْــدُهُ[3] ذَهَبٌ يَمدُّ سَلاسِلا
للهِ أنْــتَ أبَــا الصَّفَا فَإنَّنــي أَلْقَــى خَلِيْلاً مِنْكَ لِي ومُخَالِلا
أنْتَ الّذي حَلَّقْتَ صَقْرَاً أجْدَلا وضَمَمْــتَ في بُرْدَيْكَ لَيْثَاً بَاسِلا
يَا مَنْ يُنَفِّقُ سُوْقَ كُلِّ فَضِيْلَــةٍ اسْأرْ[4] فَمَا أبْقَيْتَ بَعْدَكَ فَاضِلا

يَــا فَرِيْــدَاً ألْفَاظُــهُ كَالفَرِيْــدِ ومَجِيْدَاً قَــدْ فَاقَ عَبْدَ المَجِيْدِ[5]
وإمَــامَ الأنَــامِ في كُــلِّ عِلْــمٍ وشَرِيْكَاً في الفَضْلِ للتَّوْحِيْدِي[6]
عَرَفَ[7] العَالِمُوْنَ فَضْلَكَ بالعِلْـــمِ ، وقَالَ الجُهَّالُ بالتَّقْلِيْدِ[8]
مَنْ تَمَنَّــى بأنْ يُــرَى لَكَ شَبَهَاً رَامَ نَقْضَاً بالجَهْلِ حُكْمَ الوجُوْدِ[9]
طَالَ قَدْرِي على السِّمَاكَيْنِ لَمَّا جَاءنِي مِنْكَ[عقد][10] دُرٌّ نَضِيْدِ
شَابَه الــدُّرُّ في النِّظَــامِ ولَمَّا شَابَهَ السِّحْرَ شَابَ رَأسُ الوَلِيْدِ
هــو لُغْزٌ في ذَاتِ خِــدْرٍ مَنِيْعٍ نَزَلَتْ في العُلَى بِقَصْــرٍ مَشِيْدِ

---

(1) في الوافي: 265/8: "أثناء".

(2) في الوافي: "يسلّ".

(3) في (ص): "فرنده".

(4) في الوافي: "أسئر".

(5) هو الحافظ لدين الله العبيدي، عبد المجيد بن محمّد بن المستنصر بالله، تملّك الدّيار المصريّة سنة 524هـ بعد موت الآمر بأحكام الله، كان كثير الفتك بوزرائه، توفي سنة 544هـ. (الأعلام: 150/4).

(6) هو عليّ بن محمّد بن العبّاس، أبو حيّان التّوحيدي نعته ياقوت بشيخ الصّوفية وفيلسوف الأدباء. توفي نحو: 400هـ. (الأعلام: 326/4).

(7) في الوافي: 257/8: "علم".

(8) في (ص): "بالتّقليدي".

(9) في (ص): "الوجودي".

(10) زيادة وردت في الوافي.

هـــي أمُّ الأمِيْــنِ[1] ذَات المَعَالِي مِنْ بَنِــي هَـــاشِمٍ ذَوِي التَّأيِيْدِ
أنْت كُنْتَ الهَـــادِي لِمَعْنَاهُ حَقًّا حِيْنَ لَوَّحْتَ لي بِذِكْرِ الرَّشِيْدِ[2]

وهَذَا آخِرُ مَا خَتَمْنَا بِهِ أهْلَ قُطْرِنَا أحْيَاءً وأمْوَاتًا، ولا حِفْلَةَ[3] بِمَنْ تَخَطَّيْنَاهُ فَوَاتًا، إذْ كَــانَ هَؤلاَءِ هُمْ أعْيَانُ القَوْمِ مِنْ أوَّلِ هَذِهِ المِلَّة وإلى اليَوْمِ مِمَّنْ اشْتُهِرَ لِعُلُوِّ قَدْرِه، أو لِغُلُــوِّ دُرِّه، وثُمَّ بَقَايَا مَا حَلّوا مَعْ أحَدِ هَذَيْنِ، ولا كَانُوا في قِسْمَيْهَا اللّذَيْنِ.

وهَذِهِ جُمْلَةٌ كَافِيَةٌ في الكُتَّابِ المَشَارِقَةِ، وإنَّمَا أطْلَعْنَا شُمُوْسَهُم شَارِقَة، وهي دَالَّةٌ على مَا بَعْدَهَا مِنْ نَهَارٍ يُطْنِبُ في الخَافِقَيْنِ، وبِطِيْبِ مَلأ لي[4] النَّيِّرَيْنِ الشَّارِقَيْنِ.

آخِرُ السِّفْرِ الثَّاني عَشَر مِنْ مِسَالِكِ الأبْصَارِ في مَمَالِكِ الأمْصَارِ
ويَتْلُوْهُ إنْ شَاءَ اللهُ تعالى السِّفْرُ الثَّالث عَشَر، فَأمَّا الكُتَّابُ المَغَارِبَةُ
ومَا لَهُم مِنْ نُجُومٍ غَيْرُ غَارِبَة[5].

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاَةُ والسَّلاَم على سَيِّدِنَا مُحَمَّد
خَاتَمِ النَّبِيِّيْن وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ
"وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْل"

---

(1) هي زبيدة بنت جعفر الهاشميّة العبّاسيّة زوجة هارون الرّشيد وأمّ الأمين، اسمها أمة العزيز وغلب عليها لقبها زبيدة. توفيت سنة: 216هـ . (وفيات الأعيان: 314/2، وتاريخ بغداد: 433/14، والنّجوم الزّاهرة: 213/2، والأعلام: 42/3).

والأمين هو: محمّد بن هارون الرّشيد بن المهديّ بن المنصور (170-198هـ) خليفة عبّاسي، ولد في رصافة بغداد، كان أديباً، رقيق الشّعر، مكثراً من إنفاق الأموال، سيئ التّدبير،...انظر: (الكامل لابن الأثير: 282/6، وفوات الوفيات: 46/4، والأعلام: 127/7).

(2) هو هارون (الرّشيد) ابن محمّد (المهديّ) ابن المنصور، العبّاسيّ، أبو جعفر (149-193هـ): خامس خلفاء الدّولة العبّاسيّة في العراق، وأشهرهم، ولد بالرّي، وتوفي في "سناباذ" من قرى طوس، وبها قبره. انظر: (البداية والنّهاية: 231/10، والأعلام: 62/8).

(3) في (ص): "ولا حلفة".

(4) في الأصل و(ص): "ويطيب ملاني النّيرين"، وأثبت ما هو أولى.

(5) إلى هنا انتهى النّص في الأصل، وتتمّته في (ص).

الملحق

الأعلام المترجم لهم

الآيات القرآنيّة

﴿إنّ الله عليم بذات الصّدور﴾(لقمان: 23): 253.

﴿إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾(البقرة: 247): 234، 399،

﴿إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾(النّساء: 1): 608.

﴿إنّ الله مع الصّابرين﴾(البقرة: 115): 527.

﴿إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار﴾(النّساء: 145): 386.

﴿إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء﴾(يوسف: 53): 439.

﴿إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً﴾(آل عمران: 96): 602.

﴿إن تُطيعوا الّذين كفروا يردّوكم على أعقابكم﴾(آل عمران: 149): 392.

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾(محمّد: 7): 579.

﴿إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين﴾(القصص: 26): 237.

﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النّار﴾(ص: 632و633).

﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾(الفجر: 14): 608.

﴿إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مُقمحون﴾(يس: 8): 453.

﴿إنّا زيّنّا السّماء الدّنيا بزينة الكواكب﴾(الصّافات: 6): 280.

﴿إنّا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشيّ والإشراق﴾(ص: 18): 309.

﴿إنّا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ وإنّا على آثارهم مهتدون﴾(الزّخرف: 22و23): 312.

﴿أنزل على الملكين ببابل﴾(البقرة: 102): 434.

﴿أنزل من السّماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾(الرّعد: 17): 372.

﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(التّوبة: 41):579.

﴿إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾(آل عمران: 178): 453.

﴿إنّما يُبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾(الفتح: 10): 454.

﴿إنّه على كلّ شيء قدير﴾(فصلت: 39): 268.

﴿إنّها ترمي بشرر كالقصر. كأنّه جمالة صفر﴾(المرسلات: 33): 283، 585.

﴿إنّها لإحدى الكبَر﴾(المدّثر: 35): 282.

﴿إنّي آنست ناراً سآتيكم منها بخبر﴾(النّمل: 7، طه: 210، القصص: 29): 300.

﴿أو كالّذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها﴾(البقرة: 259): 446.

﴿أو لم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾(الرّعد: 41): 467.

﴿أو لم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً﴾(السّجدة: 27): 146.

﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه﴾(المجادلة: 22): 268.

ـ ب ـ

﴿بأيّ ذنب قتلت﴾(التّكوير: 9): 248.

﴿بالقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾(آل عمران: 17): 566.

﴿بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾(الأنبياء: 18): 310.

﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النّار﴾(البقرة: 81): 236.

﴿بلغت القلوب الحناجر﴾(الأحزاب: 10): 309.

ـ ت ـ

﴿تبّت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمّالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾(المسد: 1-5): 267.

﴿تبرّأ الّذين اتُّبعوا من الّذين اتّبعوا﴾(البقرة: 166): 311.

﴿ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب﴾(النّمل: 88): 479.

﴿ترمي بشرر كالقصر﴾(المرسلات: 32): 625.

﴿تقدير العزيز العليم﴾(الأنعام: 96، يس: 28، فصلت: 12): 113.

﴿تقطّعت بهم الأسباب﴾(البقرة: 166): 311.

﴿تكاد تميّز من الغيظ﴾(الملك: 8): 371.

﴿تلقف ما صنعوا﴾(طه: 69): 588.

﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾(القصص: 83): 239.

﴿تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها﴾(إبراهيم: 25): 259.

﴿تؤتي الملك من تشاء وتنـــزع الملك ممّن تشاء﴾(آل عمران: 36): 201.

ـ ث ـ

﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾(التوبة: 40): 400.

﴿ثمّ ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البّصر خاسئاً وهو حسير﴾(الملك: 4): 463.

﴿ثمّ دنا فتدلّى﴾(النّجم: 8): 445.

﴿ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً﴾(النّساء: 65): 471.

ـ جـ ـ

﴿جنّة وحريراً﴾(الدّهر: 12): 627.

﴿جهنّم وبئس المصير﴾(المجادلة: 8): 634.

ـ حـ ـ

﴿حتّى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق﴾(محمّد: 4): 283.

﴿حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك﴾(الأحقاف: 15): 131،

﴿حتّى إذا جاءوها وفُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾(النّبأ: 73): 464.

﴿حتّى تبلغ القلوب الحناجر﴾(الأحزاب: 10): 538.

﴿حتّى تضع الحرب أوزارها﴾(محمّد: 4): 301، 597.

﴿حصيداً كأن لم تغن بالأمس﴾(يونس: 24): 466.

﴿حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾(المدّثر: 50): 580.

﴿حور مقصورات في الخيام﴾(الرّحمن: 72): 323.

- خـ -

- د -

- ذ -

- ر -

ـ ظ ـ

﴿ظهر أمر الله وهم كارهون﴾(التّوبة: 84): 282.

ـ ع ـ

﴿عالم الغيب والشّهادة﴾(الأنعام: 73): 432.

﴿عبس وتولّى﴾(عبس: 1): 445.

﴿على بيّنة من ربّه﴾(هود: 17): 581.

﴿عليهم دائرة السّوء﴾(التّوبة: 98): 627.

﴿عمّ يتساءلون، عن النّبأ العظيم﴾(النّبأ: 1و2): 429.

﴿عند مليك مُقتدر﴾(القمر:55): 234.

﴿عنده علم من الكتاب﴾(النّمل: 40): 479.

- ف -

﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم﴾(طه: 78): 463.

﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً﴾(مريم: 27): 386.

﴿فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح﴾(الكهف: 45): 372، 504.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج﴾(الحجّ: 5): 440.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾(الإسراء: 104): 313.

﴿فإذا حبالهم وعصيّهم يُخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾(طه: 66): 454، 588.

﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾(النّحل: 112): 197.

﴿فأراد ربُّك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنـــزهما﴾(الكهف: 82): 406.

﴿فأصبح هشيماً﴾(الكهف: 45): 102، 207،

﴿فالّذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأُوذوا في سبيلي وقتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم﴾(آل عمران: 195): 268.

﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾(الشّعراء: 45): 642.

— ق —

ـ ك ـ

ـ ل ـ

— م —

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً﴾(يوسف: 100): 468.

﴿هذا فرات وهذا ملح أُجاج﴾(الفرقان: 25و53): 578.

﴿هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾(النّمل: 40): 415.

﴿هذه بضاعتنا رُدّت إلينا﴾(يوسف: 65): 144.

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾(الغاشية: 1): 625.

﴿هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾(البقرة: 210): 503.

﴿هو الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينــزل من السّماء وما يعرج فيها﴾(الحديد: 4): 483.

ـ و ـ

﴿واتّقوا الله الّذي تساءلون به والأرحام﴾(النّساء: 1): 401.

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾(البقرة: 189): 317.

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾(طه: 29-32): 414.

﴿واجعلنا للمتّقين إماماً﴾(الفرقان: 74): 581.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾(الحجر: 88): 270.

﴿واخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة﴾(الإسراء: 24): 302.

﴿وادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حطّة﴾(البقرة: 58): 274.

﴿وإذ بوّأنا إبراهيم مكان البيت﴾(الحج: 26): 602.

﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾(الأحزاب: 10): 430.

﴿وإذ غدوت من أهلك تُبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾(آل عمران: 121): 450.

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾(الكهف: 60): 374.

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة﴾(البقرة: 13): 182.

﴿وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾(البقرة: 60، الشّعراء: 63): 264، 301.

﴿وإذا النّجوم انكدرت﴾(التّكوير: 2): 372.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾(فصلت: 51): 250.

﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾(الإنسان: 20): 311.

﴿وأرسلنا السّماء عليهم مدراراً﴾(الأنعام: 6): 408.

﴿واشتعل الرّأس شيباً﴾(مريم: 4): 212، 546، 603.

﴿واصبر على ما أصابك﴾(لقمان:17): 83.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾(آل عمران: 103): 468، 469.

﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾(الأنفال: 60): 502.

﴿واعرض عن الجاهلين﴾(الأعراف: 199): 399.

﴿واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه﴾(الأنفال: 24): 567.

﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾(النّازعات: 29): 648.

﴿والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر﴾(لقمان: 27): 512.

﴿والتّين والزّيتون، وطور سنين، وهذا البلد الأمين﴾(التّين: 1-3): 356.

﴿والّذي نزّل من السّماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدةً ميتاً﴾(الزّخرف: 11): 440.

﴿والّذين في أموالهم حقّ معلوم، للسّائل والمحروم﴾(المعارج:24و25):76، 275،

﴿والّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾(النّور: 39): 311.

﴿والّذين يكنــزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾(التّوبة: 34): 266.

﴿والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون﴾(الواقعة: 10و11): 489.

﴿والسّماء والطّارق، وما أدراك ما الطّارق، النّجم الثّاقب﴾(الطّارق: 1-3): 449.

﴿والشّعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون﴾(الشّعراء: 224و225): 330.

﴿وجعلنا آية النّهار مبصرة﴾(الإسراء: 12): 604.

﴿وجعلنا سراجاً وهّاجاً﴾(النّبأ: 13): 304.

﴿وجعلناها رُجُوماً للشّياطين﴾(الملك: 5): 363، 448، 449، 464،

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾(القصص: 15): 357.

﴿وردّ الله الّذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾(الأحزاب: 25): 494.

﴿ورفع أبويه على العرش وخرُّوا له سُجّداً﴾(يوسف: 100): 410.

﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سُخريّاً﴾(الزّخرف: 32): 386.

﴿وزرابيّ مبثوثة﴾(الغاشية: 16): 617.

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم﴾آل عمران: 133): 478.

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾(يس: 78): 408.

﴿وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾(البقرة: 61): 454.

﴿وظلّلنا عليهم الغمام﴾(الأعراف: 160): 463.

﴿وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرّعب﴾(الحشر: 2): 118.

﴿وظهر أمر الله وهم كارهون﴾(التّوبة: 48): 118.

﴿وعجلت إليك ربّ لترضى﴾(طه: 84): 464، 475.

﴿وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾(النّور: 55): 359.

﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة﴾(البقرة: 31): 514.

﴿وفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾(الواقعة: 33): 589.

﴿وفتحت السّماء فكانت أبواباً، وسيّرت الجبال فكانت سراباً﴾(النّبأ: 19و20): 251.

﴿وفرحوا بالحياة الدّنيا وما الحياة الدّنيا في الآخرة إلاّ متاع﴾(الرّعد: 26): 383.

﴿وفي أموالهم حقّ للسّائل والمحروم﴾(الذّاريات:19):76، 275،

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾(المطففين: 26): 266.

﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين﴾(الزّخرف:71): 131،

﴿وقاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة واعلموا أنّ الله مع المتّقين﴾(التّوبة: 36): 579.

﴿وقال الملك ائتوني به﴾(يوسف: 50و54): 234.

﴿وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك الّتي أنعمت عليّ﴾(النّمل: 19): 261، 298.

﴿وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً﴾(نوح: 26و27): 255، 588.

﴿وقالوا الحمد لله الّذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور. الّذي أحلّنا دار المقامة من فضله﴾(فاطر: 34و35):106.

﴿وقد فاز فوزاً عظيماً﴾(الأحزاب: 71): 103.

﴿وقودها النّاس والحجارة﴾(البقرة: 24، التّحريم: 6): 282، 625.

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر﴾(هود: 44): 363.

﴿وكأساً دهاقاً﴾(النّبأ: 34): 283.

﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً﴾(الكهف: 79): 569.

﴿وكأنّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير أو تهوي به الرّيح في مكان سحيق﴾(الحجّ: 31): 578.

﴿وكأين من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم﴾(العنكبوت: 60): 399.

﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾(يوسف: 21): 356.

﴿وكلّ في فلك يسبحون﴾(الأنبياء: 33): 480.

﴿وكُلا منها رغداً﴾(البقرة:35): 85.

﴿وكواعب أتراباً﴾(النّبأ: 33): 280.

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحُكّام﴾(البقرة: 188): 254.

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾(الإسراء:29): 83، 484،

﴿ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾(آل عمران: 169): 433.

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل ربِّ زدني علماً﴾(طه: 114): 490.

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾(النّحل: 91): 239، 202.

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾(آل عمران: 139): 251.

﴿ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نُملي لهم خير لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مُهين﴾(آل عمران: 178): 525.

﴿ولا يزال الّذين كفروا تُصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم﴾(الرّعد: 31): 504.

﴿ولتعلمنّ نبأه بعد حين﴾(ص: 88): 171.

﴿ولسليمان الرّيح غدوّها شهر ورواحها شهر﴾(سبأ: 12): 480.

﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك وأولئك يدعون إلى النّار﴾(البقرة: 221): 563.

﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوبي معه والطّير وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدّر في السّرد﴾(سبأ: 10و11): 211.

﴿ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قُلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من السّاجدين. قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصّاغرين﴾(الأعراف: 11-13): 475.

﴿ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون﴾(الأنبياء: 105): 253.

﴿ولكلّ قوم هاد﴾(الرّعد: 7): 101.

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾(الأعراف: 180): 458.

﴿وله أسلم من في السّموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾(آل عمران: 83): 434.

﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾(النّساء: 122): 490.

﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾(الشّورى: 32): 476.

﴿ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت﴾(فصلت: 39): 513.

﴿ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه﴾(النّمل: 40): 513.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾(المائدة:47):57.

﴿ومن لم يطعمه فإنّه منّي إلاّ من اغترف غرفة بيده﴾(البقرة: 249): 399.

﴿ومن يرد ثواب الدّنيا نؤته منها﴾(آل عمران: 145): 316.

﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾(الرّعد: 33): 416.

﴿ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾(الزّخرف: 36): 281.

﴿ومنهم أُميُّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ﴾(البقرة: 78): 274.

﴿ونبّئهم أنّ الماء بينهم قسمة﴾(القمر: 28): 363.

﴿وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النّار هُدى﴾(طه: 9و10، القصص: 29): 264، 396،

﴿وهم من كلّ حدب ينسلون﴾(الأنبياء: 96):97، 323،

﴿وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار﴾('لأنعام: 60): 609.

﴿وهو العليّ العظيم﴾(البقرة: 255): 199.

﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾(الشّورى: 29): 106، 289، 428.

﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب. إذ عُرض عليه بالعشيّ الصّافنات الجياد. فقال إنّي أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي حتّى توارت بالحجاب﴾(ص: 30-32): 480.

﴿ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبل﴾(يوسف: 6): 468.

﴿ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية﴾(الحاقّة: 17): 437.

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون﴾(الطّور: 24): 403.

ـ ي ـ

الأحاديث النّبويّة الشّريفة

ـ أ ـ

" إنّ القلم رُفع عن ثلاثة: عن المجنون حتّى يفيق، وعن الصّبيّ حتّى يُدرك، وعن النّائم حتّى يستيقظ": 145، 505.

" إنّ الله لم يحرّم حرمة إلاّ وقد علم أنّه سيطلعها منكم مطلع، ألا وإنّي آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النّار كتهافت الفراش أو الذّباب": 389.

" إنّ من البيان لسحراً، أو إنّ بعض البيان سحر" 275، 470، 531.

" إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى": 4886.

" أنا فرطكم على الحوض": 319.

" انكحوا أمهات الأولاد فإنّي أباهي بهم يوم القيامة": 433.

" إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه": 468.

" أيّها النّاس! اتّقوا الله وأجملوا في الطّلب، فإنّ نفساً لن تموت حتّى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطّلب، خذوا ما حلّ ودعوا ما حرّم": 353.

ـ ب ـ

" بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء": 360، 430.

ـ ت ـ

" تداووا فإنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ لم يضع داءً إلاّ وضع له دواء غير داء واحد الهرم": 374.

" تعشّوا ولو بكفّ من حشف فإنّ ترك العشاء مهرمة": 81.

ـ ث ـ

" ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتّى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون": 567.

" ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه": 536.

" عليكم بسير اللّيل، فإنّ الأرض تطوى باللّيل ما لا تطوى بالنّهار، وإيّاكم والتّعريس على الطّريق، فإنّها طرق الدّواب ومأوى الحيّات": 387، 494.

" عمّ الرّجل صنو أبيه أو من صنو أبيه": 117.

ـ ق ـ

" القضاة ثلاثة: واحد في الجنّة، واثنان في النّار، فأمّا الّذي في الجنّة فرجل عرف الحقّ فقضى به، ورجل عرف الحقّ فجار في الحكم فهو في النّار، ورجل قضى للنّاس على جهل فهو في النّار": 468.

ـ ك ـ

" كان رسول الله ـصلّى الله عليه وسلّمـ : يُحبّ الحلواء والعسل": 81.

" كلّكم حارث وكلّكم همام": 99.

ـ ل ـ

"لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرّجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه": 244.

" لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى": 566، 589.

" لا تقصّ الرّؤيا إلاّ على حبيب أو لبيب": 409.

" لفقيه واحد أشدّ على الشّيطان من ألف عابد": 511.

ـ م ـ

"ما عاب رسول الله ـصلّى الله عليه وسلّمـ طعاماً قطّ، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه": 76.

" ما من مصيبة يُصاب بها المسلم إلاّ كُفّر بها عنه حتّى الشّوكة يشاكها": 401.

" من أصبح منكم معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدّنيا": 407

" من تأنّى أصاب أو كاد ومن عجّل أخطأ أو كاد": 491.

" من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه": 401.

" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين وإنّما العلم بالتّعليم": 519.

ـ ن ـ

" نصرت بالرّعب مسيرة شهر": 495.

ـ هـ ـ

" هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة": 587.

ـ و ـ

" واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السّيوف": 530.

" والّذي نفسي بيده لا يُكْلَم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلاّ وجاء يوم القيامة واللّون لون دم والرّيح ريح مسك": 409.

" وقد جدع الإسلام أنف الغيرة": 117.

ـ ي ـ

" يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله،...": 479.

الأمثال والأقوال

_ أ _

ـ حـ ـ

ـ خـ ـ

ـ ر ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

صارت القوس ركوة (مثل): 185.

ـ ض ـ

الضّرورات تبيح المحضورات (قول): 402.

ـ ط ـ

طالب عذر كمنجح (مثل): 457.

ـ ع ـ

عداك ذمّ وتخطّاك لوم (قول): 476.

عداك العيب (قول): 476.

علقت معالقها وصرّ الجندب (قول): 585.

عليكم بمباكرة الغداء فإنّ مباكرته تطيّب النّكهة وتعين على المروءة،... (قول): 81.

عند الصّباح يحمد القوم السّرى (مثل): 557.

ـ ف ـ

فلان حلب الدّهر أشطره (قول): 372.

ـ ق ـ

قد بلغ السّيل الزّبى (مثل): 176.

قد يبلغ الخضم بالقضم (قول): 132.

قلب لهم ظهر المجن (مثل): 465.

ـ ك ـ

كالقابض على الماء (مثل): 635.

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

الأشعار

_ الهمزة _

بداية البيت	القافية	الشّاعر	الأبيات	الصّفحة
والسّيف	الكلا	بديع الزّمان	2	141و142
خليليّ	فناءها	ابن شهيد	1	612
فبالمجد	بقاؤُه	الببغا	7	121و122
وشمائل	الأعداءُ	السّري الرّفاء	1	494
من ثغره	الظّلماءُ	القاضي الفاضل	4	342و343
رأيت	الوفاءُ	أبو تمام	2	377
فلا وأبيك	الحياءُ	جميل بن المعلّى	2	377
باضطراب	البلاءُ	ابن زبّادة	2	413
وتجاريا	سواءُ	مجهول	1	483
والسّرو	الملاءُ	الشّهاب محمود الحلبي	3	542
مثل النّجوم	راءُ	= = =	4	544
قالت	الحكماءُ	بعض الشّعراء	2	604
ما بالها	الرّقباءُ	ابن الرّومي	2	633
ومن العجائب	بالنّعماءِ	الصّابي	1	94
برز	وسمائِهِ	بديع الزّمان	12	186و187
من لم يبت	الأحشاءِ	القاضي الفاضل	1	287
أشكو إليك	أحشائي	= =	2	336
إنّ الشّجاعة	أسمائِهِ	= =	2	336
دع	دائِها	= =	6	349و349
قل للإمام	ولائِهِ	العماد الأصبهاني	2	365
قد كان	بالإغفاءِ	= =	2	367

للرّوض	الجنوبُ	ابن الأثير الجزري	11	444
إن قاتلوا	غُلبوا	مجهول	1	467
وأُرسلت	تهابُ	أميّة بن أبي الصّلت	1	474
يُريك	عواقبُه	التّهامي	1	481
فراحوا	هاربُه	بشار	1	504، 521
				524،
وكأنّما	أحبابُ	الشّهاب محمود الحلبي	4	542
وارحل	حطبُ	السّري الرّفاء	1	549
وكم أوجه	كوكبُ	الشّهاب محمود الحلبي	2	568
بكته	نوادبُهُ	= = =	7	570
يقول	تتعبُ	خليل بن أيبك الصّفدي	2	634و 635
يشتهي	أباهُ	الصّابي	2	94
لئن صرت	النّجائب	الصّابي	2	94
تطول	المواهبِ	الببغا	2	122
أيّها النّابح	لجوابي	الصّابي	2	90
يا ذا الّذي	الرّيبِ	الصّابي	2	94
صدّ عنّي	الأحبابِ	الصّابي	2	94
يجلُّ	المغضبِ	الببغا	2	123
ذهب	الأجربِ	لبيد	1	143
أُناسٌ	المشاجبِ	مجهول	1	181
وقد	بالإيابِ	امرؤ القيس	1	214، 260
				561،
ولو لاقيت	بالإيابِ	عبيد بن الأبرص	1	214
أأحبابنا	عاتبِ	القاضي الفاضل	2	285
كمثل	أثوابِهِ	= =	1	290

وأعجب	كتاب	=	= 2	293
أن يلاطف	قربي	القاضي الفاضل	3	297
لاح وفي	بلبلاب	=	= 3	335
يا غزالا	الحجب	=	= 6	348
ولست	المهذب	النابغة	1	346
ماء الصبي	وتلهب	العماد الأصبهاني	2	367
وهن	الرقاب	مجهول	1	377
وما تدرك	الكواكب	ابن أبي الحديد	3	423
كأن	يثقب	امرؤ القيس	1	523،427
يقول	بالرغائب	ابن بصاقة	4	434
لمع	متعب	الشيباني	2	440
قد أسفر	الشراب	ابن الأثير الجزري	5	442
من بعد	الأشب	أبو تمام	1	471
لبسوا	غراب	مجهول	1	474
يمسي	الأشهب	البحتري	1	484
كأن	جانب	أبو تمام	1	486
والحرب	الرهب	الحيص بيص	2	491
وصيروا	منقلب	أبو تمام	1	491
ولولا سليمان	مغرب	مجهول	1	499
إذا ما	بعصائب	النابغة الذبياني	1	608،499
مكارم	الكواكب	أبو تمام	1	624،552،501
نمش	مهضب	امرؤ القيس	1	523
لم يغز	الرعب	أبو تمام	1	562
ومن سر	وقلوب	المتنبي	1	563
تبدي	محتجب	الشهاب محمود الحلبي	2	574

— د —

ومتى	عهدوا	الشّريف الرّضي	1	274
إذا فكرت	أجودُ	القاضي الفاضل	1	292
وآيتها	جاحدُ	مجهول	1	511،316
لا تحدّث	بعيدُ	القاضي الفاضل	6	336
وعلى السّوالفِ	مقيّدُ	العماد الأصبهاني	4	368
تفرّقت	يصيدُ	مجهول	1	389
ما زلت	الفرقدُ	المتنبّي	1	407
وأهيف	يميدُ	ابن أبي الحديد	2	421
ومهفهف	توريدُهُ	الشّيباني	2	440
كأنّ على	سدُّ	العاملي	1	562
واستبدّت	يستبدُّ	عمر بن أبي ربيعة	1	632
كأنّما اليوم	جاحدُ	صلاح الدّين الصّفدي	2	649
قلم يفلّ	الأغمادِ	الصّابي	2	86
قبّلت	والشّهدِ	الصّابي	2	92
وقالوا	تتردّدِ	الصّابي	2	92
يا مسقمي	جسدي	الببغا	2	126
وكأنّما	الجلمدِ	الببغا	2	126
وتبسّم	ندي	طرفة بن العبد	1	134
ما يفعل	ثمود	مجهول	2	135
أحبّك	بعيدِ	المتنبّي	1	155
وكأنّ	القيدِ	مجهول	1	170
نظرتُ	العُوّدِ	النّابغة	1	540،173
ليس	واحدِ	أبو نوُاس	1	374 ،176
أنعى	بموجودِ	أشجع بن عمرو السّلمي	2	210
إنّي لأذكركم	البارِدِ	الطّغرائي	10	217

وكيف	القتادِ	المتنبّي	1	225
وليس	واحدِ	أبو نواس	1	230
جليدٌ	بالجلدِ	أبو تمام	1	226
حتّى	بلدِه	القاضي الفاضل	2	290
لخولة	اليدِ	طرفة بن العبد	1	299
جرت	ميعادِ	الأسود بن يعفر	1	306،
ولم أرَ	بواحدِ	البحتري	1	316،528
أيا بدر	فاجهدِ	القاضي الفاضل	4	334و 335
وفوا	للمهنّدِ	= =	4	335
خليليّ	بعدي	= =	6	335
كأنّ	وبالمديدِ	ابن عنين	2	371
إنّي لأعظم	النّكدِ	ابن زبّادة	2	414
يا ماجداً	ممدودِ	= =	2	414
أسرى	زنادِ	ابن أبي الحديد	4	421و 422
وعارية	بالبردِ	ابن بصاقة	2	437
في روضة	مُهنّدِ	الشّيباني	2	441
إنّي رأيت	عندي	ابن الأثير اجزري	2	443
يجود	الجودِ	مسلم بن الوليد	1	452،539
لعلّ هدوءاً	مهدهِ	مجهول	2	477
فإنّي رأيت	بسرمدِ	أبو تمام	1	477
ولو يستوي	الجهادِ	مجهول	1	478
جرت	ميعادِ	الأسود بن يعفر	1	483،
أضحت	لُبدِ	النّابغة	1	498،551
وإنّ فقيهاً	عابدِ	مجهول	1	511
الله يعلم	مُزبدِ	الحارث بن هشام	4	529

كأنّهم	والجاحدِ	الشّهاب محمود الحلبي	2	545
شكَّ	العضدِ	النّابغة	1	555
ملك	وجلادهِ	الشّهاب محمود الحلبي	4	568
أنزلت	الحسدِ	زين الدّين الصّفدي	2	609
تقول	المشيدِ	صلاح الدّين الصّفدي	2	623و 624
فلو نشدت	منشدِ	مجهول	1	624
أجاد	لمعبدِ	مجهول	1	624
محاسن	لمعبدِ	أبو تمام	1	624
يا فريداً	عبد المجيدِ	صلاح الدّين الصّفدي	9	653و 654
تهدي	بائدْ	المتنبّي	1	462

— ر —

حمراء	عطّارا	الصّابي	2	92
وهبت	العمرا	الصّابي	4	92
فإنّا ومن	خيبرا	خارجة بن ضرار	1	102
فإنّك	خيبرا	مجهول	1	102
وحتّى ظنّ	هُجرا	مجهول	1	132، 160
نصحتك	مُرّا	بديع الزّمان	2	159و 160
أفاطم	بشرا	بشر بن عوانة العبدي	1	159
يعزُّ	قهرا	بديع الزّمان	2	193
أحولي	عُمارا	عنترة	1	197
ما زال	المتخيّرا	ابن أبي الشّخباء	9	228و 229
وبي غمرة	غِمارا	القاضي الفاضل	8	287و 289
وممسحةٍ	تُبارى	= =	2	334
برأيكم	ومدارى	= =	6	340

لا تسمعنّ	الفرا	ابن عنين	1	374
ألف	كسيرا	ابن الأعرابي	1	385
وإذا سكتّ	منبرا	المتنبّي	1	400و458
يا هاجري	يهجرا	ابن أبي الحديد	2	424
ومن كنت	كبارا	المتنبّي	1	457
وخلّف	والنّظرا	أبو العتاهية	1	473
جاء	انبهرا	= =	1	473
والماء	استقرّا	ابن قلاقس	1	476
والمهد	ومرّا	مجهول	1	477
وبنقله	نحرا	ابن قلاقس	1	478
أشبهن	صورا	مجهول	1	485
نزوركم	زارا	مجهول	1	505
مثل العقارب	النّظرا	الشّهاب محمود الحلبي	3	544
بانوا	كرى	= = =	4	568
والثّريّا	دُرّا	سليمان الماrديني	2	590
وبالأرض	بهارا	سليمان بن الخضر الطّائفي	1	625
كأنّما اللّيل	مُعرّى	صلاح الدّين الصّفدي	2	637
شققنا	المرارَة	الصّنوبريّ	1	259
وميدان	أُكْرَه	القاضي الفاضل	3	333
له يد	منتشرُ	الصّابي	2	56
نحن	ينتقرُ	مجهول	1	76
أوردهم	منحورُ	علقمة الفحل	1	96
أما والّذي	الأمرُ	أبو صخر الهذلي	1	104
وراحت	بواكرُ	أبو فراس الحمداني	1	118
أنا لقرب	الخمرُ	بديع الزّمان	4	137و138

وإنّي لتعروني	القطرُ	أبو صخر الهذلي	1	137
ثمّ رأى	حمارُ	مجهول	1	158
فما النّفس	غديرُها	عمارة	1	152
يا قوم	قبروا	بديع الزّمان	1	193
فلا هدى	عثروا	الأخطل	1	196، 488
يوم	مزرورُ	مجهول	1	207
وكنت	سفورُها	توبة بن الحمير	1	213
فألقت	المسافرُ	عبد ربّه السّلمي	1	243، 288، 310، 462، 519، 621
فإن كان	العذرُ	مجهول	1	278
حتّى	معصفرُ	يحيى بن الفضل	1	283
وزمان	الأخيرُ	القاضي الفاضل	2	289
لو زارني	أنوارُها	مجهول	1	294
قد ذكرنا	وشهورُ	القاضي الفاضل	2	295
وإن أمراً	لصبورُ	مجهول	1	300
إذا جاء	والسّاحرُ	مجهول	1	305
أغرّ	نارُ	الخنساء	1	324، 594، 625
فألقت	محافرُهُ	مجهول	1	329
أأنت في	القمرُ	القاضي الفاضل	28	343–345
حيرتي	مجاورُها	العماد الأصبهاني	2	365
في بردك	الأمطارُ	= =	2	365
فبتّ	عذورُ	مجهول	1	432
عصيٌّ	يقصّرُ	ابن بصاقة	4	435
أعليّ	ينهرُ	الشّيباني	2	439
ولم يطلع	البدرُ	=	2	441

باعد	قصورِها	مجهول	1	272
سقى	وقطرِهِ	القاضي الفاضل	7	286
إنّ البنان	للخنصرِ	= =	4	331
أرى شيي	سرٍّ	القاضي الفاضل	2	341و342
أمنّا	المتناصرِ	= =	13	345و346
وانظر	عنبرِ	ابن المعتز	1	333، 426، 606
متى	وزرِ	فتيان الشّاغوريّ	2	371، 419
سأشكر	عُذرِهِ	القاضي الفاضل	2	336
تردّى	خُضرِ	أبو تمام	1	377
إنّما أنت	بِعَمْرِ	مجهول	1	391
فإنّي والهجاء	بالنّذورِ	مجهول	1	405
والدّرّ	التّصاويرِ	مجهول	1	412
أبدت	الشّعرِ	ابن أبي الحديد	2	424
وأبيض	بشكرِهِ	ابن بصاقة	4	435
يعضّ	ثغرِ	= =	2	437
والمشمش	الشّجرِ	الشّيباني	3	441
والشّمس	المعجرِ	ابن الأثير الجزري	6	442و443
زهر	النّهارِ	= = =	2	443
إنّ القضاة	الأخبارِ	مجهول	3	468
والمرء	يسرِ	المعري	1	477
والمرء	وكرهِ	أبو فراس الحمداني	1	477
لولا التّغرب	النّحورِ	مجهول	1	478
همنا	بدرِ	قيس بن الخطيم	1	489
كتبت	بالسّحرِ	ابن الحلاوي	2	513
فدفعتها	الغديرِ	المنخّل اليشكري	1	548

مدبّجة	النّهارِ	الشّهاب محمود الحلبي	2	549
له جسم	نارِ	= = =	2	554
دع اليراع	فافتخرِ	المعريّ	2	600
أقول	بالاعتذارِ	زين الدّين الصّفدي	2	609
ولّما جاءني	يجري	= = =	2	609
جاء	الواري	صلاح الدّين الصّفدي	7	631
يا ربّ	الغامرِ	= = =	2	634
ومن طوى	مستنكرهْ	الصّابي	2	93
ضربت	فاستقرْ	سويد بن خذّاق	1	161
كلون	الظّفرْ	الشّهاب محمود الحلبي	2	546

ــ ز ــ

يا غازياً	غزا	الببغا	2	126و127
فمن ظنّ	عجزا	الخنساء	1	159، 527
إذا حلّت	حرزا	اليماني	12	591و592
كالهندوانيّ	المناجزِ	عبيد	1	498
وحديثها	المتحرّزِ	ابن الرّومي	3	433، 530
شرك	المستوفزِ	= =	1	531
وألبستني	مبارزِ	ابن المعتز	1	498

ــ س ــ

وأسأل	خرسا	العماد الأصبهاني	3	364
ما طبت	نفسا	= =	4	364
يا صاحبيّ	طساسها	الحسن بن عبد الله	2	358، 513
غبت	مأنوسا	ابن بصاقة	2	434

أما ترى	حارسا	ابن الأثير الجزري	3	444
يصحّني	وأنتكسُ	ابن أبي الحديد	1	424
بلدٌ	الطّاووسُ	صلاح الدّين الصّفدي	2	620
عذارك	والنّرجسُ	= = =	2	640
ولو أنّ	الشّمسُ	مجهول	1	477
إنّا لتملكنا	حرسُ	زين الدّين الصَّفدي	9	610
مرّت	مُلتبسُ	ابن فضل الله العمري	14	610و611
وللسّر	أنفاسي	الصّابي	2	87
في روضة	الطّواويسِ	أبو الفضل بن وفاء	1	96
شيخٌ	الهوسِ	عليّ بن أفلح	2	100
وما أنا	بآيسِ	القاضي الفاضل	1	286
وإذا اجتليت	لُعس	= =	1	337
يدٌ	والكأسِ	ابن أبي الحديد	4	432
وأهيف	شماسِهْ	ابن الأثير الجزريّ	2	412
وكمثرى	العبوسِ	= = =	2	442
إلى الله	المداعسِ	ابن قرناص	2	447
وتلوح	أبنوسِ	العسكري	1	549
له من	والرّاسِ	الشّهاب محمود الحلبي	2	553
وقد ألف	العرائسِ	القاضي الفاضل	1	481
إذا ركبوا	المجالسِ	مجهول	1	630
ولّى	تنفّسْ	الشّهاب محمود الحلبي	5	574

ـ ش ـ

إذا هزّ	أرقشا	القاضي الفاضل	8	349و350
فرشت	مفروشها	شرف الدّين الأنصاريّ	1	452

أنت عش	أنتعش	البستي	1	476

ـ ص ـ

وحان	المشاقصِ	الطّغرائي	16	218و219

ـ ض ـ

يا صاحبي	مرضا	الطّغرائي	11	220
بي منه	ومضا	مجهول	1	291
رأتني	فيضا	الشّهاب محمود الحلبي	2	568
مضوا	قرضا	= = =	2	569
بانوا	ومُعرضا	= = =	2	575
أعدى	مرضُ	ابن أبي الحديد	2	422
قل لعاً	نهوضُ	أبو تمام	1	487
أبقى	ببياضِ	أبو الشّيص	1	184
يا قاضياً	راضِ	أبو بكر الخوارزمي	6	184و185
أزيد	بعضي	الطّغرائي	2	223
كأنّ	مفضّضِ	ابن المعتز	1	255
يطرزها	مبيضٍّ	سيف الدّولة الحمداني	2	426و427،630
نثر	ومفضّضِ	ابن الأثير الجزري	2	443

ـ ط ـ

ومهلكة	الخطا	ابن المعتز	1	387
لا تنكرنّ	وخطا	ابن عبد الظّاهر	2	508و509
أقلام	وخطا	ابن العطار(الشّيباني)	2	509

بالله	محاقِ	القاضي الفاضل	2	342
يا مالك	وخُلقِ	= =	4	349
أفدي	والطّرقِ	ابن أبي الحديد	5	422
أما ترى	الورقِ	الشّيباني	4	441
مَن لقلبي	والعقيقِ	ابن قرناص	2	446
نجعت	وأرزاقِها	مجهول	1	500
من كلِّ	الأخلاقِ	الشّهاب محمود الحلبي	2	543
يا راكب	أُفقِ	= = =	5	576
يا من	الرّمقِ	ابن حمائل	3	583
أمسك	الغدقِ	ابن فضل الله العمري	6	583
حُرثت	بشقيقِ	مجهول	2	633
نظرت	الحقيقي	صلاح الدّين الصّفدي	2	640
لا ترع	واختلقْ	صلاح الدّين الصّفدي	2	635
لم لا أهيم	وأعشقْ	= = =	2	636

ـ ك ـ

بكى	ضحكا	الصّابي	2	90
بالله	بذاكا	ابن أبي الحديد	4	421
فدى	فداكا	المتنبّي	1	455
فقلتُ	صلبكَ	القاضي الفاضل	2	253
سلوا	هنالكَ	الشّهاب محمود الحلبي	2	573
يقول	فاكَ	صلاح الدّين الصّفدي	2	638
لقد أضعفني	حُسنكَ	= = =	2	640
وشعث	الشّوابكِ	ذي الرّمّة	1	110
يرى	الشّوابكِ	تأبّط شرّاً	1	110

وقد ظُلّلت	نواهلُ	أبو تمام	2	416
ما لي	الدّليلُ	ابن أبي الحديد	2	422
وما تُطرق	قواتلُ	= = =	3	423
قد بدا	عذولُ	= = =	7	424و 425
طواها	ورمالُها	ذو الرّمة	1	430
يا سيّدا	ممتثلُ	ابن بصاقة	6	436
والرّوض	مطلولُ	ابن الأثير الجزري	2	443
إنّما أحذر	العذلُ	مجهول	1	449
فلم يدرِ	نسألُ	مجهول	1	459، 626
وإنّي في داري	أهلُ	مجهول	1	461
فلهم وإن	موكلُ	البحتري	1	473، 484
وربّما	عجلوا	القطامي	1	475
لا يستقرّ	نزّالُ	مجهول	1	489
قد يُدرك	الزّللُ	القطامي	1	492
غرّاء	الوجلُ	الأعشى	1	532
وخرّ	صقيلُ	ابن عنمة	1	550
هل لحيّ	تجولُ	الشّهاب محمود الحلبي	4	574
وما هجرتك	جملُ	الرّاعي النّميري	1	576
من حاتم	المثلُ	الشّهاب محمود الحلبي	3	576
فعُدَّ	تنتقلُ	ابن حمائل	3	583
ولو لم أكن	جليلُ	مجهول	1	605
تأمّل	الدّلالُ	زين الدّين الصّفدي	2	609
ألا ليت	وجليلُ	بلال	1	621
قلت له	العذولُ	صلاح الدّين الصّفدي	2	638
قلت له	العواذلُ	= = =	2	640

قد عوّد	مرتحلِ	مسلم بن الوليد	1	390
سوّى	المنقلِ	لبيد	1	430
جعلت	مُحالِ	ابن بصاقة	5	435
تغنّى	الشّمالِ	ابن الأثير الجزري	2	443
أعلى الممالك	كالقبلِ	المتنبّي	1	454
للمجدِ	خطلِ	ابن الأثير الحلبي	2	467
رميت	بالعطلِ	عمارة	1	467
إنّي لآمل	العاجلِ	جرير	1	473
وألجم	بالهلالِ	أبو الصّلت	1	474
وأشهب	الجلالِ	= =	3	474
أيقنت	عجلِ	عبد العزيز الحلبي	1	475
عاتبت	عجلِ	شرف الدّين شيخ الشّيوخ	1	475
وبيّن الله	عجلِ	أبو تمام	1	475
لو كان	الحملِ	الطّغرائي	1	478
إنّ العُلى	النّقلِ	الطّغرائي	1	478
سديد	العجولِ	مجهول	2	493
فصرت	النّصالِ	المتنبّي	1	515
قفا نبك	فحوملِ	امرؤ القيس	1	593،517
وأهرت	والنّبلِ	محمّد بن أحمد السّرّاج	3	522
وكنت	المحلِ	مجهول	1	534
لن يصلح	حالِ	أبو العتاهية	1	539
كأنّ الثّريّا	جندلِ	امرؤ القيس	1	541
كأنّ ثبيرا	مزمَّلِ	= =	1	546
وغزال	الأصيلِ	ابن غانم	2	599
مسكيّة	يمللِ	سيف الدّين بن المشد	2	621

كأنّ الدّراري	التئامُها	الشّهاب محمود الحلبي	3	575
بكرت	علكومُ	لبيد	1	578
يا سادة	عامُ	ابن غانم	7	596
مللت	انتقامُ	= =	2	598
متى كان	الخيامُ	جرير	1	629
ولو لم	القتامُ	المتنبّي	1	631
فلمّا وردن	المتخيّمِ	زهير بن أبي سلمى	1	58، 163
أقول	التّمِ	الصّابي	2	89
فلا قلب	بالدّمِ	مجهول	1	104
فلا برح	والدّوامِ	الببغا	3	123
فإن أكُ	بذميمِ	مجهول	1	152
ومستعجبٍ	يترمرمِ	أوس بن حجر	1	182
وقد	مكدمِ	طرفة بن العبد	1	185
لا ينطوي	سلمي	مجهول	1	227
ألآن	جذمِ	الحرث بن وعلة	1	267
فظلتُ	والجسمِ	زهير بن أبي سلمى	1	283
ذمّ المنازل	الأقوامِ	جرير	1	296
وأقمت	ومُقامي	القاضي الفاضل	1	303
ممسحة	الظُّلمِ	القاضي الفاضل	2	333و 334
ممسحة	الظّلمِ	ذو الرّياستين	2	334
أأخيّ	عزمي	القاضي الفاضل	2	337
فإن تكتسي	مُعلمِ	= =	2	342
قالوا	بالقلمِ	= =	2	349
يدعون	الأدهمِ	عنترة	1	351
وأرضاً	الرّقمِ	عماد الدّين الأصبهاني	16	362و 363

ـ ن ـ

أجيراننا	عنّي	الطّغرائي	4	216
يئستُ	بفقدانِ	ابن أبي الشّحباء	1	226
وإن جرت	نعني	أبو نواس	1	230
بتحيّةٍ	الثّاني	القاضي الفاضل	3	241
يلنجوجيّ	الدّخانِ	المتنبّي	1	280
وكم ظلّ	جنانِ	القاضي الفاضل	1	296
تفدي	ترضيني	= =	4	332
وكيف	تعطيني	= =	2	350
تغطيت	يراني	أبو نواس	1	338
ألا يا عاذلي	شؤوني	العماد الأصبهاني	4	369
مغاني	الزّمانِ	المتنبّي	1	389
من كانت	عدوانهِ	ابن زبّادة	2	
وجعلت	الأذقانِ	العماد الأصبهاني	1	453
فاسأل	منّي	مجهول	2	461
والصّقر	جفنهِ	مجهول	1	477
خليفة	أوطاني	أبو تمام	1	478
ألف	الأوطانِ	مجهول	1	489
ومعتدل	كالغصنِ	ابن بصاقة	2	437
وطلّها	الرّيحانِ	الشّهاب محمود الحلبي	1	541
مليك	أخوانِ	= = =	2	551
فقد ألج	عِيْنِ	عبيد بن الأبرص	2	567
هنِّيْتَ	دينها	الشّهاب محمود الحلبي	2	569
صحّت	التّهاني	= = =	4	572
يا سيّد	الأجفانِ	= = =	3	572
نعس	المقرونِ	ابن غانم	2	599

أتى زيدٌ	الرّديني	زين الدّين الصّفدي	2	609
حريق	معاني	صلاح الدّين الصّفدي	10	627و 628
قال لي	العيونِ	= = =	2	638
يا من	منها	الصّابي	2	93

ـ هـ ـ

تلك الرّياض	وجناها	القاضي الفاضل	9	339و 340
أضمّ	فاها	ابن بصاقة	1	429
ولا قلت	آها	يحيى بن يوسف	1	460
إنّ عيني	وينهى	صلاح الدّين الصّفدي	2	640
يا حبّذا	تُنْبِيهَا	مجهول	2	480
إذا النّجم	جارها	مجهول	1	488
تسكن	رقادِها	ابن أبي الشّخباء	1	225
نالت	رضاها	مجهول	2	502
أقولُ	سطورها	الشّهاب محمود الحلبي	2	572
ورُبَّ	مُوردها	ابن غانم	4	599
أضحى	حماها	صلاح الدّين الصّفدي	2	621
عجبت	بمسراها	= = =	2	637و 638
غنىً	أتقضّاهُ	القاضي الفاضل	1	290
تخطّى	ممشاهُ	= =	1	322
سلْ	لهُ	العماد الأصبهاني	6	369
إذا بدا	تفاويفهُ	الشّهاب محمود الحلبي	2	553
أقولُ	إيّاهُ	= = =	2	569
أقولُ	يألفهُ	صلاح الدّين الصّفدي	2	638و 639
فتحٌ	بهِ	الببغا	2	120

ـ ي ـ

رأيت	مقالي	ابن عقب	1	630
لمن طلل	قدي	زهير بن أبي سلمى	1	302
حملوا	نلتقي	العماد الأصبهاني	4	366و 367
أدعوك	والأرضي	صلاح الدّين الصّفدي	2	634
يقول	المتثنّي	= = =	2	639
أهدى	مبليهِ	الصّابي	3	93و 94
أنت	فيهِ	الصّنوبري	1	103
يا من سطوت	عليهِ	الببغا	3	124
والماء	يحميها	ابن الأثير الجزري	2	444
أعرها	غواديها	الشّهاب محمود الحلبي	4	570

الأعلام والأمم والطّوائف والجماعات والقبائل

ح

خ

د

ذ

ز

ش

ص

غ

ف

ن

هـ

المواقع والبلدان

ت

ج

ح

خ

د

ش

ق

ل

م

ي

فهرست المراجع

الأبرص، عبيد(نحو 25ق. هـ/نحو 600م):

-**الدّيوان**، تحقيق وشرح: حسين نصار، ط1، شركة مكة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1957م.

الإبشيهي، محمّد بن أحمد(850هـ/1448م):

-**المستطرف في كلّ فنّ مستظرف**، طبعة جديدة منقحة بإشراف المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة للطباعة والنّشر والتّوزيع، 2000-2002.

ابن الأثير، نجم الدّين أحمد بن إسماعيل(ت737هـ/1336م):

-**جوهر الكنـز**، تحقيق: محمّد زغلول سلام، ط1، منشأة المعارف، الإسكندريّة، بلا تاريخ.

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن الأثير(ت637هـ/1239م):

-**المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1358هـ/1939م.

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن الأثير(ت637هـ/1239م):

-**رسائل ابن الأثير**، دراسة وتحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مطابع مديريّة دار الكتب للطباعة والنّشر، جامعة الموصل. بلا تاريخ.

ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني، (ت 622هـ/1225م):

-**الكامل في التّاريخ**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

ابن الأثير، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني(ت622هـ/1225م):

-**أسد الغابة في معرفة الصّحابة**، تحقيق: محمّد البنا وآخرون، دار الشّعب، بلا تاريخ.

الأحدب، إبراهيم بن علي(1308هـ/1891م):

-**كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزّمان**، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين،

بيروت، 1890م.
أحمد رضا
-**قاموس ردّ العامي إلى الفصيح**، ط2، دار الرّائد العربي، بيروت، 1981م.
الأخطل، غياث بن غوث(90هـ/708م):
-**شعر الأخطل**، تحقيق: فخر الدّين قباوه، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
ابن إسحاق، حنين(ت260/873م):
-**كتاب العشر مقالات في العين**، ترجمة: ماكس مايرهوف، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1989م.
ابن أبي الإصبع المصري(ت654هـ/1247م):
-**تحرير التّحبير**، تحقيق: حفني محمّد شرف، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، 1963م.
الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين(ت356هـ/966م):
- **الأغاني**، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التّراث العربي، طبعة كاملة وجديدة، مصححة ملونة محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة، ط1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 1415هـ/1994م.
الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك(ت216هـ/831م):
-**الأصمعيات**، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر وعبد السّلام هارون، ط5، بيروت، بلا تاريخ.
الأعشى الكبير، ميمون بن قيس(ت 7هـ/629م):
-**الدّيوان**، تقديم: حنا نصر الحتي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.
الألوسي، محمود شكري(ت1342هـ/1924م):
-**بلوغ الأرب في معرفة العرب**، شرح وتصحيح: محمّد بهجة الأثري، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت، بلا تاريخ.
الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى(ت370هـ/980م):

-**المؤتلف والمختلف**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي، 1961م.

الآمدي، أبو الفتح عبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد التّميمي(ت نحو: 550هـ/نحو: 1155م):

-**غرر الحكم ودرر الكلم، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، تحقيق: محمّد سعيد الطريحي، دار القارئ، بيروت، 1987م.

امرؤ القيس(نحو: 10ق0هـ/نحو: 545م):

-**الدّيوان**، شرح أبي سعيد السّكري(ت275هـ) دراسة وتحقيق: محمّد الشّوابكة وأنور أبو سويلم، دار عمار، عمان، 1998م.

أمين الورد، باقر:

-**معجم العلماء العرب**، راجعه: كوركيس عواد، ط2، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، 1986م.

ابن أنس، مالك(179هـ/795م):

-**الموطأ**، ط2، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993م.

ابن أيدمر، محمّد(ت القرن السّابع الهجري/الثّالث عشر الميلادي):

-**الدّر الفريد وبيت القصيد**، إصدار فؤاد سزكين/ معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة في إطار جامعة فرانكفورت، 1988م.

الأيوبي، الملك المنصور محمّد بن عمر: (ت567هـ/1221م):

-**أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشّعراء**، تحقيق: ناظم رشيد، ط1، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، 2001م.

الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن(ت467هـ/1074م):

-**دمية القصر وعصرة أهل العصر**، تحقيق:محمّد ألتونجي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م.

الببغا، عبد الواحد بن نصر المخزومي(ت 398هـ/1008م):

-**شعر الببغا**، دراسة وتحقيق: سعود محمود عبد الجابر، ط1، مؤسسة الشّرق للعلاقات

العامّة للنشر والتّرجمة، 1983م.
البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد(ت284هـ/897م):
-**الحماسة**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.
البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد(ت284هـ/897م):
-**الدّيوان**، عنى بتحقيقه وشرحه والتّعليق عليه: حسن كامل الصّيرفي، ط2، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.
البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل (ت256هـ/870م):
-**صحيح البخاري** بشرح الكرماني، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981م.
البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل(ت256هـ/870م):
-**التّاريخ الصّغير**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، فهرس أحاديثه: يوسف المرعشلي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1986م.
البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمّد (من علماء القرن التّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي):
-**نزهة الأنام في محاسن الشّام**، الطّبعة السلفيّة، القاهرة، 1341هـ.
بدوي، أحمد أحمد:
-**الحياة العقليّة في عصر الحروب الصّليبيّة بمصر والشّام**، ط2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة. بلا تاريخ.
ابن برد، بشار(ت167هـ/784م):
-**الدّيوان**، شرح: مهدي محمّد ناصر الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1991م.
بروكلمان، كارل:
-**تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربيّة: عبد الحليم النجار، ط5، دار المعارف، 1119م.
ابن بسام، عليّ بن بسام الشّنتريني(ت542هـ/1147م):
-**الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت، 1979م.

البستاني، بطرس(ت1301هـ/1883م):

-**محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.

البستي، عليّ بن محمّد(ت400هـ/1009م):

-**الدّيوان**، تحقيق: دريد الخطيب ولطفي الصّقال، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1989م.

البصري، صدر الدّين عليّ بن أبي الفرج(ت656هـ/1258م):

-**الحماسة البصريّة**، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله اللواتي(ت779هـ/1377م):

-**رحلة ابن بطوطة**(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق وتقديم: عليّ المنتصر الكتّاني، ط4، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1405هـ/1985م.

البغدادي، إسماعيل باشا(ت1339هـ/1920م):

-**هدية العارفين**(أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظّنون)، دار الفكر، 1982م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت1093هـ/1682م):

-**خزانة الأدب**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

البقلي، محمّد قنديل:

-**التّعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصريّة للكتاب.

البكريّ، أبو عبيد(ت487هـ/ 1094م):

-**فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق وتقديم: إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين، ط3، مؤسسة الرّسالة ودار الأمانة، بيروت، 1403هـ/1983م.

البكري، أبو عبيد(ت487هـ/1094م):

-**سمط اللآلئ**، ط2، دار الحديث للطباعة والتّوزيع، بيروت، 1984م.

البكري، أبو عبيد(ت487هـ/1094م):

-**التنبيه على أوهام أبي علي في أقاليه**، ط2، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 2000م.

البهاء زهير، زهير بن محمّد بن علي(ت656هـ/1258م):

-**الدّيوان**، شرح وتحقيق: محمّد طاهر الجبلاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار

المعارف، مصر، بلا تاريخ.

البيهقي، إبراهيم بن محمّد:

-**المحاسن والمساوئ**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة(ت297هـ/892م):

-**الجامع الصحيح**(سنن الترمذي)، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار الكتب العلميّة، بلا تاريخ.

ابن تغري بردي، جمال الدّين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/1469م):

-**النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب.

ابن تغري بردي، جمال الدّين أبو المحاسن يوسف(874هـ/1469م):

-**المنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق:محمّد محمّد أمين، تقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1984م.

ابن تغري بردي، جمال الدّين أبو المحاسن(874هـ/1469م):

-**الدّليل الشّافي على المنهل الصّافي**، تحقيق: فهيم محمّد علوي شلتوت، ط2، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1998م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطّائي(ت231هـ/845م):

-**شرح الصّولي لديوان أبي تمام**، تحقيق: خلف رشيد نعمان، ط1، وزارة الثّقافة، بغداد، 1977م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطّائي(231هـ/845م):

-**الحماسة**، شرح الإمام أبي زكريا يحيى بن عليّ التبريزي الشّهير بالخطيب، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

التنوخي، أبو الحسن عليّ المحسن بن عليّ (ت384هـ/994م):

-**نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، بلا دار، 1971م.

التّهامي، أبو الحسن عليّ بن محمّد(ت416هـ/1025م):

-**الدّيوان**، تحقيق: محمّد عبد الرّحمن الرّبيع، ط1، مكتبة المعارف، الرّياض، 1982م.

التّوحيدي، أبو حيان علي بن محمّد بن العباس (نحو: 400هـ/1010م):

-**الإمتاع والمؤانسة**، تصحيح وضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت. بلا تاريخ.

التونجي، محمّد:

-**التّيارات الأدبيّة إبان الزّحف المغولي**، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987م.

التّونجي، محمّد:

-**المعجم المفصل في الأدب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

التّيفاشي، أحمد بن يوسف(ت651هـ/1253م):

-**سرور النّفس بمدارك الحواس الخمس**، هذبه: محمّد بن جلال الدّين المكرم ابن منظور، حققه: إحسان عبّاس، ط1، المؤسسة العربيّة، بيروت، 1980م.

الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد(ت429/1037م):

-**التّمثيل والمحاضرة**، تحقيق: عبد الفتاح محمّد الحلو، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1961م.

الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد(429هـ/1037م):

-**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1965م.

الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد(429هـ/1037م):

-**خاص الخاص**، شرح وتعليق: مأمون بن محيي الدّين الجنان، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1414هـ/1994م.

الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد(429هـ/1037م):

-**لباب الآداب**، حرره وحققه: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد(429هـ/1037م):

-**الإعجاز والإيجاز**، ط2، دار الغصون، بيروت، 1983م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ/868م):

-**البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ط4، مكتبة الجاحظ، بيروت، بلا تاريخ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ/868م):

-**الحيوان**، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، ط2، مكتبة البابي الحلبي بمصر، 1965م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(255هـ/868م):

-**رسائل الجاحظ**، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م.

ابن جبير، أبو الحسين محمّد بن أحمد جبير(ت614هـ/1217م):

-**رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1964م.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز(ت366هـ/976م):

-**الوساطة بين المتنبّي وخصومه**، تحقيق وشرح: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، 1966م.

جرير بن عطيّة الخطفي(ت114هـ/732م):

-**شرح ديوان جرير**، شرح وتقديم: مهدي محمّد ناصر الدّين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1406هـ/1986م.

الجزائري، أبو بكر جابر:

-**منهاج المسلم**، ط8، دار الفكر، 1976م.

الجمحي، محمّد بن سلاّم(ت231هـ/846م):

-**طبقات فحول الشّعراء**، قراءة وشرح: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، بلا تاريخ.

جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر(ت82هـ/701م):

-**الدّيوان**، جمعة وحققه وشرحه: حسين نصار، مكتبة مصر، بلا تاريخ.

الجميلي، رشيد عبد الله:

-**دراسات في تاريخ الخلافة العباسيّة**، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّباط،

1984م.
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن عليّ(ت597هـ/1201م):
-**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط1، مطبعة دار المعارف العثمانيّة بعاصمة حيدر آباد الدكن، 1359هـ.
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن عليّ(ت597هـ/1201م):
-**صفة الصّفوة**، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1989م.
ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن عليّ(ت597هـ/1201م):
-**أخبار الظّراف والمتماجنين**، شرح وتقديم: عبد الأمير مهنا، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م.
الجوهري، إسماعيل بن حمّاد(ت393هـ/1002م):
-**الصّحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله(ت1067هـ/1656م):
-**كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنّى، بغداد، بلا تاريخ.
الحارث بن حلزة(نحو: 50ق0هـ/570م):
-**الدّيوان**، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م.
ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب(ت779هـ/1377م):
-**تذكرة النبيه في أيّام المنصور وبنيه**، تحقيق: محمّد محمّد أمين، تقديم: سعيد عاشور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1986م.
ابن حبيب، أبو جعفر محمّد بن حبيب بن أميّة بن عمرو الهاشمي البغدادي(ت245هـ/860م):
-**المحبر**، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري، اعتنى بتصحيح الكتاب: إيلزه ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بلا تاريخ.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(ت852هـ/1448م):

-**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، تحقيق: محمّد سيّد جاد الحقّ، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1385هـ/ 1966م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(ت852هـ/1448م):

-**شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1965م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(ت852هـ/1448م):

-**الإصابة في تمييز الصّحابة**، ط1، دار الفكر، 1328هـ.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(852هـ/1448م):

-**لسان الميزان**، ط2، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(ت852هـ/1448):

-**تهذيب التّهذيب**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1994م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين أحمد(ت852هـ/1448):

-**تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، تحقيق: علي محمّد البجاوي، مراجعة: محمّد عليّ النّجار، المكتبة العلميّة، بيروت، بلا تاريخ.

ابن حجّة الحموي، تقي الدّين أبي علي(ت837هـ/1433م):

-**خزانة الأدب وغاية الأرب**، شرح: عصام شعيتو، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1987م.

ابن حجّة الحموي، تقي الدّين أبي عليّ(ت837هـ/1433م):

-**ثمرات الأوراق**، صححه وعلق عليه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الجيل، بيروت، 1997م.

الحر العاملي، محمّد بن الحسن(ت1104هـ/1692م):

-**أمل الآمل**، تحقيق: السّيد أحمد الحسيني، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمّد علي بن أحمد(ت456هـ/1063م):

-**جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبد السّلام محمّد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

حسان بن ثابت الأنصاري(ت54هـ/674م):

-**الدّيوان**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

حسن، حسن إبراهيم:

-**تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثّقافي والاجتماعي**، ط7، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، 1964م.

حسنين، عبد المنعم محمّد:

-**قاموس الفارسيّة**(فارسي عربي)، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ الحصري القيرواني(ت453هـ/1063م):

-**زهر الآداب**، تفصيل وضبط وشرح: زكي مبارك، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط4، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، 1972م.

الحفني، عبد المنعم:

-**موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلاميّة**، ط1، دار الرّشاد، القاهرة، 1993م.

الحلبي، شهاب الدّين محمود(ت725هـ/1324م):

-**حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل**، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، وزارة الثّقافة، بغداد، 1980م.

الحلبي، شهاب الدّين محمود(ت725هـ/1324م):

-**الدّيوان(أهنى المنائح في أسنى المدائح)**، بتخميس رفاعة الطهطاوي، طبع بمطبعة جريدة الشّورى بمصر، بلا تاريخ.

-**منازل الأحباب ومذاهب الألباب**،-خ-.

الحموز، عبد الفتاح:

-**فن الإملاء في العربيّة**، ط1، دار عمار للنشر والتّوزيع، عمان، 1993م.

ابن حنبل، أحمد بن محمّد(ت241هـ/855م):

-**المسند**، طبعة جديدة مصححة مرقمة الأحاديث ومفهرسة، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م.

الحياري، مصطفى:

-**الدّواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة**، ط1، الجامعة الأردنيّة، عمان، 1986م.

حيص بيص، شهاب الدّين أبو الفوارس سعد بن محمّد(ت574هـ/1178م):

-**الدّيوان**، تحقيق: مكي السّيد جاسم وشاكر هادي، ط1، وزارة الثّقافة، 1974م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي(528هـ/1134م):

-**قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار، 1989م.

ابن خرداذبة، عبد الله بن عبد الله(ت300هـ/912م):

-**المسالك والممالك**، ط1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 1988م.

ابن أبي الخصال، أبو عبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي(540هـ/1146م):

-**رسائل ابن أبي الخصال**، تحقيق: محمّد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1988م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت463هـ/1072م):

-**تاريخ بغداد أو مدينة السّلام منذ تأسيسها حتّى سنة 463هـ**، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

الخفاجي، شهاب الدّين أحمد(ت 1069هـ/1658م):

-**شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل**، تصحيح: محمّد عبد المنعم خفاجي، ط1، المطبعة المنيريّة، الأزهر، 1952م.

ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي المغربي(ت808هـ/1405م):

-**تاريخ ابن خلدون** (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1971م.

ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي المغربي(ت808هـ/1405م):

-**مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م):

-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث(ت24هـ/644م):

-**الدّيوان**، شرح ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشّيباني النحوي(ت291هـ)، تحقيق: أنور أبو سويلم، ط1، دار عمار، عمان، 1988م.

ابن الخياط، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن عليّ التّغلبي(ت517هـ/1123م):

-**الدّيوان**، رواية تلميذه أبي عبد الله محمّد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني (ت548هـ)، عنى بتحقيقه: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، بلا تاريخ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السّجستاني(ت275هـ/889م):

-**سنن أبي داود**، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدّولية، عمان، 1420هـ/1999م.

ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن(ت321هـ/933م):

-**الاشتقاق**، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.

ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن(ت321هـ/933م):

-**جمهرة اللّغة**، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة الكائنة بحيدر آباد الدكن، 1345هـ.

الدّميري، كمال الدّين محمّد بن موسى بن عيسى(ت808هـ/1405م):

-**حياة الحيوان الكبرى**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1416هـ/1995م.

دهمان، محمّد أحمد:

-**ولاة دمشق في عهد المماليك**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984م.

دوزي، رينهارت:

-**تكملة المعاجم العربيّة**، ترجمة: محمّد سليم النّعيمي، وزارة الثّقافــــة، بغــداد، 1978-1990م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**تاريخ الإسلام، ووفيات لمشاهير الأعلام**، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**سير أعلام النّبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1981-1989م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**ميزان الاعتدال في نقد الرّجال**، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1963م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1985م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**ذيول العبر في خبر من غبر**، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1405هـ/1985م.

الذّهبي، شمس الدّين محمّد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

-**تذكرة الحفاظ**، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي، دار إحياء التراث، بلا تاريخ.

الرّاعي النميري، عبيد بن حصين بن معاوية(ت90هـ/709م):

-**الدّيوان**، جمع وتحقيق: راينهرت فايبرت، دار النشر، بيروت، 1980م.

الرّاعي النّميري، عبيد بن حصين بن معاوية(ت90هـ/709م):

-**شعر الرّاعي النميري**، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1980م.

الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمّد(ت502هـ/1108م):

-**مجمع البلاغة**، تحقيق: عمر السّاريسي، ط1، مكتبة الأقصى، عمان، 1986م.

الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمّد(ت502هـ/1108م):

-**محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمّد(ت502هـ/1108م):

-**مفردات ألفاظ القرآن**، ط1، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1992م.

ابن رافع، تقي الدّين أبي المعالي محمّد بن رافع السّلامي(ت774هـ/1372م):

-**الوفيات**، تحقيق: صالح مهدي عباس، أشرف عليه وراجعه: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1982م.

ابن الرّبوة، أبو عبد الله محمّد بن أبي طالب الأنصاري الدّمشقي المعروف بشيخ الرّبوة (ت764هـ/1363م):

-**نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

ابن رسول، يوسف بن عمرو(ت694هـ/1294م):

-**المعتمد في الأدوية المفردة**، صححه: مصطفى السقا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1975م.

الرّشيد، ناصر:

-**شعر يزيد بن الطّثريّة**، دار الوثبة، دمشق، بلا تاريخ.

ابن رشيق القيرواني، أبو عليّ الحسن(ت456هـ/1063م):

-**العمدة في محاسن الشّعر وآدابه**، تحقيق: محمّد قرقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1988م.

رضوان، محمّد مصطفى:

-**الإمام أبو الحسين ابن فارس الرّازي وآثاره في اللّغة والنّحو**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

ذي الرّمة، غيلان بن عقبة العدوي(ت117هـ/735م):

-**الدّيوان**، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية أبي العباس ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، ط2، مؤسسة الإيمان، بيروت، 1982م.

رنسيمان، ستيفن:

-**تاريخ الحروب الصّليبيّة**، نقله إلى العربيّة: السّيد الباز العريني، دار الثّقافة، بيروت، 1997م.

ابن الرّومي، أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريح(ت283هـ/896م):

-**الدّيوان**، تحقيق وشرح: عبد الأمير عليّ مهنا، ط1، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1411هـ/1991م.

الزّرقاء، مصطفى أحمد:

-**المدخل الفقهي العامّ**، دار الفكر، دمشق، 1946م.

الزّركلي، خير الدّين:

-**الأعلام**، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

زعرور، إبراهيم:

-**الحياة الاجتماعيّة في بلاد الشّام في العصر الأيّوبي والمملوكي**، مطبعة الجمهوريّة، دمشق، 1993م.

الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538هـ/1143م):

-**أساس البلاغة**، دار الشّعب، القاهرة، 1960م.

الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538هـ/1143م):

-**المستقصى في أمثال العرب**، ط3، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1407هـ/1987م.

زهير بن أبي سُلمى(نحو: 13ق0هـ/609م):

-**الدّيوان**، شرح وتقديم: عليّ حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988م.

زيتون، عادل:

-**تاريخ المماليك**، جامعة دمشق، 1992م.

زيد الخيل الطّائي، زيد بن مهلهل (ت9هـ/630م):

-**الدّيوان**، صنعه: نوري حمودي القيسي، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، بلا تاريخ.

زيدان، يوسف:

-**التّراث المجهول**، إطلالة على عالم المخطوطات، دار الأمين للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1994م.

ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب(ت484هـ/1071م):

-**الدّيوان**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

سبط بن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوي التركي(ت 654هـ/1256م):

-**مرآة الزّمان في تاريخ الأعيان**، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدّكن، الهند، 1951م.

السّبكي، تاج الدّين أبو نصر عبد الوهاب بن عليّ السّبكي(ت771هـ/1369م):

-**طبقات الشّافعيّة الكبرى**، تحقيق: محمود محمّد الطناحي وعبد الفتّاح محمّد الحلو، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م.

السّجستاني، أبو حاتم(ت250هـ/ 864م):

-**المعمرون والوصايا**، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة،1961م.

السّخاوي، محمّد بن عبد الرّحمن(902هـ/1497م):

-**الذّيل التّام على دول الإسلام للذّهبي**، تحقيق: حسن مروة، ط1، دار ابن العماد، بيروت، 1992م.

السّري الرّفاء، أبو الحسن السّري بن أحمد الرّفاء(ت366هـ/976م):

-**الدّيوان**، تحقيق ودراسة: حبيب الحسيني، وزارة الثّقافة، بغداد، 1981م.

سزكين، فؤاد :

-**تاريخ التراث العربي**، نقله إلى العربيّة: محمود فهمي حجازي، راجع التّرجمة: عرفة مصطفى وسعيد عبد الرّحيم، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، 1991م.

ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع(ت230هـ/845م):

-**الطّبقات الكبرى**،، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط1، دار المكتبة العلميّة، بيروت، 1990م.

ابن سعيد الأندلسي(ت685هـ/1286م):

-**المغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1964م.

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق(ت244هـ/858م):

-**الألفاظ**، تحقيق: فخر الدّين قباوة، ط1، مكتبة لبنان، 1998م.

سلام، محمّد زغلول:

-**الأدب في العصر المملوكي**، منشأة المعارف بالإسكندريّة، بلا تاريخ.

سلام، محمّد زغلول:

-**ضياء الدّين بن الأثير وجهوده في النّقد والبلاغة**، منشأة المعارف، الإسكندريّة، بلا تاريخ.

سليم، محمود رزق:

-**عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، مكتبة الآداب، 1955م.

السّهيلي، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله الخثعمي (ت513هـ/1185م):

-**الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النبوية لابن هشام**، تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، منشورات محمّد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

السّيد، صبري إبراهيم:

-**المصطلح العربي الأصل والمجال الدلالي**، دار المعرفة الجامعيّة، 1996م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):

-**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):

-**حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة، 1968م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):

-**طوق الحمامة**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مؤسسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، 1988م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):
-**شرح شواهد المغني**، بتصحيحات وتعليقات العلامة: محمّد محمود ابن التلاميد التركزي الشّنقيطي، لجنة التراث العربي: رفيق حمدان وشركاه، بلا تاريخ.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):
-**تحفة المجالس ونزهة المُجالس**، عنى بتصحيحه الحاج محمّد أفندي دربال التونسي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1908م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):
-**الجامع الكبير**، مصوّرة الهيئة المصريّ رقم(95حديث).

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):
-**شرح مقامات جلال الدّين السّيوطي**، تحقيق وشرح: سمير الدّروبي، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1989م.

السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت911هـ/1505م):
-**تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1976م.

الشّاغوري، أبو محمّد فتيان بن عليّ الأسدي(ت615هـ/1218م):
-**الدّيوان**، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، بلا تاريخ.

شاكر، أحمد محمّد:
-**الباعث الحثيث "شرح اختصار الحديث"**، ط4، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1994م.

أبو شامة المقدسي، شهاب الدّين أبو محمّد عبد الرّحمن بن إسماعيل(ت665هـ/1266م):
-**الرّوضتين في أخبار الدّولتين**، دار الجيل، بيروت.

أبو شامة المقدسي، شهاب الدّين أبو محمّد عبد الرّحمن بن إسماعيل(ت665هـ/1266م):
-**الذّيل على الرّوضتين**(تراجم رجال القرنين السّادس والسّابع)، عُني بنشره: محمّد زاهد الكوثري، ط2، دار الجيل، بيروت، 1974م.

أبو شجاع، محمّد بن الحسين الملقب بـ (ظهير الدّين) الروذراوري(ت389هـ/1095م):
- **تجارب الأمم**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن الشّجري، هبة الله بن علي بن حمزة(ت542هـ/1148م):
- **الحماسة الشّجريّة**، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشـــورات وزارة الثّقافة، دمشق، 1970م.
ابن شداد، عز الدّين محمّد بن عليّ المعروف بابن شداد(ت684هـ/1285م):
-**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة**، تحقيق:يحيى عبارة، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م.
الشّريشي، أحمد بن عبد المؤمن القيسي(ت619هـ/1222م):
-**شرح مقامات الحريري**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّ، بيروت، 1413هـ/1992م.
شريف، باقر:
-**حياة الإمام زين العابدين**، دراسة وتحليل، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1988م.
الشّريف الرّضي، محمّد بن الحسين بن موسى(406هـ/1015):
-**الدّيوان**، شرح: يوسف شكري فرحان، ط1، دار الجيل، بيروت،1995م.
ابن الشّعار الموصلي، المبارك بن أحمد بن حمدان(ت654هـ/1256م):
-**قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزّمان**، يصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع مازن عماوي، طبع بالتّصوير عن مخطوطة رقم(2329)، مكتبة السليمانية، استنبول.
الشّماخ بن ضرار الذّبياني(ت22هـ/643م):
-**الدّيوان**، تحقيق وشرح: صلاح الدّين الهادي، ط1، دار المعارف بمصر، 1977م.
الشّنتناوي، أحمد:
-**دائرة المعارف الإسلاميّة**، راجعها: محمّد مهدي علام.
الشهرزوري، شمس الدّين محمّد بن محمّد(ت586هـ/1190م):
-**تاريخ الحكماء**(نزهة الأرواح، وروضة الأفراح)، تحقيق: عبد الكريم أبو شويرب، ط1، جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، 1988م.
الشّهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م):
-**الملل والنّحل**، دار المعرفة، بيروت، 1983م.

ابن شهيد الأندلسي، عبد الملك بن أحمد (ت 393هـ/1003م):
-**الدّيوان**، جمع وتحقيق: يعقوب زكي، راجعه: محمود عليّ مكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة. بلا تاريخ.
الشّوابكة، محمّد، وأنور أبو سويلم:
-**معجم مصطلحات العروض والقافية**، نشر بدعم من حامعة مؤتة، دار البشير، عمان، 1991م.
الشّوكاني، محمّد بن عليّ(ت1250هـ):
- **البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.
الشّيباني، أحمد بن أبي الفتح(702هـ/1302م):
-**رسالة رصف الفريد في وصف البريد**، دراسة وتحقيق: سمير الدّروبي، ط1، دار البشير، عمان، 2002م.
شيخو، لويس:
-**شعراء النصرانية قبل الإسلام**، ط3، دار المشرق، بيروت، بلا تاريخ.
شير، ادي:
-**كتاب الألفاظ الفارسيّة المعربة**، بيروت، بلا تاريخ.
أبو الشّيص، محمّد بن علي بن عبد الله بن رزين(ت196هـ/811م):
-**ديوان أبي الشّيص الخزاعي وأخباره**، صنعه: عبد الله الجبوري، ط1، المكتب الإسلامي، 1404هـ/1984م.
الصّابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن(ت448هـ/1056م):
-**الوزراء**، تحقيق: عبد السّتار فراج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1985م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**أعيان العصر وأعوان النّصر**، مكتبة السّليمانيّة(مجموعة عاطف أفندي).
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**تحفة ذوي الألباب**، تحقيق: إحسان بنت سعيد وزهير الصّمصام، وزارة الثّقافة،

دمشق، 1991م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**الغيث المسجم في شرح لاميّة العجم**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1975م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**المختار من شعر ابن دانيال**، تحقيق: محمّد نايف الدّيلمي، جامعة الموصل، 1979م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**مقامة رشف الرّحيق في وصف الحريق**، دراسة وتحقيق وشرح: سمير الدّروبي، مجلة البلقاء للبحوث والدّراسات، المجلد الثّالث، العدد الأوّل، نيسان 1995م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**نكت الهميان في نكت العميان**، وقف على طبعه: أحمد زكي، المطبعة الجماليّة، القاهرة، 1911م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر وآخرون، فرانز شتاينر بفيسبادن، 1961-1996م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**نصرة الثّائر على المثل السّائر**، تحقيق: محمّد عليّ سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1971م.
الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك(ت763هـ/1367م):
-**تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بلا دار، بلا تاريخ.
الصّفدي، محمّد بن أحمد(ت1181هـ/1767م):
-**النّوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة**، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط3، مؤسسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، 1993م.
صفوت، أحمد زكي:
-**جمهرة خطب العرب**، دار المكتبة العلميّة، بيروت، 1934م.

الصّقاعي، فضل الله أبو الفخر(ت725هـ/1324م):

-**تالي كتاب وفيات الأعيان**، تحقيق: جاكلين سوبله، مطبوعات المعهد الفرنسي، دمشق، 1974م.

الصّيرفي، علي بن د ود(ت900هـ/1495م):

-**نزهة النّفوس والأبدان في تواريخ الزّمان**، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، بلا تاريخ.

الضّبّي، المفضّل بن محمّد(ت168هـ/784م):

-**أمثال العرب**، قدّم له وعلّق عليه: إحسان عباس، دار الرّائد العربي، بيروت، 1980م.

ضيف، شوقي:

-**عصر الدّول والإمارات/مصر والشّام**، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

الطائي، فاضل أحمد:

-**أعلام العرب في الكيمياء**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.

طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى(ت968هـ/1561م):

-**مفتاح السّعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلميّة، بيروت، بلا تاريخ.

الطّبّاخ الحلبي، محمّد راغب(ت1370هـ/1951م):

-**أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشّهباء**، صححه وعلّق عليه: محمّد كمال، ط2، دار القلم العربي، حلب، 1989م.

الطّبري، أبو جعفر بن جرير(ت310هـ/922م):

-**تاريخ الطّبري**(تاريخ الرّسل والملوك)،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

طرفة بن العبد(ت60ق0هـ/564م):

-**الدّيوان**، شرح الأعلم الشّنتمري(ت410هـ-476هـ)، تحقيق: درّية الخطيب ولطفي الصّقال، بلا دار، 1395هـ/1975م.

الطرماح بن حكَيم بن الحكم(نحو: 125هـ/743م):

-**الدّيوان**، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثّقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق،

1968م.

الطّغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن عليّ(ت515هـ/1121م):

-**حقائق الاستشهاد**، تحقيق: رزوق فرج رزوق، دار الرّشيد، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1982م.

الطّغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن عليّ(ت515هـ/1121م):

-**الدّيوان**، تحقيق: عليّ جواد الطّاهر ويحيى الجبوري، وزارة الثّقافة، بغداد، 1976م.

ابن الطّقطقا، محمّد بن علي بن طباطبا(ت709هـ/1309م):

-**الفخري في الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة**، دار صادر، بيروت، 1966م.

الطّوسي، نظام الملك(ت485هـ/1092م):

-**سياسة نامه أو سير الملوك**، ترجمة: يوسف بكار، ط2، دار الثّقافة، الدّوحة، 1987م.

ابن طولون الصّالحي، محمّد(ت953هـ/1546م):

-**القلائد الجوهريّة في تاريخ الصّالحيّة**، تحقيق: محمّد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربيّة، دمشق، 1980-1981م.

ابن طولون الصّالحي، محمّد(ت953هـ/1546م):

-**إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشّام الكبرى**، تحقيق: محمّد أحمد دهمان، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984م.

الطّيبي، حسين بن محمّد(ت743هـ/1342م):

-**التبيان في علم المعاني والبديع والبيان**، تحقيق: هادي عطية مطر الهلالي، ط1، مكتبة النهضة العربيّة، عالم الكتب، 1987م.

ابن ظافر، علي بن ظافر الأزدي (ت613هـ/1216م):

-**بدائع البدائه**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1970م.

ابن ظافر، عليّ بن ظافر الأزدي(ت613هـ/1216م):

-**غرائب التّنبيهات على عجائب التّشبيهات**، تحقيق: محمّد زغلول سلام ومصطفى

الصّاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

عاشور، سعيد:

-**العصر المماليكي في مصر والشّام**، ط2، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، 1976م.

العاملي، بهاء الدّين(ت1031هـ/1621م):

-**الكشكول**، تحقيق: الطّاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1961م.

العاملي، بهاء الدّين(ت1031هـ/1621م):

-**المخلاة**، تنسيق: محمّد خليل الباشا، ط1، عالم الكتب، 1985م.

العباسي، عبد الرّحيم بن أحمد(ت963هـ/1555م):

-**معاهد التّنصيص على شواهد التّلخيص**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1367هـ/1947م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي(ت463هـ/1070م):

-**بهجة المجالس وأنس المجالس**، تحقيق: محمّد مرسي الخولي، الدّار المصريّة للتأليف والتّرجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي(ت463هـ/1070م):

-**جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط2، دار ابن الجوزي، السّعودية، 1996م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي(ت463هـ/1070م):

-**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمّد معوض وعادل حمد عبد الموجود، تقديم: محمّد عبد المنعم البري، جمع: طاهر النّجار، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1995م.

ابن عبد المنعم، محمّد بن عبد المنعم الحميري(ت900هـ/1495م):

-**الرّوض المعطار في خبر الأقطار**(معجم جغرافي)، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.

ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي(ت328هـ/938م):

-**العقد الفريد**، تحقيق: محمّد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

ابن عبدوس الجهشياري، أبو عبد الله محمّد(ت331هـ/943م):
-**كتاب الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط2، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1980م.
أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية(ت211هـ/826م):
-**الدّيوان**، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م.
العجاج، عبد الله بن رؤبة(نحو: 90هـ/نحو: 708م):
-**الدّيوان**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، عنى بتحقيقه: عزّة حسن، مكتبة دار الشّروق، بيروت، بلا تاريخ.
العجلوني، إسماعيل بن محمّد(ت1162هـ/1748م):
-**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق، بلا تاريخ.
ابن العديم، كمال الدّين عمر بن أحمد(ت660هـ/1262م):
-**بغية الطّلب في تاريخ حلب**، منشورات معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، يصدرها: فؤاد سزكين، 1990م.
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن(ت571هـ/1175م):
-**تاريخ مدينة دمشق**، دراسة: محبّ الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
العسقلاني، أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت876هـ/1471م):
-**شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق: ناظم رشيد، وزارة الثّقافة، 1978م.
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت395هـ/1004م):
-**الأوائل**، تحقيق: محمّد السّيد الوكيل، دار الأمل، طنجة، 1966م.
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت395هـ/1004م):
-**جمهرة الأمثال**،ضبطه وكتب هوامشه ونسّقه: أحمد عبد السّلام، خرّج أحاديثه: أبو هاجر محمّد سعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1408هـ/1988م..

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت395هـ/1004م):

-**ديوان المعاني**، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله(ت395هـ/1004م):

-**كتاب الصّناعتين: الكتابة والشّعر**،تحقيق: علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بلا تاريخ.

عطية، عبد الهادي:

-**شعر الهمذاني في مقاماته**، دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، 1995م.

عكاوي، إنعام فوّال:

-**المعجم المفصّل في علوم البلاغة**، راجعه: أحمد شمس الدّين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992م.

أبو العلاء المعري(ت449هـ/1057م):

-**شروح سقط الزند**، للتبريزي(ت502هـ/1108م)، والبطلوسي(ت521هـ/1127م)، والخوارزمي(ت617هـ/1220)، تحقيق: مصطفى السقا وعبد الرّحيم محمود وعبد السّلام هارون، وزارة الثّقافة، القاهرة(نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب سنة 1946م).

أبو العلاء المعري(ت449هـ/1057م):

-**رسالة الغفران**، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تحقيق وشرح: عائشة عبد الرّحمن" بنت الشّاطئ"، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

أبو العلاء المعري(ت449هـ/1057م):

-**الفصول والغايات**، ضبطه وفسّر غريبه: محمود حسن زناتي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1938م.

علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن النّعمان(نحو: 20ق0هـ/نحو: 603م):

-**الدّيوان**، بشرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق: لطفي الصّقال ودريّة الخطيب، راجعه: فخر الدّين قباوة، دار الكتاب العربي، حلب، بلا تاريخ.

علي، محمّد كرد:

-**أمراء البيان**، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر، القاهرة، 1937م.

العماد الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدّين(ت597هـ/1200م):

-**البرق الشّامي**، تحقيق: مصطفى الحياري، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، 1987م.

العماد الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدّين(ت597هـ/1200م):

-**سنا البرق الشّامي**، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، 1979م.

العماد الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدّين(ت597هـ/1200م):

-**خريدة القصر وجريدة العصر**(قسم شعراء الشّام)، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشميّة بدمشق، 1375هـ/1955م.

العماد الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدّين(ت597هـ/1200م):

-**خريدة القصر وجريدة العصر**(قسم شعراء المغرب والأندلس)، تحقيق: محمّد المرزوقي ومحمّد المطوي والجيلاني يحيى، ط2، الدّار التّونسيّة، تونس، 1973م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت1089هـ/1678م):

-**شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

عمر بن أبي ربيعة(ت93هـ/712م):

-**ديوان عمر بن أبي ربيعة**، تقديم: فايز محمّد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.

العمري، أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م):

-**التّعريف بالمصطلح الشّريف**، دراسة وتحقيق: سمير الدّروبي، جامعة مؤتة، الأردن، 1992م.

العمري، أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م):

-**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مخطوط رقم(3425) آياصوفيا، مكتبة السّليمانيّة، استنبول.

العمري، أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م):

-**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار(مملكة الهند والسّند)**، تحقيق: محمّد سالم بن شديد العوفي، ط1، مطبعة المدني، مصر، 1990م.

العمري، أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م):

-**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "الدّولة العبّاسيّة**، تحقيق ودراسة: عمار محمّد النّهار، رسالة جامعيّة، جامعة دمشق، 2002م.

ابن عميرة، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضّبي (ت599هـ/1203م):

-**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، 1967م.

عنترة بن شداد (نحو: 22ق0هـ/نحو: 600م):

-**الدّيوان**، بشرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.

ابن عنين، محمّد بن نصر الله بن مكارم(ت630هـ/1232م):

-**الدّيوان**، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

العيني، بدر الدّين محمود(ت855هـ/1451م):

-**عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**، تحقيق: محمّد محمّد أمين، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1992م.

الغزولي، علاء الدّين عليّ بن عبد الله(815هـ/1412م):

-**مطالع البدور في منازل السّرور**، ط1، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، 1300هـ.

ابن الفارض، أبو حفص عمر بن الحسين(ت632هـ/1234م):

-**الدّيوان**، المكتبة الثّقافيّة، بيروت، بلا تاريخ.

أبو الفداء، إسماعيل بن عليّ بن محمود(ت732هـ/1331م):

-**تاريخ أبي الفداء**(المسمّى المختصر في أخبار البشر)، علّق عليه ووضع حواشيه: محمود ديّوب، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1997م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد(ت207هـ/822م):

-**معاني القرآن**، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1980م.

ابن الفرات، ناصر الدّين محمّد بن عبد الرّحيم(ت807هـ/1405م):

-**تاريخ ابن الفرات**، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانيّة، بيروت، 1942م.

أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد(ت357هـ/967م):

-**الدّيوان**، شرح وتقديم: عباس عبد السّاتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، بلا تاريخ.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة(ت110هـ/728م):

-**الدّيوان**، شرح وضبط وتقديم: علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ابن الفقيه، أحمد بن محمّد الهمذاني(ت نحو: 340هـ/951م):

-**مختصر كتاب البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

ابن الفوطي، أبو الفضل عبد الرّزاق البغدادي(ت723هـ/1323م):

-**الحوادث الجامعة، والتّجارب النافعة في المائة السّابعة**، عنيت بطبعه المكتبة العربيّة ببغداد، وقف على تصحيحه والتّعليق عليه: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ.

ابن قاضي شهبة، تقي الدّين أبو بكر بن أحمد(ت851هـ/1448م):

-**تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق: عدنان درويش، ط1، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق، 1994م.

القاضي الفاضل، عبد الرّحيم بن عليّ البيساني(ت596هـ/1200م):

-**الدّيوان**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، مراجعة: إبراهيم الإبياري، ط1، مطابع الكتاب العربي، القاهرة، 1961م.

القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم(ت356هـ/967م):

-**ذيل الأمالي والنّوادر**، مراجعة: ط2، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل، بيروت، 1987م.

ابن قتيبة الدّينوري، أبو محمّد عبد الله بن مسلم(ت276هـ/899م):

-**الشّعر والشّعراء**، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، ط3، دار التراث العربي، القاهرة، 1977م.

ابن قتيبة الدّينوري، أبو محمّد عبد الله بن مسلم(ت276هـ/899م):

-**عيون الأخبار**، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

ابن قتيبة الدّينوري، أبو محمّد عبد الله بن مسلم(ت276هـ/899م):

-**كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1984م.

ابن قدامة، موفق الدّين عبد الله بن أحمد(ت620هـ/1223م):

-**المغني**، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، ط1، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1988م.

القرشي، أبو محمّد عبد القادر بن محمّد(ت775هـ/1373م):

-**الجواهر المضية في طبقات الحنفيّة**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ط2، مؤسسة الرّسالة، 1993م.

القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد(ت671هـ/1272م):

-**الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

ابن قسّوم، محمّد بن قسّوم بن أسلم(ت560هـ/1165م):

-**المرشد في طب العين للغافقي**، تحقيق: حسن عليّ حسن، بإشراف محمّد دبس، معهد الإنماء العربي، 1987م.

القطامي، عمير بن شميم بن عمرو(ت نحو: 130هـ/نحو: 747م):

-**الدّيوان**، تحقيق: إبراهيم السّامرّائي وأحمد مطلوب، دار الثّقافة، بيروت، 1960م.

القفطي، جمال الدّين أبي الحسن عليّ بن يوسف(ت646هـ/1248م):

-**أنباه الرواة على أنباء النّحاة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثّقافيّة، بيروت، 1406هـ/1986م.

ابن قلاقس، نصر الله بن عبد الله(ت567هـ/1171م):

-**الدّيوان**، تحقيق: سهام الفريح، ط1، مكتبة المعلا، الكويت، 1988م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/1418م):

-**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرح وتعليق: محمّد حسين شمس الدّين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، 1987م.

القلقشندي، أبو العبّاس أحمد بن عليّ(ت821هـ/1418م):
-**قلائد الجمان في التّعريف بقبائل عرب الزّمان**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
القوصني، مدين بن عبد الرّحمن (كان موجوداً سنة 1044هـ/ 1634م)
-**قاموس الأطبّاء وناموس الألباء**، مصورات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، 1980م.
قيس بن الخطيم(ت نحو2ق هـ/620م):
-**الدّيوان**، تحقيق: ناصر الدّين الأسد، ط2، دار صادر، بيروت، 1967م.
الكتاني الطّبيب، أبو عبد الله محمّد بن الكتاني(ت نحو: 420هـ/1030م):
-**كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الشّروق، بيروت، 1981م.
الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير:
-**فهرس الفهارس والأثبات**، باعتناء: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
الكتبي، محمّد بن شاكر بن أحمد(ت764هـ/1362م):
-**فوات الوفيات والذّيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1372م):
-**البداية والنّهاية**، تحقيق: مكتب تحقيق التّراث، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 1993م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1372م):
-**قصص الأنبياء**، تحقيق: محمّد خالد عبيسي، ط1، مكتبة الرّسالة، عمان، بلا تاريخ.
كثيّر عزّة، كثير بن عبد الرّحمن(ت105هـ/723م):
-**الدّيوان**، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت، 1391هـ/1971م.
كحالة، عمر رضا:
-**معجم المؤلفين**، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1414هـ/1993م.
كحالة، عمر رضا:

-**أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام**، ط5، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1984م.

كشاجم الرّملي، أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم الرّملي(ت360هـ/970م):

-**الدّيوان**، تحقيق: خيرية محمّد محفوظ، وزارة الثّقافة، بغداد، 1970م.

لبيد بن ربيعة العامري(ت 41هـ/661م):

-**شرح ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، طبعة ثانية مصوّرة، مطبعة حكومة الكويت، 1984م.

ابن اللبانة، أبو بكر محمّد بن عيسى المعروف بابن اللبانة(ت507هـ/1113م):

-**شعر ابن اللبانة**، جمع وتحقيق: محمّد مجيد السّعيد، منشورات جامعة البصرة، 1977م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني(ت275هـ/888م):

-**سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1972م.

مبارك، زكي:

-**النثر الفني في القرن الرّابع**، دار الجيل، بيروت، 1934م.

المبرد، أبو العباس محمّد بن يزيد(ت285هـ/898م):

-**الكامل**، تحقيق: محمّد أحمد الدّالي، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1986م.

المتنبّي، أحمد بن الحسين(ت354هـ/965م):

-**ديوان المتنبّي بشرح أبي البقاء العكبري**، ضبطه وصححه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر.

مجنون ليلى، قيس بن الملوح(ت68هـ/688م):

-**الدّيوان**، شرح: يوسف فرحات، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1412هـ/1992م.

ابن مرداس السّلمي، العباس(ت نحو: 18هـ/نحو: 639م):

-**الدّيوان**، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، ط1، مؤسسة الرّسالة، 1991م.

المرزباني، أبو عبد الله محمّد بن عمران بن موسى(ت384هـ/994م):

-**الموشح**، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، دار نهضة مصر، 1965م.
المسعودي، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ(ت346هـ/957م):
-**مروج الذّهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، 1987م.
مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر(89هـ/708م):
-**الدّيوان**، تحقيق: كارين صادر، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م.
مسلم بن الوليد الأنصاري(ت208هـ/823م):
-**شرح ديوان صريع الغواني**، تحقيق وتعليق: سامي الدّهان، ط3، دار المعارف القاهرة، بلا تاريخ.
الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري(ت261هـ/875م):
-**صحيح مسلم**، بشرح النووي، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
ابن المعتز، عبد الله بن محمّد(ت296هـ/909م):
-**الدّيوان**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
ابن معصوم المدني(ت1120هـ/1708م):
-**أنوار الرّبيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر الهادي، ط1، مطبعة النّعمان، النجف، 1968م.
ابن معصوم المدني(ت1120هـ/1708م):
-**سلافة العصر في محاسن الشّعراء بكل مصر**، ط1، 1324هـ.
المقدسي، أنيس:
-**أمراء الشّعر العربي في العصر العباسي**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م.
المقريزي، أحمد بن عليّ(ت845هـ/1441م):
-**السّلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق وتقديم: سعيد عاشور، القاهرة، 1970م.
المقريزي، أحمد بن عليّ(ت845هـ/1441م):
-**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيّة**، تحقيق: محمّد زينهم ومديحة الشّرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، 1998م.

المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ/1441م):

-**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيّة**، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت.

المقريزي، أحمد بن عليّ(ت845هـ/1441م):

-**إغاثة الأمّة بكشف الغمّة**، قدّم له وعلّق عليه: ياسر سيّد صالحين، مكتبة الآداب، القاهرة، بلا تاريخ.

المقدسي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر(ت نحو: 380هـ/نحو: 990م):

-**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة خياط، بيروت، بلا تاريخ.

المقري التلمساني، أحمد بن محمّد (ت1041هـ/1631م):

-**نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم(ت711هـ/1311م):

-**لسان العرب**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

مؤلف مجهول(العصر المملوكي):

-**خزانة السّلاح**، تحقيق: نبيل محمّد عبد العزيز، ط1، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1978م.

مؤلف مجهول(القرن السّادس الهجري/الثّاني عشر الميلادي):

-**مجموعة المعاني**، تحقيق: عبد المعين الملوحي، ط1، دار طلاس، دمشق، 1988م.

مونرو، جيمس:

-**مقامات بديع الزّمان الهمذاني وقصص البيكاريسك**، ترجمة: خليل أبو رحمة، منشورات جامعة اليرموك، اربد، 1995م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمّد(ت518هـ/1124م):

-**مجمع الأمثال**، تحقيق:محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط3، دار الفكر، 1972م.

ابن ميمون، محمّد بن المبارك بن محمّد بن ميمون(ت بعد: 597هـ/بعد: 1193م):

-**منتهى الطلب من أشعار العرب**، طبع بالتصوير عن مخطوطة لا له لي، مكتبة السليمانية، استانبول، 1941م.

النّابغة الذّبياني، زياد بن معاوية(ت نحو: 18ق0هـ/ نحو: 604م):
-**الدّيوان**، جمع وشرح: محمّد الطّاهر بن عاشور، ط2، الشّركة التونسيّة للتوزيع، والشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1977م.
ابن ناصر الدّمشقي، محمّد بن أبي بكر بن ناصر الدّين(ت842هـ/1438م):
-**الرّد الوافر**، تحقيق: زهير الشّاويش، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1393هـ.
ابن نباتة السّعدي، أبو نصر عبد العزيز بن عمر(ت405هـ/1015م):
-**ديوان ابن نباتة السّعدي**، تحقيق: عبد الأمير الطّائي، وزارة الثّقافة، بغداد، 1977م.
ابن النّديم، أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق(ت438هـ/1047م):
-**الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد، بلا دار، 1971م.

النسائي، أحمد بن علي(ت303هـ/915م):
-**صحيح سنن النّسائي**، صحح أحاديثه: محمّد ناصر الدّين الألباني، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.
نصيب بن رباح(ت108هـ/726م):
-**شعر نصيب بن رباح**، جمع وتقديم: داود سلوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.
أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ/1038م):
-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988م.
-**ذكر أخبار أصبهان**، دار الكتاب الإسلامي، بلا تاريخ.
النّعيمي، عبد القادر(ت927هـ/1520م):
-**الدّارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي بدمشق، 1948م.
نقولا، قسطندي:
-**معجم المواقع الجغرافيّة في فلسطين**، جمعيّة الدّراسات العربيّة، القدس، 1984م.
النّواجي، شمس الدّين محمّد بن الحسن
-**حلبة الكميت في الأدب والنّوادر المتعلّقة بالخمريات**، (د.م)، (د.ن).
أبو نواس، الحسن بن هانئ(ت198هـ/814م):

-**شرح ديوان أبي نواس**، تحقيق: إيليا الحاوي، منشورات الشّركة العالميّة للكتاب، بيروت، 1987م.

نور الدّين، حسن:

-**موسوعة أمراء الشّعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**، شركة رشاد برس، بيروت، بلا تاريخ.

نوري حمودي القيسي:

-**شعر النمر بن تولب**، مطبعة دار المعارف، بغداد، بلا تاريخ.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م):

-**نهاية الأرب في فنون الأدب**، مصوّرة المؤسسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك(ت213هـ/828م):

-**السّيرة النّبويّة**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.

ابن هشام، أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري(ت761هـ/1360م):

- **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق وضبط: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، بلا تاريخ.

الهرفي، محمّد بن عليّ بن أحمد:

-**شعر الجهاد في الحروب الصّليبيّة في بلاد الشّام**، ط3، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1400هـ/1980م.

همام عبد الرّحيم سعيد

-**التّمهيد في علوم الحديث**، ط2، إربد، دار الفرقان، 1995م.

الهمذاني، بديع الزّمان(ت398هـ/1008م):

-**الدّيوان**، دراسة وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1407هـ/1987م.

الهمذاني، بديع الزّمان(ت398هـ/1008م):

-**شرح مقامات بديع الزّمان الهمذاني**، محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، بلا تاريخ.

الهندي، عليّ بن حسام الدّين بن عبد الملك(ت بعد: 975هـ/بعد: 1545م):

-**منتخب كنــز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1990م.

ابن واصل، جمال الدّين محمّد بن سالم(ت697هـ/1298م):

-**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: حسنين محمّد ربيع، راجعه وقدّم له: سعيد عاشور. بلا دار، بلا تاريخ.

ابن الورد، عروة(ت نحو: 30ق0هـ/نحو: 594م):

-**الدّيوان**، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمّد، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

ابن الوردي، زين الدّين عمر(ت749هـ/1348م):

-**تاريخ ابن الورديّ**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1996م.

الوطواط، أبو إسحق برهان الدّين الكتبي(ت 718هـ/1318م):

-**مناهج الفكر ومباهج العبر**، طبع بالتّصوير عن مخطوطة (4116) مجموعة فاتح، مكتبة السّليمانية، 1990م.

الوطواط، أبو إسحق برهان الدّين الكتبي(ت718هـ/1318م):

-**غرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائض الفاضحة**، دار صعب، بيروت، بلا تاريخ.

اليافعي، أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن عليّ بن سليمان(ت768هـ/1367م):

-**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزّمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات: محمّد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله(ت626هـ/1228م):

-**معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله(ت626هـ/1228م):

-**معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(بعد 292هـ/بعد 905):

-**تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

يوسف بن عمرو بن رسول (ت 694هـ/ 1294م):

-**المعتمد في الأدوية المفردة**، صححه: مصطفى السّقا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1975م

اليونيني، أبو الفتح قطب الدّين موسى بن محمّد(ت726هـ/1326م):

-**ذيل مرآة الزّمان**، حيدر آباد، بلا دار، 1954م.

ص

ض